

المعارك الأدبية

في مصر منذ ١٩١٤ / ١٩٣٩

أنور الجندي

١٩٨٢

مطبعة
مكتبة الأنجلو المصرية
١٠٠ شارع فرانسوا فكتور

رقم التذايح ٨٢/٢٧٧٤
الرقم الدولي ٥ - ٠٠٢٠ - ٠٥ - ٩٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

تشكل « المارك الأدبية » نظاما حيا من قطاعات الحياة الفكرية في الأدب العربي له حضوره وأهميته في مجالات النثر والتمثيل والفن العربية والقومية العربية ومفاهيم الثقافة ونقد الكتب .

وقد دارت هذه المارك بين المحافظين والمجددين ، ثم دارت بين المجددين أنفسهم ، متطرفين ومعتدلين ، وقد انتظمت موضوعين هامين : معركة مفاهيم الثقافة ومعركة مفاهيم الأدب وكان أبرز أعلامها في معسكر المحافظين أحمد زكي باشا وفريد وجدي والرائي ومحمد أحمد التمراري وشكيب أرسلان ورشيد رضا وفي معسكر المجددين: العفاد والملائي وزكي مبارك وهبيل وطه حنين وسلامة موسى

أولا : معركة مفاهيم الثقافة

بدأت هذه المارك منذ وقت مبكر منذ عام ١٩١٤ برسالة منصور فهمي التي قدمها للدكتوراه في باريس وهاجم فيها الإسلام وموضوعها « حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها » وقد كتبها تحت إشراف أستاذ يهودي هو « ليبي بريل » وكانت هذه الرسالة قائمة بأفهام أطلق عليه من بعد « تيار القنرب » سار فيه كثيرون : من بينهم طه حسين ومحمود عزمي وسلامة موسى وعلى عبد الرزاق وإسماعيل أدهم وعبد العزيز فهمي ولطفى السيد .

وقد شمل هذا التيار مهاجمة (١) قومية العربية والوحدة العربية (٢) مقاومة اللغة العربية والدعوة إلى العالمية (٣) الدعوة للسكينة العربية بالحروف اللاتينية (٤) مهاجمة الخلافة والإسلام والدين بصفة عامة (٥) إتهام العرب بالتخلف العقل وهي نظرية « رينان » (٦) النزعة اليونانية واعتبار اليونان أساتذة العرب

(٧) تصارع الثقافات الفرنسية والانجليزية (٨) إثارة الاتهامات بحصول التآكل والانهيار والتوراه بالفكر في نسوحها والحق على رسول الإسلام والحضارة الإسلامية (٩) تغليب الجانب الأساطوري على السيرة الحميدة (١٠) قدمسوة إلى الأدب المكتشف (١١) مشارك الفن للفن (١٢) الدعوة إلى نقل الحضارة خبزها وخرها ما محمد منها وما يباب (١٣) إنكار فضل العرب على الحضارة (١٤) الدعوة إلى الفرعونية .

وإذا كان هذا هو أبرز جوانب المارك الأدبية التي يمكن القول بأنها دارت تحول « مفاهيم » الثقافة والفكر والحضارة والأدب في خضلال أربع تيارات واضحة هي المحافظة والتجديد ثم التتريب والعودة إلى الأصالة وقد دلت هذه المارك على بثقة المحافظين وما أصحوا دعاء التتريب و قد هبوا عندما قاموا بتعير الفنة العربية أو مذهب التجزئة والقويوات الضيقة أو الفرعونية أو القبطية أو غيرها ، أو الشر المجلع أو أراء التتريب أو الاتحاد أو التتريب من شأن الدين في المنفع أو الفكر أو فضل العرب على الحضارة وقد كانوا أصدى إيماناً وأقرب إلى الحق وأبعد عن الانحراف .

غير أن الخطر في الأمر أن معارضة دهوات التتريب والانتدفاع نحو العرب والتطرف والانحراف لم يأت أن ظهر من جانب المدرسة الحديثة نفسها ، فقد تمزقت هذه المدرسة التي تطلعت في أوروبا — وفي فرنسا في الأغلب — وانقسمت على أساس تطور فكري وتحول عقائدي ، فقد كان دعايتها في أول الأمر من أخذ للتحمسين للحضارة الأوروبية ، غير أنهم اكتشفوا مدى الخيبة التي يمكن وراء إطلاق هذه الدعوة ، حيناً شاهدوا التناقض البعيد بين شعارات الحضارة الغربية وبين واقعها وتصرفاتها القلبية في عالم التتريب والإسلام ، هناك استندعت معان جديدة في نفوس هؤلاء المفكرين جعالتهم يتقنون وفلة النظر والتأمل غلبت فيها عاطلة الإيمان بالوطن والقرات وحق أمهم عليهم ، وقد بلغ بهم الاعتقاد حد الإيمان بأن هذه المذاهب التتريبية لن تصل بهم إلى خلق أمة جديدة أو فكر

جديد ، هناك قارموا زملائهم ، ووقفوا يمارسونها : وفي مقدمة هؤلاء الدكتور
هينكل ومنصور فهمي وزكي مبارك .

لقد عارض هينكل طه في كتابه الأساطير على أنها جزء من سيرة الرسول ،
وعارض سالم العنزي وزكي مبارك وعبد الرحمن عزلم آراء النخلة والفرعونية
وعارض توفيق دياب الأدب المكتشف وعارض منصور فهمي التقليد الخالص ،
وعارض فليكس فارس نظريات التنريب في الثقافة ، وعارض زكي مبارك النزعة
اليونانية ، وعارض المازني الكتابات الإلحاحية وترجمة القصص الفرنسية المكتشفة

كما كشف منصور فهمي الذي تحول عن آرائه في الإسلام التي أثبتتها في
المطروحة الدكتوراه (١٩١٤) كشف عن تجربة الثقافة القرية بالنسبة للمسيحيين
العرب ، فقد ذهب إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه في الفلسفة فوقع تحت سيطرة
أستاذ يهودي دفعه إلى مهاجمة الإسلام هجوما غاسيا إرضاء لنزعات المستشرقين
الفرنسيين .

وقد فشل طه حسين مثل ذلك عندما وقع تحت سيطرة ذور كهايم وماسنيون
فهاجم أهل العرب المجاهدين في المطروحة الدكتوراه عن (ابن خلدون) التي
تقدم بها الفرنسيون ، واتهمهم بالأنشراح والجهود وعدم القدرة على تلقي الحضارة
القرية التي تقدمها إليهم فرنسا .

ولم يفلت من ذلك القيد إلا الدكتور زكي مبارك الذي عارض آراء
المستشرقين وأصر على رأيه وثلى في سبيل ذلك عتلا خلفه حتى نهاية حياته وإن
كان قد أخطأ في فهم القرآن (الحركة في كتابنا الساجلات) .

ومع ذلك فقد اعترف أحد المستشرقين بحقيقة النبوة العسكرية حين قال
بين آراء طه حسين في « الشعر الجاهلي » وآراء زكي مبارك في « الشعر الهلي »
قال : إذا قرأنا لشكر طه حسين قلنا هذه بشاعة تروث إلينا ، فلما عاد زكي
مبارك وعارض اتجاه التنريب التي التت في الجامعة واصله طه حسين وظل شقيا
بشرعته التحررية إذ قاوم كثيرا من أهداف التنريب حين دعا إلى التعليم في كليات

المجاسة باللغة العربية ، ودنا إلى الوحدة العربية وعالجنا آراء التنريب في الثقافة والتبليغ والإسلام والرب .

وقد انتصرت العسكرية العربية الصحيحة بعد قليل في عودة منصور فهي وعودة هيكل وهمود عزمي والثاني للذين كان لربارتهما البلاد العربية أرضها في إيمانهم بالوحدة العربية .

وإذا كان أغلب هذه المارك التي سجلتها قد دارت في سجن مصر فإن كتاب العالم العربي البرزون قد اشتركوا فيها وإثباتات تحتل معظماً من الحياة العسكرية في مصر فثباتها في الحق صورة متكاملة صادقة لجميع المارك العسكرية التي دارت في العالم العربي كله .

فقد كانت خطط التنريب متشابهة ودعوتها متماثلة بين الاستعمارين الفرنسي والبريطاني اللذين سيطرا على العالم العربي في هذه الفترة ،

فلذا دعينا نبحث في دوائر المارك الأدبية لم نجدتها خالصة لوجه الفكر وإنما وقع أغلبها تحت سيطرة دفتين كبيرين :

(١) الخصومات السياسية . (٢) الخلافات الشخصية .

ذلك أن الخلاف بين العسكريات السياسية قد جعل طائفة من الكتاب تنحاز إلى هذا الجانب وطائفة تنحاز إلى الجانب الآخر ، وكان لهذا أثره ، ولذلك كانت أعقاب أحكام هذه المارك تدل على التناقض ، فالرأي هنا مقيد بوجه نظر وطرف معين ، فإذا اختلف هذا الطرف نتيج الرأي ومثال ذلك في مارك أمارة الشعر (١) والقومية العربية والتنريب وقليلاً ما ترى الانصاف السدي جرى

(١) كتب الدكتور مته حيدر في الجمهورية ١٩٥٦ يقول : أحب أن أؤكد أنه لم أراجع القواعد بلغة الشعر وما كان لي أن أبايه لأن لم أكن عامراً ، اقرأ معركة الشعر في الفصل التاسع .

عليه الملقى في العودة إلى الحق معركة مع عبد الرحمن شكري أو زكي مبارك في رجوعه عن آرائه في «الفرزالي» فإذا ذهبت استعصى أعنت المارك أفلت أنها معركة الرافض مع القناد وطله حسين . ومعركة زكي مبارك مع طه حسين ثم أحمد أمين . والأولى في جانب منها شخصي وثانية شخصية هضبة . فقد كان الرافض يضع في أن إلى منصب أستاذ الأدب العربي في في الجامعة واستأثر طه حسين بهذا المنصب ، وكانت لجنة المجلس حين فصل طه حسين زكي مبارك من الجامعة مصدر معركة شكري .

وقد كانت هذه المارك - على كل حال - طعناً للأدب فقد حثت على التجويد وفتحت باب السجال والتفند ومعارضة الآراء على نحو شيق حقا ، كشفت عن حقيقة القفوس ، وطبائنها ، وأبان عن التزييف والتجسس .

ويمكن القول بأن الكتاب المجددون كانوا في أول الأمر يناظرون الجماهير لتسكب شهرة ثم أرغمتهم السياسة على مسايرة الجماهير وتلقاها كما حدث في كتابة حياة محمد للذكتور هيكل . أو الرضوخ لآراء المستشرقين حين تحول أحمد أمين للدعوة إلى العامية ومهاجمة الأدب العربي القديم وقد حيرت بعض هذه المارك بأسلوب بالغ العنف ، بل به الإهتداء للفتن ، وربما كان السياسة والمارك الحزبية أثرها في بلوت أعلام الكتاب . وعندى أن لأحمد زكي بأعيا التزكيز في قيادة هذا الاتجاه فقد عرف بالتمت والسخرية لبالغة واستعناع ألفاظ مثيرة ، وتأثر بهذا الرجل : طه حسين والقناد وزكي مبارك وهم الثلاثة الذين كانوا أعنف كتاب لفتن العربي العامر .

وقد كتب أحمد أمين في بعض المارك عن الكتاب الذين بدأوا حياتهم في جرأة وحرية ثم تحاذوا لمن يعد وتمودوا الجاراة بدلا من المقاومة والندارة بدلا من الصراحة وقضاوا السلامة .

ثانيا : معركة مفاهيم الأدب

أما معركة « مفاهيم الأدب » بدأت حول الأسلوب « م ١٩٢٣ » بين

الرافضي وطه حسين ثم تناولت غاية الأدب برونات بالأسلوب والضمون ، والفن
لفن والفن المجتمع . ومذهبي الأدب : بين الرافضي والقناد ، والآراء القديمة .
والنقد والتريظ . ومعارك مفاهيم الفكرة .

وقد قامت هذه المارك على أساس «هاجة الأسلوب القديم للفرق في
السجع والقدمات والآلاف القاموسية ، وحصول غلبة النجاة باللفظ على
المنجاة بالضمون .

وقد وقف شكيب أرسلان والرافضي في صف الدفاع ووقف سلامة موسى وطه
حسين في صف الهجوم .

وكانت حجة الدفاعين : حماية اللغة العربية من أعجوبة النجاة التي كانت
هدف الدعوة التي أثبت واستقرت ، غير أن الحركة انكشفت عن تقارب في
الأساليب وهو ما أطلق عليه الأسلوب التفرقي :

وجرى مثل هذا في مفهوم الشعر : فسكانت معركة أنصار الرافضي وأنصار
القناد . وكانت دعوة القناد والملازم وشكري قد بدأت منذ نشرهيات من هذا
القرن ، ثم انفصل شكري الذي هاجم زميله الملازم في أول كتاب للمذهب وهو :
(القديون) ثم تنسك الملازم لشعره ووقف القناد وحده يدافع عن الشعر الجديد
وتصدى له الرافضي في هجوم عنيف . ثم كانت معارك تجديد اللغة بإحياء الألفاظ
القاموسية التي تسد حاجة الحضارة وقد نشبت بين أحمد زكي باشا ومحمد محمود
وكان لها طابع المناب .

ثالثا : طابع المارك الأدبية

ومن أبرز هذه المارك ما قام من جانب واحد : لمركة كتاب الشعر الجاهل
ومستقبل الثقافة مع طه حسين قامت من جانب معارضي وحدهم ، وكذلك معركة
« لقمة العيش » التي أثارها الدكتور زكي مبارك ومعارضة مع أحمد أمين :

وقد برزت في هذه المارك عبارات عجيبة مثيرة : منها قول زكي مبارك : لقد
طن له حسين أنه انتزع اللقمة من فم أفعالي فليط حضرته أن أطفائي لو جاعوا ؟
لتبوت له حسين وأطمعتم من لحسه ولكنهم لن يجوعوا ما دامت أرواقيهم
بيد الله .

أو قوله لإحمد أمين : أعل أحمد أمين يريد امرأة فيلسوفة لها عرقوب كشمس
الدموع في العنود . ولها عين كعين الصبياء تعينه على سهر الليل إلى أن يزع
« بحر الإسلام » .

أو قوله لعبد الله عفيفي إذا دخل الأزهر وقت القدوم فواعد النحو صفا صفا
فكناكث التصويبات في جانب ، والرفوعات في جانب وقد تصدده (الجوررات)
من شماله إذا دخل من الباب الذي كان يسمى باب الزينيين .

ويقول عن كتابات لطفي السيد : هي لفظ مركب مفيد بالوضع العربي .

ويقول الرفاعي في نقده لعله حسين : مهد له لرايه بأن أعلن لتشييع الأزهر
ولقاء الدين أنه مثلهم مسلم . ثم قال و « الفرق بين وبين الشيوع أني مسلم حقا
أنهم الإسلام على وجهه » فبا أرض إبلى فهذا مستنقع لارجل .

ومن هذا ما يذكره توفيق الحكيم عن معركة مع طه حسين بعد انتهائها :
إن الخصومة بين وبين طه حسين كانت خصومة أدبية صرف ولكن المستنور
له أراد أن يلجم فيها عنصر القيادة ليظهرني في صورة (يودا) ويظهر نفسه في
صورة المسيح .

ولعل ما يذكر هنا أن آراء توفيق الحكيم التي عرضها في مساجلاته مع طه
حسين (ص ٥٥٩) هي آراء « رينان » التي ردها من قبل إسماعيل أدهم أحمد
في مساجلاته مع فيلسوف فارس (ص ١٠٥) وقد عارضها الدكتور طه حسين
حين عرضها توفيق الحكيم (عام ١٩٣٤) ثم عاد فردها في كتابه مستقبل الثقافة
(ص ٣٨٨) وفي معركة ضد الغرب والقومية (ص ١٧ و ٥٨) .

وقد هاجم العقاد والنازني وطه حسين الشاعر شوقي هجومًا عنيفًا ثم غير كل من طه حسين والنازني رأيهما في الشاعر الكبير وظل العقاد على رأيه القديم.

ومما يلفت النظر هجوم أحمد زكي باشا شيخ الرواية على زكي مبارك مستهلا مقاله على هذا النحو « إلى الطفل اليوناني قبل الدكتور زكي مبارك : ويقول له : إنك تكتب باسم أليك غارة تحملي وبارة تصيب » وكل من المارك المثيرة ما ذكره مصطفى عبد الرزاق في محاضرة عن ذكرى ريتان الذي هاجم العرب ورماعهم بأعنف ألهم... واحتفت به الجامعة المصرية - وفي هذه المحاضرة قررو الحاضرين أن جمال الدين الأفغاني تطور فكرهما في أقل من ثلاث سنوات بعد مقابلته لريتان فغير رأيه في الدين وأعلن أن الإسلام كان عبثًا قتلًا وفسادًا وللدنية

ومما يذكر هنا أيضًا أن زكي مبارك الذي هاجم كثيرًا من الأدباء وساقهم بقلم مرير الهجاء قد تراجع أمام السباعي يومى الذي كاد لمبارك السباع صاعين (ص ٤٤١) وهناك معركة أخرى لم تستكمل صانع فيها زكي مبارك ضياعًا مؤلمًا، تلك هي معركة وحدة الوجود وآرائه في القرآن التي شجب أولها محمد أحمد قنبرلوى ودرين خشية في الرسالة وصمت لزلها زكي مبارك صمتًا عجزنا (١).

ومن تناول المنشآت في نقد الأدبي ما أحسنه الدكتور صلاح الشجد على الدكتور زكي مبارك (الرسالة ٣ فبراير ١٩٤١) من أن مبارك نقد أحمد أمين في الرسالة (١٠ يوليو ١٩٣٩) وقال عنه (أن هذا الأستاذ لم يؤت أسلوبًا خاصًا وأنه ما كان في يوم من الأيام أدبًا وأن أحمد أمين ليس له أسلوب) ثم عاد بعد ذلك فكتب في الرسالة أيضًا (١١ نوفمبر ١٩٤٠) فقال « يجب الاعتراف بأن لأحمد أمين أسلوبًا وبأن لهذا الأسلوب شخصية تتميز بالسهولة والوضوح ».

ومن مبالغات النقد ما ذكره زكي مبارك من أن الشيخ عبد العزيز البكري اتصل به تليفونيًا وقال له - إن إخوته مهتاجون لنقدهم والدمع (الشيخ سليم

(١) أوردنا هذه المعركة في كتابنا (المداديات).

البشرى) والله سيقتلونه على باب داره . وقال زكي مبارك : إنه يستطاع أن يسوق للمعركة ألف نبوت من منطريس .

وقد جرى النقد القاسي للنقد بين ماء حسين وهينكل أمداً طويلاً ثم تحول إلى الضرب من جانب ماء حسين عندما كشفت هينكل وسائل التثريب وهارض اتجاه ماء حسين في الاستغلال الأساطير في كتابه السيرة .

أما التنازع وطه حسين فقد كان بينهما سجل دائم وخصومة خفية ، ظل ماء حسين سامناً إزالتها حتى هاجم اللزني في معركة ديوان (أنات حائرة) لمزيد إيظافه على نحو رمزي عتف هنالك تدخل الدكتور زكي مبارك لكتف أسراراه وتغلب مضامينه (ص ١٢٢) .

أما المارك الأدبية بين ماء حسين والقناد فقد كانت إمبراء ، كان ماء حسين يحظى قام القناد فلم يعرض له إلا للما وفي حذر شديد ، وعندما انضم ماء حسين إلى الوفد كان القناد أكبر من إنشاء ، لذلك أسرع مع مناسبة التكرم القناد فأعلن أنه أمير الشعر وكان قد سبق فقال بعد وفاة شوقي أن إمارة الشعر انتقلت إلى العراق ، وليس لعجب في جانب النقد ولا لزوم من تطبيق الزعمى على رأى ماء حسين في نقل إمارة الشعر إلى القناد حين وصلها (ص ٥٤٠) يتوله : إنما أراد ماء في سطرته أن يقول : فإن لم تثبتوا أن فيسكهمن استطاع أن يخلف شوقي فاصنروا واصنروا حتى يسكون القناد أميركم .

وهكذا نفى السلاجات الأدبية بين القهره والكورة ، وبين القنف والسنق ، وبين التجرد والهورى لنقل صورة القهره نفسه بتأليه من اضطراب وفلق وتحول ولا تستند اتفاقاً للمنا إلا ما كاملاً بالمارك الأدبية في هذا العصر ، وإنما نقلاً صورة موجزة امينة لهذه المارك في غير ميدان السياسة التي ستخصص بها كتابنا « الصحافة والسياسة » .

ولقد سبقت هذه المارك معركتين كبيرتين : الأولى بين إبراهيم اليازجى

وفارس الشدياق وقد دارت حول اللغة وبلغت فيها عبارات الهجاء حدا مريرا .
ومعركة تحرير الرأى التى استطلعت بعد نشر قاسم امين لمحول كتابه فى المؤيد .
ثم صدره قبل نهاية القرن (١٨٩٨) وقد امتدت طويلا ، وانتشرت من اجلها
الصيغ والفت الكتب فضلا عن المقالات المتعددة .
ولا شك ان هذه المارك تعطى صورة صادقة لطبقة المفكرين والكتاب
العرب فى ايمانهم بالبحث والتجديد وحماية القيم وتطوير المفاهيم فى الفكر العربى
الناصر بما تحقق على نحو لا بأس به (١٩٥٩) ٥

كان لنا وقد آمدنا منبع هذه الرسالة أن نذكر أننا أصدرنا مجلة أخرى تحت اسم
« الدلائل والفكر الأدبية » تضم حوالي ٥٠ معركة أدبية أخرى فى نفس الفترة التى
بدأ من أوائل القرن حتى أوائل الحرب العالمية الثانية وقد احتفلنا بهذه المجلة الثانية
بتدوينها الأولى دون أى تعديل أو إضافة (١٩٨٢) .

المفصل الأول

معارك الوحدة والتجربة

(١) معركة الوحدة العربية

لم حنين وعن الزمان فرام وعبد بن المطالب وعن الله حنين وزكي مبارك
وفهم رضوان وزكي لراعيهم وعن الجندى وحسن سبي وعبد كمال حنين
وسلامه موسى

(٢) مصر بين العربية والقرعونية

الزيت وعينكل وهان وعمود سيد الدين الابرار

(٣) حركة العروبة والمصرية

سليح المصري ومله حنين والفتوح

١ - معركة الوحدة العربية

هذه أضخم معركة فكرية عن القومية العربية جرت عام ١٩٣٣ ، أثارها الدكتور طه حسين بتدبير جاء ضمن إحدى مقالاته في جريدة كوكب الشرق قال فيه :

« إن العربيين قد خضعوا لقروعة من اليأس والآن من الدوان جاءتهم من الغرب واليونان وجاءتهم من العرب والفكر والفراسيد » .

والله حيث الباصرة يد هذه المبارزة واستمرت أكثر من ثلاث شهور وأورد الصحف على اختلاف ألوانها من مصر والبلاد العربية ، وقد حل لواء مناجاة الدكتور طه : عبد القادر جزاء صاحب جريدة الياض واشترك فيها عدد كبير من الكتاب ، لم يبق في صف الدكتور طه فيها غير حسن صبيح وعبد كادل حسين وسلامة موسى ووفاء الجانب الآخر عبد الرحمن عزام وعبد الدين الخطيب وعبد الله عفيفي ونجوى رشوان وزكي مبارك وزكي إبراهيم وعلي الجندى .

ولقد نشر الأعلام يوم ٩ سبتمبر ١٩٣٣ خطيراً مؤداه بأن أعضاء الجمعيات الثقافية والأدبية في دمشق بعد أن درست مقال الدكتور طه ، قررت « أن تنسج حيال الدكتور نهج الغازي الألمان تجار السكتب المعاكسة للقومية العربية . وأنهم قرروا دعوة الجمعيات العربية الأدبية والسياسية في العراق وفلسطين وجميع الأقطار العربية إلى مقاطعة كتف الدكتور . وأن هذه الطريقة ستفهم أيضاً مع كل كاتب معصري يظن في القومية العربية ويشجع الروح الشعبية » .

وكتب للأعلام في الثقافية (٧ سبتمبر ١٩٣٣) قال :

لسنا من موافقي الدكتور طه حسين على كل ما يروى في بحوثه ونظرياته ، ولكن مع هذا لا يسعنا إلا أن نقول لإخواننا أديباً وصديقاً وأعضاءاً جمعياتها الثقافية أن روح الأكرام الذي يشتم من قرارهم لا يتطابق الرغبة البادية في جميع البلدان إلى التعاون والاتفاق وبيان فوائد التضامن .

ونشرت التظلم يوم ١٢ سبتمبر ١٩٣٣ بمجان الشباب في سورية بعدد كذب الدكتور طه حسين ثم كتب بعض رضوان إلى معروف الاوفلوط صاحب جريدة نقي العرب يدافع عن طه حسين ولكنه اعترف بموقف الدكتور طه فقال :

« أن إحقاق كذب طه حسين لأنه واحد من الذين يهوتون من أمر العرب ويصفرون من شأنهم ، ورفضون الصوت بالدعوة التي يكرهونها من السكراعية إلا وهي الفرعونية » .

ونشرت جريدة نقي العرب في دمشق نقول : يني هذا القرار الذي سينفذ في البلاد العربية كأنه على اعتداءات ماضية ترجع إلى السككاب الذي أنه الدكتور طه حسين تحت عنوان « في الأدب الجاهل » وللتال الذي نشره في كوكب الشرق ضد العرب ويهدف القرار إلى إخراج مؤلفات طه حسين من المكتاب واعتبارها ممنوعة التداول في البلاد العربية لخالفها روح التوسمة المنتشرة في بلاد العرب وتتهم صاحبها على حرمة التاريخ وعيبه في ذكريات الأجداد الذين حرروا المعصر المعصرى من سياط الفانحين وأعطوه لغة قوية وديانة مرضية وحضارة لا تقاس بها حضارات العالم القديمة .

وكتبت البلاغ ترد على جريدة نقي العرب (٢٠ سبتمبر ١٩٣٣) وتقول : كذا محب الزميمة أن لا يزل قلبها ... كاذبي فانه من تحرير المعصر المعصرى من سياط الفانحين فإن السخط على طه الدكتور طه لا يجوز قذف الأمة المصرية في وجهها بهذه العبارة على أنها تؤثر أن تنفض عن ذلك .

ثم بدأت الحركة بصورة جدية بمقال عبد الرحمن عزام « أليست مصر عربية » .

وتوالت المساجلة واشترك فيها عدد من كتّاب القومية العربية وعدد من خصومها وكتب سلامة موسى بحرض على القومونية مقالاً تحت عنوان :

« دماء القواعد تجري في عروقنا جميعاً » البلاغ ٨ أكتوبر ١٩٣٣ وأشكر زكي مبارك وجود الثقافة الفرعونية وصلاحياتها للحياة ، وهذه هي أبرز معالم الحركة : التي تعد من أهم المارك القومية العربية العسكرية إذ كانت مصر في هذه الفترة تجذب عن الأمة العربية وإشغالها الأسفار بذهاب متعددة ودهوات مختلفة من الفرعونية إلى التفريب بينما كانت سورية تعمل لواء القومية العربية ، غير أن هذه الصيغة ما كانت تمان حتى عب المؤمنين بملطة الأمة العربية وأعجادهما ووقفوا في وجهها وقفة أدالت منها ومن دعائها وحطمت شرايعها .

١ — البلاغ — أليست مصر عربية : عبد الرحمن عزام — ٣٣/٨/٢٩

في سياق مقال المذكور طه حسين استوقفني العبارة الآتية : وم — يريد للصريين — قد خضعوا لغروب من البنفسج وألوان من الدخان جاءتهم من القوس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين .

والذكر دور طه رجل له في العلم والتاريخ مقام معلوم فهل له أن يتفضل يذكر بعض الحوادث التي تدخل العرب المسلمين في زمرة البقاة المتدينين ، فقد قيل لنا عن دخول العرب إلى مصر إنه كان استخلاصاً لأهلها من البني والعدوان وإيقاظاً لها من الضلال . وقد جاء إليها العرب دعاء إلى دين جديد أصبح دين السكينة النظم من أهلها . هذا الدين سوى بين الرأعي والرهبة بوقره أنه لا فضل للمري على عيسى إلا بالتقوى فهل يتفضل المذكور طه حسين فيصحيح معلوماته التاريخية عن القنص العربي .

ثم ذكر الدكتور كيف رد المصريون أهل البنى والعدوان وكيف أقنواهم في أنفسهم وحشر العرب في زمرة الذين أقنواهم المصريون والواقع أن كل الأمم التي بنت على مصر قد قويت فيها إذا انقصر المصريون عليها ولا يستقى من أهل البنفس الذين يشير إليهم الدكتور طه حسين إلا العرب : أليس ذلك لأنهم لم يكونوا بناء ولا معتدين .

لقد قبل المصريون دين العرب وعادات العرب ولسان العرب وحضارة العرب وأصبحوا عربا في طليعة العرب والذي نطه من البحث عن أصحاب أقاليم مصرية يأكلها أن أ كثرية دماء أهلها ترجع إلى العرب العري وأن فردا واحدا من تسعين في المئة من سكان مصر لا يستطيع أن ينكر أن عروقه تجري فيها الدماء العربية والواقع للفوس أن مصر الآن من جسم الأمة العربية في مكان القاب فهل يفضل الدكتور طه حسين ببيان الممى الذى يريد حينا بقر أن العرب نفوا في مصر وأنهزموا .

نعم قد فنى في مصر جميع الفاتحين من أهل البنى والعدوان وكسبت مصر أبدا الأمة الوحيدة التي جاءت تعبد راية الإسلام ولا تقصد بنفا ولا عدوانا . تلك هي الأمة العربية وتلك هي أمتنا التي نقسب إليها ونفخر بتاريخها ثم أى شئ في العالم يتحول ، والسجون والمحاوئ تغل عليها في كل بقعة من الأرض وفي كل شعب من الشعوب .

والأمة المصرية الحالية إلا بقية من الأمة القديمة من الفرافعة . وبعض من مصرى المعصور المختلفة . قد غرغا جميعا سيل من الهجرة والذين وأصبحوا دوبا مزدهرا بالسلالة التي صبت فيها الدماء وسادت بها الديانة العربية والعرف العربى واللغة والثقافة فإنه يستطيع أن يقدم أى مصرى آخر بأن العرب كانوا من البناة المعتدين الذين أقنواهم المصريون . وأخيرا ألا يعلم

الذكور طه أن علاقات الأمم الإسلامية في حكم مصر وحكام الأمم الإسلامية لم تكن علاقات قهر عدوى واستعمار كما هي مع الانجليز . فإذا أنكرنا مصر العربية ونهاهنا وجودها وانكرنا كذلك العربية في الشام والعراق وأفريقيا ونهاهنا وجودها في تلك الأقطار فإذا بقي فيها غير حجارة صائفة وأسم بائدة وأرض لا أهل لها .

ماذا بقي من آشور وفينيقية وفروعون وقرطاجنة غير ما أبقاه العرب في أنفسهم وغير الأمة الحية التي تمتد الآن من المحيط إلى المحيط . ونحن إنما نقسب بصفة عامة إلى تلك الأمة الحية الوراثة للأرض للبشرية فيها .

٢ - البلاغ : عيد القادوس - ٧ - سبتمبر ١٩٢٣

لعل الذكور طه يكون قد فطن إلى خطئه ولذلك رأينا أحجم عن السكر إلى الموضوع وآثر السكوت . والإنسان غير معصوم . وكل امرئ يخطئ . ويزل . ورد الخطئ إلى السواب ليس طريقه أن يحرق كتبه أو تنفيها من المكتاب أو تطاردها أو تفعل بها ما يشبه هذا . فما بدعز الرأي إلا بالرأى ... والآراء تتنازع كما يتنازع الرأي ولا يبتى منها إلا الذي هو أقوى وأصلح وما عرفنا أنها أضلح . ولو بحق إلا كانت النتيجة عكس المروم .

وليس من حق أحد أن يمنع كتابا من الأدلاء . برأى ولو كان خطأ ولكن من حق كل قادر على ذلك أن ينقد هذا الرأي بالجمعية التابعة والبرهان اللائح .

وليس يعتبر العرب في كثير أو قليل أن يخطئ . طه أو غيره في حقهم ولكنه يعتبر قضية العرب أن يلبأ إلى مثل هذه الأساليب .

٣ - البلاغ : محمد خياط الفلسطيني : مصر والعرب - ٢٣/٩/٨

ألا إن السابحة التي بارت من الدكتور طه كانت النتيجة التي ألفت شعور السوريين فوقوا تلك الوقت واندفعوا ذلك الاندفاع . على أن كلمة الدكتور طه ليست من الخطورة بمكان لولا أن سبقها حوادث أخرى تجريها السوريون على ماضي واحتلوها من أخواتهم المصريين وإن لدى السوريون فتن يشعرون موقف البعض من الأمة العربية ودعوتهم الفرعونية التي حاولوا فيها قطع كل صلة لمصر بالعالم الإسلامي والتي منعت بالفضل وبات بانفسران وإن كتاب الدكتور طه (في الأدب الجامعي) لا يزال دويه يدوي في سوريا إلى الآن إلا أن قلة وسائل الدعاية والنشر حالت دون إظهار رأى الغالبية منهم فيه .

ثم ما هي الجفافة التي جفاها العرب على مصر ، أنهم قدموا لها هذا الدين الإسلامي الخفيف ، وهذا الإنسان العربي الذين فندا المصريين والعرب سواء لا فرق بين المصري والعربي فافشرت الأخوة والمحبة .

على أن ما كتبه جريدة « في العرب » لم يسكن فيها عدا الإشارة إلى الضرب بالسياط — وهو مالا يقر الكتاب عليه إلا أنها على الدكتور طه حسين أولى بأديا . مصر أن يتقبلوه بنية حسنة .

وأعود فأقول أن السوريين لم ينضبوا الكلمة الدكتور طه فقط وإنما هذه الكلمة أذكرتهم بما كتبه بعض الكتاب المصريين قبل الدكتور طه خاصة بالفرعونية أو الشعبوية وأن السوريين ليقفوا لهذا الكتاب بالمرصاد ليحولوا دون تسرب آرائهم السامة إلى نفوس الشبيبة المصرية .

وبعد تليست هذه الحلقة موجهة إلى مصر فصر عربية على الرغم من
الافتراءين ولكنها موجهة إلى كل من ذكر العرب بالسوء .

٤ - رأى طه حسين في العرب : رده طه حسين : كوكب الشرق ٢٢/٨/٢٢

كتب الأستاذ عبد الرحمن عزام ذلك الفصل الذي نشرته له البلاغ
مناقضا عن العرب ولم يهاجمهم أحد زائداً عن كرامتهم ولم ينقض منها أحد ،
مثبتا الجدم ولم يشكروا عليهم أحد .

فصديق عبد الرحمن عزام يعلم حق العلم . أني لست من خصوم العرب ،
ولا من المتشكرين لما كان لهم من مجد مؤثّل وعز ياق على الزمان . وهو يعلم
حق العلم أني لست خصما للنبضة العربية الحديثة . ولا لهذه الدعوة التي بذعها
العرب إلى وحدتهم القومية بأي شكل من أشكالها لأنني تحدثت إليه في ذلك
غير مرة .

إن شك في شيء . فلا يستطيع أن يشك في أي أبعد الناس عن الإساءة
إلى العرب أو الإضرار بهم .

وقد أثار مقال عبد الرحمن عزام حركة أو شيئا يشبه الحركة في دمشق .

ورأت « البلاغ » لغة عربية في أن تحليل الحديث حول حسدا الشر
فنشر ما قاله صحيفة من صصف دمشق ثم تنتظر يوما حتى إذا كان القد
لحقت ما نشرته هذه الصحيفة ثم أخذت تناقش هذه الصحيفة بعد أن قرر أن
الذكور طه أخطأ خطأ عاليا في ذلك شك وأنه لذلك أحجم عن الرد
على الأستاذ عبد الرحمن عزام .

ولعل البلاغ قد نهت على ولعل صديق عبد الرحمن عزام قد كان أسرع

منها إلى القيم وإلا فإن صديق عبد الرحمن عزام والذين يكتبون في صحيفة البلاغ ليسوا من الجهل بالتاريخ والفنقة عن حقائقه بحيث يعتقدون أن حكم العرب في مصر قد كان كله خيراً وراً وعدلاً وانصافاً وقد يرى من الجور والخيف وخلص من البني والعلمانيان ، هذا كلام يقوله العامة وأشياء العامة فأما للثقون وفي مقدمتهم صديقي عبد الرحمن عزام وكتاب البلاغ فيعلمون حق العلم إن حكم العرب لمصر كان في الخير أول الأمر حين حمل إلى مصر الإسلام ولكن بعد ذلك كان حكمهم للعرب لجميع البلاد الإسلامية مزاجاً من الخير والشر والعدل والجور وقد ضاقت مصر به وثارت عليه وجبت في الثورة .

وعفا الله عن قوم يريدون شيئاً فيسلكون إليه طريق القود عن العرب والاندفاع من الأسباب والأنساب لأنهم لا يستطيعون أن يسلكوا إليه طريقه الواضح المستقيم .

٤ - البلاغ (مصر والعرب) : إبراهيم المازني ١٩٣٢/٩/٩

سأه الدكتور طه أن يقول في معرض الدفوع عن حرية الرأي أنه أخطأ على ذلك شك ، وقد حاول أن يبين أنه لم يخطئ . نفى هنا الجهل بالتاريخ وبرأنا من الفنقة عن حقائقه .

أو هو لم ينف ذلك ولكنه نفى أن يكون من الجهل والفنقة يجب أن نعتقد « أن حكم العرب في مصر قد كان كله خيراً وراً وعدلاً وانصافاً قد يرى ، من العلم والخيف وخلص من البني والعلمانيان » هذا كلام يقوله العامة وأشياء العامة فأما للثقون وفي مقدمتهم صديقي عبد الرحمن عزام وكتاب البلاغ فيعلمون حق العلم أن حكم العرب لمصر كان فيه الخير أول الأمر حين

حل إلى مصر الإسلام ولكن بعد ذلك كان حكمكم العرب لجميع البلاد الإسلامية مزاجاً من الخير والشر ومن العدل والجور .

فنقول لصدقي الدكتور طه أننا لا نحتاج إلى علم خاص بالتاريخ لمعرفة أن حكم الإنسان للإنسان يكون فيه الخير والشر والعدل والجور . وأن كل أمة قديمة أو حديثة في كل مكان من هذه الأرض اتيت هذه الألوان من حكمها .

والدكتور طه لم يقل هذا وإنما قال إن مصر أبليت يالبيى والدوان من الفرس والعرب وغيرهم ، فمضى أن هذه خلاصة الرأي الذى انتهى إليه الدكتور طه في حكمهم لمصر وأن كفة الشر والجور رجحت عنده فاستحق عيهم في مصر أن يذكر مقروفاً يالبيى والدوان ليس إلا .

ومن هذا ترى أن دفاع الدكتور طه عن كلفه لا يهبط وتسويته لها لا يستقيم وما كنا لنعنى بهذا الجدل لو لا أن الدكتور طه كره أن يقال عنه أنه أخطأ كما هو مرسوم فذهب بكلامه ولو اعترف ولتقرر لسكان ذلك أكرم له وأمثل به في رأينا .

• — للبلاغ : أليست مصر عربية (عبد الرحمن عزام)

تناول عزام في مقاله هذا الرد على عبارة الدكتور طه وحى :

• أنه قد نرى في مصر جميع الفاتحين • قال :

عبارة الدكتور طه تطوى في نفسها ممغن : الأول أن فتح العرب لمصر وحكمهم لها كان بشياً وعدواناً كفتح الرومان والفرس والفرنسيين وغيرهم . والثاني أن مصر ردتهم عنها ! إذ أخذتهم فيها كما نعلت بقوم .

وربما^(١) إن هذه المأى قلها رجل غير صديقي الدكتور طه وكان له من السكافة في نفسى ما لا يستعجز طه لثاقته في الحال فيها ، لأننى كما يعلم الدكتور طه رجل يؤمن بعربية مصر ، ويرى في تاريخ العرب مثلاً عليها ويضع الوحدة العربية بين نظريه أسى غايات الحياة .

.. فلما أن يكون الدكتور طه حين لا يرى رأى في عربة مصر يتولا في الوحدة العربية وله كامل الحرية فيها يتقدمه وليس لأحد أن يحاول اضطهاده في عقيدته ، أما أنا على تمام الاتفاق ، فهذا هو الجوهر في الأمر .

لقد دلتني تجارب عشرين سنة في السياسة ومخالطة الشعوب والقبائل المجاورة لمصر في الجنوب أو الغرب أو الشرق على وحدة جانية ، فما شمرت في وجودى جنوبى حلقاً بأننى غربى عن إخوانى السودانيين بل كانت هوى فيهم صادرة عن الشعور بالوحدة التي تقوم على نسب مشترك وأدب مشترك ولسان مشترك ، وفي برقة ما كانت أطن إلا لأننى في عشرينى وفي فلسطين لا يجد للصيرى نفسه إلا في قومه الأكرين ، ذلك كله جلى ملحوس .

أما كيف صارت هذه الوحدة وكيف أصبحت مصر عربية وفي مكان القلب من جسم الأمة العربية فذلك ما فعلته آلاف السنين ، فقد أدمجت مصر في الأمة العربية بحيث أضحت قوام الفكر والمنهجية على غير هذا الأسس مضافاً لتعقيد الواقعة والدموة إلى الباطل ، لقد فعلت آلاف السنين فعلها لأن مما لا شك فيه أن امتزاج العرب بقدما المصريين ولشترأ بهم مع العرب في أرومة واحدة هو قول يؤيده ما بين المبروغليقية والعربية من التشابه القوي ، وقد

كان العرب يدعون خذوله قديما، العربيين لهم قبيل ظهور الإسلام
يقرون طوبى له .

وإذا كانت الرسالة الحميدة قد وجدت بين شعوب المنصر السامي
وأخرجت لنا وحدة جنسية تشملها لغة مشتركة وعرف متشعب فأصبحت بذلك
وسط سمين ملبونا متقاربين فما هو وجه الصلحة في التناكر أو الدعوة إلى
عزلة مصر عن الأمة العربية .

ليست الوطنية الممزقة للجانب هي التي تقوم على الذرة المحلية أو العائلية
بل هي التي تقسم لفقيرة على المنصر بأكله كرمز لفرع من البشر له وجود
خاص وبين أجزائه تعارف خاص ويستند إلى أدب مشترك ولغة مشتركة
وتاريخ يعتر برديده ويطلب للكرامه ويثير حقيقته ، ويدفعه إلى الاستبسال
والغلب .

ذلك هو أساس الوحدة العربية في الأمة التي تمتد من المحيط إلى المحيط
فليذهب إذن دعاء القرمونية في مصر أو الفينيقية في سوريا أو الآشورية في
العراق حيث شاموا فإذا استلما عوا أن يسقطوا قرية واحدة باسم الأمم التي
فليت في أهل العربية فإنهم يستعملون أن يتبنوا شعوبهم على أساس حق .
أما الدعوة باسم العربية فإنها تسقط شعوب سمين ملبونا في أفريقيا وآسيا
وتجعد في تاريخ العرب وأبطالهم ما يثير الناس جميعا .

حدثوا ما شئتم عن خوفوا أو ميغا فهل تبنون في الفاس إنسانا . ثم
حدثوهم عن مهر أو مهر أو أبي عبيدة أو خالد أو سعد من فاضل مصر
وسوريا والعراق أغلا تبنون إنسانا كأنصات البنين للآباء ، هذا هو أصلهم
الذين يمتزفون به وهذا هو أصلهم الذي أشكروه فما معنى الشعوبية في مصر

الحديثة أو في غيرها من الأقطار العربية على أساس يتكبره أهلها ولا يتصنون إليه .

ذلك هو وجه الخلاف بيني وبين من يذهبون إلى غير الوحدة العربية فإن كان الدكتور طه منهم فلن يجمع هذا الخلاف .

* * *

أما الشق الخاص بتاريخ الفتح العربي أو ما بعد الفتح من نوع الحكم فإن الدكتور طه لم يوضح لنا فيه شيئاً بل زاد الأمر غموضاً بالإشارات إلى ثورات المصريين واستقلال عن السلطان العربي ، ونحن لانعلم أى الثورات أو الاستقلالات يقصد .

ومع ذلك ليس هذا جوهرنا إلا إذا أراد به إبعادنا عن الحقيقة التي نريدها وهي « عربية مصر » الحديثة ، مصر الحية التي تناهض الإنجليز لتدفعهم عن هذا الوادي ، وإذا لم تدفعهم عن مصر الحديثة فهل تستطيع الأسماء القائمة على جوابه شراً ولا نقماً .

٦ - البلاغ : القومية العربية ومكانة مصر منها : يحب الدين الخليلي

تم^(١) إن المصري مصري ، ولكن مع أنه مصري هو عربي ، فصر وطنه والعربية جنسيته النشئة من لنته وثقافته ، بل من أربعة عشر قرناً على الأقل من تاريخه اقروى كما أن العراقي عراقي وهو مع ذلك عربي ، وكما أن السوري سوري وهو مع ذلك عربي .

مصر وطن المصري المحبوب ، وهو وادي النيل ، ولسكنه مكان ضيق

لأمة بعيدة الطبع تغرب بأمالها آفاق الأرض وتغترق بهمتها أجواز السماء ،
وهناك ناس تخفق قلوبهم مع قلبه وتنضب نفوسهم للفتنوب من حقه ،
وتنحس حواطمهم بأخوته ، هم الذين يقرؤن مزلقاته إذا ألف ، ويرغون
بفضائله إذا نظم وبأمانئده إذا غنى . . .

ومقبرة مسر أجد كال باشا رحة الله أنه لم يخرج من هذه الدنيا حتى ترك
وراءه ممجعا ببلغ جلّ جلّ وضع فيه جميع ماعرفه البشر من السمكات في لغة
مصر القديمة للكتابة بالخط الهيروغليفي وكان هو يفسر لغة مصر القديمة بلغة
مصر الحديثة (العربية) ويجد في العربية في مقابل بعض الألفاظ المصرية
القديمة ألفاظا شبيهة بها لفظا ومعنى .

وقد حل هذا الاكتشاف على انعام النظر في هذا الأمر ومازال به حتى
تبين له أن أكثر من نصف اللغة التي كان يستعملها قدماء المصريين هي
شبيهة بمثلها في العربية لفظا ومعنى ، زد على ذلك أنها شبيهة بالعربية للصورة
التي تستعملها اليوم ، ولو أن العربية الناصرة لقدماء المصريين والتي كانت
تستعمل في سيناء وجزيرة العرب قبل أربعة آلاف سنة — أي قبل أن تترن
العربية بإعراب أو آخر التكلم — دوت يومئذ في معجم ، أو لو أن في جزيرة
العرب نبلا كالليل الذي في مصر يجلب إلى أهلها ثروة كالثروة التي كانت
لخراجة مصر فتسكنوا بهذه الثروة من إقامة أهرام وآثار بنقشون لغتهم عليها
لثبت لأحد كال باشا ولشكل إنسان على وجه الأرض أن لغة مصر القديمة
هي لغة جزيرة العرب لا تختلف إحداها عن الأخرى إلا بالامالات وبعض
الترادفات فيها لمجستان من لغة ولحده كما هي الحال اليوم تماما بلا أدنى فرق .
إن الإسلام أوصل العربية إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا ، وكانت العربية

في بعض القرون لثة السوق والمدرسة في أسبانيا وإيران كما ترى هي لثة السوق والمدرسة في مصر والشام والعراق وللقرب .

لقد ضعفت سلطة الدولة العربية تنقلت العربية عن البلاد غير السامية ، ولكنّها رسيخت في البلاد السامية وصارت عنوان قومية واحدة من الموصل إلى رباط القنص .

•• بل أن « ميفاً » وهو عنوان مجد مصر الفرعونية رجل أسيرى جاء إلى مصر من آسيا .

لا شك أنه جاء عن طريق سينا العربية أو من جبال وأودية أخرى وراء سينا وأحق في العروبة ، وماذا يمنع من القول بأن ميفاً ابن جزيرة العرب ! إن جزيرة العرب تغذى مصر بأبنائها من قبل ميفاً ، ومن بعد ميفاً ومن قبل عمر بن العاص ومن بعد عمر بن العاص ، وأن زهرون نفسه كانت تجول في هروقه دماء غير قليلة من الدماء التي كانت تجول في هروق عدنان .

ومصر تصكلم العربية منذ أربع عشر قرناً ومع ذلك لا يزال يوجد فيها من يريد أن يقول أنه غير عربي ، وأكثر القائلين بالقضية التركية في الأناضول يرجعون بأسابيهم إلى الجركس والكرد أو اللاز أو الأناطولي ولم يتكلموا التركية إلا من مائة سنة أو مائتي سنة بالأكثر ومع ذلك يمتزجون بالتركية قبل مائة السنة أو الثلاثين كناية ليكون القوم هناك أوتيا . لثة التركية إلى هذا الحد والأربعة عشر قرناً التي مضت على العروبة في مصر غير كافية لتجصيل مصر — تملن من غير خوف ولا إحجام — أنها عربية .

إن الحلقوم الكبير الذي أراد منذ مائة عام أن يتنامى الشرق الإسلامي خالف هذه القصة وخاف أن ينص بها . فبث ببراءة مدعشة زمة التوميات التي صدعت المجامع الإسلامية ومزقتها . ثم وقف أمام القومية العربية فما يهزأ بها

لثمنين شأنها أن ينص بها . فاخترع بيراعة هذه الوثائق بل حاول في بعض الأحيان تمزيق العربية نفسها بالدعوة إلى كتابه المهبجات المادية في كل قطر وجعلها لغات أدبية . هـ وهل إحياء عقول (الأشوريين) في العراق بعد أن أمانته القرون وإحياء العرب البربري في شمال أفريقيا وتأليف كتب نحو وسرف لغة البربرية إلا حيلقات من سلسلة برنامج مرسوم ونحن نضع أعناقنا في هذه السلسلة لننتق بها . ونحسب أنها حيلة تتجمل بها ، هل أنه إلى أن الإدارة بفسطاطين أرادت قبل سنين أن نعى إسم (فينيقيا) ونطلق على للقائمة الشمالية الغربية هناك .

أجند الإنجليز وصدايهم من عهد بريد تا أن بوهو النش . المصري بأن وجود العربية والإسلام في مصر إنما هو احتلال كالاحتلال الفارسي واليوناني والروماني والفرنسي والإنجليز .

والمحق المتيقن للاحتلال أن تستولى دولة على بلد وتنهرف في مراقبة وتبقى غريبا عنها . هكذا كان حال الفرس واليونان والرومان قبل دخول مصر في الإسلام . وهكذا كان حال أسلاف الفرنسيين ثم أسلاف الإنجليز فهم يترفعون عن الامتزاج بالأمة المصرية ولا يساوونها بهم ولا يتنطقون بالمهم أن يتهيروا معهم .

أما العرب ففي عشرين سنة فقط اختلطوا بالمصريين واتحدوا معهم بالدين واللغة والثقافة وصار لهم وعليهم وتولى أبناء مصر جميع مرافق الحكم والإدارة .

فأدى قال عن المصريين (أنهم خضعوا لغروب من البيض وأولان من العدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين . إلخ فقد خالف الحقيقة بما نسب إليهم من غروب البيض وأولان العدوان .

وإننا كان أراد للتعريفين في إدارة بعد ذلك مستندة الأمويين والعباسيين والفاطميين فلا شك أن الذي كان يعول ذلك في مصر إنما هم المصريون أنفسهم .

ولقد قال جوستاف لوبون (ما عرف التاريخ فأنما أرجم من العرب) لأن التاريخ ما عرف أمة تخط الأمم بنفسها وتعمل لها ما لها وعليها ما عليها كما عرف ذلك من العرب

٧ - البلاغ مكان مصر من العرب والقومية العربية . عبد القادر جزة^(١)

الفتنة البارزة هي أن القصرى وطننا أول هو مصر ووطننا ثانيا هو القومية العربية وهذا تحديد نفل أن جميع المصريين يوافقون عليه في جملة ولكنهم يجهلون أن لا يدخل عليه شئ من الفلوق جزئياته .

... لا لشكر أن إذن أن العنصر السامي اتصل بمصر منذ آلاف من السنين وأن العرب لما فتحوا مصر أعطوها الدين الإسلامى واللغة والثقافة العربية ولكن لا لشكر أن كل ذلك لا يسلف العرب من جنسياتهم للعربية ويذهب للعربية وتاريخهم المصرى . فالعربون على هذا مصريون بوطنهم وجنسياتهم وتاريخهم . وهم في الوقت نفسه عرب بدينهم وبلدتهم ولفوق الصديق الذي يمدونه لإخوانهم العرب شرقا وغربا .

ولكن من شأ . أن يسمى القومية العربية ووطننا ثانيا للمصريين بمدنهم مصر ، ذلك مالا تتنازع فيه ولا مهلعة لنا في أن تتنازع فيه . . . ولكن على أن يكون مقبولا أننا إذا ذكرنا وطننا الأول مصر لم يكن المقى أن هذا

(١) البلاغ ١٢ سبتمبر ١٩٣٣ .

الوطن نشأ منذ الفتح الإسلامي تقط بل نشأ قبل ذلك بألوف من السنين .
فهذا الماضي كله هو مجموع الذكريات ومجموع الآلام والآمال التي يتألف من
بعضها الوطن ويعبره الشعور الوطني .

فالذي يريد من المصريين أن ينسوا ماضيهم هذا اليميد وأن يفتروا منه
عند الفتح الإسلامي وحده إنما يريد طمعا طم وشططا وخروجا على القواعد
الطبيعية .

ولهذا لا نفهم هذه السكرابية التي تبدو على بعض دعاة العربية لذكرى
الفراغة يحدث بها المصريون فيها يتحدثون عن ماضي بلادهم ويستلهمونها ما
يلهمه كل ماضي مجيد من سمو الطبع وعزة النفس ومضاء العزة . وهل
يكون معقولا أن يشيد الأوربيون جميعا والأمريكيون أيضا بهذا الماضي حتى
ليأتون ألوانا كل سنة ليثأروا آثاره . . . ثم ينسكروا المصريون أو يهملونه .

لعل هذه السكرابية التي تبدو على بعض دعاة العربية لذكرى الفراغة
إنما تنشأ عن فهم أن تنسلخ من هويها العربية فهذا الطوف لا محل له بعد أن
صار مصر عربية الدين عربية اللغة منذ أربع عشر قرنا .

٨ - ثقافة مصر هل تكون عربية أم فرعونية^(١)؛ جيد الله عفيفي

طلعت علينا في الأيام الأخيرة مسكرة ضاربة تدعو إلى الفرعونية وتريدنا
أن نسود ثقافتنا وننسى ما كنا نحن أن ذلك هو مجد انقود . وسؤدد الأجيال .
وأن الرجوع بمصر وبأهلها إلى عهد الفراغة الشداد وثبتتهم البالية حوسيل
القوة والمظلة ووسيلة الجاه والغبية وما دروا أنهم بذلك يظالوننا باليهود

والفسكر أن لهذا التراث الجيد الطاهر الذى ورتناه عن آباءنا العرب السكوا
والذى جاء إلى بتوجيه الدين الإسلامى المقيف بسهرته ومقلده وبقوته
الصادقة التى أبادت دولا وثلاث عروشاً وحطمت تيجاناً وأكسحت جيوش
الأمم من حولها حتى نشرت بتوحدنا الخالقة على مشارق الأرض ومغاربها
فكانت بذلك رسالة مقدسة أنقذت العالم من شرور الظلمة وأدانت من جبروت
المستبدين وأبادت عبادات لا يرضاها العقل ولا تنفق مع السكامة وسمت
بالإنسانية إلى ذروات الجدد والبرقة فإذا بالبشر هو البشر والرجل هو الرجل
والمرأة هى المرأة فى منازل الحياة يتممون بحقوقهم ويؤدون واجبهم نحو الخالق
القاهر ونحو الجنس البشرى يتجهون كأمرة الآلهة بالتقديس والمعبودية .

٩ — لافرعونية ولا عربية بعد اليوم : فتحنى واضرائل^(١) :

إذا قيل أمعر فرعونية أم عربية وجدت الباحثين لا يبحثون بوسائل
الأكبات العظيمة فرعونية أم عربية أم غلبة الروح الفرعونية على الروح العربية
فى مصر بل يناضلون بين عهد الأمتين .. ويقرنون المدين فى هذه القاطلة .
فن رأى منهم أن العرب أعظم عهداً وأبقى على التاريخ قال مصر هريبة ومن
آمن بالمطارة الفرعونية ورأى فيها أكل الإنسانية قال مصر فرعونية .

فإذا دار البحث عن أى الأمتين أعظم أثراً وأسمى رسالة : العرب الذين
أنطلقوا من شبه الجزيرة القاحلة الجرداء بعد أن كانوا تالبيين فى أعطافها
وأطرافها يحملون مشعل الهدى ويهدون الأمم جميعاً إلى الحق والخير ويبشرون
تقومهم بدين جديد .

أم القراهنة الذين حوّلوا فى أرضهم أولى حضارات العالم ثم قويت حتى

سارت ثم أطلقت تعم الدنيا وتشمل العالم وتترك في كل قطر أثرًا وفي كل شعب آية من آيات عمتها وإتساع مداها ، إذا دأب البحث حول هذه النقطة . وإتجه هذا الاتجاه . . . كان واجب الباحثين أن يقتصروا بحديثهم على العرب لا على الإسلام ووجب أن يفاضلوا بين العرب قبل الإسلام وبعده لا العرب عليه فحسب .

أما الذين يريدون أن يعزجوا العرب بالإسلام فهم يخطئون بحجة الصواب لأنهم بذلك يقتصرون عن عقلية هذا الدين بكسبه السور والشرف كل من إقتبس إليه .

ثم خالص من هذا إلى أن قال :

« . . . الفرعونية والعربية موضوع يجب أن يهجر لأنه في جملته وتصنيفه نسبة وعار . عار أن يختلف المصريون مسكنًا في معرفة أصولهم وأنسائهم . عار أن يرتفع صوت كاتب عظيم ليقرر أن مصر فرعونية ويرتفع من الجهة الأخرى كاتب عظيم ليقرر أن مصر عربية . وكلاهما يعيشان في مصر ويشقان هوانها ويشربان من مائها .

لا تفرق بين السكانيين ، وإنما هناك شبهة دست عليفا . ولا أدري من المسئول عنها ؛ ولكن أغلب الظن أن المسئول هنا هم المستعمرون الذين يريدون أن يقسموا تاريخ مصر قسمين . فيقسموا وحدة تاريخ هذه الأمة العظيمة ويقطعوا أبنائها إلى معسكرين يتناوشان ويتنازعان وتبدو منهما الأقطار النائية والظلمات السكونية . وكان الأولى أن يتعاونوا على إبراز جلال هذا التاريخ .

١٠ — الثقافة العربية والثقافة الفرعونية : زكي مبارك

مصر اليوم لها العربية ودينها الإسلام، فمن يدعوها إلى إحياء الفرعونية يدعوها أيضاً إلى تذبذبة العربية أو يدعوها إلى اعتقاد أن اللغة التبرية لغة دخيلة. ويدعوها أيضاً إلى أن تذهب مذهب الفرافعة في فهم الأصول الدينية.

نحن اليوم في هذ إنفصال ومن الواجب أن تكون خطواتنا رشيقة موقفة وليس من المرشد والتوجيه أن نمسك للتردد من اللحن في غيهم وللتردد في مصرهم الحيازي الذين لا يدرون مسكان القومية المصرية فهم تارة فرافعة وتارة عرب .

واللغة العربية من لغة المصريين وكيف لا تكون كذلك وقد كانت أداة التفاهم في وادي النيل نحو ثلاثة عشر قرناً وقد يصيب حل الباحث أن يثبت أن المصريين في عهد الفراعنة ظلوا يتكلمون لغة واحدة في مثل هذا المدى من الزمان .

ونحن حين نتكلم العربية وديننا بالإسلام لا نحتاج إلى من يذكرنا بأننا عرب ، فنحن عرب لغة وديننا ولسكننا مصريون . ولنا والذي يطالبنا بغير ذلك إنما يسكاير في الواقع وقد كان مفهومنا منذ أزمان طويلة أن مصر لها وجود خاص وتاريخ العرب حافل يشوهد هذا القول . والمصري لا يفتن من القول بالوحدة العربية .

وهذه الوحدة تمثل اليوم في الصلات الأدبية التي تجمع بين مصر وبين المغرب والشام والحجاز واليمن والعراق . أما الوحدة السياسية فأمر ضئيل .

وليس من القانع أن تدبر في البقاع المصرية لتستقصى ما بقي من الموسيقى
الفرعونية فهذه درجة ضائعة النتائج وإعما الواجب أن تدرس الموسيقى الحاضرة
موسيقى الغرب النقف ثم تضيف إلى أصواتنا وألحاننا ما يزيدها قوة إلى قوة.

... بينت أنه لا تربطنا بالغرب غير اللغة والدين . ونحن فباعداً ذلك
أبناء هذا الزمان . أي والله نحن أبناء هذا الزمان فلتسكن ثقافتنا موجهة إلى
الأصول الحديثة في العلوم والآداب والفنون ، ولقد كان للتراث من أعرف
أهل زمانهم بالطب ولكن من الطرق أن تفكر اليوم في تجربة وصفات
المصريين .

إن التطلع إلى الوراء بحنة وصرف الوقت في التثبث بالمدينيات البائسة
خسار ومزال ولا يعني لنا أن تفكر في الحضارة القديمة إلا بتدر ما يوقظ
العزة القومية .

ومن الغرافات التي يرودها شباب اليوم أن مصر قد تكون عربية ديناً
ولغة ولكنها فرعونية دماً . وهذه فكرة وهمية فإن مصر كانت قد أُنشئت
في القومية الإسلامية وصاهرت الناس من جميع الأجناس وهي بطبيعتها . وقمها
الجغرافيا ملتقى لأهل المشرق والغرب فليس فيها دم خالص إلا في القوم السحيقة
التي حرمها الجبل والفقير من الاتصال بالوافدين إلى البلاد من مختلف الجغسيات
وبعد فمنع نميش في مصر ونصككم لغة العرب ودين الإسلام .

١١ — ثقافة مصر يجب تكون مصرية : زكي إبراهيم

كان من رأى الأستاذ عبد الله نغيني أن تكون ثقافة المصريين عربية

وقد نحا في التداويل على صحة راية فاحية الدين الإسلامي . . وإسارسل في هذه النمرة ، نمرة الدين السكي يصل إلى قلب الجمهور .

على أن القضية لا دخل للدين فيها مطلقا فالمسألة ثقافة . والثقافة كما نُسرها حين صبحى هي كل ما يحيط بالجموع . هي الظاهرة للتأصل في نفس كل منا . هي الطابع الذي يسم الأمة ، ولكل أمة طابعها .

وقد برهن حسن صبحى على أن المصريين ثقافة خاصة نصيبها في القبط عند الفلاح وفي الطريق على السعة العامة . . وفي الريف . وفي النفاذ والأبنام .

إن لمصر ثقافة قديمة مازالت هي ثقافتها إلى اليوم فامعنى تفتيرها وإبدال ثقافة عربية جديدة بها تحتاج في تملها إلى الوقت الطويل . لنا لغة خاصة مسكوبة من العربية ، نعم أنها ليست عربية فصيحة ولكنها ليست فرعونية أيضا .

ولست مصر وحدها التي تدين بالإسلام فهناك الترك والفرس والمقدون والأتقان والكرد وغيرهم من الأمم . ومع ذلك لم يفتكروا في تغيير ثقافتهم بثقافات عربية ولا في استبدال لغتهم بلغة عربية ، بل لم يفرضوا تسليم أبنائهم العربية كآلة إضافية، لأن ما بالسكهم يريدون أن ترغب عن مصرقنا إلى العربية ونحن كراقي من ذكرت من الأمم لنا لغة وثقافة وطابع لن نستطيع عملا بدلا .

على أن ليس المسألة فيها فرعونية ولا فرعون . لأنها هي : هل يدعى المصريين أن يكون لهم ثقافة مصرية خاصة وطابع مصري خاص . أو أن تكون ثقافتهم عربية . وأن يكونوا مطبوعين بالطابع العربى .

وما كان يدور بخدي أن دعاة العربية سينتأفون المسألة عن طريق الدين
فلقد بحث أسوانفا من قولنا (مصر للمصريين) فهل تريدون بعد ما عانينا
من نصب وقدمنا من تضحية أن نقول « مصر للعرب » أليس لا ، فهذا لا
يرضاه أحد .

١٢ — مصر عربية ولن تكون غير ذلك : على الجندي

الفرق بين القرونية والدين في الواقع كالفرق بين الموت والحياة ،
والندم والوجود ...

لقد انتهى هذا الصراع الأدبي بفوز العربية فوزاً ظاهراً ولكن يؤسفنا
أن أشباع القرونية لم يعترفوا بأنهم غلبوا على أمرهم .

إن من الخير لنا أن نوجد جهودنا لترقية ثقافتنا العربية التي عرفنا بها
وصفت بنا ، كرهنا أم رغبنا بدل أن نسلك شعاباً مقبالة نمتدق قوتنا
ولا نفنى بنا إلا إلى التفرقة والدمار .

ليست الثقافة كما يظنون توبا بإسمه صاحبه متى شاء ويخلفه متى أراد
وإلا لسكان من السهل على الأمم جميعاً أن تصبح أسرة مؤلفة من مساوية الدرجة ،
ماذا تريدون بالثقافة القرونية ، وأين هي وماذا بقي منها .

إن إشقاة العرب لا يسومونا شططا هم لا يجهلون أن نسكر أجنادنا
الأول أو أن نبرأ من ماضينا الجيد ، لا يريدون منا أكثر من أن نكون
مسلمين ديناً ، عرباً لغة، نطالبا الثقافة المتقدمة ونتمعنا الآمال والآلام المشتركة ،

لا يريدون أكثر من أن تكون عضوا عاملا في الجسم العربي القومي، لا بل
رأسا لذلك الجسم أو قلبا له .

أريدون أن ننسى شعرائنا من الهلhel إلى شوقي، أكثقا، بشعريتنا دور
إن صح أنه من الشعراء، أريدون أن ننسى أسماءنا وتسمى برميس
ونحنس ..

١٣ - مصر بين الفرعونية والعربية

مناظرة بين عبد الله عتيبي وحسن صبحي

١ - عبد الله عتيبي : نحن عرب .

إن مصر الحاضرة عربية لا فرعونية، البلاد عربية لأن دينها الإسلام وقد
أنزل القرآن الكريم باللغة العربية .

الثقافة العربية عقيدة قوية تفيض بالحياة وابتست آتية من الفتح والنزول .
ليس في محسنا بها غضا على مصريتنا إذ أنها لغوتها وحيويتها أن كثيرا من
الأمم القوية أغارت على البلاد العربية ولكنها مع ذلك دامت إلى التقف
بالثقافة العربية ، وأستشهد على صحة ذلك بالحياة حينما أغارت على بلاد
الين وقتحتنا بكثرة العدد وقوة العدد . فإننا أندجيت فيها وأصبحت خلية من
خلايا الثقافة العربية وأنها هي الثقافة التي صمدت أربعة عشر قرنا في وجه الغزاة
الفاتحين من الأمم النوبة كالبربر والممالك والأتركة ما بقيت قوتها وغلدها .
والعربى الثقافة قوى بشائله قوى يدينه يؤثر فيمن حوله مضطرا لمباهم
إلى الأندماج في ثقافته .

مالفا تريد أن تتحول عن ثقافة محمد حدودها حول ضفاف بحر الروم إلى

ثقافة عفت وبادت، إنما حين نوازن بين الثقافتين، نوازن بين وجود وعدم؛
وأستشكر هذا التردد وهذه الترددية في اعتزال من العالم العربي وفي التي يقول
بنورها : نحن عشراؤكم وأخوانكم وأقم زعمائنا .

ونحن عرب يلتفتا ودينا، تربطنا وسائل إخواننا من بني الشرق أسرة
الذين أسرة اللغة والدعوة إلى الفرعونية ممعاها قطيعة الأخوان وهي
ضارة بالوطنية .

أما هذه الصيغة الثالثة من وراء قبور الفراعنة فلا يجب أن يتأذى بها
إخواننا لأن الإسلام والنية والأدب عوامل قوية تحول دون تحقيقها .

الحضارة الحديثة مدينة إلى اللغة العربية لأنها قرنت بين القديم والحديث .

٢ — حسن صبحي : الوجبة الفرعونية التي يجب أن تتجه إليها ثقافتنا

قالت البلاغ تلغص محاضراته .

رجع إلى تاريخ مصر منذ ٧ آلاف عام حينما كانت قبائل متفرقة جاءت
من جهات متعددة ثم وحدتها الظروف المائلة وأكسبتها ثقافة أخرجت لنا
الحضارة المصرية الأولى التي أشرقت بنورها على ماعرف من العالم في ذلك الحين .

وعرج إلى مصر وإنتاجها العسكري العظيم « هذا الإنتاج الذي ترقه
بالثقافة » فذكر كيف صمد — محتفظا بشخصيته — أحقابا وأجيالا طويلا
تعاقت على مصر خالها غزاة وقاتلون « منهم السكندانيون الذين أتوا من
العراق ومنهم الملكة نختيبي وحاولوا أن يقضوا عليه تقضى عليهم وسرعان
ما تحولت الوجبة العسكرية السكندانية إلى موجة ثقافية مصرية .

ومنهم الآشوريون ، ومنهم الرومان للتصريفين الذين أرادوا أن يؤثروا
في الثقافة المصرية بقوتهم الدشوم فكانوا جوارهم الفشل والخللان والطارء .

وأخيراً جاء العرب بثقافتهم الخاصة إذ كانت لهم ثقافة وأندجوا في
الثقافة المصرية كالسكرات الحراء ودفعوها إلى التقدم والمدنية والرق .

ولكنها لم تقذف عليها نط إذ أنها ما زالت مختلفة بطايبها المصرية
حتى الآن في نواح متعددة من الحياة في مصر ، ومن السهل على المرء أن يميز
آثارها في البيت المصري الضيق وفي الأغاني الشعبية القومية العامة التي يرددها
الفلاحون بل في اللغة العربية التي تتكلم بها الآن .

وأن عشر اللغة التي تتكلم بها هيروغليف ، مثل نون الوقاية وكاف
الطباب والتمل أدى فهذه كلها أتناط تعود بأصلها إلى الميروغليفية .

وأنتقل إلى الثقافة المصرية الدينية فذكر أن المصريين عشأوا جاهلين
كالعرب ولكنهم مع ذلك هيدوا الخلق في صور عديدة ، ومن هذا أنهم
عرفوا فكرة التوحيد في الإسلام وفكرة التثليث في المسيحية .

وعاد مقال إن الأرغول والفاى بشكل التفارة والدف هذه كلها أدوات
مصرية فرعونية قديمة .

١٤ — لافرعونية ولاعربية : محمد كامل حسين^(١)

ذهب بعضهم إلى أن هذه الثقافة يجب أن تكون فرعونية وقال البعض
أن ثقافة مصر يجب أن تكون عربية خالصة .

أما هؤلاء الذين يريدون إصر الثقافة الدينية فلا تتفق معهم أيضاً في

هذا المأى . فطبيعة مصر تختلف اختلافا طويلا من طبيعة بلاد العرب .

والطبيعة المصرية تختلف عن حياة العرب وللمصريين عقلية خاصة تختلف أيضا عن عقلية العرب بشكل الظروف تدل على أن المصريين يختلفون عن العرب في أشياء كثيرة وإن كان المصريون والعرب كما يقول البعض من أصل واحد إذ أنهم أتسلفوا ببعض أنصلا يسكاد تاما حتى حينما دخل العرب مصر وهاجرت قبائل عربية إليها وأستوطنوا بها ترى الطبيعة التي كانوا يعيشونها قبل دخولهم مصر تتغير ويصبحون كالمصريين في كل شيء . والثقافة العربية نفسها التي حملوها إلى مصر أختلفت في كثير من الثقافة العربية في البلاد الأخرى :

ثم أن اللغة العربية التي يدرسونها ليس محدودة لا تمدى اللغة والشعر وبعض القصص ، أما العلوم الأخرى من فلسفة ومنطق وغيرها فلم يكن للعرب حظ منها وإنما عرفها المسلمون بعد الفتح الإسلامية .

كل الذين يسمون الثقافة الإسلامية بالثقافة العربية قد أخطأوا في هذه التسمية لأن هذه الثقافة أشتقت على العلوم وأفكار ليست عربية في شيء . كما أن القائلين بها أكثرهم من غير العرب .

ولكن هذه الثقافة الإسلامية لا تسكني وحدها لأن تسكون ثقافة مصر ومد أن رأيت هذا الجهد الذي حل برجال الأزهر نتيجة انخاضم الثقافة الإسلامية وحدها دون غيرها .

ثم عدنا إلى الثقافات الأجنبية المختلفة التي كلف بها المصريون وأحبوها .

١٥ — هذا الوطن المصري : سلامة موسى

لست في دعوتنا إلى درس القواعد رجبين لا بل نحن ندرس هذه الحضارة بروح يقرب جداً من الروح الدينية فإننا نؤاد صلاحاً بهذا الدرس إذ نجد فيها الأسباب الكبيرة لأن يحب بعضنا بعضاً . فنحن أسرة قد عشنا في هذا الوادي أكثر من عشرة آلاف سنة وليس فيها مصري واحد كاشة ما كانت البقعة التي يعيش فيها إلا وفيه قطرة من الدم الذي جرى في رسيس وخوفر ومنقرع وأخفانوت .

ولكن بعض الناس يسموننا بما يسمونه (الفرعون) وهذه الكلمة لم تهر تطل على قام واحد من الكتاب المصريين في صدق الدفاع عنها وإنما هم اختراعوها لكي يشتمون بها ، وقد بلغ السخف بأحدهم أن يقف في معبر مصري ويشتمنا على هذه الفرعونية المزعومة وبسبب القواعد . وهم يقصدون بالفرعونية أننا نريد أن نوجد العرب ونرجع بالناس إلى ديانة القواعد وأنفسهم ، وهذا سخف لا يعرفونه هم أنفسهم ولكنهم يتوسلون به لظلم قبتنا .

ثم يدعون علينا الدماوى في السكاهية لخدمة العرب بل يسموننا بخدمة الاستعمار بتفهم الوحدة .

وليس في العالم كله صحف تدافع عن الأفكار العربية وتمنى بأخبارها كالصحف المصرية ، ولكن جهود هذه الصحف لا يعترف به إذ هي لا تكتسب في الميول والقرار عن الوحدة العربية ولا تنفص في دعاية تعرف أنها تعد الآن سخيقة وأن الوقت لم يحل لها .

كلما ألبها الاخوان لا نلومنا على الزهو بالقراءة لأن لنا حقاً في هذا الزهو يعترف به العالم كله .

١٦ - حرية مصر : سعيد حيدر^(١)

أريد أن أمدن الأستاذ صاحب البلاغ بأنت دعاء القومية العربية لا يستقيم ولا يضرم مطلقاً أن تسلمهم مصر - في جهودها لتبؤ مسكاتها السامية بين الأمم - مجد القراعة . لأن هؤلاء الدعاة يملكون أن كبار علماء الآثار والماديات يكافون يعممون على أن أصل القراعة ومقتاأم بلاد العرب وأن مباحث اشتقاق الثقات تسكاد تقرر أن لغة القراعة واللغة العربية شقيقتان ، وأن المصريين القدماء ، والعرب سامية وأن الهكسوس عرب خالص .

إنما الذي يسمى دعاء القومية العربية ويضرم هو سعى بعض أعلام الكتاب في مصر لإسدال ستر النسيان على تراث مصر من مجد آياتهم من العرب ، ذات المجد المثل الذي قد لا يضاهيه مجد آخر ولا يضارعه سافر نحو البلاد وانصرانهم بكليتهم إلى إدهاء فرعونية مصر والقول بأن العرب غرباء أجنب جادوها غزاة فأنجين فأضروا بها وأخروها من سلم الحضارة العالمية أحقاباً مما لا يتفق مع التاريخ والعلم ومصلحة مصر ، حيث يذرون بطور السكراميه والبنفاء بين الأخوة الأشقاء .

وحين شرع أعلام الكتاب في مصر يترحمون بمجد العرب الخالفوا الحضارة الإسلامية الزاهرة وعزجون بين هذا ومجد القراعة لاستثارة حسنة الشباب المصريين وتوجيه مطامعهم نحو البلاد . فم يتي يديهم وبين دعاء القومية أي خلاف .

(١) البلاغ ١٠ / ٩ / ١٩٣٣ .

يكاد يحار المرء في إدراك الصلحة التي ينشدها لمصر دعاء الرجوع إلى
الفرعونية والجنوح عن العربية ، ماذا يصحها تكون .

أظن أن الدجارب القاسية التي مرت بمصر أقضت الميلاء ، والتسكين
بأن الاتجاهات الاقليمية لن تؤدي إلى حسن النتائج . وأن إنبهاا مصرىا
وانبهاا سورىا وآخر عراقىا وعلم جرا لن يصل بنا إلا إلى القتل الربوان
الانباح مضعون حين يجمع على انبهاا عربى شامل . . .

إن علماء الاجتماع وعلماء الحقوق والزوخن نوبوا منذ سنين نظرية الدم
والعرق في التعرف على التومية وقالوا بوحدة اللغة ووحدة الثقافة والدين
وتمائل الأخلاق والمبادئ والتقاليد . . . فهل بين هذه الصفات ما يكذبنا إذا
إذا ادعينا أن مصر عربىة في نظر العلم أيضا .

١٧ - عربىة أم فرعونىة — (حسن عارف)^(١)

الواقع أن الدعوة العربىة حديثة جد المحدثات لم يقل بها النبي الكرم ولم
تحوثر على الألسنة ولم تطرق ذهن رجل كجمال الدين أو الإمام والواقع أنها
نكارة نشأت غامضة مبهمة مكيونة حائرة في نفوس الشعوب العربىة حين
كان يأخرون بها ويعسفون بكرامتها وعواطفها ، وحين كانوا يملنون أن
العرب جنس خلق ليحكم ويمجد ويمامل معاملة الأنعام وحين شمرت الأمم
العربىة أن الفرق لا ينظرون لاختلاف على أنها رمز الوحدة الإسلامية حيث
يتآلى السكل وحيث لا أفضل لفرقى على عربى .

فأين مصر من هذا كله . . ؟

(١) تبلاغ ١١ أكتوبر ١٩٣٣ .

كرم ملحم كرم : صاحب العاصفة (بيروت)

الرغبة في رؤية الكتاب المصيرين في الصف الأول حلت جريدة العاصفة على أن نخدم من وراء كفن في نفوس بعضهم .

وكانت مقاطعة الموردين لمؤلفات ملحم حسين ومناذرتهم بإحراقها توقفت منذ تلك الدعوة إلى المقاطعة مؤقتاً حينما حللنا على الملأ إلى الصفاء والسلام، وقلنا للمناضين لماذا إحراق الكتاب وفي إحراقها دليل على التقهقر والتأخر فكتبوا إلى الرجل وأطلبوا منه الاعتذار ، وفي اعتقاد أنه سيمتدح عن خطأ لم يتصدده وإلا فاجال أمامكم فسيح لا لإحراق كتبه بل للاستماع عن شرائها وقراءتها. هذا ماقلناه والدكتور ملحم حسين اعتذر بمهارة وحلق .

نعم ؛ نحن ننادينا فيما كتب عن إحراق كتب ملحم حسين وقلنا أن بعض الكتاب المصيرين يتفاسح حين يكتب أن هناك شعباً غير الشعب المصري مع أن هناك في العالم العربي البلدان الوسيمة وفي كل منها أدباء لا يتفون عن الأدباء المصيرين شأنًا . ولو اتفق لمؤلا أن يقيموا في بيئة كالمدينة للسوية لشوا في الصف الأول من صفوف أدباء العرب .

تعليل : هذا البرق يدل على شيء واحد - هو مدى - أجدت الاستعداد في مصر من بلبه للاقتدار بين العربية والفرعونية والإسلامية والعربية والأندلسية والعمونية والتفريب وذلك من قبل عجيوبة عن الاتجاه الواضح الصحيح وذلك في نفس الوقت الذي كانت الأمة العربية يتطلع إلى (مصر) كركز لقيادة الحركة العربية ولكن هذه الفترة كانت بداية يظلمه وتكلم وكانت مدغمه تسيطر في الفراق الواضح وحزبه لزعامة الثموية الذين تساقطوا من بعد كلوا في الحرف لم لم يثبت الاتجاه المراء أن أصبح حقيقة والله .

(١) البلاغ - ٢٢ / ١٠ / ١٩٣٣ .

إن مصر لم تقل يوماً إنها عربية بل قالت إنها إسلامية ، وظلت ساضطة على الترك متبرمة من تمسكهم وجبل أحوالهم ورجالهم ولكنها لم تربط سلطانها على الترك بسخط أمة أخرى ولم تفتح باب الوحدة العربية خلفها بأنها ليست عربية .

وحيث ثار في مصر عرائن لم يقتل بالعربية بل كان شعاره مصر للمصريين ، ولما دخل الإنجليز مصر وأوهنوا حريتها كان الناقون على الإنجليز يعادون بالقسوة الإسلامية لا العربية .

ونخرج بك الآن إلى العرض الذي ترمى إليه الدعوة العربية . ذلك أن هذه الدعوة لن تغمر البلاد العربية شيئاً لأن فيها أمة عربية لها معالم ومظاهر تميزها عن غيرها تميزاً محسوساً ، وفخر هذه الأمة بتاريخها ومدنيتها وثقافتها أمر طبيعي يزيد ثقة في مستقبلها ويمد الأول وينفع لها الطريق ، ولكنها تغمر مصر غمراً بالغاً ، فمصر تتكلم العربية وتدين بالإسلام ولكنها تختلف عن العرب في كل شيء . . .

أما الذين يذهبون إلى القرونية فأسألهم ماذا يريدون فصحيح أن مصر كانت قرونية وصحيح أن هناك بقايا كثيرة جداً من الحضارة القرونية تطفو على سطح العادات القروية القديمة .
ولكن علام يدل كل هذا ، وما الفائدة من تكراره ، والتكالب عليه وبعثه إلى الوجود .

لا قرونية ولا عربية . تريد إنتاجاً جديداً مستقلاً عن كل نفوذ أجنبي والعربية نفوذ أجنبي أي خارجي من حيث المكان ، والقرونية نفوذ أجنبي أي خارجي من حيث الزمان .

٢ — مصر بين العربية والفرنسية

مفركة بين هيكمل وإحياء

بدأت مفركة « العربية والفرنسية » بمفركة الأدب العربي واتخذت « العربية » دوحات لوائها بعض الصحف وفي مقدمتها جريدة السياسة ومجلة السياسة الأسبوعية ، وعالمها هيكمل وعلمه حين وعلمه عبد الله خان وسلافة موسى .

كانت مصر في فترة الطاع إلى هدف ، وكان الاستعمار الفرنسي من وراء بيلة الثقافة المصرية إنما يمدحها عن عيان الدعوة للثقوبة العربية بدماوى الأمتياز بالمصرية والتاريخ المصري القديم ، وكان ظهور بعض الآثار الفرنسية في هذه الفترة كثير . لوت عنتج آتون (١٩٢٢) ومجده من المراتب له أثره في بروز هذه الدعوة : دعوه المصرية التي تحولت بعد قليل إلى دعوه للثباب الفرنسية على العربية .

وقد انجذبت مجلة السياسة الأسبوعية إلى إلقاء جماعة لمدعوة إلى الأدب المصري ثم لم يأت الدكتور هيكمل أن عن لواء الدعوة إلى الفرنسية ، وقد ظهرت في هذه الفترة كتابات متعددة تحاول إحياء الأدب الفرنسي المدمج على أنه ثرات فكري كما فعل حسن صبحي بكتابه أوراق البردى وكتابه الأخرى ثم لاجه الدكتور هيكمل إلى عن لواء الدعوة لائل الفرنسية في مصر ، بل إلى أن تقوم كل مصر عربى بالبحث عن تاريخه القديم وذلك إحياء البابلية والأشورية وغيرها . ولم يقف كتاب الأمة العربية صائتين أمام هذا التيار بل شاركوا فيه وعارضوا الفكرة وأظهروا جوانب الخطأ فيها .

١ — المصرية : تراث قوس أثيل لمصر

محمد عبد الله خان : ملحق السياسة الأسبوعية (١٤ أكتوبر ١٩٣٢)

من الطبيعي أن تكون الفسكرة التومية في مصر أثيلة في مهربتها وأن تكون هذه المصرية المثلثة رمزا لسل كل مظاهر الطموح المصري في جميع ميادين الحياة العامة وأن تتقدم كل ماعدادها من الفكر والظاهر ، ولم يقف هذا الروح عند المهاد الوطني ولكنه شمل التفكير والأدب بيلمها لون عميق من المصرية فأصبحت تتناز رغم كونها عربية إسلامية بنواص تميزها عما عداها .

ومصر اليوم تحمل لواء الزعامة والقيادة في إحياء تراث التفكير

الإسلامي ولكن فهم القومية السرية على هذا النحو لا يروق لبعض الفكريين من إخواننا في البلاد العربية ، فهم يأخذون على مصر أنها تنفرد في مصريتها ويقولون أنها بذلك تخرج من حظيرة الأمة العربية مع أنها ليست إلا واحدة منها . وفي حين أن هذه الأمم تنفرد كلها إلى الائتلاف من الوجبة العامة حول لواء واحد لتسكون في ميدان النضال السياسي والفكري كتلة موحدة من بعض الوجوه ، فانسلاخ مصر عن هذا الاجتماع بدعوى أنها فرعانية أو مصرية يضعف هذا الاجتماع ويضعف نهضة الأمم العربية في سبيل حرياتها السياسية وتقدمها الفكري والاجتماعي .

وبعبارة أخرى عن مثل هذا الاندماج في الفكرة العربية بالجامعة العربية التي أصبحت الدعوة إليها ظاهرة بارزة في الحياة العامة بفلسطين وسوريا والعراق وأحيانا تبدو الدعوة إلى العربية وما إليها من الفكر التي يعمل لوائها أنصار الجامعة العربية أيضا ، وبدعو إليها في مصر بعض المصريين أو المتصهرين القلائل .

والدعوة إلى الجامعة العربية شاملة لها فهم ، بقصد بها إلى نوع من التضامن العام بين الأمم العربية سواء في الخطوط والجهود السياسية والاقتصادية أو الاجتماعية والفكرية . وأحيانا تتخذ صورة الدعوة إلى اندماج قسري بين أمتين أو أكثر من الأمم العربية ، كما تسفر أحيانا عن بعض المشاريع السياسية العامة كمشروع الحلف العربي الذي تسكررت الدعوة إليه آخرًا .

ولقد مررنا برأينا أكثر من مرة في شأن فكرة الجامعة العربية . فهم على ما يصورها الغلاة من دعايتها في نظرها أمنية خيالية لا تقوم على أية أسس أو تدرجات عملية ، وقد تكون مثلا أعلى يرجع بالأذهان إلى عصور المجد التي جمعت بين جميع الأمم العربية تحت خلافة أو سلطنة إسلامية واحدة قلها التي جمعت بين جميع الأمم العربية تحت خلافة أو سلطنة إسلامية واحدة قلها (المعارك الأدبية)

هذلك روعتها ولكفها مع ذلك سراب تبده الحقائق والظروف الواقع .
بل إن التعلق بها صار في نظرنا بجهود الأمم العربية بما قد بقى إليها من
الوحن القرب على إغفال الحقائق .

عل أننا نسمع هذه الجامعة العربية بمعنى أدق وأكثر تحديداً هو تقوية
الروابط العسكرية والاجتماعية بين الأمم العربية وتنظيمها وتوجيهها إلى
ما يرفع روح هذه الأمم وعقليتها ويصقل تفكيرها وعمها .

وهنا تعرض مسألة القومية المصرية بصورة بارزة فنلاحظ أن تقدم
مصر في سلك البلاد العربية . إذا تعلق الأمر بالناحية القومية ، فالقومية
المصرية قديمة وأثيلة ، وقد وجدت الأمة المصرية منذ أقدم عصور التاريخ
واقترن اسمها بمضارة من أقدم وأعجذ الحضارات .

فلما جاد الفتح الإسلامي — وكانت مصر ولاية رومانية ولكنها كانت
أمة فورت من غزاتها الجدد : الإسلام واللغة العربية ، ولكنها حافظت على
خواصها القومية ونشأت في ظل الإسلام أمة مصرية مسلمة عربية لا يخالصها
الجنسية ولكن نقط باللغة التي تنطق بها ولم تفقد قط شخصيتها المصرية في
ظل الدول الإسلامية المختلفة .

هذه « المصرية » هي في الواقع دعامة شخصيتها القومية فلسفاً ففهم كيف
يتسكرها علينا بعض إخواننا العرب وكيف يتفعلونها مثاراً للانتقام من
موقف مصر إزاء الأمة العربية ، وهي ترى من وراء محيط العربية أو العروبة
الضيق محيطاً أوسع وأبعد مدى هو محيط الأمم الإسلامية .

أما العمل تحتلواء العربية أو العروبة فأصلح ما يرتبط في نظرنا بالجانب
الفكري والاجتماعي

٢ - مصر القديمة ومصر الحديثة : هيكل

وكتب^(١) الدكتور هيكل : نلقا على كتاب حسن صبحي (قصص
البردى) مقال :

بين مصر الحديثة ومصر القديمة اتصال نفسى وثيق ينداء كثيرون
ومحسون أن ماطرأ على مصر منذ عصور التوارة من تطورات في نظم
الحكم وفى العقائد الدينية وفى اللغة وفى غير ذلك من مقومات الحياة ، وقد
فصل بين هذه الأمة الحاضرة وبين الأمة المصرية القديمة فصلا حاسماً جعلنا إلى
العرب أو إلى الرومان أذرب منا إلى أولئك الذين همروا وادى النيل فى
أزرف السفين التى سبقت للسحابة .

فكيف ترى المصريين الذين يتكلمون العربية المصرية اليوم ، والذين
يتصورون الأشياء على ما تردهم لغة العرب أن يتصوروها - تفصل حياتهم النفسية
فيها يتلقى بالقصور والخيال بحياة الذين كانوا يتكلمون المبروغلينية بما
كانت تحمله أفاظها وعباراتها الثائرة إلى القلوب والمقول من صور .

لا سيبل إلى إنكار ذلك الاتصال النفسى الوثيق الذى يربط تاريخ مصر
مهد بدايته إلى عصرنا الحاضر وإلى آخر العصور المستقبلية التى يمكن أن
يعرفها التاريخ ولئن تبدلت أسباب العيش ما تبدلت . فسبقى أبداً هذا
الاتصال النفسى الوثيق الذى يحمل من مصر وحدة تاريخية أزلية خالدة فبإسبل
إليه عقلاً من تصور الأزلى والخلد مادام النيل وما دامت مياه مصر وما دامت
هذه الطبيعة الباقية فى هذا الزاوى ، وما دام تاسم يعقدون فيه على ما يورث

(١) السياسة الأسبوعية - ٢٧ نوفمبر ١٩٢٦ .

الأجداد الأحفاد بما سكبته طبيعة الوادي في وجودهم من حياة غسبية .

كلنا صنف طربا لاكتشاف آثار نوت عفت آمون ، وكلنا ملا*
ماضية فخرنا مدينة هذه الأسرة الثامنة عشر الفرعونية على ما بيننا وبينها من
آلاف السنين .

وإذا كان لنا من آثار الأقدمين المتصان بنا هذه الصلة النفسية الوثيقة
ما يطرح لنا أن نجد مصر القديمة كما جدد القريون اليونان والرومان ،
وكان لنا من وراء ذلك مطمح في أن نرى مصر حضارة قوية متينة كالحضارة
التي أقرها القريون في أوروبا فن الجريمة على أغصانها وعلى الوطن أن نرى من
ذلك أو نرى فيه أى تعبير ، والسيل إلى ذلك كله هو البحث عن موضع
الاتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة في ميادين الأدب وكيفية والمقائد
وعقوس العبادة .

٣- وكتب الدكتور حسين هيكل : ملحق السياسة (٢٩ سبتمبر ١٩٣٣) .

بينما كنت في لبنان في شهر يوليو الماضى قصد إلى صني يتحدث في
شئون وفى أخرى وكان من بين ما سألتى منه هذه « الفرعونية » التي أدمر
إلى بنينا في الأدب وفى غير الأدب .

وقد كان يبدو عليه شئ من الأسكار لفكرة التوبة التي تشغل أذهان
رجال الشرق العربى وفقرهم جميعا ، ولأنها فيما يقول لا فائدة منها بعد أن
غزا الإسلام بلاد هذا الشرق العربى ففى فيها على كل أثر قبله . وأهل بها
حضارة جديدة لا صلة بينها وبين ما سبقها من الحضارات .

ولقد كنت أسمع لزميل وهو يحدثنى معترضا على فكرتى فى كثير من
الرفق والأشفاق على ما تسميه الخفايا - ويهددما كنت أسمع كنت أذكر
ما تثار فى وجه هذه الفكرة بالذات من اعتراضات عتيقة فى بلاد الشرق
الغرى المختلفة بل فى مصر نفسها - وما زمت به هذه الفكرة من مقاصد
مستقرة لم تجل بخاطرى يوم دعوت إليها - فقد أنهينا بأنها نرسى إلى فصل
مصر عن الكتلة العربية حيفا وعلى قرص زمامة مصر على الكتلة العربية
حيثما آخر - وإلى محاربة الفكرة الإسلامية والمضادة الإسلامية تارات -
وكنت أذكر كذلك أن العالم الفيلسوف يهودا تحدث إلى فى شأن هذه
الفكرة سنة ١٩٢٩ ، وسألتى عما أقصد إليه منها حاسبا أنى أريد أن تحى
مصر فى هذا القرن المسيحى حياة مصر منذ حسين فرغا مضت ، تعيش كما
كان القراصة يعيشون : تؤمن بما كان القراصة يؤمنون ، وتفكر كما
كان القراصة يفكرون ، وهم بعد أن تفوقوا الحرية الفكرية والمضادة
الطبية أن يستطيع أحد أن يتعد أنكارهم أو يردم إلى حضارة الطنوع
والأذعان .

إنى حين أدعو المصريين إلى هذا إنما أراه وأجيب قوميا بحسب أدلوة فى البلاد
المختلفة بالدعوة إلى مثله ويتفسير قليل يتقع بأن تطبيق هذه الفكرة فى بلاد
الشرق الغرى يؤدى إلى نتيجة هى خير النتائج . ويودى أن يصل أهل الشام
حاضرهما بما ضيهم منذ عهد الفينيقيين وإلى أن يصل أهل العراق حاضرم
بما ضيهم إلى عهد آشور وبابل .

ليست الدعوة لدعوة تاريخ مصر القرونوية مقصودا بها رد التاريخ
على أعتابه ليصيب فى مقبته ولا هى مقصود بها إلى الأمراض عن دراسة تاريخ
الشرق فى مختلف عصوره .

أما القول بأن الدعوة إلى إحياء الفرحونية في الفن والأدب وما سواهما من ميادين الحياة إنما يقصد به إلى أن نحي مصر اليوم كما كانت نحي مصر الفراعنة فإن ذلك محاولة المستحيل لأنها محاولة رد التاريخ التهقري وصدتهاره ليكر راجعاً إلى النبع بدلاً من ينقل مدفعاً إلى السب .

ولكن نحة حقيقة ليست أقل من هذه وضوحاً وقوة ؛ تلك : أن كل حاضر لا يتصل بماضيه لا مستقبل له .

لا أقصد إلا أن يتصل الروح المصري الحديث بالروح القديم وأن يتابع هذا الروح على تعاقب العصور من بعد الفراعنة أثناء حكم البطالسة وأثناء العهد الروماني في مصر . وأثناء أطوار الحياة المختلفة التي تعاقبت على مصر الإسلامية إلى عصورنا الحاضر وما يتخللها ريب في أن كل اتصال بين روحنا اليوم وبين روحنا في مختلف العصور يضعف قوتها وحيويتها ويسمو بروحنا إلى مقام البقا ، والخلود .

٤ - وكتب محمود سيف الدين الإيراني في (السياسة الأصيوية) ٣ فبراير ١٩٣٣ - يرد على هيكس .

هذه الدعوة التي يبذل كثير من المنكرين في مصر في سبيل تعميها ، وتوجيه الأذهان إليها جهوداً كبيرة ، وكيف تطلقها الأمم في بلاد الشرق العربي وكيف تنظر إليها باعتبارها موجبة إليها . الخلق أن هذه الدعوة تعيرها الأمم في بلاد الشرق العربي صدمة قوية لشعورها ونرى أنها تحمل في أطوارها معنى الاستغناء والرغبة في الانسلاخ عن كل ما هو عربي ومعاني النكران والأهمال لئلا نكامل ما نتمنح هاته الأمم مصر من عطف بحب

إلى حد الاهتمام بشكل ما جل وفق من شؤونها . ثم هي ترى أن في الفسكرة تطرفا ونظرا وأن من حثها أن نقول بالتحجيص كل ما يتخذ الداعون إلى هذه الفسكرة .

أول ما يلحس للتأمل لهذه الإبحاث التي تدور حول هذه الفسكرة هو هذا الاندفاع من جانب بتولي قيادته الأستاذان عبد الله عفان وسلامة موسى ، ثم فريق آخر متربعا مشملا على رأسه طه حسين وهينكل .

• وكتب أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة أول أكتوبر ١٩٣٣:

عفا الله عن كتابها الصحفيين ! ما أقدرم على أن يتبرأوا عاصفة من غير ربيع ويمتوا حربا من غير جند . أفرونيون نحن أم عرب ! أشم تقاضنا على القرعونية أم نقيمها على العربية .

نعم ! قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جلال من أعطى أزمة النفوس وأعطى الأهواء . ثم أشدوا بالرأي القرعوني أثنا ، أو ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام . فخطوه في القالات وأبدوه بالمناظرات . ورددوه في المحادثات . حتى خال بنو الأعمام في العراق وانشام أن الأمر جد . وأن الفسكرة عقيدة . وأن ثلاثة من السكتاب أمه ، وأن مصر رأس البلاد العربية قد جعلت للآذن مسلات والمساجد محابد . والسكتاسي هياكل . والعلماء كهنة .

لا تريد أن نجاهم بما قرره المحذون من العلماء من أن المصرية الجاهلية تنزع بمرى إلى العربية الجاهلية فإن هذا الحجاج يتقطع فيه النظر ولا يتقطع به الجدل . وكفى بالواقع للشهود دليلا وحجة .

وهذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرنا وثلاثا من التاريخ العريق

تسخت ما قبلها كما تسخ الشمس الضاحية سوايح الغلال .

أزرقوا لن أستطيع هذه الروح ، وأحوا ولو بالفرض هذا الماضي ، ثم
أظفروا ماذا يبقى في يد الزمان من مصر . وهل يبقى إلا أشلاء . من بقايا السوط .
وأفناء من ضحايا الجور . وأشباح طائفة ترزل (كتاب الأموات) وجباه
ضارعه مسجد للصخور . وفنون خرافية شغلها اللوث حتى أغفلت الدنيا
وأنتسرت الحياة .

لا نستطيع مصر الإسلامية إلا أن تكون فصلا من كتاب الجذ العري
لأنها لا تجد مدداً لحيويتها ، ولا سنداً لقوتها ، ولا أساساً لثقافتها ، إلا في
رسالة العرب .

أنتروا ما ضمت القبور من رفات الفراعين . وأستقظروا من الصخور
الصلاب أخبار المالكين ، وغالبوا البلى على ما بقي في يديهم أكتاف الماضي
الرسيم ، ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال
الوادي وسال الشعب ، ولكن أذكروا دائماً أن الروح التي تغشونها في
موهبا فرعون هي روح عبرو . وأن الإنسان الذي تلشرون به مجد مصر هو
لسان مضر . وأن القيثارة الذي توتنون عليه الحان النيل هو قيثارة إمرى .
القيس . وأن آثار العرب للعتوية التي لا تزال تسمر المدور وتغلا السطور
وتتذى العالم ، هي أدعى إلى النخر وأبقى على الدهر وأجدي على الناس من
صفائح الذهب وجنادل الجبارة .

وبعد فإن ثقافتنا الدنية إزاء تقوم في روحها على الإسلام والمسيحية ،
وفي آدابها على الآداب العربية والعربية ، وفي علمها على التراث الأوربي

الخاصة . أما ثقافة البردى فليس يربطها بمصر العربية ورباط ، لا بالمسلمين ولا بالاقباط .

٦ - وكتب (أبو الخطاب - ياقنا) يرد على هيكمل في (السياسة الأسبوعية) :

كفت أزعجهم أن نصيب دعاة الفرعونية يد جهاد طويل ومحاولات عتيقة أن أنشئ عليهم من كان أكثرهم للدعوة تحمدا وإبراهيم دعاية وأهدم أثرا وهذا الأستاذ محمود مزي ينقل من فرعوني معتصب إلى عروى صميم يصدر في قلب لندن جريدة دعاها (العالم العربي) وكالها عطف على سوريا وإهتمام بالعراق .

كفت أزعجهم هذا كله ، وكفت جد مؤمن بحقيقة ما أزعجة وقد زادني الأستاذ الكبير إبراهيم المازني وثوقا بمزاعم وإرتياحا إليها عندما التفتنا حولنا نساخه عن الفرعونية فيجيب بأنها عاصلة في فتجان لا يحدر بنا أن نوليها هذا الاهتمام وأن نغافها هذا الخوف .

إنني : فالدعوة الفرعونية باطل كدعوة قومية والجذال حولها مهما كان عبقاقهم عتف من غير طائل ، صاخب من غير حاجة إلى الصعيب إذ لا أصل له ولا يقوم على أساس من المنطق ولا تضرع غرائه الخفايا العلية ، فليصيب دعاة الفرعونية ما يصيبون فأ أحسهم راجعين إلى رمسيس واستحوتب وعانور يستوحونهم الفلسفة ويستلهونهم الدين ويتلقون عنهم العلم ويتفوقون منهم الأدب ويستصدرون عنهم الثقافة . وما أحسهم كلمة متسلخين من العرب والشرقي ومتسكرين للعرب والشرقي ، بطعون في حياة

سياسية وإجتماعية منفصلة عن الأقطار العربية ككل الانفصال ، مقطعة عن العراق وسوريا ككل الانقطاع وإذا أرادت هي هذا الانتطاع فإن تستعيا الظروف ولن يستقيم لها الانفصال .

لماذا ترى مصر تعود إلى القراعفة إذا ما أرادت وحدة روحية قوية تنظم الحاضر والمستقبل وتدفع الناس إلى حضارة تتضال أمامها الحضارات التي هزنت حتى اليوم .

ولكن حتى دعوة مصر الحديثة إلى العودة إلى مصر القراعفية دعوة باطلة في أساسها ، فإن مصر اليوم عربية ديناً ولغة وثقافة وجدير بثلاثة عشر قوماً وثلاث قضاها العرب في مصر أن تجعل مصر عربية الروح، مضربة الإنسان، محبة للدين وجدير بالأزهر أن يزرى بالسكرك والأهرام وجدير بدار الكتب أن تكف نورها بقاياها من الآثار والمومياء والأكتاف طريحة في دار الآثار .

تطبيق :

تحول الدكتور « ميسك » من رأي في « القراعفة » وأمان سراحه في مقدمة كتابه (منزل الواس) أنه لم يجد هذه الدعوة مغلقة لخدمة في بيت مصر لتحويلها .

٣ - معركة المروية والمصرية

بين ساطع المصري وعنه حسين

عاد الدكتور طه حسين - عام ١٩٢٨ - مرة أخرى إلى مباحثة القومية العربية والمصرية
والوحدة العربية عند ما أدلى بصريحات إلى مجلة الكشوف اللبنانية في حديث جرى بينه وبين
بعض القياد العرب ومجمل هذا الحديث :
- إن القومية مأساة في نفوس المصريين وأنها ستبقى كذلك بل يجب أن يفي ونفوس
- إن المصري مصري قبل كل شيء فهو لن يتأثر عن مصيرته مهما تغيّرت الظروف .
ولا يصدقون ما يقول بعض المصريين من أنهم يملكون القومية القومية مأساة في
نفوسهم . وستبقى كذلك .
- إن الأكرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربي بل تعمل مباشرة
بالمصريين القدماء .
- إن تاريخ مصر مستقل عن تاريخ أي بلد آخر .
- في كان لغة وزن في تقرير مصر الأمم لا كانت بأجيبكا ولا سويسرا ولا البرازيل
ولا البرتغال .
وتدرد عليه ساطع المصري رداً علمياً مدنياً عجز أياً طه حسين أن يرد . واكتفى
بأن تفرغ صفحا من كتابه « مستقبل القومية » . . . وكتب الدكتور طه مرة أخرى آرائه
بصورة واضحة وبثالة وفي كل مرة كان يجد نازح من كتاب العالم العربي كانوا
الدكتور طه بالباع يامين وقدنوا آراءه ومنافوا شر مزي ، وعنه ملابح الحركة :

مصر والمروية : من ساطع المصري إلى طه حسين^(١)

أيها الأستاذ :

نشرت مجلة الكشوف البيروتية حديثاً جرى بينكم وبين جماعة من شباب
العرب على ظهر باخرة تحت غياب البحر الأبيض المتوسط ، قائم في خلال هذا
الحديث أستمع : فاعرفون بتوحيده برامج التعليم في جميع الأقطار العربية وتسهيل

(١) ١٩ (١) ديسمبر ١٩٢٨ - مجلة الرسالة .

التجامل اللغوي بينها وتروى (من المفيد أن يكون تعاوننا القصاديا وحسب تحالفا عسكريا) بين تلك الأنظار . غير أنكم لا ترضون وحدة سياسية ، سواء أ كانت (بشكل امبراطورية جامعة) أم على طراز (اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السورى) وعظام آراءكم هذه بقوا لكم (إن القرونية ،عاصرة في نفوس العربين وأما سلبى كذلك . بل يجب أن تبقى وتبقى)

قرأت هذه الآراء بدعشة غريبة لأنى استهدت صدورها منكم كل الاستعداد . ولت في نفسى « لعل السكاتب نقلها على غير حقيقتها » .. أو لعل الدكتور أراد أن يمتحن هؤلاء الشبان . وبما أكد من مبلغ إيمانهم بالتضحية ، فالآراء التى أدلى بها ربما كانت من نوع الآراء الجدلية التى ترمى إلى حل المخاطب على التمتع في التفكير ، فوجدت نفسى تجاه هذه الملاحظات بين عاملين مختلفين : عامل يدفعنى إلى الإسراع في مناقشة هذه الآراء لى لا أترك مجالاً لزعزعة إيمان بعض الشبان وعامل يدفعنى إلى التريث في الأمر لى أتاكم من صحة الحديث المعزو إليكم .

• قائم : إن المعري مصرى قبل كل شئ . فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلت الظروف فاحسوا في ألى أسألكم : هل الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية ؟

أنا لا أتردد في الإجابة عن هذا السؤال بالنفى ، لأنى أعتقد بأن دعوة المصريين إلى الاتحاد مع سائر الأنظار العربية لا تتضمن بوجه من الوجوه حثهم على التنازل عن المصرية . إن دعاء الوحدة العربية لم يطلبوا ولن يطلبوا من المصريين — لاشئ ولا صراحة — أن يتنازلوا عن مصريتهم . بل إنهم يطلبون إليهم أن يضيفوا إلى شعورهم القصرى انغماس شعوراً عربياً عاماً . وأن يصفوا للعربية بجانب ما يصفونه للمصرية .

• قلتم : ولا تصدق ما يقوله بعض المصريين من أنهم يملكون القروية •
فالقروية متأصلة في نفوسهم ، ثم أضفتم إلى ذلك حسكا قاطعا قلتم
• وسيتبقى كذلك •

فهل تسمحون لي أن أستوضحكم ما قصدونه من كلمة (القروية) هل
تقصدون منها الأخذ بمحضرة القراينة أم الاعتزاز ببقاينة القراينة أم قصدون
بث القنة القروية أو الآداب القروية أو النكهة القروية أو السياحية
القروية •

أنا لا أستطيع أن أشك في أنكم لم تصدقوا منها الحضارة أبدا : لأنكم
لستم - بدون ريب - بمن يتلون نص ولدي مصر - حضارة في عهدنا العصر
غير الحضارة العلمية الحالية • كالا أستطيع أشك في أنكم لم تصدقوا من
هذه الكلمة « النكهة القروية » •

إنكم أشرت في حديثكم إلى الآثار الباقية من عهد القراينة بشكل
يستوقف الأنظار وأردتم أن تدعوا آراءكم بجلال تلك الآثار أذ قلتم :
« لا تطلبوا من مصر أن تتعلم من مصرتها » وإلا كان معنى طلبكم : إهدى
يامصر أبا الهول والأهرام • وتناقض عن جميع الآثار التي تزين مناسكك
ومناصف العالم • والى نفسك وانبيغا •

يظهر من هذه التأويلات أنكم تودون أن تخلقوا للفكرة العربية
خصوما من الآثار القديمة وأن تضحوا في سبيل تيار هذه الفكرة سدودا من
الرموس والأطلال • فهل فائتكم أن التضاريس والتصادم لا يحدثان إلا بين
الأشياء التي تسير على مستوى واحد • في عالم واحد ؟

وإن الفكرة العربية التي تمثل في القرن العشرين - للأجيال القادمة -

لا يمكن أن تتعارض مع آثار بقيت مراثنا من ماضٍ سعيد . يرجع إلى أكثر من خمسة آلاف من السنين ؟

إن مصر قد تباعدت عن دولة الفراعنة دون أن تهدم أيا الهول . ونقلت عن لغتها القديمة دون أن تفوض الأهرام . وجميع آثار الفراعنة التي زينت بها معابد مصر ومعابد العالم لم تولد زوها للمودة إلى الديانة التي أوجدت تلك الآثار الخالدة ، ولا حركة ترمي إلى بحث اللغة التي وافتها خلال قرون طويلة قبل من موجب لطلب حدم الأهرام وتغلب الآثار لأجل الوحدة العربية . إن الأهرام - مع جميع الآثار الفرعونية - لم تجمع مصر من الاتحاد مع سائر الأقطار العربية اتحاداً تاماً - في ميدان اللغة - قبل يمكن أن تحول دون اتحادها مع تلك الأقطار في ميدان السياسة أيضاً !

كلاهما الأسفار : إن التيارات القوية العميقة التي جرفت حياة مصر إلى اتجاهات جديدة منذ عشرات القرون . والتي أخرجتها من ديارها القديمة وألصقتها لغتها الأصلية - بالرغم من وجود الأهرام وقيام أبن الهول - سوف لا تحتاج إلى حدم شيء من آثارها القديمة . لتعريفها نحو السياسة التي يؤمن بها دعاة الوحدة العربية . ولا سيما أن هذه السياسة ليست إلا طبيعة طبيعية لغة مصر الحالية ووضعها العام .

• قلتم : أتريدون أن تتحقق الوحدة العربية على أي أساس علمي تعادون بها ، تعالوا معي نستعرض الروابط التي تصل مصر بالأقطار العربية الأخرى • .

لقد وقفتم أولاً أمام قصة « الأصل والدم » وقلتم : إن الأكثرية الساحقة من المصريين لاغتبطت إلى الدم العربي . بل تنصل مباشرة بالمصريين القدماء . وأساسكم يدورى : هل علمتم بوجود أمة على الأرض اعتمدت من

أصل واحد تماماً. وهل نستطيعون أن نذكرها أن أمة واحدة ترتبط بروابط الدم فعلاً وحقيقة ؟

إن جميع الأبحاث العلمية تدل على عكس ذلك تماماً . إنها تدل على أنه لا توجد على وجه البسيطة أمة خالصة الدم ، حتى الأمة الفرنسية التي سبقت جميع الأمم الأوروبية في طريق الوحدة والاستقرار ، لا تدهى وحدة الأصل والدم. وعلاؤها يعترفون بأن الأجاس التي دخلت في تركيبها تمد بالشرا.

ثم وقفتم أمام مسألة التاريخ وادعيتهم أن « تاريخ مصر مستقل تمام الاستقلال عن تاريخ أى بلد آخر » فاجعوا لى أن أقول بأن هذا الادعاء افتئات صارخ على الحقائق الواقعة فإن تاريخ مصر اختلط اختلاطاً عميقاً بتاريخ سائر البلاد العربية وتشابكت أوشاجه معها خلال القرون الثلاث عشرة الأخيرة على الأقل . فكيف يحق لكم أن تحذفوا هذه الورقة من تاريخ مصر .

أنا لا أنكر أن تاريخ مصر لم يبق متصلاً بتاريخ سائر الأقطار العربية على الدوام غير أنى أدعى أن ذلك شأن تواريخ الأمم الأخرى بدون استثناء . فإن تواريخ الأمم تشبه الأنهر الكبيرة التي تتكون من روافد عديدة يوجه عام

إن من يلقى نظرة عامة على تواريخ الأمم المعاصرة لنا يضطر إلى التسليم بأن العلاقات التاريخية التي تربط مصر بسائر الأقطار العربية أقوى وأعمق وأطول من العلاقات التاريخية التي تربط الأقاليم الفرنسية بعضها ببعض .

أنكرتم (تأييد اللغة) في تكوين الوحدة العربية وقلتم : لا نتخذوها . لو كان لغة وزن في تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا وسويسرا ولا أمريكا

ولا البرازيل ولا البرتغال فاسمحوا لي أن أناقشكم :

• إن تقايض الزمان، أزمات من الوجود جميع تلك الأشئلة والشواهد.
وحرمت النظرة التي تقولون بها بإسكان الاستعداد إليها.

« إن قضية هذه البلاد لا تشبه قضية البلاد العربية بوجه من الوجوه فإن
الأنظار العربية تتصل بعضها ببعض اتصالاً جغرافياً تاماً . . . والنظر المصري
يشغل بين هذه الأنظار مركزاً هاماً . أما الحدود التي تفصلها عن سائر الأنظار
العربية فتتجهز — في بعض الجهات — بخطوط وهمية تمتد فوق رمال
الصحراء . فكل يعتقدون أن هذه الخطوط الوهمية التي تفصل مصر عن سائر
الأنظار العربية بسورة اعتبارية واصطناعية نستطيع أن نعمل عملاً مماثلاً
لعمل المحيط الذي يفصل أمريكا من أوروبا . . »

• قائم : إن كان لي نصيحة أسديها إليكم فهي أن تلتصقوا بالواقع
العيني وتعلموا ما سواء، مهما كانت قوته الماطية والخيالية. انهموا أن للفتنة
تسير الشعوب فإن لم تنهوا هذا ندرغون على قهقهة غدا .

• تقولون أن الفتنة تثير الشعوب فهل تعتقدون أن اتحاد الأنظار
العربية مخالف لثانها أو خال مدها ، وهل تدعون أن منافع كل واحد من
الأنظار العربية مستعمل دون اتحادها .

أما إذا اعتقد عكس ذلك تماماً . أعتقد أن فكرة الوحدة العربية
لا تستند إلى الماطة وحدها بل تستند إلى الفتنة أيضاً ، أعتقد أن فتنة مصر
تطلب منها الاتحاد مع سائر البلاد العربية . . بل هي من المنافع العامة
الحوية ، وإذا كان الذين يقدرون أهمية هذه المدافع لا يزالون قليلين اليوم
فلا شك أنهم سيكثرون يوماً بعد يوم .

ورد له حينئذ الرسالة — ٢٦ ديسمبر ١٩٢٨.

كان رد عليه حينئذ هو نشر فصل من كتابه (مستقبل الثقافة) الذي وصفه بأنه « كتيب وطبع قبل مقال الأستاذ المصري » . - وهو يتناول دور مصر في الثقافة الأدبية للكم العربية وإد. رد عليه سامح المصري ردًا أورتبه في مبركة كتاب متقابل لثقافته في هذا الشأن .

وفي هذا التمره طلب مؤاد مدي : رئيس تحرير مجلة (زهرة الشرق) من الدكتور عاهد حديثًا من الوحدة العربية وذلك مدعي التصريحاته لجهة المكتشف لشهره في العدد الأول من مجلته الذي صدر في أول يناير ١٩٢٩ وأقدمه بهذه المقدمة :

« كانت المشاكل الشرقية التي نالت من أثر الحرب العظيم وأحسكتك التعريفين بالفرين من جرائها والحوادث التي أوجت إلى طريق من شباب العرب بالكتابة بالوحدة العربية - ولم يستطع القائلون بها أن يوضحوها إلاضاح السكان .

وأنه فلا يفسر أصداء هذه المسكرة في تصورها حتى لقد جعلوا منها عقيدة يدينون بها ويتهمون كل من عارضها بنقص في وطنيته وأوربانه . وأعلن له حينئذ « أنه من أصداء الوحدة العربية في الثقافة ، ولكنه يعارض الوحدة العربية السياسية . ولا كان الرأي الذي أبداه هؤلاء القراء يهيم إلاضاح في هذا الموضوع فقد طلبنا منه أن يحدث في هذا الأمر بتوسع .

قال الدكتور عاهد :

« لست أتهم كيف يختصم الناس في هذه المسألة أو كيف يحملونها موضوعا للحوار . فهي في نفس أوضاع وأجلى :

« الأمم والشعوب التي تتكلم هذه اللغة مضطرة سواء أرادت أم لم ترد وحدة الثقافة ، ومعنى وحدة الثقافة وحدة العقل فيها أعلن ، فإذا أخذت إلى ذلك أن هذه الشعوب لا تشترك في اللغة وحدها وإنما تشترك معها في الدين أيضا فسكتها مسلمة وقتها مؤمنة بالديانتين الجاويين الآخرين كان ذلك داعيا إلى اشتداد ما يجب أن يكون بينها من التقارب ؟

إذن ظم يمكن أن يكون الخلاف وفيه يمكن أن يكون الجدل ؟ في أمر (المماركة الأدبية)

واحد أراد يذهبها بالقياس إلى المصريين وما أعرف أن مصريا واحدا يستطيع أن يخالفني فيه مهما تسكن ميوله ومذاهبه وهو أمر « الوحدة السياسية » . فالعصريون لا يتصورون لشقرا كههم في امبراطورية عربية مهما يسكن مستقرها ومهما يكن شكلها ومهما تسكن نظم الحكم فيها ، لا يتصورون إلا أن يكونوا دولة مستقلة معاونة لغيرها من دول الشرق العربي بأسباب المأونة السياسية المقتولة التي تلام النفقة والحق والعدل ، وما أرى أن عليهم في ذلك بأسا . وما أرى أن أحدا يستطيع أن يطالبهم بأكثر من ذلك . وما أرى أن مطالبهم بأكثر من ذلك قد لا أحد وإعنا الكلام في ذلك لنو وإطالة لا غنا . فيها .

ومن الناس من ينسك على مصر حرصها على تراثها الفرعوني القديم ويشوهوا هذا الحرص ألوانا من التشويه ، فليسكن رأيي في ذلك واضحا جليا وهو أنها أعتقد رأي المصريين جميعا لا يختلفون فيه ، فصر حرصها على تاريخها كله لا تنزل عنه عن قليل أو كثير وهي إذا حرصت على تاريخها الفرعوني لا تريد أن تعود إلى دين الترامية . فهذا سخف ، ولا تريد أن تتسكلم الفنة المصرية القديمة مكان الفنة العربية فهذا سخف أيضا ولا تريد أن تصطف نظم الحكم الفرعوني مكان نظمها الديموقراطية الحديثة .

وإعنا تريد أن تنظر إلى هذا التاريخ بما كان فيه من خير وشر على أنه جزء من حياتها ومقوم لوحدها ومكون لوطنيتها ، تفخر بما يدعو منه إلى القدر ، وتألّم بما يدعو منه إلى الألم وتعتبر بما يثير منه العبرة وتتفجع بما يمكن أن يكون مصدرا للفتح ، وكل مصري يزعم غير هذا فهو إما خادع أو مخدوع أو ضعيف الوطنية وما أعرف أن من المصريين من تصدف وطنيته فيفرط في تاريخه أو تصدف أخلاقه فيؤثر الخداع أو تصدف شخصيته فيبدع بضمويه الموحين .

الرد على الدكتور طه^(١) : بقلم عربي (مجلة زهرة الشرق)

الدكتور طه حسين بالرغم من كفاية في الرد على الصحفي هل العراق هل دفتين وفي كل دفعة يتراجع قلولا في العرض دون الجهر . لم يصارح الرأي العام العربي في هذا الأمر بل جعل للناطقة أساساً لردية حتى جاء الردان كالصفر على الشمال .

يؤمن الدكتور طه بوحدة الثقافة بين العرب ويضع الثقة أساساً لهذه الوحدة وهو قول لم يناقشه فيه أحد من المالمين ، ولكن الدكتور لا يؤمن بالوحدة السياسية وهذا بيت القصيد وموضع المناظرة : أن الدكتور يعلم أن أوروبا قسمت مما لكما بعد الحرب المعظمي تقسماً سياسياً يقتضي الفتنة وهدمها لأنها جعلت أساساً لاعتصرية وهو يعلم أيضاً بأن الدنيا كانت تتحول إلى براكين في الخريف الماضي من أجل إلحاق بقية الألمان والذين يتسكعون الألمانية بأسمهم . وقد فازت نظرية المدصرية على أساس الثقة .

والعرب لا يتطلعون إلناء إستقلال مصر وضربها إلى العراق أو ضم سورية إليها برئاسة الحجاز وإنما يدعون إلى وحدة تشبه الوحدة الألمانية السابقة أو الولايات المتحدة . وأمر الوحدة هو التل الأهل لسل أمة خصوصاً إذ كانت في رد الدكتور أنه لا يستطيع الإشارة إلى هذه البهيميات ولسكنه يحاول أن يرمي القياس أن الوحدة العربية تقضي على تاريخ مصر القديم وهذا النوع من المناظرة لم نسمع به من قبل فهاذا لا يقول السوري أن وحدة العروية تحاول إلناء تاريخي القديم وأجنادي التاريخية .

(١) مجلة زهرة الشرق : ١٣ فبراير ١٩٣٩ .

ولكل شعب أمجاد والتاريخ لا يفضل بل يستمد حقيقته من قديمه
ولكن هذا التقدم لا يضيره أن يسير مع الحديث في وحدة من شأنها أن تخلق
لحاضر قوة من الوحدة لا بد منها لحفظ كيانه الحديث والتقدم .

لقد جرب العرب بعد بزوع نجر الإسلام هذه الوحدة فمكثوا سادة
الدنيا فإلى الذي يضير الدكتور من هذا وهو يعلم أن مصر سيكون لها نصير
الرئاسة لهذا الاتحاد العربي .

كان الناس يأملون أن يكون عهد كلية الآداب في مصر أول دعاء هذه
الوحدة ولكن نائب ظلم وحايوا في معرفة السر الذي يحمل الرجل الذي
ينشر آداب العرب في العالم العربي كله لا يريد وحدة تصون هذا العالم من
عبث العابثين .

بين المصري بك وعلمه حسين^(١) : من الدين التنوخي

لا نسكت الدكتور له أننا كما قد إعتبرنا الاحاق إلى الفصل الذي
نشره من كتاب مستقبل الثقافة يومئذ ضربا من اقراء من معركة المناظرة .

أجل بالله كنور علم حسين أن يكون أدب الأقطار العربية كلها من
أن يكون في قطر واحد أدبا - ولته - أصله الله - جامل في السكشاف
أدباء العرب الذين يتفادون في أقتناء آثاره ، أوليته وهو مسلم مصري -
خاطب العرب بما خاطبهم به الأستاذ مسكرم عبيد - وهو النصراني المصري -
وهو لذلك أشد اتصالا منه بالترجمة ذوى الأوتاد .

(١) يقول له عبد الباقى سرور : مجلة زهرة الشرق ١٣ فبراير ١٩٣٩ .
والدكتور له يؤمن : في الناحية الإجتماعية بالمضادة الأوربية وجلافاً وصلاحيها للحياة
ولا يترك أبداً بمدينة الشرق الروحية لأنها "مدينة ضمت جود ولا حياة الشرق عنده ولا
أن يدعى بالذي الغرب للثقافة به في مشاعر الحياة العامة .

قال مسكرم عبيد : العربيون عرب • فمن معشر المصريين جيشا من آسيا • ونحن أدنى إلى العرب منذ القدم من حيث اللون والخصائص السامية والقومية • نحن عرب ويجب أن نذكر في هذا العصر دائما أننا عرب قد وجدت بينا الآلام والآمال وولقت بيننا السكوارت والأشجان • وسهرتنا المظالم وخطوب الزمن • فالوحدة العربية حقيقة قائمة • هي موجودة ولكنها في حاجة إلى تنظيم • والفرض من التنظيم إيجاد جبهة تهاض الاستعمار وتحفظ القوميات وتوفر الرخاء • وتنبى الموارد الاقتصادية وتشجع الإنتاج المحلي وتزيد في تبادل المصالح وتنسق المعاملات فكأن أن أوروبا خافت شيئا معدوبا ترتبط به وتكلف حوله أغراض سكانها على اختلاف أسمهم فكذلك نحن سيؤول مصيرنا إلى الانقاف حول مثل أعلى يوفق بيننا منصرفا كلمة واحدة ونصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة أو وطننا كبيرا يتفرع منه عدة أوطان — لسكل منها شخصية لكذبا في خصائصها القومية الدامة متحدة متصلة اتصالا قويا بالوطن الأكبر •

وقد قال لى : نحن عرب في مصر ولا نعبد القرائنة إلا لأنهم عرب . الأستاذ مسكرم عبيد فرعونى صميم ومن نوايح مصر في ثقافته وأخلاقه ووطنيته والأستاذ طه حسين السلم المصرى بحكم والفاس معه بالنظر على فرعونيته فإن يكون ذلك أصدق تفرعا من مسكرم عبيد وإذا ما ادعى ذلك كان أشد فرعونية من فرعون نفسه أو أشد كاقبل ملكية من الملك والأستاذ طه حسين ينسك الوحدة العربية بأنواعها وشرائعها ويد من يقول بهذه الوحدة من أصحابه العقل القديم .

رأى طه حسين في الوحدة العربية — الهلال ١٩٣٩

وبما كان من الأمثلة الطريقة التي تبين الفرق بين العقل العربى القديم ،

والعقل العربي الحديث في هذا العصر الذي تعيش فيه مسألة الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية التي يكثر فيها الكلام وتشغلها الظاهرة فما أظن الناس يختلفون في أن هذه الوحدة ناعمة للشعوب العربية والشعوب الإسلامية أشد النفع، وفي أن مصالحهم تدعوهم إليها وتدفعهم إليها دفعا ولكفهم مع ذلك يختلفون ويختصمون لا شيء إلا لأنهم يختلفون في تصور هذه الوحدة حسب ما يتاح لهم من العقل القديم أو العقل الحديث

أما أصحاب العقل الحديث — أي الدكتور طه حسين وأتباعه القريب — فيقصدون هذه الوحدة على نحو ما تفهم عليه في البلاد المتحضرة بالمحضارات الحديثة الأوروبية، يطمحونها على أنها لا تنفع ولا تضر إلا إذا احتفظت بالتوحيات والشخصات الوطنية والحريات الكاملة لأعضائها والسيادة الكاملة لهم في حياتهم الداخلية والخارجية وقامت على الخلف الذي لا يبقى أمة في أمة ولا يتخضع شعبا لشعب^(١).

(١) تنال: تحول الدكتور طه حسين من هذه الآراء بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ حين رأى ليار الوحدة العربية يقضي إلى طريق « ولكنه أعرف مرة أخرى ونافس نفسه حين تكلم من القومية العربية في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في القاهرة في ديسمبر ١٩٥٧ وأصغى له بآراء عدة من كتاب العرب (أقرأ محاضرات مؤتمرات الأدباء العرب طبع المجلس الأعلى للآداب — والقانون) .

الفصل الثاني

معارك اللغة العربية

كانت النهضة العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر مجالاً للمعركة الكبرى . بدأت هذه المعركة بمحاولات الغزو الثقافي والاستعمار في العالم العربي وكانت « مصر » من أهم المناطق التي ركز عليها الاستعمار بعد الاحتلال فظهرت دعوات ومؤلفات لكتاب أجانب تدعو إلى الكتابة باللغة العامية وهي ما أطلق عليها المتعطف عبارة « اللغة الحسكية » ثم حل لواء الدعوة كتاب عرب . وما تعرضه هنا ليس إلا جانباً من المعركة التي سنفصلها في كتابنا : اللغة العربية ، بين دعائها وخصومها .

[ثبت للمارك]

(١) تمهيد اللغة العربية :

مصطفى الرافعي والماني السيد

(٢) مجمع اللغة :

منصور فهمي وطه حسن

(٣) معركة الكتابة بالحروف اللاتينية .

عبد العزيز فهمي وعبد كرد علي

.....

.....

١ - تمصير اللغة العربية

بين مصطفى صادق الرافعي ولطفي السيد

هذه معركة من أشطر المعارك التي واجهت اللغة العربية ، ومن أقدم المعارك الأقدماء فقد حل لطفي السيد عام ١٩١٣ في الجريدة لواء الدعوة إلى تمصير اللغة العربية فكتب أكثر من سبع مقالات في خلال شهرى أبريل ومايو ١٩١٣ وكتب عدد من الابنية مقالات متعددة كـ"سكان وطه حنين وغيره" .

ولقد كانت مقالات البحث عند لطفي السيد بارعة دقيقة ، فهو لم يتأخر في هذا الوقت المبكر بالتحلل على اللغة العربية ، أو الدعوة إلى ترك الكتاب بها إلى الدامية ، وإنما استأن إلى ذلك بطريقة فيها كثير من الدافعة ، وقد خصنا هنا مبادئه العلمية أينما ظهر صورة القبار الذي جرى فيه القاض ولهم دور من قبل ولانهم أمين ووليم ولشكوكس وسلامة موسى من بعد .

ولقد وقف عبد الرحمن الرافعي ومصطفى صادق الرافعي لهذه الدعوة موقفًا حاسمًا جريئًا خلافاً لأمم الانهزام مؤمنين بأن القضاء على اللغة قضاء على مقدسات الفكر العرب والإسلام .

ولقد كان لغة العربية قضية طويلة مريضة . ومشارك متعددة ، بين حائتها وخصوصها ، وكان الدعوة القارية التي كانت تحتاج العالم العربي في فترة ما بعد الحربين أفرها في محاولة شتى لغات إقليمية مصرية وسورية وعراقية وغربية لقضاء على اللغة العربية وإدخالها إلى لصف أسرة اللغة اللاتينية .

ولكن هذه المحاولات أهدت فلتت وتعرضت اللغة العربية وبقيت .

أراء لطفي السيد في تمصير اللغة العربية

١ - لفتنا^(١) واسعة في القاموس ضيقة في الاستعمال ، مخصصة في المعاني والمسميات القديمة . معجزة في المعاني الجديدة والأصطلاحات العلمية قد أنتزع رقيقها من قرون طويلة فوكت عند الحدا الذي وصلت إليه أيام النهضة المعاصرة ، فمن الآن - لأننا جبرناها في الحداثة إلى لهجة غير مصرية ولحن غير معتق - صارت تراكمها غير مصقولة على اللسان ولا حية بالاستعمال .

(١) التأنيب باللغة العربية (إصدار الجريدة) ٦ أبريل سنة ١٩١٣ .

٢ — الأوتومبيل^(١) واليسكليت والجاكهته والبتلون والجزمه ونلوده.
كل هذه الأسماء ماذتها حتى تهجر في الكتابة إلى غيرها من الألفاظ التي
تحاول إتصالها مع التكلف لغيرها من هذه التسميات . إن هذه الأسماء
الأعجمية وأمثالها قد دخلت في لغتنا دخولا تاما وأستعملت أستعمالا شائعا
بحيث لا نستطيع أن نضع لها ونغيرها من التسميات الجديدة أسماء جديدة
لا يصدق بها ولا يستعملها أحد إلا بعض الكتاب ، أنا لو اخترعنا أسماء
لتسميات الجديدة لتستعملها في الكتابة وحدها من غير أن تدخل في أحاديث
العوالم ولا في أحاديث الخاصة أنفسهم ولكنا نأمن بذلك على توسيع مسافة
الفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام وذلك مؤخر لغة البيان والقصاحة ،
لنقدم من جميع الوجوه .

ولا أراي أعرف سببا للألوف المشهور إلى إبتكار غيره إلا حب
الأغراب وإلا فما الذي ينفذ من زيادة الازمة القوية حرجا وإدخال التعقيد
على البيان العربي الموجود بالقدر والذي نستعمله نحن أبناء اللغة وأبناء
العرب .

.. سيقال أننا في جبل إحياء اللغة بمد موتها فعلينا أن نتحت من اللغة
وعلى موازين اللغة أسماء لتسميات الجديدة حتى لا ندخل الغريب في لغتنا .
هذا كلام طيب ؛ ولكن لدينا لإحياء اللغة العربية وجعلها لغة العامة يعطونها
صحيحة مبررة كما كان يفعل أبائنا الأولون ، لدينا عقبات لا يسيل تعطيلها
فلا حاولوا إبتكار بالكلام والزعماء في إحياء اللغة هذا المخرج المتعب .
وقسما مجهودنا بعضه لتصحيح بناء الكلمات التي نسد بهاؤها على لسان
العوالم . وبعضه لإصلاح الأسلوب العربي وبعضه لتعليم الأغراب وضبط

(١) إلى الامام في اللغة (إيتاحية المبرنة) ٢٠ أبريل سنة ١٩١٣ .

أواخر السكالات على قواعد اللفظ لأصناف مجهودنا الموزع من غير أن تنجى قائمة كبرى . وأضمتنا الوقت في الاشتغال باللفظ — عن نتائج البيان وهي المعلوم والمعارف . يكفينا أن نتمسك بشخصية لفتنا والمحافظة على الوجود منها إلى الآن في الاستعمال اليومي ونحى قواعد الأعراب .

في لفتنا أسماء أعجمية كثيرة جداً لم يغفل وجودها بالقصاحة ولا باليلافة فإن بعضها قد وجد في القرآن وهو المميز بخصائصه وبلافته إلى الأبد .

بن لقد أخذنا بعض الألفاظ الأعجمية واستعملوها مع وجود مرادفها في اللغة العربية ثم هجروا العربي وقصروا استعمالهم على الأعجمي . واجتبا أن نطرح هذه الشاعر الساذجة : مشاعر الامتناع من استعارة الأسماء الأجنبية للفتنا .

لذلك نرفع الفصحى لزملائنا الكتاب أن يتساهلوا في قبول المسميات الأوربية ويدخلوها في الاستعمال الكتابي كما أدخلها الجمهور في المحادثة .

• • •

٣ — الأسماء الجديدة ما لها . لو أخذناها (ذي ماهية) فثبت في لفتنا وأثبتت أوزانها وجرت عليها أحكام الأعراب فأصبحت عربية بالزمان . ما لها لا تعتبر لفتنا كالم لم تزيد عاينها كل جديد بمقدار الحاجة ، ما لها لا يزيد على أسائها أسماء المخرعات الحديثة في العلم وفي الفنون والصناعة والتجارة .

نحن نعمل ذلك بالنقل ولسكتنا ذكره بالقول « فإلذين يأبون علينا
أدخال الضرورى من السكتات الأجنبية يكتبون بأيديهم » الاعتراف «
والثليثون بنابة السهولة ، كما يكتبون (الررد) الذى هو ليس عربياً ..
والأمة سائرة على هذا النمط من التطور فهم تعرف السكينة ولا تعرف
(السقجة) ولا يقف في طريقها عائق ، غير أن خدمة أو سعة من السكتاب
هم الذين لا يريدون الاعتراف بهذه الحقيقة وتقف أقلامهم عند كتابة أسماء
المخترعات الحديثة إذ لم يجدوا تسمية سموية ، الفئة ملك الأمة والسكتاب الحرية
في الزيادة عليها بأساليب جديدة وألفاظ جديدة إذا قبلها الجمهور راجت
وأصبحت من لغة الأمة .

سيقولون هذا المبدأ يدعو إلى التوضى ، ربما كان ذلك ، ولكن التوضى
واقعة لا محالة في زمن الانتقال الشديد الذى نحن فيه . ولا بأس بالتوضى
إذا كانت لازمة لحال التطور وصارفة لنا عن هذا الجمود الذى نحن فيه .

سيقولون وما الذى يعدم من تأليف الجميع التوضى من اليوم . نقول أن
كل عمل عام لا تقتضيه حاجة الأمة إقتضاء ، تماماً كما هو عمل صناعات عظيم
النتيجة . وقد تألف الجميع التوضى ثلاث مرات ولم يفلح فسكان فشله دليلاً على
أنه غير ضرورى لحياة الأمة أو على الأقل إن الأمة لا تراه ضرورياً لها الآن.
وإلا لحكم له بالبقاء .

إن الخروج باللغة من وجودها إلى طور جديد لابد منه من التوضى للوصلة
إلى التطور الواقى المتفق مع أطماع الأمة عن التقدم في كل شئ . إلى الأمام .

لا حرج على السكتاب أو المترجم أن يستعمل من الألفاظ ما شاء ، ما شاء
من المعاني وكلما توسع السكتاب في استعمال ألفاظ كثيرة كان ذلك إحياء

بذلك عامل من عوامل الجامعة الإسلامية والثاني أن تصحيح الألفاظ العامية
للصربية وأستعملها في الكتابة ممطّل للغة العربية القصصيّة .

أنا لسنا من أنصار هذه الجامعة التّخفّيفيّة بوصف كونها دينيّة لألفاظها
بأن أساس الأعمال السياسيّة هو الوطنيّة وروابط النّفقة .

ما تقترحه ليس من شأنه أن يمتلئ اللغة العربيّة القصصيّة بل يزيدها
فصاحة ويسرع في تطورها ولا يبقى منها إلا إستعمال ألفاظ لا حاجة لنا بها
ولا مانع يمنع من أستعمالها في الشعر عند تمدّد الوزن :

الرد على لطفي السيد

١ - ود عبد الرحمن البرقوق صاحب مجلة البيان :

ليس^(١) من يفتكر على الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد مدرّس الجريدة
النّراء عبقريته ونبوته وأنه من الألفاظ المددوين . وقد يعرف قراء البيان ما
أنّارته براعته الجبارة منذ ثلاثة أشهر حول مسألة القنّة والأخذ والرد الذي
دار بينه وبين معاضيه والشّجار الذي أستطاع بين التّرين وأعتد ومع ذلك
أنهى إلى حيث ابتدأ شأن كل مسألة يتنازعها والسّبقيل وحدة هو السّكفيل
بنصل الخطاب وحل الأشكّل فيها . أما للسّألة ففهما ما يدور حول الأسلوب
السّكتاني وهل الرأى أن يكون أسلوبنا كالسّلوب العرب الأوّلين : أسلوب
الشعر الجاهل والقرآن والحديث . أو أن نكتب بأسلوب مصبوغ باللون
الأمّي فيكتب المصريون بلغة مصرية يشترك في فهمها خاصّة المصريّين
وعامتهم . هذا أحد شطري السّألة وشرطها الآخر يدور حول الفردات التي

(١) مجلة البيان - العدد ٥ السنة ٢ (شعبان ١٣٢٦) يوليو سنة ١٩١٣ .

يتألف منها الأسلوب وهذا يشعب إلى مسألتين خلتين أولاهما : هل تضع للمصنعات الحديثة أسماء عربية في مبادئها وأوزانها أو تنقل أسماء هذه المصنعات من لغاتها الأجنبية بعد تهذيبها وجعلها بحيث لا تتأخر الأوزان العربية : وقد رأيت أن من واجب (البيان) الذي رصد نفسه لفئة العربية وأدبها أن يتعرض في هذا الموضوع الهام مع المختصين . وهذه كلمة صديقنا الفايح الأديب السيد مصطفى صادق الرافعي .

تصير اللغة — رد على لطفي السيد

بسم مصطفى صادق الرافعي

تريد بهذا التصير ما ذهبت إليه أوهام من الفضلاء . يرون أن تكون هذه اللغة التي استعطفوا عليها معصرة . بعد أن كانت مضربة وأن تطرد لهم مع القيل بعدد الفروع عداد القري حتى ترسل الكلمة من الكلام فلا يجعلها في مصر جاهل وبصدر الكتاب من السكت فيجبرى من أنهام القوم في طريقة واحدة ويأخذ منهم مأخذاً معروفاً غير متباين بعضه من بعض ولا يملكون على فئة دون فئة .

ومن ثم يزين لهم الرأي أنه لا يبقى في هذا الجمل الفغير ، من عفاها وكتابتها وأدبائها من لا يعرف أين يضع يده من ألفاظ اللغة ومستحدثاتها إذا هو كتب أو مصر من لغة أجنبية . ولا نقول عرب فإن هذه بالطبع غير ما نحن فيه — بل يأخذ من تحت كل لسان ويلقف من كل شقة ولا يبعد في التناول إلى مضطرب واسع ولا يبغي حيث يبغي إلا خلفاً من هذه القواعد وتلك الضوابط العربية إذ تتماون يومئذ المدونان : هذه العامية وهذه الفصحى وتصلحان بينهما صلحاً إن لا ترشح أحدهما في وجه الأخرى قلداً ولا لساناً .

وعلى أن تبيح كلماتها لثانية حرية الانتفاع بما يشبه حرية التجارة إلا في المواد الغضبية التي يعبر عنها دعاء السياسة الثموية بالألقاظ العامة للبقلة والألقاظ العربية الغريبة — ثم على أن لا تحفل أصداءها ما تركت الأخرى سوى ذلك فتستمر العامية على ما هي وتذهب القصص على وجهها .

• • • نحا تلك آراء كان يصدق عليها بعض تقياننا إفراسا في الحية ومبالغة في المخططة لعمرو أملا بما يسكب في صدورهم على ما ترى من نهافتها وضغف نصرتها . فكان ذلك حذر العقلاء إذا مروا بها للثلا وتروحوها بالأعراض عنها سلا ما حق تناولها الأستاذ مدير الجريدة فعذنها وسولها وأخرج منها طائفة من الرأي تعلق أن تسمى عند المعارضة رأيا يقال بالإصلاح بين العامية والقصص على طريقة تجعل هذه تستمر تلك ، ونجعلها إليها فسمى أن يأتي لا تكون العامية فيه شيئا مذكورا .

إن عجم هذا الرأي ومفهومه أن الأستاذ يرى (أخذ أسماء المستحدثات من اللغة اليومية) وإبرارها على الأوراق العربية بقدر الإسكان فإن لم يكن لها تحت أسماء فن معاجم اللغة وكتب العلم أن هذه عهده دون لغة اليومية فإن لم يصب ذلك في هذه أيضا وضع لها الواضع ما شاء ، وإن استعمال مفردات اللغة وتراكيبها إحياء لغة الكلام وإلباسها لباس الفساحة .

هذا هو محصل رأي الأستاذ . • • • فإن طال عليك ذلك الصبر وبرمت به جهة فإن لك أن تدمجه في كلمتين • ذلك أن الأستاذ يرى (تصوير أكلة) لأنها إذا تأمعت فإلما نفس كل ما أشار إليه من العامية المصرية وسدعا وتعلل هذه العامية سمة أنفسا وبذل أقلامها فطليتها التضييع وتخلط منها

عملا صافيا وآخر سيئا .. ولعل هذا الرأي أن يشيع من فاحشنا ويطمنن في كمال أمة لها هوية فتأخذ مأخذها في عالميتها وتنزع إلى ما تدعى إليه فإذا أمكن أن ينفق ذلك وأن تتوافق عليه الأمم كان لعمري أسرع في فناء العربية وجدا عليها شؤم هذا الرأي ما لا يجدوا تأليب الأعداء لو استأصلوا أهلها وبلغ منها ما لا يهله الناعمون ولو ملكوا تلك الأرض كلها ثم نحن نسامح في استعمال الفردات والثرا كيب العامة وسيتقاد ذلك من بعدنا ، ثم من يهدم إلى أجيال بعيدة يترأى بعضنا عن بعض فيوشك أن يأق يوم تكون فيه تلك اللغة القصصى ضربا من اللغات الأثرية في كتابها السكريم لأننا لا ننظر في الترخس معه الآن من كلمات معدودة صدرت بها (قرارات الأمة) أن لا نزال على وجه الدهر عامة والسكتنا ننظر إلى الأصل في قاعدة التسامح والتفويض فإذا ثبتناه وأخذ به غيرنا ولم يكن عندنا لذلك شكور فا أشبهنا أن تكون كالعقادة الاستعمارية التي تهدى . بالتسامح للمستعمرة والغزاة في أخذ الشيء القليل ثم يتقدم بالتسامح في كل شيء .

— لا نفهم كيف يكون إحياء العربية باستعمال العامة وكيف نروض لغة القرآن التي تأتي إلا أن تنقود بها اللهجات الأخرى كما بحث من قبل لغات الغرب جميعها على فصاحتها وقوة اللفظة في أهلها وردتها إلى لغة واحدة هي القرشية ثم نرضى من جهة أخرى هذه اللهجات العامة التي تأتي أن تنقوديش .

— إذا حاولنا مذهب الإصلاح العامي فليت شدي أي لهجة تأخذوا أي لهجة في مصر هي غير مصرية فليذهبها .

— نحن لا نعارض في وجوب الإصلاح لغوى ووجوب أن يكون لغة في هذه النهضة جمع يعو عليها ويضع لها ولو على الأقوال كسلعة الكس والرش ولا نقول أن هذه اللغة كاملة في مفرداتها

أنه لا يقضيها من اللغة شيء. وهي على ما هي من أحكام الأوضاع والتراكيب والانساع للمفردات ، ولو أقبلت كاهفاق العجل ولكن يقتضي هذه اللغة رجال يعملون ويحسون إذا عملوا .

على أنه إن يكن في رأى التصير خير ، ليس يقوم خيره بشؤمه ، وهب أن أمراً من ذلك كائن ، وأنا أجربنا التراكيب العامة في القصص ، أقصفا مفردات القوم في اللغة ، ومسكنا للمامة على ما يتوهجون من مقاليد الكلام وأنبهنا مقاديرهم ، فإأجدها ذلك عندهم ، وماذا يرد على الامة ا

لا سهل التصير العربية وأعبار هذه المصرية أصلا لنوعا مجما عليه إلا بتصير الدين الإسلامى الذى يقوم على هذه العربية ، فإن بعض ذلك سبب طبعى إلى بعضه فنكشف لنا عن الوجه الذى يكون به الدين معرباً وطلبا بأسباب ذلك ونتأمله قلنا ه أخطأنا وأصبحت (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) .

٢ - مجمع اللغة : ماهى مهمته

بين منصور فهمى وطه حسين

هذه معركة جرت حول مهمة المجمع اللغوى ، بدأها الدكتور طه حسين بأراء عرض فيها وجهة نظره فى أمر المجمع اللغوى ومحلها بمناسبة قرب دخوله إلى المجمع اللغوى الذى إنشأ فى مصر سنة ١٩٣٩ وظل الدكتور بعيداً عنه ، عارضة فيها الدكتور منصور فهمى وإسماعيل مطهر وجبرته بينهم مناقشات أثبتت بأن مهمة المجمع اللغوى الذى يقوم فى مصر تختلف عن مهمة المجمع الفرنسى الذى أراد الدكتور طه أن نسج على نهجه ، وذلك أدى الفوارق فى الاحتياجات اللازمة للتأليف بين اللغة العربية واللغة الفرنسية .

(١) قال الدكتور طه حسين :

١ - إنها لسكرانة كبرى أن يسكب مثل وضع الاصطلاحات فى الطب والطبقة والفنون العلمية الخلقة ولو أن الأكاديمية الفرنسية منيت بوضع الاصطلاحات للعلوم والفنون لسكانت موضع سفرة الفرنسيين جيداً والمعلماء فى مقاصدنا . فمن لبيت لأن أن يسكب المجمع وضع الاصطلاحات أو يشرح ولله فيها .

وهناك مسألة الابهجات فليس المجمع مدرسة وإنما تدرس الابهجات فى معاهد خاصة تنطق بالإنسانات ويسكنات الآداب . وما أعرف أن المجمع الفرنسى يتلاعب فى يوم من الأيام بالابهجات . بل هو يماريها لأن همه الأول إنما هو الاحتفاظ ببناء اللغة بوضعها فلما أراد تدرس الابهجات العربية القديمة كما تنطقها قراءات القرآن الكريم فنهض شئ متصل بالمجمع التاريخى واللعوى والصرف . وهو فهمى مخالف لكل الخالصة لا يبرأ من درس الابهجات الحديثة :

رد الدكتور منصور فهمى

إن وضع للمصطلحات العلمية من صميم عمل المجامع . وأعضاء المجمع ليسوا لغويين فحسب ، وإنما منهم من اختص أيضاً بعلوم غير علوم اللغة فمتد اتصال بعضهم بالبحث الأخر ثمرة طيبة تعين على وضع مصطلحات علمية موقفة فى مختلف نواحي العلوم والفنون .

١ - أخالف الدكتور طه فى رأيه بأن الأكاديمية الفرنسية لو عانت بوضع الاصطلاحات للعلوم والفنون لسكانت موضع سفرة الفرنسيين جميعاً .

(١) مارس ١٩٣٧ - الأهرام .

وهل يستمر أحد حين يعلم أن جماعة من أهل اللغة يضمنون اصطلاحات لما يرتحل إرتجالاً تسكون أوفق لزوح اللغة وقد يستساغ بعضها وقد يعتل الاستعمال البعض الآخر ..

ولا أظن أن الدكتور طه حسين حين يستعملهم ويقول نعماً (أى أعضاء اللجمع) يستطيع أن يضع الأسماء لأى آلة من الآلات المستعملة التي لا عهد للعرب بها بحسب أن كانت من السكاكيب يرضى أن يستخدم كلتي [فرملة] أو [ديكسون] التي يستخدمها عامل السيارة في حين أن أدياء اللجمع يل وكل أديب يل وكل من له إلغام يسير باللغة يجد لهاتين اللفظين من لغة العرب ما يناسب ذوقها وذوق الناس .

٢ — ما قولكم في دراسة اللهجات التي تعرض لها الدكتور طه حسين

أما اللهجات فتعلم أن دراستها قد تبن على معرفة معنى الكلمة على وجهها الصحيح . فغير قليل من الكلمات قد تستخدم من ناحية أو في عدة نواحي من البلاد العربية لمعنى من المعانى وإن المعايير بمعرفة هذه الألفاظ ومسايتها قد تبن على وضع كثير من المعانى والألفاظ موضعها الصحيح الأوفق فضلاً عن أن اللهجات لم تخرج عن أنها جزء من تاريخ اللغة وتطورها . ومن أراد أن يربط رسوخاً في اللغة فليس له أن يهمل أجزاء تاريخها ، زد على هذا أن البلاد العربية قد تمددت لهجاتها لدرجة الصعوبة في التفاهم أحياناً وأنه من أمل بجمع اللغة المعاصرة أن يكون لمصر مركز ممتاز بين البلاد العربية لتوحيد الأدوات والأساليب في التخاطب والسكناية والتفاهم بلغة مشتركة فصحي دقيقة فمن حقه إذن أن يعنى باللهجات البلاد العربية المختلفة ، وذلك لرفع تلك اللهجات إلى لغة سائدة فصحي توحد بين الجميع في السكناية والتخاطب .

وما كان اللجمع حين أراد أن يستبقى البداية باللهجات ينأقل عن معرفة

حقيقة نفسه وأنه ليس مدرسة كما يقول الدكتور وأن من حق الكليات ومعاهد العلم العالية أن تمنى بدراسة الإلهجات . ولكن المجمع رأى أن تقرير العناية بدراسة الإلهجات يعينه على تحقيق أغراضه الأساسية في خدمة اللغة .

أما قول الدكتور [أنه لم يعرف أن المجمع الفرنسي عفى في يوم من الأيام بالإلهجات وأنه يحاربها] . فاحسبني لا أسخطي إذا قلت أن العناية بدراسة الإلهجات وما يتصل بها فائقة في فرنسا وفي غير فرنسا بل هي من الدراسات التي يحرص عليها العلماء خصوصاً في الزمن الأخير لتفهم قانون تطور اللغات وما يستفاد من هذه الدراسة لتنمية ثروة اللغتين العلمية والتاريخية . وقد أنقوا في ذلك المصورات والأطالس الكبرى .

٣ — طه حسين (١)

الدكتور منصور فهمي أعلم بشئون المجمع الفهوية من أن يحتاج إلى أن أفيه إلى أن هذه المجمع ليس من شأنها ولا ينبغي أن تكون من شأنها ولم تزعم قط أن من شأنها وضع اصطلاحات العلوم والتكنولوجيا تسجيل من ذلك ما يصنعه العلماء وأصحاب الفن إذا لاثم اللثة وفرضه الاستعمال .

مازلت أقول وسأقول دائماً وسيقول المثقفون الفرنسيون متى دائماً أن المجمع الفهوي الفرنسي يضحك الناس من نفسه لو أنه أنصرف إلى وضع الاصطلاحات في العناية بصفاء اللغة ونقاها . فالعلماء وحدهم هم الذين يضعون اصطلاحاتهم وألفاظهم الخاصة وما ينبغي لنهرهم أن يتدخل عليهم أو يشاركهم في تسمية مالا يتقنه من معاني العلم واصطلاحاته .

إن الأمور تطلب أوضاعها في مصر فحين نريد أن يذهب الأطباء إلى

(١) ٦ مارس ١٩٣٧ الأهرام .

أعضاء المجمع الثغوى ينتسبون منهم الأسماء لمافى الطب التى لا يحسنونها
ولهلمهم لا يعرفون عنها قليلا ولا كثيرا على حين يذهب أعضاء المجمع الثغوى
الفرنسى إلى الأطباء يسألونهم عن معسالى السككيات الطبية التى يفرضها
الاستعمال والتى يحتاج إلى أن تأخذ مكانها فى المجمع الثغوى .

٣ — إسماعيل^(١) مظهر :

لأول وهلة أدركت أن الأستاذ (طه حسين) يحاول أن يثبت أن المجمع
اللغة طبيعة واحدة لا تختلف باختلاف الشعوب واللغات وظروف الأحوال
فضى يطبق القواعد التى يجرى عليها جمع اللغة الفرنسى مثلا على ما يجب أن
يكون لمجمع اللغة العربية كأن الطبيعة والتاريخ لا حساب لهذا فى قياس الفارق
بين اللغتين (اللغة العربية واللغة الفرنسية) وحال الشعبين .

(أما مذكروه) من أن المجمع اللغوى لا شأن لما يوضع للمصطلحات
الطبية ، وأخذ الدال على ذلك من المجمع الفرنسى ووضع بذلك مقياسا على
الفارق البعيد والبعيد جدا فلا جدال إطلاقا من أن المجمع الثغوى الفرنسى
لن يتولى كلمة واحدة أو إستطلاقا يضعه عالم من العلماء أو مؤلف من المؤلفين
مالم يتعلق على القواعد الرعية فى اللغة الفرنسية أولا أو فى اللغتين اليونانية
واللاتينية إذا كان المصطلح منهما ، وإذا جاز هذا فإن ذلك يكون بمثابة حكم
بالإعدام على المجمع بوقته أعضاءه على أنفسهم ، فالمجمع الفرنسى يميز
المصطلحات الحديثة متى كانت صحيحة مطابقة لقواعد اللغة التى تؤخذ منها .

إن طبيعة لغتنا والفروق القائم بيننا يعمل من أوليات المهام التى يجب
أن يباشرها جمع اللغة العربية النفاذ فى وضع المصطلحات العربية الصحيحة مع

الاستعانة بأهل الذكر من العلماء الذين هم على استعداد للتضحية في سبيل اللغة ، لا أهل الذكر الذين يفتنون على التجمع بمهودم وكثير مأم أهل الذكر الذين يستعملون التأليف باللغة العربية ولا يستكبرون أن تصحح لغتهم أو مصطلحاتهم التي يستعملونها أسرها بالأخذ من الأصول الأعجمية بغير حساب .

٤ — الدكتور مفصور فهمي^(١) :

إني أعلم أن المجامع تسجيل ما يلائم اللغة وما يفرقه الاستعمال إذا لزم اللغة وسنن القديم عربت كلمات ودخلت في معاجمها الموائمة وأشير إلى أنها معربة ولكن هل علمت أن لغة من اللغات الراقية الخفية أو معجما من معاجمها القائمة بخدمتها وسلاستها يبرز أن تسجيل لفظا فُرِض استعماله عادة الناس أو فُرِض استعمال أهل حرفه من الحرف أو طائفة من الطوائف دون أن يكون حقا هذا اللفظ ملائما لله صفة أو وضعا أو قالبا ، فمن هو ذلك الحكم الذي يحسبكم إليه لعرفه ما إذا كان اللفظ ملائما لله أو نابيا عنها أو هناك في اللغة ما يوضعه .

حدثني الأستاذ [فيشر] أن علماء الكيمياء والطبيعة من الألمان يستعملون بزمالاتهم العلماء في اللغات القديمة لمؤثرهم على وضع مصطلحات في الكيمياء وفي الطبيعة فهل كان في ذلك خير .

بل على العكس كان ذلك الدليل القاطع على أن أهل العلم يحتاجون لعلماء اللغة وأن ذلك يحمل كل يوم في فرنسا التي يستشهد بها الدكتور وفي غير فرنسا من البلاد .

(١) الأهرام — ٢ مارس ١٩٣٧ .

المسألة إذن ليس أمرها واضعاً وحلها من البداية لا يحتمل الخلاف .
ول إن المسألة هي خلاف بعيد في الرأي بيني وبينك .

فأنا أرى أن من همل المجمع وضع المصطلحات الواصفة لسلامة اللغة
وذوقها وأن من عمل مؤازرة العلماء وأهل كل فن وحرفة لتسمية المسميات
الحديثة وأنت ترى أن أهل الحرفة وأهل العلم وحدهم هم الذين يضمنون هذه
المصطلحات حتى (دون أن يشاركونهم في تسمية ما لا يفقه من معاني العلم
واصطلاحاته أحد) .

تبارك الله يا صاحبي . إن الحياة كلها تقوم على التقاؤهم والتعاون فالأمور
لا تنقلب أوضاعها في معسر كما تقول ..

الأطباء يصنفون بأعضاء المجمع بالنسبة لفهم الأسماء العربية لمعان الطلب
وعندي أن مثل هذا هو وضع الأمور في مواضعها وسواء هو القالب العتيق .
أما التهجئات فأعود وأقول : لم يكن من مهمة المجتمع أن يبحث فيها
ليتوصل إلى توحيدها ، لا لإحياء الميت منها وذلك لإصلاح ما فسد من
مفرداتها ورده إلى الأصل الذي السليم الصافي وبهذا الاعتبار حرص المجمع
على الاشتغال بمختلف التهجئات .

ومن أم الأسباب التي تدعو إلى البحث في التهجئات هو الوقوف على
وسائل تطورها في مختلف المصنوع إذ أن ذلك يبين على معرفة نفس التطورات
التي حدثت في العربية الفصحى قبل أن تبلغ وحدتها .

• — طه^(١) حسين :

إذا أردت الحق فإني نأين مجيئنا التفوي قد أغشى . على عجل . وأخشى أن

يكون انشاؤه الأول قد قصد به الدعاية السياسية أكثر مما قصد به إلى الصلحة الحقيقية وإلا فقد كان اللانتم للصلحة مصر أن ينشأ فيها جميع على طراز الجمع العلمى الفرنسى لا على طراز الجمع القومى .

حرام^(١) عليكم أيها الأصدقاء، فلا يباح لكم أن تنظروا هذه الدعاية الخفوة فأننا نجد في اختلافها لغة ومثمة وعزاء، في كثير من الأحيان .

٦ — مقصود^(٢) فهمي :

حرام عليك أن تشجع تبليغ التهجيات وتطرى اختلافها ، فاللغة العربية هي التي تجمع بين البلاد العربية فليسكن موحدة في اصطلاحاته القوية ولتسكن موحدة في جبال نطقها فذلك أخرى للجمع والترابط والتفاهم .

فأنا أقول لك أنه خلال أن تقتل لهجات قد تقوى فتتصغر إلى لغات مختلفة تفرق بين بعض الأهل والبعض الآخر وخلال أن تسمى وترتفع بالهجات إلى لغة عربية موحدة نصحي تجمع بين أهل اللغة العربية الواحدة . ثم توحد في الثقافة إزاءها في الإنسان والإنسانية والبيان .

٧ — طه حسين :

إن الجمع الفرنسى لا ينظم لجانه على هذا النحو العسرى الطريف الذى يفرض فيه التخيلاء فرمًا لأن الجمع الفرنسى لا يكلف نفسه ولا يسكلف أحد مالا يطيق من وضع الاصطلاحات العلمية . ولو قد كلفه أحد ذلك لرفضه لأنه يرفع نفسه عن العرض لما لا يحسن .

(١) ٩ / ٣ / ١٩٢٧ - الأهرام .
(٢) ١٠ / ٣ / ١٩٢٧ .

والتهجات إن حديثها للمعجب ، ماذا يراد من مجئنا القوي أن يصنع
يل وكيف يكون دوسه لها وقوله فيها .

أفنى أحقق أن الذين يفرضون على مجئنا درس التهجات لم يصوروا
لأنفسهم هذا الموضوع تصويراً واضحاً .

كلا . . إن علم التهجات خطره وقيمته ولكن مكانه في الجامعة لا في
المجمع . وإذا مرض المجمع له فأنما يمرض له مصادفة حين يحتاج إلى ذلك حين
حين وجين . فأما أن يفرض درسه والعناية الخاصة به على المجمع فتشبه
لا يفهم ولا تستقيم .

٣ - معركة الكتابة بالحروف اللاتينية

بين : عيد العزیز فہمی ومحمد کرد علی

هذه معركة من مدارك الغرب ، القصة بمحاولة القضاء على اللغة العربية بدأها وقدمها عيد العزیز فہمی عضو جمع اللغة العربية في (يناير ١٩٤٤) ولقيت معارضة شديدة من الدكرين والكتاب . وقد حاول عيد العزیز فہمی في أكثر من مرة أن يواجه القاصفة ولكنه عجز من أن ياقومها واشترك في معارضة فيها ، عبد الوهاب عزام ولصالح القشاشي ومباس القاد ومحمد كرم علي وعمود محمد شاكر وميرم . وقد بين في هذه الدوات الأثيرة بعد مراجعت واسعة أن مبدأ من الضعف والباسين شارك في هذه الحركة وأهمها علي المنار والفتح .

اقترح أخذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية

قدمه إلى المؤتمر في ٢٤ يناير ١٩٤٤ - عيد العزیز فہمی

إن اللغة كائن كالسكانات الحية بقوم ويوم ومثلها من يولد ذرية لغوية متشعبة الأفراد هي أيضا في تطور مستمر . ولن يستطيع قومه لأن أن يتاليون هذه الظاهرة الطبيعية فإن التطور يتبع شراسة من غاليه .

.. كانت اليونانية القديمة لغة شعر وحسك فلما أشد التبدل في السنة أهلها اضطروا على الرغم منهم أن يشهدوا من عاميتهم لغة جيلوا لها قواعد نحو وصرف وهي التي يشكفونها ويكتبون بها اليوم . وكانت اللاتينية لغة الإمبراطورية الرومانية فأتى عليها التطور فاشتقت منها الإيطالية والفرنسية والأسبانية وغيرها .

وكل لغة من تلك اللغات الذراري هي كل يوم في تطور ..

ولكن حال اللغة العربية حال غريبة . بل أغرب من التربة لأنها مع سريان التطور في مفاصلها ونحوها في عدة بلاد من آسيا وأفريقية إلى لهجات لا يعلم عددها إلا الله لم يدر بخلاف أي سلعة في أي بلد من تلك البلاد للتقصية سياسيا أن تجعل من طجة أهل لغة فاعمة بذاتها . لها نحوها وصرفها وتكون

هي للصحة في الكلام المفرد . وفي الكتابة مما . . . تيسر على الناس كإفعل
الفرنسيون والإيطاليون والألمانيون . . . وفي أهل اللغة العربية من أنتمس
خلق الله في الحياة .

إن أهل اللغة العربية مستكبرون على أن تكون العربية الفصحى هي
لغة الكتابة عند الجميع وأن يملأوا على قلوبهم أكفة من آذانهم وقرا وأن
يردعوا عقولهم عن التأثير بقانون التطور المختص الأخذ بجراه بالضرورة وهم
أنوفهم في لهجات المجهل .

هذا الاستكراه الذي يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى كما تصح
فرائضهم وكتابتهم هو في ذاته محنة حائلة بأهل العربية . إنه ظفان ويني ،
لأنه تسكيف للناس بما فوق طاقهم . ولقد كنا نصبر على هذه المحنة لو أن
اللغة العربية الفصحى كانت سهلة للنال كـ بعض اللغات الأجنبية الحديثة لكن
تناولها من أشق ما يكون وكلنا يؤمن بهذا .

(وبعد أن أورد بعض مصوبات العربية : الأعمال مجرد ومزيد — الفعل
الثلاثي وأوزانه . الأسماء المصروفة والمفعولة قال :

تلك الأشواك والعقبات وهذا التمدد يربك الواقع من أن هذه اللغة
العربية ليست لغة أمة واحدة لقوم بينهم بل أنها جموع كل لهجات الأعراب
الباديين في جزيرة العرب من أكثر من ألف وأربعمائة سنة . جمعا علماء
اللغة وأودعوا للمعجم وجعلوها حجة على كل من يريد الانتصاب لغة
الدربة . . ولا يعلم إلا الله كم لهجة كانت .

أفليس من الظلم للبين إلزام المصريين وغير المصريين من متكلمي

المهجرات العربية الحديثة بمعالجة التعرف بتلك المهجرات القديمة التي ما ج يسهلها في بعض فائدتها .

.. لئن كان قانون التطور وصعوبة الأوضاع والقواعد كما المذاق وأنا على حال العربية فباعد عنها وبين أهلها وطايلها وإنهما وحدها المذاق يملان في هدم كتابها . فإنها مع الأسف الشديد تكون آيلة الزوال لا محالة على الرغم مما فيها من قوة المصيرية القاتية . إذ أن هذه المصيرية لن تستطيع مثالية قانون التطور وصعوبة الأوضاع والقواعد .

لكن الواقع لحسن الحظ أن السبب الحقيقي في فرض هذه اللغة الجديدة وأنزوائها في كسر بيتها إنما هو إستعداد أهلها وإكرامهم إياها على التطور في ثوب غير مقبس عليها وصورة مبهمة مشكلة لا تهل من جهلها شيئاً : أريد رسم كتابتها .

إن رسم الكتابة العربية هو السكائر الملائمة بنا في لغتنا . إنه أكبر عون لقانون التطور والإحساس بما فيها من الصعوبات واللافتات مما يزيدنا من جمال .

.. إذن أول واجب على أهل اللغة العربية هو أن يستقروا على الطريقة التي تيسر لهم كتابة هذه اللغة على وجه لا يحتل فيه السكائر إلا صورة واحدة من صور الألف .

ولقد فكرت في هذا الموضوع من زمن طويل . فلم يهتدي التفكير إلا في طريقة واحدة هو إعتاد الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروف العربية كما فعلت تركيا ؛ أخطر هذا في رأيي عقب أن أمر المرحوم مصطفى كمال بإسبدال الحروف اللاتينية العربية التي كانت مستعملة في كتابة

اللغة التركية لأقرب أحد نظائر المدارس بالأناضول فسألته عما يكون أحدثه هذا الانقلاب في التعليم عدهم فأخبرني أن إنقاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات قد أمتنع منه الأهالي في إديء الأمر . ثم تدخلت الحكومة وأبتدأ تعليم الأطفال اللغة مرسومة ككلماتها بتلك الحروف فكانت دعة الأساندة ودعة الأهالي كبيرة إذ وصل الطفل في شهرين أو ثلاثة إلى قراءة أى متن مكتوب بها قراءة صحيحة وذلك بعد أن كان الطفل يستغرق سنين في قراءة التركية مكتوبة بالحروف العربية ويصنعها بشكل شروب التصعيف على مثال ما هو حاصل عند أهل العربية .

إن لسلك تجديد لغة وفي كل خارج من التأليف غضاضة . وإنما تدبج للغة في الغرم إذا ما صادقت عوى في القواد .

(ثم بين الطريقة التي يرى استعمالها : وتحويل السكرة إلى (هـ) والضممة إلى (و) والفتحة إلى (ا) الخ .

ثم صور مزايا استعمال الحروف اللاتينية فقال : إن الحروف الهجائية بحسب ما وضمها لا تغل بشيء من فئات الحروف العربية بل هي تبرزها جميعاً بلا استثناء . وكل فتحة منها يشعصها كما هو الحال الآن حرف واحد لا يشرك غيره منه في أدائها .

ثم قال : (طريقة الحروف اللاتينية التي أقرها هي الوسيلة الوحيدة للتصنيف لتخليقة لغتنا النصفي في جلالها وجمالها على الوجه الواحد للعين من أوجه النطق بكلماتها .

٢ — محمد^(١) كرد علي

سمعت زميلي عبد العزيز فهمي يفاو علينا موضوعه في الدعوة إلى

(١) مذكرات صدكره على ج ٢ ص ١٤٩ .

الاعتماد على الحروف اللاتينية في كتابه اللغة العربية ثم قرأت مقترحه مطبوعاً
فرأيتته مفتناً في إيراد البراهين عارفاً بالاستطراد والاستنباط، يريد أن يؤثّر في
عقل السامع والقارىء . وقد وقفت له مقاطع من الكلام شأنه فيها اللقط
منها قوله : أنا نحن الضمادى العرب نناطلى . كواهلنا أمام تماثيل اللغة
نحمل أوزار ألف وخمسة مئة مضت وأنتا من أئس خلق الله في الحياة
لأننا لم نعالج التيسير الذى فعله أهل اللغات العربية . . إلى غير ذلك مما لم
يكن غير أسلوب خطائى يحاول أن يخرج منه ليفرض على الناس اختراعه
الجديد .

وبلغ بالأستاذ فرط الخيرة على تبسيط اللغة أن رأى لها بما فيها من
صعوبات ومنها تيرمه بما في الأفعال من مجرد ومزيد . . ونهى على العربية
تعدد جمعها وتشكل الواحد من الأسماء الجامدة جملة أشكال .

يقول زميلى أنه يوشك أن نفزونا اللغات الأجنبية فنترك لتقدنا ونستعبد
عنها بلغة من لغاتهم وهذا خوف لا محل له لأن العربية تزداد كل يوم دسوخاً
في نفوس أهلها بفضل النهضة التي نهضناها وبفضل تفرأساب التعليم والنشر
ومما قال أن لتقدنا كانت سبب تخلفنا في مضمار الحضارة . وما أظن شيخ
القضاة إلا ويعرف أن لا تحطاط الشعوب الإسلامية في بعض مظاهرها عوامل
أخرى لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم وأن برهانه هذا ضعيف
لا يصح الاستدلال به على من هو بصدده . أنه يعرف كما تعرف جميعاً أننا
أنشأنا مدنية شهد لعظمتها كل من قاموا بعدنا وما حال هذا الخط ومن قبله
الخط السكوفى دون الانتفاع بما آت إلينا من علوم التقدم وما وضعناه نحن
بصفتنا وقراءتنا من علوم وآداب .

وتبرم حضرة من تعدد اللهات العربية وأنا أبشره بأن هذه اللهجات يقل عددها ولا يزيد كما أدعى ، إننا تقرب كل يوم من القصص بفضل الدرسه والجريدة والكتاب والمطبعة والديار . أى أن اللهجة الدارجة تتضائل أمام اللغة الأدبية ، والقصص تنقلب على العامة اليوم بعد اليوم .

ومن المجمع أني أظن بها الإتيات قضيتة التثقل لنا بالأتراك وهي في الواقع حجة عليه لانه . فالأتراك لما أخذوا بالحروف اللاتينية وقضوا على الأمية فيها زعموا بهذه البدعة الجديدة التي أبتدعوها فطمعوا كل صلة بينهم وبين ماذهبهم وعمر هذا الماضي لا يقل عن مائة سنة . وشأن العربية غير شأن التركية لأن العربية تمثل تراث العالم الإسلامي كله وإذا عدلتنا عمل الأتراك فتبقى على تراث على وأدنى ودنى دام مطرداً خمسة عشر قرناً مما لم يمد لأمة مثله ومعنى ذلك أن هذا تراث العرب من آثار عوالتنا على مشيختنا وهو مالا يرضى بذلك عربى مسلم .

خسر الأتراك أى خسارة بما أتوا من الميث بلغتهم فلا تريد أن نتقبل مشاكلهم ولا يجوز لأنفسنا الاقتداء . بأهل لغة من اللغات فنحننا غير منجهم ولنفتنا تتساقى من جميع أمات الشرق .

إن السموية اللوحومة في لغتنا ما وقعت في سورة دون تعليم الرجل القابل من ابن المشرق إلى الحسن في الفارسي الليلية التي أنشأناها وأخرجناه به في أربة أشهر من الأمية .

إن في العربية ليست من السموية بخطها على ما يزعم رصيني والعرب إذا تصروا في التصور فقد عوضوا عنه هذا الخط الجليل والنقوش . والنس

إلى حروف الكتابة اللاتينية أقرب أن يحل حروف الكتابة بإحدى
الصفات اللاتينية .

نحن هنا لأحياء العربية ونخشى أن تدعو هذه الصيغة إلى زعزعة السمعة
الأدبية التي أحرزها مصر طرأ في إعتاد الحروف اللاتينية بدل هذه الحروف
العربية المحبلة يحدث تناقصا في النابية السامية التي أثنى . الجمع لأجلها نحن لا نملك
وجه من الوجوه لإدخال جديد مقرر يكون فيه القضاء على قديم مقدس .

٣ - أستاذ جليل (أسعاف النشليمي)

ذكر^(١) برناردشو في مقدمة كتاب (عبيرة نشأة اللغة) للأستاذ
« ويلسون : إذ يرى أن حروف الهجاء الإنجليزية لا تناسب اللغة الإنجليزية
فعلما أنها وضعت في الأصل من أجل اللغة اللاتينية التي تختلف في مخارج
ألفاظها عن لغة أبقا ، التاموز . وعلى ذلك فهجؤها بعد كل البدء عن وقعها
على السمع .

ولا شك أن الذين يرغبون في حذف الهجاء الإنجليزي يقررون تقديم هذا
وهو قد لا شك سبهم القاري ، العربي لاتصاله بالتعبير الذي يقترحه بعضهم
بشأن كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، إذ يحق لنا أن نتساءل بعد
ذلك إذا كان من الحكمة الاستغناء عن حروف الهجاء العربية التي تختلف على
الأقل بأنها وضعت خصوصاً للغة العربية وأستبدال حروف بها وإن كانت
شائعة الاستعمال إلا أنها لا تناسب حتى هذه الصفات التي دأبت على استعمالها
منذ أول عهدنا بالكتابة والحروف اللاتينية التي نقدها كتاب القوم

(١) مجلة الرسالة - ١٠ أبريل ١٩٤٤ .

المبتدئ : براردشو وأبدت هذه الحلقة تقدم إياها — إنما هي الحروف العربية غير للهذبة التي كتبها كاتبوها من الشمال مسكرين من حروف اللد فيها — والبركات في تلك الحركات قد حقت وبسمل الفلق بأجرتها — معللين السكامة بتسغير حروفها جميعا — والعربية قد أبدعت حين أخذت — متعين هيون القارئين بما صوروا وطولوا : وثمان ما بين حروف أحدها يربح البصر والآخر يرهقه . فسم العرف اللاتيني بالحرف للعب نصفه . ولقد بالغ إخواننا الترك في الإساءة إلى أنفسهم باستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير وتفصيل الشمال على اليمين .

أما مقترح تصوير العربية بالحروف اللاتينية الذي أشارت إليه مجلة المستمع العربي فهو كقترح استعمال تلك العامية — ولكل إقليم عربي عامية بل إياه والامم العربية قد أجمعت على أن تكون في هذه الدنيا في السكتين لا أن تبيد في البائدين وأن دعوة الباطل متلاشية ودعوة الحق هي الباقية .
٤ — محمود محمد شاكر .^(١)

عيد المزيّن فهي رجل كفا ندرته بالجد والنصر والفقه وطول الجاه في القانون وكذا نظفه رجلا بحكم العقل في جميع نواحيه لا يتدهور إلى ما ليس به عهد ولا يرمى بنفسه في طمات الرأي إلا على بصيرة وهدي . فلما قال ما قال عن العروف العربية في المجمع . ونشرت الصحف قوله وبأيه قلنا : عسى أن يستفيق الرجل ويهود إلى سالف ما عهد فيه من العسكرة واللفق : وأن يكون ما قال خالفاً لخدمة العربية :

نحن ندلم الأستاذ الجليل بما يقول عن صعوبة العرف العربي المكتوبه وبأنه يعوق القراءة وأنه يحمل العربية أبعد متجاوزاً عن عامة الناس ، نسلمه

(١) الرسالة - ١٠ أبريل ١٩٤٤ .

بهذا ثم ننظر كيف يكون الرأي الذي أعلسته فظله للتسهيل ومدعاة لنشر العربية وكيف يكون الذي يخرج الحرف العربي الناعم إلى البيان والوضوح فلا يكون مضللاً ولا موقفاً ، فإنه يزعم أن « ليس لدى المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية وقت فائض يصرفونه في حل اللباس » هذا هو محصول رأيه .

إن أول التضليل في رسم العربية باللاتينية أن يضع على القارىء تبيين اشتقاق اللفظ الذي يقرأه . فإذا عسر عليه ذلك صار اللفظ عبثاً بمقولة المجهول الذي لا نسب له . وصار فرضاً عليه أن يمدد إلى رسم المادة الواحدة من اللفظ في جميع صورها التي تتكون في السجاق العربي ثم عليه أن يحاول تقرب التشبه بالذات ككرة الواقعية ثم عليه أن يحفظ معنى ذلك كله . فإذا هنا شأنه في المادة الواحدة فما ظنك باللفظ كلها . يومئذ تصبح العربية أجهد لطلابها من ألفة الصينية ، نعم ، وإذا ضل عن تبيين الاشتقاق والتصريف ، فقد ضل عن العربية كلها لأنها لم تبن إلا عليهما ، وهي في هذه الوجهة مخالفة لجميع اللغات التي تكتب بالحرف اللاتيني ، لأن الاشتقاق والتصريف يعرضان لها من قبل بناء الكلمة كلها حتى تختلف الحركات على كل حرف في كل بناء مشتق أو مصرف ثم يزيد على ذلك ما يدخل الكلمة من جميع ظروف الحروف الدالة وغير الدالة ثم على الأعراس والبناء والصف ، إلى آخر كل ما يعرفه مبتدئ في العربية .

وقوله : حل اللباس . فأى اللباس . أى اللباس الذي تدخل على كل حرف من الحروف في المادة الواحدة ، أو أياً من الحركات تكتب به

كل حرف وحرف وفي أواخر كل كلمة وتقف فواصل متباينات بين حروف مادة واحدة من لغة . بقيت على الاشتقاق وعلى الاختصار وجاء فيها المجموع المختلفة والصفات والأبنية ذوات المعاني .

أخذت من الطالسم أم تلك . وأيهما أقصد لوقت السنين وغيرهم من أهل البلاد العربية ! بل أيهما أخشى وأشد فتسا وشراسة ، بل أيهما ينزل العقل لا الوقت وحده .

ولسكنها فتنة ! فتنة أغتر بها شيخ صالح فاستغلها من لا يرى للعربية حقاً ولا حرمة :

• - إسماعيل مظفر^(١)

ما أشبه لغتنا العربية الجيدة بكرة الأرض وحادثتها مع الشيطان ! فإن هذه اللغة ما طازت بالبقاء دون إخوانها اللغات إلا للأسرار فيها يخبئ عن إدراكها الفسك ويضل في بحثها التاريخ . وكل تعليل لهذه الظاهرة إنما هو تعليل ناقص فإن ذلك التيه الواسع الذي نسميه اللغة العربية إنما هو على إنشائه وحدة كاملة الأطراف متساكة الجوانب إذا أقبلت منه حجة واحدة إنها ارت من أركان . وإذا زعمت منه أساساً تداعت من حجة كثير من الأسس . فقد تطورت هذه اللغة على عمر السنين . وتكاملت على كثر الأمور حتى أصبحت كالبناء الصوب من الفولاذ ، ناحية القمم الواحدة فيه أنك لا تجد فيه مفزداً واحداً يمكنك أن تضيف إليه جديداً منه غير أنه يظهر كالزفة اللهبلة في القرب الجديد الكامل النسق .

(١) الرسالة ١٣ مارس / ١٩١٤ .

وما الذي يحملنا على أن نذكر في الحروف اللاتينية لتكتب بها العربية، ما الذي يحملنا على أن نحمل ذلك الحيز الثقيل على أكتافنا من بلاد اللاتين إلى صميم بلاد العرب لتقف به لغة العرب فيلوب في بحرنا المتضخم ثم يلوب ومن بعد تطلعه ولا نكسب من ذلك إلا ثوب الخجل ووزر ذلك الشيطان الذي قذف كرة الأرض بحجره الثقيل، فلم يفتقها وإنما أبتلعها جبالها فزادت به جمالا ولم يزر من طبعها وإنما زاد إلى تاريخها فضلا بحجوبها مكروها. إنما يكون مثقالا في هذه الحال كالشطاء التي أبت إلا أن تنقص جبال حساء، حقدًا وكيدًا فاجترت حصاة من لثها فبدت غرتها جمل وأذن.

٦ - عباس محمود العقاد :

والذي خالفت رأى معالية لأن إقترانه يترك الصموية الأصلية قائمة ونمى بالصموية للفرقة عنها وهي نائمة لها ياقية ببقائها فلا صموية عندنا في كتابه حروف من الحروف مضمومة كان أو مفتوحة أو مكسورة إنما عرفنا أنه مضموم أو مفتوح أو مكسور ولا صموية كذلك في قراءته مع هذه المرفة سواء كان مشكولا أم غير مشكول .

إنما الصموية الأصلية أن تعرف ما يضم وما يسكس ثم نكتبه ونقرأه على صواب . وترجع هذه الصموية إلى خواص في ملية اللغة العربية لا وجود لها في اللغات التي تكتب بالحروف اللاتينية غريبة كانت أو شرقية .

... أما الكتابة بالحروف اللاتينية فإن صبح أنها تضم لتقارى . أن يقرأ ما أمامه على صورة واحدة . فهي لا تمنع الكتاب المختلفين أن يكتبوا

السكينة على صور مختلفة كلها خطأ وخروج على القواعد اللغوية ومن هنا يشجع التبديل على الألسنة ويقرر الخطأ تسجيده في السكينة والطباعة بدلا من تركه متحكما لقراءة على الوجه الصحيح .

فقصارى ما تمنيه بهذا التبديل ، أننا ننقل الدقة من القارىء إلى الكاتب ولا نضع الخطأ ولا نضمن الصحة ، وهي فائدة لا يبلغ من شأنها أن تبديل معالم اللغة وتفصل ما بين قديمها وحديثها .

وكان من أسباب مخالفتي لإقتراح الأستاذ العلامة — وهي كثيرة — أن طريقتي ليست بأيسر من طريقتنا التي نجرى عليها الآن في كتابة الكلمات العربية معبودة بعلامات الشكل الصالح عليها في موضع الحاجة إليها .

إن الطريقة اللاتينية للضاف إليها بعض الحروف العربية تعطينا من علامات الشكل ولكتابتها تضطرنا إلى زيادة الحروف حتى تبلغ ضعفها أو أكثر من ضعفها من كلمات كثيرة وتوجب هذه السكينة على العارفين وهم غنيون عنها .

ثم هي لا تنفيها به من النقط والشكل لأنها تعود بنا إلى النقط في حروف وإلى ما يشبه الشكل في بعض الحروف لتبميز الألف والفاء والذال والشين .

حاول الأستاذ عبد العزيز فهمي باشا أن يصلح من اللغة العربية بمشروعه ذلك بأن يجد طريقا يسهل على الناس قراءة العربية صحيحة كما نلقينا من القصصاء . وأشار من طرف خفي إلى حروف الحركة ، كأن اللغة العربية

ليس بها حروف حركة . ولكنه نسي أن العربية تحتاز على جميع لغات العالم من هذه الناحية ، نسي أن بها حروف مد وحروف حركة .

ما أريد أن أنكلم عن تراث العرب والعربية وما أريد أن أنكلم في أن هذه اللغة لغة دين ولاة أدب وعلم وفن إندجرت إليها من خمسة عشر قرنا إلا قليلا تحمل إليها في تضاعفها مثل الماضي مضيتا ، إن هذه النزعات تزدهت ببعثها ضف في القومية واستهتار بتراث العرب للوروث وبذلك لستك تليد قديم تلقيناه عن أصولنا .

الفصل الثالث

معارك مفاهيم الثقافة

مفاهيم الثقافة : هي البؤرة التي دارت حولها بعض المساجلات والمعارك الأدبية الجادة ، كان هناك اتجاه تقريبي لفرض آراء جديدة ، حقيقة صارمة ، مخالفة تمام المخالفة لوجهتها وقيمتها ، ومحاولة لانهائها بالتصور والتدخل في مفاهيمنا الأساسية ، وهي في جملتها تريد لفظيات وضمها المفكرون الاستعماريون افترض سلطان الغرب الفكري كأساس لتركيز قواعد الاستعمار والتجزئة ومسح الشخصية العربية الاسلامية وتمييدها.

— المارك —

١ — ثقافة الشرق وثقافة الغرب .

٢ — لا تيليون وسكسونيون .

٣ — النزعة اليورانية .

٤ — ككتاية السيرة .

٥ — ككتاية التاريخ .

٦ — معركة الترجمة .

٧ — أيب الساويتش .

٨ — غاية الأدب . ماهي .

٩ — متى يزدهر الأدب .

١٠ — الأدب المكتشف .

١١ — التراث الشرق .

١٢ — ثقافة دار المعلم .

١ - ثقافة الشرق ثقافة الغرب

معرفة بين فيلسفس فارس وإسماعيل آدم

هذه معرفة أدبية من أسبق المارك التي دارت حول الثقافة العربية وحل من شرقية أم عربية : بدأها توفيق الحكيم فقال في الأهرام محاولة « هل يوجد اليوم شرق » وود عليه فيلسفس فارس بما كان قد أورده من قبل في مناظرة مع إسماعيل آدم أحد . ثم بدأت المناجاة بين فيلسفس وأدم واسم علاقيا وشغل كل مايتصل بتناول الثقافة والدم والوسيلة وطير الاختلاف وانصاع بين مقامهم السكانيين ، أسدعنا مسيح عربي يؤمن بثقافة العرب ويحلم من كيان الأمة العربية أن تنجلي في الصورة الغربية ، والأخر مصري تركي مسلم يؤمن بمقامهم العرب وآراء الليبراليين للتصديق في العرب وفي علقا وثرائنا ويزعم كل قدراتنا ويحضر بقوات تفكيرنا ، بينما يلق فيلسفس فارس موقف الإيمان الصير يرافقا وكياننا العربي ومذاهبا عن أبعاد التراث بمرارة قواها العلم والرقم التي التمايح في التصيب .

واند هذه المناظرة خلاصة المنظرين اللتين تصارعا في حالنا العربي خلال هذه الفترة

• هل يوجد اليوم شرق — توفيق الحكيم (الأهرام ١٣ مايو ١٩٣٨)

قال « إذا لم يكن لنا قدرة على خلق حضارة شرقية فنفعل ما فعلت تركيا ونعتمد بشكل بساطة في ذلك الأمم الأوروبية » .

• فيلسفس فارس (الرسالة) ٦ يونيو ١٩٣٨ .

إن الأستاذ توفيق الحكيم لا يميل أننا إذا عجزنا عن خلق الحضارة الشرقية وعن إحياائها بعبير أصح ، فإننا نخرط في ذلك الأمم الأوروبية لا بوصولنا إلى الهدف الذي نتجه إليه الأمة التركية ولا نصل إليه ، وإن بين القنطرة التركية والثقافة العربية من الفروق مالا يصح معه أن ينفذ العرب الترك قدوة

تلك لا أحسبى مخطئا إذا ذهبت إلى أن الأسفاد الحكيم لم يغير العرب بين حضارتين إلا أثبت لهم أن في أحافق قلوبهم شرقا لا حياة لهم إلا بالاتجاه إليه واستجلائه وراء ظلمات الاحتجاب .

[وذكر أنه كان قد ناظر إسماعيل آدم حول موضوع (أمن الخير لمصر أن تأخذ الحضارة العربية) وهذا هو تفصيل رأيه :

أولا . (التفريق بين المثانة والعلم) إن العلم مشاع لكل الأمم ونسكل للأفراد فهم يتفقون فيه على ما يرونهم من اختلاف بعيد في نظرات الحياة ، في حين أن المثانة مسطرة في الشهور فليس (دماغ في قلب) ولا قانون لها لأنها راسخة في النظرة ، والنظرة في الفرد ، كما هي في الأمم ميزة خاصة في الذوق ، واستعداد خاص لديهم للحياة والتفهم بها ، فإذا كان العقل رائدا ليولوج الحاجة فليست النظرة إلا القوة الداعمة للإنسان بذلك الحاجة بمد النظر بها ، وكان أن لكل فرد ثقافته التي تتجلى في نظره فيها ، وهكذا لكل أمة ثقافتها المستقرة في نظرتها ، فلا ريب إذا في أن سعادة الفرد والجموع وشقاء كل مدحها يتوقفان على ملازمة الحياة أو عدم ملامتها لما نظرا عليه ، وسواء أكان الفرد مغيرا أم مسيرا في إرادته وأعماله فإنه على الحالين غير مغير في ذوقه في الحياة وفق لذته وأمله منها ، فكل فرد خالقت طريقة حياته ما أسفر عن الحوافز في نظره بتقد الشهور الشام بتلك الحياة ويعرض لتسقوط في المترك ، وهكذا الأمم إذا خدعت نفسها وسارت في حياتها على ما يؤلم نظرتها فإنها تنفد قوة الارتقاء بذاتها فتميت شخصيتها دون أن تتدقق إلى الأبيات في شخصية تستميرها من سوادها .

ثانياً : (بين الحضارة الآكلية والعصارة الذهنية) :

• إن الخلاف الذى ينشأ بين باحثى مسأله الشرق والغرب : إنما ينشأ من عدم التفريق بين الذنية الآكلية والمدنية الأدبية .

« التثريب الشامل »

٢ — أجياد يساعيل أدم على ؟ راء بلسكس فارس

• (أدم) إن لشرق روحه الذى يستوحيه أبقاؤه نزولا على فطرتهم والغرب منطقة الذى يستفير به أفراد نزولا على وحى مشاعرهم .

— (ف) العلم متاع بين كل الأمم وما اخترع الغرب للتلق ولا هو أوجد التفكير العلمى المعترف له بثقافة قوامها التفكير بفردية بين ما على الارض من شعوب .

• (أدم) إن الحياة العلمية التى يحياها المصرى الآن تجرى على غرار ما كان يحيا أسلافه الفرانية .

— (ف) أنا لا أرى فى حياة المصريين اليوم أثرًا من الحضارة الفرعونية ، لا فى الحياة العلمية ولا فى الحياة الأدبية ، كالا أرى شيئًا من حضارة الفينيقين فى حضارة أهل سوريا ولبنان ، وما تبقى من هذه الحضارات المستقرقة فى القدم إلا إهرام وممابد وأعمدة وقصور وقبور .

• (أدم) وجوب تلقى الذعنية المصرية بثقافته غريبة ثبت فيها النشاط وتفتح بالامه إلى الحياة .

— (ف) إن السبب الذى يراه للتأخر موجباً لهذا الانحراف إلى ثقافته

الغرب قائم على اعتقاده بأن الثقافة العربية ذاتية تدفع بالإنسان إلى التعاطي مع الظالم ، فردية تدفع بالفرد إلى الانسحاب من المجتمع في حين أن ثقافة الغرب أو ذهنيته تستجيب حقائق الحياة بالتفكير النقدي والبحث العلمي .

• (أدم) إن الدنية الغربية مستمدة من الثقافة الأوروبية العلمية في حين أن الشرق العربي يتواءم ذاتيا وراء خياله .

— (ف) إن الأمر ليس كذلك ، وإلزامكم للبرهان ، فهو يقول أن عصرنا عصر العلم .

ولقد بدأ ذلك العصر بقوة نهر من رجال القرن السادس عشر على العقيدة القديمة التي تبحث عن حل الأولي تسيروا مدن الطبيعة وأقاموا عليها للدين مستمدة من الذنوب الآرية .

... إذا أن أصحابنا الأريين كانوا يظنون في نومهم ولم تراود أحلامهم الآلة التي خلقها عقلية القدماء فهم يبلغ عدد هؤلاء الآلة الثمانية ، آلاف من الأساطير التي تراها العاقل نفقة بالرمز واللقن ، وما هي في نظر الشرق العربي إلا دلائل قمر مدفع في التفكير وجوهر في خيال لم يدرك شيئا من الوحدة التي تقوم حقائق الأشياء عليها .

وفي هذه الأثناء كانت الحضارة العربية تحتضن العلوم القديمة وهي ممثلة بأرسطو في الأسطر ، وبأفلاطون في القياسات ، وما كانت هذه العلوم في ذلك العصر إلا في طور التطور الأولي فاستولى عليها التفكير العربي لا يهدفها إلى الارتقاء فحسب ، بل يستبدل ويبدل ويوجد .

وعما يجدر ذكره هو أن العرب حين أقتبسوا من تراث اليونان ما

استخدموه في بناء حضارتهم

يمؤزون به تشكريم العلى لم تسهرم الففالة اليونانية ولا حضارتهم الأدبية
إذا أحسوا بما بين الحضارة التي كانت تفيض في شعورهم وتقديرهم للحياة
وبين حضارة اليونان الإغريقية من موار سحيقة فاعرضوا عن شعورهم
وموسيقاهم ونظم إحيائهم ، لذلك لا تجد في شعر العرب شيئاً من إبهام بيندار
واوريبيس وعيوس . وهذا الأخير بقي مجهولاً حتى ترجمه البستاني في أوائل
هذا القرن ، وقد برز العرب في تقديمهم في علوم الآلات وتوازن السوائل
ونظريات الضوء والأبصار والمهندسة وعلم الهيئة فوضعوا علم الكيمياء
وأكشفوا أجهزة التقطير وأوجدوا الأسطرلاب ووضعوا جداول الأوزان
النوعية والأرباع الفلسفية . وهم وأضحوا علم الجبر والأرقام . وما كاد
يتقضى القرن الثامن الميلادي حتى كان هارون الرشيد يسير شوقاً بيمدأ في
مضمار الرقي ليسلم إلى الأمان سنة ٨١٣ للذينة التي أصبحت عاصمة العلم
السكيري في ذلك الزمان .

ويذكر التاريخ أن هارون الرشيد كان أرسل إلى شارلمان ساعة تدل
على الزمان بمركبة من الشريط الربوط فألزعت حركتها هذا الملك حتى
أمر بكسرها

أبعد هذا أصبح لقائل أن يقول أن رسالة الشرق روح وشعور غلط وأن
رسالة الغرب عقل ومنطق .

إن مغاطرى قدسنيق عدسة منظاره ، وحقق على مجال من الزمان
لا يزيد على قرن ونصف قرن مطلقاً إلى الرقي العلى في طوره الأخير ففعل
به أن الغرب قد أوجد وأبدع وأكل مستقبله الأخرى ، ثم انفتحت إلى الشرق
الغربي وهو خارج محيطاً من يهودية ثيف وأربعة قرون فحسب أن السامية
العربية هي ما أله من عدسة منظاره .

• (أدم) إن هناك تجربة نحت إذ كانت الدولة المثالية تحدد حق الدانوب وتعيش على غرار شرق فسكانت مدينا للناسد في العالم قفا أستعظت عنها البحر ورومانيا والبلغار واليونان اليوغسلاف فأخفوا بمدينة الغرب تقدموا .

— (ف) إن الدولة المثالية التي عاشت على غرار شرق (إنما كانت آرية في روحها وما نسي لها طوال حكمها الذي سحب أذياله قرونا إن تدغم فيها المنصر العربي السامي أو تدغم فيه قارتكمت عليه ولم تتسكن من الارتقاء به بالرغم من اعتنائها بدينه المبين .

وليت الدولة المثالية بعد أن يفت سلطانها على المطورة عرفت أن تحتفظ به بالمثل على ترقية الشعوب المستظلة بظلمها ، ليها لم تسكتف بالظاهر هو معرضة عن الصفات العليا التي أثار الخلقاء الأقدمون بها وجه الأرض وأقاموا عليها أزوع حصاره عرفها التاريخ ، إذن لما كانت الشعوب التي ذكرها المفاخر ثقفتها الصدا . بزوال كايوس الدولة المثالية عنها . وما كان اليونان والبلنار وسوام مرهتين متتبعين لانتعاش الثقافة العربية فأنهم ما عرفوها وما عملوا بها .

• ما يقوله المفاخر عن أن اليابان نهضت بالمدينة الغربية بعد أن أعرضت عن مطلق الحياة الشرقية فليبه حقيقته كبرى تقدم برهانها على نظريته : فإن اليابان لم تزل متمسكة بثقافتها كل التمسك وفي ذلك سر لم تقاتلها ، فهي لم تأخذ من الغرب إلا الآله والآله فقط . وما الآله إلا نتاج العلم السلي الوضع الذي رافق الإنسانية منذ أكتشف أول مسكن كشف شراوة النار في كهفه . وليس الهندسة والكيمياء وعلوم الإحياء وسواها طابع قوس^(١)

• حدث آدم عن الثقافة الغربية والأخيرة الآرية .

— (ف) ما تلك النظرية إلا توم بأخذته نحو (جيفر) وأتباعه إذ قالوا يتفوق السلافة الآرية على سائر الأرض لتقدم بشكل خاص في جماعهم وينوع خاص في شرم ، ويلون فارق في جلودهم ، فادعوا أن هذا الشكل دون سواء من بني الإنسان يملك صفاء الذهن وقوة الإختراع والمبتكرة بأنواعها . غير أن الأسطورة قد أضطر دهاقنة علماء — الأحياء — إلى الاعتراف بقسادة هذه النظرية بعد أن رأوا أن المهاجم التي ينطرح بها الكربون السحاب إنما يحمل عليها أقلام أفريقيا الوسطى .

— (آدم) إذا أخذنا بما أكتشفه العرب من علم يمكننا التحكم بمقدراتنا فإننا نستطيع أن نثير عقليتنا لنقيس طرائف الغرب التي توصلنا إلى خير النتائج .

— (ف) لماذا يجب أن تعمل الشعوب العربية على تثير عقليتها وإنكار فطرتها وحوافزها التي تكونت من أعظم حوادث التاريخ طوال ألوف السنين ما دامت هذه العقيلة نفسها قد أثارته الدنيا بعلومها وآدابها واكتسحت الغرب كله بروحانياتها وشرائنها .

• (آدم) متى أصلحت روحانية الشرق النفوس ما دام العالم هو بشروه لم يتغير .

— (ف) نحن نقول أن روحانية الشرق هي التي أسقطت ألوف الآلهة في الغرب عن عروشها . وأن الشعوب الآرية بدون استثناء أي عنصر منها إنما إندتت إلى الحق والجمال في منشأ خضارتها وتفكير الشرق ووجهه وإلهامه .

فإذا نحن رجعنا بالذكر إلى حضارة أوربا الوثنية التي بنيت على خرافات الأساطير لا يسعنا بعد ذلك أن نذكر الواقع ونقول بأن الإنسان كان سيبتدى دون أن يهذى .

(آدم) قال الدكتور باتروفيل : بأنهم سيصلحون بالعلم من البشر ما عجزت الأديان عن إصلاحه منذ آلاف السنين .

— (ف) إن العقيدة الآرية المزودة بالعلم والثقافة العالية ستقطع دابر الإجرام بواسطة عملية هي تعقيم الجرمين .

وأنا أحد أبناء هذه الأمة العربية التي يدعى الآريون تصورهم في ميدان التفكير ، أنا على ما أنا عليه من شيق الإطلاع وفي قومي من رجال العلم من لا يشق لهم غبار ، أعتقد بقتلتي السامية وبإيمان العربى للسكين فأقول لعلنا الغرب : لقد ضللتهم وأقول بخاصة إلى الدكتور باتروفيل أنه مفرور بعلمه وأنه لا يداوى من العلة إلا أعراضها . أن الغرب يرى تكاثر عدو الخائين والبلهاء والمجرمين في شعوبه فلا يبحث من منشأ العلة لهداوتها بل يسمد إلى تعقيم ضحايا مدنيته وثقافته طناً منه أن هناك بعض الأسر النصابة بداء وراثى وأنه إذا قضى على نسلها خفت العلة من منشأها !

أما فرويد فنظريته صحيحة في هذه الأمراض النفسية التي تنفك ففسكا ذريعا في أبناء المدينة الغربية ، وما كانت مثل هذه الأمراض لتصيب أبناء بلادنا في العصور الماضية إلا في القليل النادر لأن الذهنية الشرقية لم يجارب التوراة الفلسفية بل اعتبرتها جزءاً من إيمانها . وما فتيتل إلا بدعة طرأت على تعاليم عيسى فاحتضنها الغرب وجماعها على ما هي والشرق منها برا .

(آدم) أراد أن يثبت لنا أن الوسيى الغربية خير من مؤسسى

الشرق وحجته العلمية في ذلك أن الغناء الأندلسي غنى بما فيه من طباق بين عدة أصوات .

(ف) - ونحن إذا صرفنا النظر عن التراتلر للفقرة في العقل والتي يصدر عنها الفن الخاص بشكل أمة وعشتا الموسيقى من وجهة علمية إستراتيجية نجد أن الموسيقى العربية أصدق تعبيراً للعظيمة وأدق تصويراً لمشاعر بعيدة فتماثلها في الصوت المفرد - فإن الموسيقى العربية تمثل في تنانها السبع الأساسية ألوان الطيف بقرع منها ما يزيد على السبعين نغمة مخضمرنة ناعمة للمطابقة فقطهر خفاياها كصوره اختطفت عن لأصل بجميع أنوارها وغلالها .

إن الموسيقى الغربية رست على الطباق أو الطماوعة فكان لا بد لها من كبت النيران المدمقة الثمودة على الطباق ومن الاكتفاء بفنات مدفوعات هي محل ثروتها . أما الموسيقى العربية فلها عفاف عميق من النفس مفردة تجاه الوحدة التجلية في مستلهمات الشرق دينا وثقا . فهي وإن قصصا الطباق لعدم ملامته لحزونها ودقة عبراتها لا تزال في دور إعطالها اليوم - أغنى بأوزانها وتنانها من الموسيقى الغربية الفنية بالصخب والقثيرة بالتنوع المفرد .

يمكنني أن أؤكد أن الفن الغربي على ما يذل فيه من جهود لا ترتكز على أساس من الموسيقى الطبيعية التي تتجلى بشكل دوعتها في الإنشاد العربي المفرد - ولو أن رجال الفن عندنا أهرأوا هذه الحقيقة وأنصرفوا إلى شرقية موسيقانا على أساسها دون أن يسموهم ما يقومونه رائدا في الموسيقى الغربية لكانوا يتزعجون من العظيمة أروع موسيقاها ولكن أكثرهم كن لديه ثروة يطبق خزائنه عليها ليذهب مسجديا من الغرب كسرات تتخمه ولا تسد جوعه .

هل يظن المفاخر الكبريم أن تجربة التقليد شيء جديد لم يوضع لنا زينه بعد . ألا ترى في كل بلد من هذا الشرق العربي عدداً من المنقرضين والتالين والتأكلين والتوسين إلخ خرجوا عن الثقافة العربية وأمتنع عليهم أن يتصفوا بالثقافات التي استهوتهم فأصبحوا لا الغرب يعرفهم ولا الشرق يعترف بانتمائهم إليه . وهناك ظاهرة غريبة نشأت من هذا التقليد وهي الفكرة التي استحسنت بين هؤلاء القادرين وهم أبناء البلد الواحد ، فأذاك لن تجد مفترساً يمكنه الأتي مع مثالي أو سوانة من المستقرين .

ثم وصف مثل هؤلاء المستقرين فقال : إنما هو شخصية نائية فقدت ذاتها ولقد بانع مثل هذا الإنسان بالفتور والمجد ولكن أنوار السعادة بقيت منقطة في عينيه .

ثم قال : إن كل أمة نحيا على غير ما تسوقها فلتربها إليها فهي أمة باكية يدموع صامقة هي أمة مستضعفة مستعبدة لا معنى لها إنها وإذا كانت مدينة الغرب الحديثة ترى أن الأرقاء يقوم على العلم وحده ، على الاستقرار دون الاستطام فإن الشرق العربي المنقرض للوثوب دستوراً هو : أهمل لأخركم كأنك تموت خذاً وأعمل لغيرك كأنك لا تموت أبداً^(١) .

٣ - آراء فيلسوف فارس : أمه لها كيانها ومقدراتها

لحسن فيلسوف فارس آرائه فقال :

• إن العرب عند ما رقبوا العلوم ونشروها وأوجدوا أهمها إنما حصلوا بمقلتهم الشرقية العربية . وإنما لسنا بحاجة لتقليد الغربيين من أسلوب تفكيرهم ابتعادهم في مضمار العلوم . ومن العرب اليوم في أوروبا وأمريكا ومصر وسائر الأقطار عربية علماء في كل فن يفتخر العالم بأمره في غريبه .

(١) الرسالة - ١٣ ، رواية ١٩٢٨ .

(م . هـ . لمارك)

وشرقه بسمة إطلاعهم وعبريتهم وما بلغ هؤلاء الأعلام مقامهم إلا بعقليتهم العربية .

• إن العلوم الرياضية مشاع بين البشر جميعهم وليس على الأرض سلافة خصبا إلا بالعلم دون سواها .

• إن أسكل شعب نظورته وحى ميزة خاصة فى الذوق وأختصاص فى فهم الحياة والنفع بها • وإن كل أمة تستبدل ثقافة غربية بثقافتها إنما تؤلم دمارتها وتحوت شخصيتها .

• إن الاخذ بالعلم عن أى شعب لا يستلزم مطلقا اقتباس طرق حياته فى الأسرة والمجتمع وتقليد ذوقه وسكفاته وحركاته فإن العرب عندما أحضروا العلوم الإسترائية عن اليونان لم يأخذوا القطرة اليونانية ولا ذوقها ولا معتقداتها كما أن أوروبا عند ما تلقت هذه العلوم عن العرب لم تتعرب به بل بقي فيها كل شعب محتفظا بثقافته • هذا فضلا عن أن فى الغرب ثقافات قد برأها من مجدها من بعيد على شىء من التقارب غير أن من يدرسها عن كسب ليدعش ما بينها من فروق تفاول صميم الذوق والمقيدة والشعور • ماى الثقافات يشار على الشرق بأن يتبع .

٤ — بين الغرب والشرق

جدة آراء امياهيل آدم فى ثقافة الشرق وثقافة الغرب :

• لسكل شعب فى العالم تراثه التقليدى الذى خرج به من ماضيه والذى يحف به حاضره • ومصر لم تخرج عن كونها مجتمعا استوحى روح الشرق عصورا متطاوله .

الثقافة التى كونتها مصر بما ورثته عن أسلافها الترابعة فى أصول الفن

الفرعونى القديم ، نقل وحدة الحياة المأشوية في مصر إلى عهد الفراعنة إلى يومنا هذا .

• أما الثقافة العقلية فهي فرعونية تسكيت نبيها لها الثقافة العربية تسكيتا بتلازم وما يحتاج إليه الثقافة الفرعونية في عهد الحكم الرومانى من ملايسات لجبارى من الحياة في ذلك العصر : ومن هذا قامت أو قل استمدت الفنة العربية في مصر قدرتها على صوغ المادى بما يتسكاكى . ومحيط مصر فسكات اللغة المامية في مصر وهي في الحقيقة الفرعونية الآخذة بأسياب الغرب .

• لمصر ثقافتها التقليدية التي تهاين ثقافة السورين التقليدية أو ثقافة البهاين التقليدية وما يتبع لمصر قد لا يتبع لغيرها .

• لا أجد التفرقة بين العلم الوضعى والثقافة اعتباريا لأن الأولى نتيجة الثانية إن ثقافة اليوم من حيث أنها تتبع العلم لا يمكن تحلوها من آثار العلم والثقافة الأدبية بفزوها العلم بمنهج الصارم ومنطقه فمن الخطأ أن نفرق بين الثقافة من حيث أنها نتيجة مأشوية وأسلوب في الحياة وبين العلم ومنطقه وهي أداة اليوم لمعيش والحياة .

• إن الفرق بين الشرق والغرب يتحصر في هذا وحده :

الغرب يقيم الحياة على أساس إفساق ويترك العلم أن ينظم الصلات بين البشر ، والشرق يقيم الحياة على أساس غيبى ويترك للنبيايات تنظيم الصلات بين البشر والغرب يقيم حياته على أساس من التفكير في إيجاد التسكافى بين حاجاته ومجهله مستخدماً في ذلك العلم .

والشرق يقيم حياته على أساس من التواكل :

• قول مناظرى : وما اخترع الغرب للناطق ولا أوجد التفكير العلمى . فذلك مجانب لحقائق المرونة في التاريخ ، من أن الأعراب هم أول من عرفوا النطق وأوجدوا البحث وعندهم أخذ العالم للنطق .

• هناك فرق أساسي في مطلق التفكير بين الشرق والغرب ، وهذا الفرق يتجسد في الشرق يبدأ بحثه من الوحدة التجلية حوله فينتهي للعالم ومنه للطبيعة . يعكس الطبيعة الذي يبدأ بحثه من التباين الذي يكتشفه فينتهي للطبيعة ومنها للعالم .

هذا الفرق المشهور في أن الشرق يبدأ من عالم الغيب لينتهي للعالم المنظور يعكس الغرب الذي يبدأ من العالم المنظور لينتهي لعالم الغيب — كان سبباً لظهور اللاهوت عند الشرقيين والفلسفة عند الغربيين .

هذا التباين في مخرج التفكير ذهب بالتفكير إلى الاعتقاد بأن العالم حادث ، وأن الخلق مطلق التصرف في السكون منفصل عنه ومدبر له ، وأنه السبب لكل ما يحدث والعلة الأولى والأخيرة لكل ما يكون وما سيكون ، وهنا البحث عن التباين المشهود في السكون يدفع بالأخذ بأساليب الاستقراء والملاحظة إلى جانب أسلوب الاستنتاج والنظر ، وهذا كله ينتهي بالإنسان كما انتهى بفكرى الغرب إلى أن لكل حادث سبباً في السكون وأن للعالم وحدته وانسجامه .

والإنسان من حيث هو كائن في العالم المنظور فهو في نظر الشرق خاضع لإرادة عليا هي إرادة الخالق الخبر ، فهو الذي يقضى فيسكون ويتدرج فيحدث . وحكم فطرة القضاء والقدر عند الشرقيين .

أما نظر الغرب للإنسان وإن كان يتبع في تصرفاته وسلوكه نواحيس الطبيعة ويخضع لها . فإن في قدرة الإنسان تهيؤ القدرة له عن طريق معرفة النواحيس للتعلم في وجود العمل على إيجاد اللامعة بين حاجات الإنسان في الحياة ومطالبه في الوجود .

وخلاصة القول أن في الشرق استسلاماً مطلقاً للغيب وفي الغرب تضالاً مطلقاً مع قوى الغيب ؟

• الفرق بين مطلق الغرب الاثباتي وروح الشرق النقي :

إن المطلق العربي ينظر للحياة الإنسانية كإحدى طرق العقل وحده يحاول معرفة حقيقته وتنظيم الصلات بين أفراد المجموع البشري . يمسك الذهن الشرق الذي يدخل عدسراً غريباً في الحياة الإنسانية ومن طريق هذا العدس النقيبي يحاول تفسير الحياة وتنظيم الصلات الإنسانية وإقامة العلاقات بين أفراد الهيئة الإنسانية .

• الثقافة الغربية إنسانية ، يمسك الثقافة الشرقية التي وقعت عند حدود المرحلة الثانية حيث يمتزج فيها العالم المفقور بعالم ما وراء المفقور :

• مما يجدر ذكره أن العرب حين اقتبسوا من تراث اليونان ما يعززون به تفكيرهم العلمي لم تسقط عنهم الثقافة اليونانية ولا حضارتهم الأدبية إذ أحسوا ما بين الحضارة التي كانت تنطفئ في شمولهم وتقديرهم للحياة وبين حضارة اليونان الاجتماعية عن مهاو سحيقة فاعرضوا عن شعرهم وموسيقاهم ونظم اجتماعهم .

• إن ثقافة العرب ذاتية وأن الثقافة موضوعية عند اليونان . لهذا لا نجد في الشعر العربي شعراً قصصياً ولا شعراً تمثيلاً ولا شعراً تنويرياً ، لأن القصص والتبيل والتصوير يستلزم الانسحاب من أفان الذات إلى رحاب الموضوعية وليس هذا في سكة الذهنية العربية .

• قامت للذنية الرومانية على تراث الأغريق ، غير أن المسيحية سرعان ما غزت روما وبعثت عليها حافة منها نزعات اللطق الآسوي والروح الشرقية إلا أن الحضارة الرومانية أجهلت المسيحية وامتنعت ، وكان هذا الانحلال والامتصاص بعض الغلاص المطلق الغرب من روح النحك الآسوية ثم طفت موجة الغرب على الغرب ، غير أن الغربيين نجحوا في وقف الموجة العربية

عندما تقاهم أمرها وكان بجاح شارل مارتل من العرب على نهر النوار كصباح
الأخريق على الفرس سبباً في انقاذ العقيلة النورية من طينان روح النك
الأسبوية .

• - رد فيلسكس فارس على اسماعيل آدم

• إن مصر^(١) لن تكون فرعونية في القرن العشرين إلا إذا تراجع
الزمان القهري طويلاً معه كذا الله التي جعلت قوم فرعون حديثاً في تاريخ
الشعوب

• أما أن تكون مصر ذات ثقافة خاصة تنهض بها عن سائر الأقطار
العربية فذلك ما نلسمه . لأن لشعوب سائر الأقطار العربية كلها جذوراً
عاصروا الفرعونية وتركوا في التاريخ ذكرى حضارات لم يبق منها سوى
أعمدة محطلة وهياكل متداعية .

إن في كل قطر من الأقطار العربية من المميزات الإقليمية ما لا ينسكه
أحد ولكنها أضف من أن تسلم هذه الشعوب عن ثقافة عامة شاملة لها في
اللغة والموسيقى ونظام الأسرة وروح التشريع . وهذه المميزات العامة هي
حائزات الحضارة الأدبية عليه في كل الأمم .

• ليست الأمة العامة في مصر إلا كسائر الأمم العامة في الأقطار لفة
أخذتها هصور الانحطاط . فذلك لو أغضيت عن المميزات في كيفية الإلقاء ،
فذلك لا نجد إلا كلمات ممدودات يختلف النطق بها بين مصر وسوريا وبغداد .
• أراد مناظرى أن يجمع العلم والثقافة شيئاً واحداً فهو يقول بانفتاح
الثقافة من العلوم الأصلية ، ونحن لانعلم ما هي العلاقة بين علم طبقات الأرض
مثلاً والمبادئ الأدبية التي تقوم عليها المجتمع .

(١) الرسالة - ١٨ يوليو ١٩٣٨ .

يقول المفاطر : أن الفلسفة الإسلامية روحها يونانية ومنطقها يوناني ، لأن الفارابي وابن سينا وسواهما علقوا إرادة انغلاق بقوانين الكون ، وترى أن فلسفة المفكرين ليست إسلامية ولا مسيحية .

- إن المفاطر يجد قصورا في عدم مجازاة العرب لليونان في آدابهم التي جعلت على قول في رحاب الموضوعية خارجة عن رحاب الذات ، ويذهب إلى القول بأن التحليل ليس من مكلف الذخيرة العربية .

لا يامفاطري ، إن الأدب العربي قد استوعب في ذخيرته كل ما جال في خاطره وفي الأفق حوله .

إن الآداب صورة لتقافة الشعب وحياته ، وقد أخذ أجدادنا العلوم من اليونان لأن العلم مشاع كما سلت ، فهل كانت حضارتنا الأدبية يونانية لتسكون آدابها يونانية

٦ - بين الشرق والغرب - فيليكس فارس^(١)

إن حضارة الأقوام التي ترغب إلينا أن نقتبسها إنما يليت في تاريخها التقديم كما يليت في تاريخها الحديث على الاعتقاد بحياة أخرى .

أما حضارة أوروبا الحديثة فقد قامت على ما نعلم بفعالهم همس وإذا كان قد بقي فيها شيء من الرحمة فهي من آثار موهنة هذا الناصر على جيل من جبال الشرق . وإذا كان قد هب فيها يد انتصار شارل مارنل من دعوا إلى إصلاح المسيحية فما كان صوت هؤلاء المصلحين إلا صدى لصوت الذي دوى في صحراء العرب منذ ثلاثة عشر قرنا .

إن الدكتور آدم يريد أن يميز بين عقلية الشرق وعقلية الغرب فيقول

(١) العدد ٦٦٤ - من الرسالة سنة ١٩٣٨ .

إن الأولى مستقلة (محضا) لغضا، والتدبر تضعف الغيب والثانية تناضل فضالا (محضا) ضد الغيب .

أما أن يكون الشرق هذا المسلم الضعيف فما يكذبه التاريخ ، تاريخ المسيحية وتاريخ الإسلام على السواء . فما كان المسيحيون الأوائل ليحبوا حتى بين أشد الأعداء ، وما كان المسلمون إلا مجاهدين بالجهاد ، توكلوا فما توكلوا وسلبوا أمرهم فاعضا استسلموا فعازع الحياة بل أرغروها ليسيطروا عليها بمسكارم الأخلاق .

أما قول المناظر بأن العقيدة القريبة تفاضل ضد الغيب فتقول فيه جنوح في التمييز ، ولا تعتقد أن الدكتور آدم يتعد الغيب بل أسرار المادة وما يكن فيها من تعامل لأن القرب إنما هو من هذه الإنسانية التي وجدت قواها فوققت واجهة أمام نظام الكون وسر الحياة والموت .

ليس هناك إذا عقلان . عقل للغرب . وعقل للشرق في ميادين الاستغناء غير أن هناك خطوة أو ثقافة تختلف بين شعب وشعب . وقد أراد المناظر أن ينسكز استقلال الثقافة الأدبية عن العلم الرضى فألبها روحا كأنه يحبو أثرها باستبدال أممها .

لكن الثقافة روحا كما يريد الدكتور آدم ، فلماذا يطلب أن يلفظ أبعاد الشرق روحهم لتقدم روح الغرب حضارتهم .

أليس من غرائب المطلق أن يقول المناظر بفرعونية مصر ويتردها على العروبة فيثا وثلاثة عشر قرنا ثم يطلب منها أن تفرج بين عشية وضحاها . ما هي الفائدة التي يرجوها المناظر لصر إذا أنكرت إيمانها ومكنت لتنتها وتنت على الأتنام الأثرية التي تتفاخر مع ذوقها وحق مع غارج ألقاطها .

لا يظن مفكر أننا نقصد بالمضارة العربية هذا الحالة الرائعة التي أوجدتها
إليها قرون من الولايات والعدوية وأرغفتها حتى تنسكب لنا أغصانها . لقد
طلعت على مجتمعات في معتقداته وفي نظم أسرته وفي آدابها وفي حكوماته
وخيالات من مطلقات جميع المعصور وجميع الأمم .

إنني مازلت مستقفاً منذ قدر لي أن أعتلى المنابر أن هذه البلاد العربية
مستوعمة لأشرف الثقافات وممكن لأسس الزواجر ، فالأقوام المنتشرة في
جزيرة العرب وفلسطين وسوريا ولبنان ووادي الفرات ووادي النيل وعلى
الشواطئ الشرقية لبحر المتوسط وشواطئ البحر الأحمر تدينها حضارات
الغرب والعالم الجديد بطابع التواكل والظول .

٧ - بين الغرب والشرق : الدكتور إسحاق أحمد آدم

قلت^(١) للأستاذ فيليكس مارس : إن لسلك أمة في العالم روحها التي
تحتضن تراثها التقليدي . وعن طريق تحليل تراث مصر التقليدي انتهينا إلى
أنها فرعونية أخذت بأسباب العربية لتجاري فن الحياة في ذلك العصر الذي
طلعت فيه العربية على كل شيء : وكانت مركزاً للجذب الاجتماعي في الشرق
الأدنى .

وبينا الفروق الأساسية بين ماسيناه ذهنية للغرب وذهنية للشرق ، وقلنا
أن نزعة الذهن الغربي عقلية ونزعة العقلية الشرقية غيبية واستدلنا على هذه
الحقيقة من حقائق التاريخ .

ولذا قلنا أنه من الصعوبة بمكان أن تأخذ بمصر القلعة العربية وهي
محفوظة بثقافتها للتقليدية وأساسها الإيمان بالغيب .

— يقول الأدب النابغة فيلسوف فارس : الثقافة راسخة في الفطرة .
والفطرة في الفرد كأي في الأمم ميزة خاصة في الذوق واختصاص في فهم
الحياة والتفتح بها ، فإذا كان العقل رائداً لبلوغ الحاجة فليست الفطرة إلا القوة
للتسعة في الإنسان بطلب الحاجة بعد بلوغه إياها .

ونحن نفرق بين الثقافة والفطرة ، بين ثراث الشعب الذي يخرج به من
ماضيهِ إنطلاقاً على مدى الدهور والأعوام وبين الفطرة من حيث هي روح
لأمة التي تمتص تراثها . فترات مصر الفرعونية التي أسلمته لمصر الإسلامية
فاختلطت نتيجة لذلك النوعية والعربية فكان من ذلك ما سمينا به مصر
من ثقافة تقليدية هي . والروح المصرية هي . آخر إلا أن هذا لا يمنع من أن
ترسخ الثقافة التقليدية وتصبح وتأتيها من صميم فطرة الشعب . وانسلاخ الشعب
عن ثقافته التقليدية ، وإن كان لها رجة في صميم الفطرة والروح إلا أنها لا تمنى
انسلاخ الشعب من روحه وفطرته . وما ثقافة الشعب وتراثه إلا أثر وقوع
الفطرة والروح تحت تأثير ظروف ومؤثرات تجد طريقها للمحيط الإجمالي
والبيئة الطبيعية للشعب . وبيان ذلك أن الروح المصرية تحتفظ بديانيتها
منصبة في قلوب شقي ، فهي في قالب في العصر الفرعوني وهي في قالب في
العصر الإسلامي . وجماع هذه القوالب المختلفة يسكن في الحالات الثابتة التي
يضمها المحيط إجمالاً وطبيعياً : وانسكار هذا معناه أن الروح المصرية
تغيرت من العصر الفرعوني إلى صورة أخرى في العصر الإسلامي فالذي يمنع
أن تتغير إلى صورة أخرى في العصر الحديث .

وإذا يكون من الممكن لمصر أن تتجرد من ثقافتها التقليدية وتستبدل
مغلا يدنياً آخر وبالثباتة أخرى كما حدث ذلك في عهد الفتح العربي ومع
ذلك تحتفظ بروحها وفطرتها لأن ما ستأخذ الروح من القوالب سيكون عن

طريق الوقوع تحت تأثير عوامل ومؤثرات وجدت طريقها للمجتمعات الإجتماعية والطبيعية .

على هذا الوجه فقط يمكن تحليل تفسير القالب للروح المصرية والذي تكون نتيجة لوقوع الروح المصرية تحت تأثير الثقافة العربية . وعند ما يقوم أنصار التيار الثقافي الغربية بدعوة إلى مدينة الغرب بثور مفهوم أنصار الثقافة العربية قائلين أن معنى ذلك شياع الروح المصرية والقومية ، مع أن الروح شيء ثابت والثقافة شيء عرضي يتغير بالروح وفطرة الشعب

٨ - الغرب والشرق^(١)

يرى الأستاذ نيلسكس مارس رجحاناً لطابع الشرق العربي على قالب ثقافة الغرب الألبانية . ومرد هذا الرجحان اعتقاده بلاتون الرجبي وبأن لهذا الشرق من كيانه ثقافة يتطلع منها إلى الحياة ، هي ثقافة فطرته الوردية فيها يستقبل النور

وفطرة الشرق الوردية على زعمه قائمة على الإيمان بالمنف ونحن نرى ما يميز عنه بالفطرة الوردية هو التراث الشعبي لهذا والثقافة التقليدية له . وهو شيء كما قلنا غير فطرة الشرق وروحه لأن الفطرة شيء مجرد يظهر في تاريخ الشعب وفي ثقافته المتعاقبة .

إذاً من انقطاع من الناحية العلمية أن فطرة شعوب الشرق هي الحالة النهائية والصحيح أن يقول أن طابع ثقافة الشرق التقليدية هو غربي .

— حين أراد للفاخر الفاضل أن يرد على القول بوجود أصل فرعونى في

(١) مجلة الرسالة - ٢٤ سبتمبر ١٩٣٨ .

ثقافة مصر التقليدية تسف إلى حد أن خرج على الأولويات المروعة من حقائق
اجتماع وعلم تسكون الشعوب .

كان هناك تقاليد بقيت من العهد الفرعوني وتسررت إلى الدين
الإسلامي في مصر وقرنته بلون على . أما أن الدين يعمل على إقتلاعها فغير
المتصور وسلامته تلبس ذلك من شأن الباحث السوي .

— قلنا أن مصر ثقافتها التقليدية التي سبى بها عن جبراتها من يهود
الشرق العربي ، غير أن المفان وإن إعترف معنا بأن للمميزات الإقليمية أثرًا
على ثقافة الأمم أعبر أن لسلك أسم الشرق العربي ثقافة عامة شاملة .

غير أن هذا الاعتراض في غير محله لأن اعتباره أن الأمم الشرق العربي
ثقافة عامة شاملة إن كانت صحيحة إلى حد ما فهذه نظرون وتأخذ طابعا من
كل بلد من بلدان الشرق العربي ، فظهرها في سوريا غير مظهرها في العراق ،
وهي في العراق غيرها في مصر . وفي مصر غيرها في الحجاز .

— وهم المفان القاضل ألقا نهزل حين قلنا أن النامية في مصر هي العربية
الأخذة بأسباب الفرعونية ، إنما نعى بالفرعونية وحدة — عقلية أو معاشية
متشعبة في ثقافة المصريين التقليدية حتى العهد الفرعوني ، فإذا قلنا أن النامية
هي العربية الأخذة بأسباب الفرعونية فإلما نعى أنها تأخذ طابعا مصرياً
خاصا بها .

• سيأت ذلك اليوم قريباً وستقول العقلية اليقينية في الشرق والنطق
الإلهائي في العالم العربي نتيجة لتغلب الاتجاه للفرق على هذا الشرق بحكم
كون الغرب مركز الجذب الاجتماعي في عصرنا ، وإذا قلنا نحن في حاجة
إلى الانتقال إلى الغرب لاكتساب عقلية يقينية كما يقول المفان إنما كل ما
في حاجة إليه أن نفوق الاتجاه نحو الغرب فتسكون العقلية اليقينية أخذت
طريقها إلى الشرق .

٩ - الرد الختامي لفيلسوف فارس

درج^(١) الكتاب على تقرير عقلية للشرق وأخرى للغرب ، ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا مقررًا طريفة كل من هاتين العقلين ، وأن الوحدة منهما لا تتجلى إلا الظاهر الظاهري ولا تتلون إلا بلون خاص . وهم يقياسهم الظاهر المنكسرة لهذه الماهيات قد طبقوا هذا القياس نفسه على الشعوب ففاضلت بسبب ذلك .

وهذه أن عقلية العرب العلمية ترجع للغرب لأنهم أخذوا أصولها من فلاسفة اليونان . أما روحانياتهم فهي للشرق لأن الشرق منبع الأدباني وكل ما فيها روحاني الطبيعة والظهور .

وسبب هذا التباين الذي اعتبره أساسيا : أن العقلية الشرقية ابتدأت بالاعتقاد بالخالق ثم انتهت بالطبيعة والعقلية الغربية بدأت بالطبيعة وانتهت في الخالق .

وانتهى^(٢) الكتاب إلى أن الجانب العلمي من الثقافة الإسلامية طيبة الأخذ بأساليب الفكر اليوناني ولذا لا يكون هذا الجانب نتيجة للأخذ بأساليب الدين الإسلامي ونماذجه .

« الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ربما ما خلقت هذا بأعلا »

[ثم عرض آيات القرآن التي لم تدخل عن طريق الملاحظة بل من طريق العقل] ألا تعتبر هذه الدعوة أساسا علميا لأن استعمال العقل في التفكير في مخلوقات الله هو الأسلوب العلمي بعبارة :

(١) الرسالة - ١٧ أكتوبر ١٩٣٨ .

(٢) الرسالة - ٢٤ أكتوبر ١٩٣٨ .

أنه يكون الهوفان أصحاب الفضل في ذلك فيأخذ عنهم فلاسفة المسلمين هذا الجانب الملمى أم يكون الدين الإسلامي هو الأصل الأول .

يقول آدم (إن شارل مارتل أخذ العقيدة الغربية من العقيدة الشرقية حين كانت تنزو أوروبا على يد العرب) .

لو قال هذا السلام أحد من الغرب لعذرناه فطبيعة الإنسان كثيراً ما تناط نفسها فتسخر الفضل على مستحقه .

حقيقة صد شارل مارتل تيار العرب فترى ماذا منع عن أوروبا . منع روح النسل ، والعرب لم يعرفوا بذلك لاق الشوق ولا في الغرب أم أنه صد عن أوروبا سبعة قرون من عذائب الفكر والعلم والثقافة ؟ وهذا ما أقر به علماء الغرب ومؤرخوهم قبل أن يسكروه أحد من الشوق والغرب .

سواء مؤرخي النهضة الأوروبية وأستفوا عن أثر الأندلس في تلك النهضة ، ألم تسكن جامعاتها وحققاتها قبلة لطلاب من كل ركن من أوروبا ، فلماذا تأثروا بالعلم ولم يثأروا بالنسل ؟ أنه يكون مارتل بعد هذا قد أخذ العقيدة الجورمانية وهي كما يعلمها طلبة التاريخ من العقيدة الشرقية يأتي بها العرب أم يكون مارتل قد أخذ الجاهل من العلم فثروا^(١) .

(١) استمرت هذه الحركة على صفحات الرسالة من يونيو ١٩٣٨ إلى أكتوبر ١٩٣٨

هذه حركة تأمل سرخا التفاضل العربية والاجلورية ومصرعة بين زعمي القوميين
 في مصر : تأمل عندنا اهل اهلون اهلون كتابنا من "محول" "نقد" "البلاد" في
 الاجلورية وظل في رأيه : ان اهلون اهلون من اصابت الاجلورية للقرنة في القدم
 اهلون في طريقة الممارات والتحدث من حيث الجيوب والاضلاع والافان والقرنة والاشارة
 والاول والاني يفر الظاهر والغير النكت في عين من اللسان الكسويين بامانة
 الاجلورية والرجل من حيث هو رجل : وده المذكورة طالع : ان اهلون اهلون اهلون
 الاجلورية يتوهم شوق والعرفان ان اهلون اهلون في شوق وعصره : نقاب هذا السلام وان
 الاجلورية ابراه عدا اهلون به وان اهلون طالع الاجلورية والاني والاهل
 ان هذه الحركة تأمل في موضوع اهلون اهلون العربية والاجلورية في مصر .

لا بأس أن نطلق حكماً عاماً على مدرستين كبيرتين ضمن مدارس التقديس الأدبي الحديث في البلاد العربية وعماد مدرسة الاثنين وشعارها هذا (الأناقة) ومدرسة السكسون وشعارها هذا (البساطة) أو (الظفرة) .

تترأى النافذة الفرنسية فكأنها تعطينى أمساكاً طريفاً بأوروبا يقدم وجلا من معارضة إلى الصالحين أو جماعة من جماعات الأقلية ، فهو في وضعه لهم يهزمهم فيهم (العربية) ولا يبنى كثيرًا بغيره فيهمه للغة أو هو بغيرهم فيهمه على حساب الأرواح والراسم الجارية ولا ينفذ إلى ما وراء ذلك من تعقيم أخلاقي الحق لا يبنى بها في العجاس والعلاقات الاجتماعية .

(١) عباس محمود العقاد : الجهاد ، ١٩٣٣ - يناير ١٩٣٣ .

وقد يرمى إلى حبيب من حيويه لتسكون الذموة تسكنة مستطعة أو ممرضا
لقبلة التمير والتورية البليغة أو ليكون الدفام عفا براعة في الحماسة والتعريض.
وإنك لتقرأ القاعد السكسونى نكأنا تنفيل أمامك دليلا يرشدك إلى
رجل يدنو أن تعامله وتطلع على جميع شأنه أو يرشدك إليه وهو على سجيته
كما يكون الإنسان في قافلة السفر أو بين خامة أهله أو مفردا يقفده . ثم
يأتى بعد ذلك خصاله الإنسانية التي تنطوى على مفاخره وشاراته .

وقس على ذلك أبطال الترفيقين في القصص والروايات ، فبطل الرواية
الفرنسية دائما عضو في جميع ثمرة بهذه الشارة قبل أن تعرفه بصقة أخرى
وبطل الرواية السكسونية هو دائما (رجل) قبل كل شيء ، أو امرأة قبل كل
شيء ، رجل تعرفه بلبائمه وأخلاقه قبل أن تعرفه بوطائه وشاراته .

عفت في هذه النواظر وأنا أقرأ الرسالة الطويلة التي دمجها السكتاب الأسمى
الأستاذ أنطون الجليل عن « شوقى شاعر الأمراء » .

فإن الأستاذ الجليل أحسن مثال لمدرسة اللاتينية بين أدباء العربية ولاسيا
في العهد الذي تلقى فيه دروسه وأستعمل حياته الأدبية .

فالأستاذ الجليل يقدم لنا الشاعر في هذه الرسالة كما يقدم الترفيف الباريسى
صاحبه إلى جماعة الصالون : بمجالة اجتماعية في كل سطر من السطور ، فإن
كان لا بد من غمرة فمى الغمزة التي تعود في ثقافا السكلام تسكنة مستطعة .

ولم يمن للسكتاب الأريب بدرس شوقى عنائه بمرض القواعد والشارات
التي تفصل بشوق ومقاصد شعره . فتشوق في هذه الرسالة موضوع تدور حوله
القواعد والآراء . وليس بالإنسان مقصود لذاته من وراء النقد والعرف واللعطاعات .

• • •

... وفي الرسالة ولا ريب ملاحظات صائبة وآراء رفيعة وإشارات عن

ذوق ومعرفة وأقوال يتفق عليها القراء، ولكنها لا تسمى كلها باب الصائون إلى ساحة القطرة المظلمة، فالرسالة تعرفنا شوقي في حمة الماء أو في لباس السوارية، أما شوقي الذي خلقه الله فربما زادنا جهلاء، أن ننظر إلى تحفاته في كلام الأستاذ الجليل.

٢ — (طه حسين) لائيتيون وسكسونيون^(١) :

أراد العقاد أن ينقد كتاب الأستاذ أنطون الجليل في شوقي شاعر الأمراء. ولم أكن أشك في أن الأستاذ سيشتد على الكتاب ومؤلفه وعلى شوقي أيضاً فذهب الأستاذ في الأدب المصري معروف، وأقل ما يوصف به أنه بعيد كل البعد عن الإعجاب بشعر شوقي وعن الإنوار الذين يجيئون بهذا الشعر.

وقد أشارك الأستاذ في كثير جداً من آرائه في شوقي والمجيبين به ولكن الشيء الذي أخالف فيه الأستاذ أشد الخلاف، والذي أكتب من أجله هذا الفصل هو للخدمة التي يطلعها بين يدي نفسه. وعرض فيها لما سمعته قد اللاتنيين وقد السكسونيين.

وأحب ألا يتعجب الأستاذ العقاد إذا أصطلحت المراجعة في بسط رأيي في هذا الفصل فله يولفتي على أنه في حقيقة الأمر غير راض عن الكتاب ولا مؤمن ولكنها أراد أن يكون نقاداً محايداً ليتقاسمنا من اللاتنيين ما يسيبهم به من الحماسة واللباقة في النقد. لم يرد أن يهاجم الأستاذ أنطون الجليل بأن كتابه لا يرضيه من كل وجه لأنه حريص على مقدار ولو محدود

(١) الرسالة - أول فبراير ١٩٢٣.

(م ٩ اله لرك)

من المجاملة بين الزملاء ، ولم يرد أن يعيد على الناس حديثه في شوقي وشعره لأن شوقي قد مات منذ وقت قصير والنظم الاجتماعية تقضى بشيء من المجاملة للموتى . وهذين رزوا فيه أشهراً على قل تقدير . لم يرد هذا ولا ذلك ، ولم يكن يسقط على أن يهمل كتاب الأستاذ أنطون الجميل فضلاً عن أن يقرئه توطئة خالصاً لأن في هذا أو ذاك ظلاً لرأيه وكتبتنا لما يهتد أنه الحق فسلكت في تقديم هذه الطريقة الغربية التي لا تغلو من إلواء . أعتذر للأستاذ أنطون الجميل بثقافته اللاتينية وأخذه المذهب اللاتيني في النقد بما تورط فيه خطأ بين وحكم غير مستقيم على شعر شوقي . ولست أدري أظفر الأستاذ العقاد بأرضاء الأستاذ الجميل أم لم يظفر . أوفق إلى مجاملة شوقي والذين رزئوا فيه أم أخطأه هذا التوفيق .

لست أدري . ولكني أعلم علم اليقين أنه ظلم الثقافة اللاتينية وظلم النقد اللاتيني وظلم قراءة جميعا . وأن أرضاء الأستاذ أنطون الجميل أو مجاملته أهون على الأستاذ العقاد نفسه من ظلم العالم والادب والقراء جميعا .

.. فرغم أولاً أن اللاتينيين مذهباً في النقد وأن السكسونيين مذهباً آخر وأن هذين المذهبين يختلفان فيما بينهما أشد الاختلاف . وزعم بعد ذلك أن أحسن ما يعتاز به المذهب اللاتيني « الإبانة » وأحسن ما يعتاز به للمذهب السكسوني (البساطة) أو (القطرة) ونفس هذا بأنك إذا قرأت الناقد الفرنسي رأيت رجلاً أنيقاً لبقاً يقدم في أحد الصالونات كاتبه الذي يتقدم على الأوضاع الاجتماعية المألوفة مجالاً وتكلفاً . وقد يومس إيماناً خفيها إلى بعض الميوس . ولكن على سبيل الفكاهة أو على سبيل الحيلة في الناس الدفاع عن هذا الكتاب الذي يهتد أو الرجل الذي يقدمه إلى الصالون .

أما الناقد السكسوني فهو لا يحفل بالأوضاع الاجتماعية . وإنما يهجم

بك فوراً على الحياة القودية ، على الحقيقة الإنسانية . على الرجل من حيث هو رجل لا من حيث هو فرد في جماعة . ومعنى أن نقد اللاتيني سطحي مخالف لاصول العلم وأن نقد السيكيويين هو النقد الملقى الصحيح الذي نجد فيه الفائدة ونجد فيه العناء .

وأنا أحب أن يعترف الاستاذ العقاد إذا قلت له في صراحة آنى كنت أنتظر منه كل شئ . إلا التورط في هذا الخطأ الصارخ والقلم للبين ، فليس من الحق بوجه من الوجود أن الاختلاف بين النقاد اللاتين والسكسونيين عظيم إلى هذا الحد الذى بصورة الاستاذ . فليس هناك نقد لاتينى ونقد سكسونى وإنما هناك نقد فحسب ، قد يمتد على هذا الذوق الفن المالى الذى أحدثته الثقافة اليونانية اللاتينية وورثته عنها الأمم الحديثة على اختلاف أجناسها وبيئاتها . فشكل النقاد من الفرنسيين والإيطاليين والالمانيين والانجليز قد قرأوا آيات البيان اليونانى واللاتينى وذاقوا آيات الفن اليونانى والرومانى لأنفسهم أو كرت لهم هذه القراءة وقاما مشتركاً بينهم جميعاً يختلف في ظاهره ولكن لا يختلف في جوهره لأن الجوهر واحد يستمد من هوميروس ويقدار وسوفوكلى وأرسطوفان وأفلاطون .

عسير جداً أن يقال إذا أن هناك نقداً لاتينياً ونقداً سكسونياً وأن النقادين يختلفان في الجوهر والطبيعة ثم أعترف إلى الاستاذ بعد هذا من أنى لا أستطيع ولا أظن أن أحداً يستطيع أن يقره على رأيه في النقد اللاتينى بل أنا لا ألقى العجب من تورط الاستاذ في إعلان هذا الرأى الغريب . فليس من الحق أن هذا النقد يمتد على الأوضاع الاجتماعية ويهمل الإنسان من حيث هو إنسان .

هذا كلام لا يمكن أن يقبل . ألم يقرأ سانت يوف . أن قراءة فصل واحد لهذا الكاتب الذى ملا' الدنيا قدراً لأنه أنفق فى النقد صفوة حياته يفتح الاستفاد ومن هو أقل من الاستاذ إلاما بالادب والنقد بأن سانت يوف كان أبعد الناس عن أن يكون رجلاً من رجال الصلوات يتعم الكتاب والشراء إلى الناس فى إفاقة ولباقة وعرف ومجاملة .

أنا أحب ألا يظن الأستاذ العقاد أنى أدافع هنا عن الثقافة اللاتينية على حساب الثقافات الأخرى ، فأنا من أشد الناس إكباراً للثقافة السكسونية وإعجاباً بما عرفت منها ولكنى كنت وسأظل من أقل الناس حديثاً عنها وحسباً عليها .

والحق الذى لا غبار عليه فى هذه المسألة هو أن الأستاذ العقاد تمجيد وجمال فأخطأ الصواب وأقام أحسن دليل على أن التعميم فى الأحكام على الشعوب مزية للأقدام وسبيل إلى الظلم .

٣ — العقاد : نعم ؛ لاليتيون وسكسونيون

أتابع لما الدكتور طه حسين فرصة أخرى لسوق الأمثلة الطاهرة والمحسوسة على الفرق بين الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية على الأجمال ، وهذا التل الجديد هو الدكتور طه حسين نفسه ساعحة إليه .

فقد أقول اليوم فى ثقة أن الدكتور نو كان يدرس الأدب السكسونى كما يدرس الأدب اللاتينى لكتب مقاله (لاليتيون وسكسونيون) بأسلوب غير أسلوبه هناك .

فالدكتور ما كان يستطيع أن يزيد جرماً واحداً على ذلك التل نوأنى

قلت أن الثقافة اللاتينية خلاصة كل مزية وأن الثقافة السكسونية جامعة لكل الزايات أو لو أني قلت أن الامة اللاتينية أجديت وعشت فا أنتجت ثقافتها يؤخذ برأيه في نقد الكتاب والشعر ، وأن الأمم السكسونية استأثرت بالمعقوبة الأدبية فما نبغ في غيرها فاقده ولا شاعر ولا أديب . لأن الدكتور يسألني عن سانت بيك وأضرابه من نقاد فرنسا ، ما رأيي فيهم وما حكمي على طريقهم . ويستكثر على أن أجرد اللاتينية من ملكات الثقافة وفيهم أمثال هؤلاء الأعلام .

فالدكتور يقول (للاستاذ أن يدرس على مهل وفي إناة وروية من شاء من النقاد المحدثين في أي أمة من الأمم الأوروبية فسيرى أن هؤلاء النقاد جميعاً يعفقون في أن تقدم يقوم على هذين الأصلين اللذين أشرت إليهما وأما استعير عبارته فأقول أن هل الدكتور أن يدرس على مهل وفي إناة وروية سانت بيك وتين وناجيه وأنانول فرانس ولا متيه . فسيرى أن هؤلاء النقاد يبدون رأيي ويتفقون ما قرره .

أليس معنى هذا أن القواعد والراسيم الإجتماعية تناب على عبقرية اللاتين وأن بساطة الحياة العادية من أكلاف للراسم تغلب على عبقرية السكسون ، وأنه أي النقد اللاتيني — إذا التفت إلى (الخصائص الإنسانية الحية) فأعيا يلفت إليها تبعاً لتلك القواعد والراسيم الإجتماعية .

وحتى لم نعد إلى هذه التفرقة كما ظن صدقنا إيتنا الجامعة الأستاذ الجليل فقد سبقه إلى مثل هذه التفرقة في فصل استكثنتا إياه شركة لادوس قبل ثلاث سنوات ونشرته في كراساتها التي نعملها عن الشعوب الشرقية والتربية : فهذا لك تصفا أدبانياً إلى دارسين للثقافة اللاتينية ودارسين للثقافة

ثقافة السكسونية وقلنا أن الأولين أكثر بينهم مؤرخو الأدب والشارحين وأن الآخرين أكثر بينهم الأدباء والشعراء .

وصفة القول أن الدكتور طه أتاح لنا مثلاً جديداً يضاف إلى الأمثلة التي أجمعناها ههنا ولا ريب مزاج لا تيلي ومزاج سكسونى ومادام ليجسين مزاجان فهما في النقد والشعر مختلفان . وهناك إذن لاتيهيون وسكسونيون يظهران مختلفين في كل فروع الآداب والفنون .

٤ — (طه حسين) لاتيهيون وسكسونيون

لم أكن أحب أن تنتقل المناقشة بين الأستاذ العقاد وبينى من نقد اللاتينيين ونقد السكسونيين إلى الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية. وما كنت أحب أن أجارى الأستاذ العقاد في المفاضلة بين هاتين الثقافتين. ذلك أنى أحب الثقافتين جميعاً وأؤثرهما جميعاً وأريد أن أنتقف بهما جميعاً بل أريد أن أنتقف بكل ثقافة أستطيع أن أصل إليها أو أن أظفر منها بخط سواء كان ذلك عن طريق القراءة في النصوص الأولى أو من طريق القراءة في التراجم .

وليس الدافع عن الثقافة اللاتينية تمهيداً لثقافتهم اللاتينية أو تشكراً لثقافة السكسونيين ، وإنما هو العلم يدين أن يقر الأخطاء في تصانيفها وليس من الحق بحال من الأحوال أن نقد اللاتينيين كله أو أكثره أو نصفه أو ثلثه كما أراد العقاد أن يصوره ؛ وإنما النقد اللاتينى كان دائماً وما زال نقداً جدياً يقصد إلى طبيعة السكاتب أو الشاعر في بساطتها ويقصد إلى الرجل من حيث هو رجل وقد يضلّع في ذلك التألق والظرف ولكن ذلك ليس عيباً هو لا دائماً منه وإنما يعميه ذلك وينسى منه لو لم يكن في النقد اللاتينى إلا تألق وظرف ، فاما وفيه بحث وتحقيق فاما ونوه الناس لطبيعة السكاتب

والشاعر في بساطتها ، فقد يكون التأتق والظروف شيئاً لا بأس به ولا معنى للزهد منه .

وعجيب جداً من الاستاذ المقاد أن يكره الاعتراف بأن النقد الحديث كله يقوم رغم تطوره واختلاف المذاهب الحديثة فيه على الثقافة الايوبية اليونانية واللاتينية . إن العقل الاوربي كله مهما تمكن بيئته ومهما تمكن جسمية أصحابه ومهما يكن حظه من التطور ولابد العقل اليوناني الروماني سواء رضيئاً أم كرهها .

من الذي يستطيع أن يوافق الاستاذ المقاد على أن النقد لا يمكن أن يكون علماً يذكر قبل أن يوجد علم النفس الحديث ، أما أنا فلا أعرف أن النقد علم وأنجب له أن يكون علماً ، وإنما أرى أن يكون النقد مزاجاً من العلم والفن وهو على هذا النحو قد وجد منذ عهد بعيد .

أريد أن أعاتب الاستاذ المقاد عتاباً رقيقاً ، فقد زعم الاستاذ أن سانت يوف لا يشهد لمذهبي في عهد اللاتينيين . وإنما يشهد لمذهب الاستاذ لأن ما في سانت يوف من مزاجاً راجع إلى تأثير الثقافة السكسونية والقدم السكسوني ذلك أن أم سانت من أصل إنجليزي ، وأنه كان يؤثر الشعر الانجليزي على الشعر الفرنسي في بعض النسول .

أما أن سانت يوف كان يؤثر الشعر الانجليزي على الشعر الفرنسي فذلك شيء مشكوك فيه جداً لأن سانت يوف لم يكن يؤثر شيئاً أو قل كان يؤثر كل شيء . أو قل إن أردت التحقق أن أخص ما يمتاز به هذا الناقد العظيم أنه كان شاكاً مسرعاً في الشك بقر اليوم شيئاً ويعدل عنه غداً ويجوز أن يرجع إليه بعد غد لحب سانت يوف لشعر الانجليز إن صح ، لا يجعله

مدينة بأدبه للإنجليز وإن يكون تأثير الثقافة الإنجليزية في سانت بوف أكبر من تأثير الثقافة الفرنسية فيه .

أما أن أم الداهد العظيم كانت من أهل إنجلزى فالاستاذ يبالغ في تقييده فقد كانت أم سانت بوف نصف إنجليزية ، ذلك أن أباما كان محاربا فرنسيا وأن أمها كانت إنجليزية .

من^(١) المقاد إلى طه

ألا شعر الدكتور أن دينه للأدب السكسونى أكبر من دينه لأدب اللاتينيين في كتابه (في العصف) وفي كتاب الأيام . أليس الدكتور متأثرا بمجى حتى في فلسفة ليجنز التي أشار إليها وحتى في التفاته الخاص إلى شنف أيقه نسكفيسة ستراسبورج التي كان لها في حياة جيى أثر بالغ ؟ أليست طريقة الفصول الخطائية هي طريقة الرسائل الفرنسية .

فهل ترى الدكتور على إستعداد لأن يرد إلى السكسون ما أخذ منهم عنا مسكتنيا بما أخذ من اللاتينين ، أنه ليحسر ولا يريح هذه المسقة بلا مرأه .

(١) ٦٤ فبراير ١٩٣٣ الجهاد .

النزعة اليونانية بين زكي مبارك وطه حسين

على الدكتور طه حسين لواء الدعوة إلى « النزعة اليونانية » وقال أن الناس في الشرق والغرب وفي جميع الأجيال مدمنون الثقافة اليونان « - وقال أيضا قال « إن عقلية مصر عقلية يونانية » وقال عام ١٩٢٤ في مقال بعنوان « بين الشرق والغرب » اعتقد وأن أن خيرنا من مؤرخي الفلسفة الحديثين هؤلاء أيضا أنه لم يكن الشرق في تكوين الثقافة اليونانية والعقل اليوناني والديسرة اليونانية تأثيراً يذكر وإنما كان تأثير الشرق في اليونان تأثيراً محلياً مادياً ليس غير ... وهو بهذا يتكرر نفس الأثر العصري القديم ويجعل الثقافة العربية تابعة للثقافة اليونان متأثرة بها وقد أورد طه حسين هذا الرأي في كتابه « أدب الفكر » ١٩٢٦ ثم عاد وورده في مقالاته بالجلد (٣٩) ثم توسع فيه في كتابه مستقبل الثقافة .

وقد أتى هذا الرأي مدعومة من كثير من الكتاب بأشكال شكيب أرسلان وزكي مبارك.

طه حسين بين الشرق والغرب

عام ٣٣ الفلال

يجب أن نلاحظ أن العقل الإنساني ظهر في العصر القديم بمظهرين مختلفين أحدهما يوناني خالص هو الذي انتصر وهو الذي سيطر على الحياة الإنسانية إلى اليوم وإلى آخر الدهر ، والآخر شرقي أنهبم موات أمام الظهور اليوناني وهو الآن يلقى السلاح ويسلم للمناير اليوناني تسليمًا تامًا .

بينما نجد العقل اليوناني يسلك في فهم الطبيعة وتفسيرها هذا المسلك الفلسفي الخصب الذي نشأت عنه فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس ثم فلسفة ديسكاوت وكانت وكوبنر وهيجل وسبنسر نجد العقل الشرقي يذهب مذنباً دينياً خالصاً في فهم الطبيعة وتفسيرها فلم يستطع العقل الشرقي أن يظهر شخصية فلسفية قوية في فهم العالم وتفسيره وإنما خضع للسكان في عصوره الأولى وللإلهات المساوية في عصوره الراقية .

وهناك شيء آخر يجعله عنده اليونان ولا نجد في الشرق ، وهو هذا التطور السياسي المذهب الذي أحدث النظام السياسية المختلفة في المدن اليونانية من ملكية وجمهورية أرستقراطية وديمقراطية معتدلة أو متطرفة والذي لا يزال أثره قويا في أوروبا إلى اليوم : وإلى آخر الدهر والذي أخذ الشرق يتأثر في نظامه السياسية أيضا ، وبينما كانت المدن اليونانية تخضع لهذا التطور القريب الذي حقق حرية الأفراد والجماعات والذي أقتصر حتى أصبح للثقل الأهل للحياة الحديثة في الشرق والغرب ، وكان الشرق خاضعا لنظام سياسي واحد لم يتغير ولم يتبدل هو نظام الملكية المطلقة للسيادة التي تختد فيه الجماعات والأفراد كل حظ من الحرية .

٢ - مله حسين : في العقل العربي الحديث^(١)

الشيء الذي لا أشك فيه وما أظن أحدا يشك فيه هو أن لونا من أولان العقل قد ظهر في عصر من عصور التاريخ القديم في بلاد اليونان وتجاوز حدود هذه البلاد في بعض الأوقات حتى كان الإسكندر المقدوني يخرج بهذا العقل فاتحا للشرق القريب والبعيد ، محاولا أن يقره فيه ويبسط سلطانه عليه ، ونجح الإسكندر نجاحا عظيما في مهمته هذه بالنهاس إلى الشرق القريب بقوع خاص وقد استطاع العقل اليوناني أن يستقر في هذا الشرق ويمارح نفوس أهل حتى يصبح جزءا منها ، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا العقل مقياس الحضارة في أي أمة من الأمم الشرقية القريبة كما أصبح مقياس الحضارة في الأمم القريبة نفسها فالأمة متحضرة راقية إذا أخذت بتراث العقل اليوناني وشاركت فيه وأضافت إليه . والأمة غير متحضرة أو غير مشاركة في الحضارة الإنسانية للمقارنة

(١) الخلال : العدد الخامس من الإسلام (مجلد ١٩٣٩) .

إذا أعرضت عن هذا التراث لم تأخذه ولم تلفت إليه ولم تبعه أصلا من أصول حياتها القوية لها . وما من شك في أن هذا العقل قد كان مقياسا لحضارة الأمة العربية بعد أن هدت إلى الإسلام وقال التاريخ أنها بلغت أرقى ما استطاعت أن تبلغ من الحضارة الراقية المزهرة أيام بني العباس حين عرفت فلسفة اليونان وعقيدتهم وفنونهم الرنيح وفنونهم التطبيقية أيضا . وحين شاركت في هذا كله فننه وأسألت إليه .

ثم قال التاريخ أنها أخفت نخاس من هذا الجود والهمود وتسترد حظها في الحياة والنشاط ونياحة الذكر في هذا العصر الحديث لأنها أنصت بهذا التراث العقل القديم الذي أهدته إلى أوروبا وأعرضت عنه وقتا ما .

* * *

سألت نفسي إذن عن نشأة العقل العربي الإسلامي الذي ملا الأرض في بعض عصور التاريخ علما وأدبا وفلسفة وفنا فأريت — وأظن أن القارئين كلهم يرون كما رأيت — إن هذا العقل إنما نشأ ونما وأنتج حين أنصت الأمة العربية بعد الفتح بالأمم الأجنبية الأخرى وحين أعطتها وأخذت منها . أعطتها دنيا ولغة وأدبا . وأخذت منها علما وفلسفة وفنا وسياسة وإدارة وتديرا . ونشأ عن هذا الاخذ والقتاء مزاج خاص ، هو هذا العقل العربي الذي نراه نيا نقرأ من آثار أدباثنا وعلماثنا وفلاسفتنا .

مهما يكن من شيء فالعقل العربي الإسلامي إنما نما وأثمر وأنتج حين أنصت بالعقل اليوناني بل حين إمتزج بل حيث أساغه وتقبله وجعله مقوما لنفسه ومتممها لحياته .

رد الدكتور زكي مبارك^(١)

- ١ -

سأير الدكتور طه الباحثين الأوروبيين في القول بأن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافة الإنسانية وأن الناس في الشرق والغرب وفي جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان .

والحق أن الدكتور عذراً في هذه المسامرة فقد قرأ كتباً ترى هذا الرأي ، ولو أنه تربت لعرف أن هناك كتباً أجدر من تلك الكتب بالتشخيص . وهي التي ترى أن المعارف اليونانية مقبولة من المعارف المصرية ، وأن فلاسفة اليونان لم يكونوا إلا تلاميذ للفلاسفة مصر القدماء .

وانا لا أسوق هذه للزائفة تعصبا لبلادي ، فالإيونانيون أنفسهم يترقبون بأنهم تلاميذ للصوبين وكانت زيادة مصر واجبة على كل يوناني يوبد النفقة في أسرار الوجود ، أسدافية مصر الفرعونية الوثنية ليست أسطورة من الأساطير بل هي حقيقة من الحقائق وأن اراد الدكتور طه أن يساجلني فأنا حاضر لتسجيل وقد سجل في كتابه مستقبل الثقافة : أن عقلية مصر عقلية يونانية وأنه لا بد من أن تعود مصر إلى استعاضة فلاسفة اليونان .

والواقع أن إيمان الدكتور طه حسين بهذا الرأي يرجع إلى تاريخ قديم ففي نوفمبر ١٩١٩ قدم ثروت باشا الدكتور طه حسين إلى الجوهري في قاعة المحاضرات بالجامة المصرية فالتقى المحاضرة الأولى وقال في هذه المحاضرة : أنه

(١) الرسالة - ١٠٠ نوفمبر ١٩٤٣ .

هزم على إحياء التراث اليوناني لأنه يؤمن إيماناً جازماً بأن مرجع الفكر في الشرق والغرب إلى القدماء من مفكرى اليونان » .

٢ — زعموا أن الدكتور يعرف بظهور الحضارة الشرقية القديمة التي لا زال تهيمننا حتى الآن قبل أن تكون الحضارة اليونانية شيئاً مذكوراً ، وزعموا أن الدكتور لا ينسكو أن الأمة اليونانية من غير شك تأثرت بالحضارات الشرقية المختلفة وادخلت من الساميين في آسيا وعن المصريين في أفريقيا أشياء كثيرة مختلفة .

• يقول الدكتور « نعتقد ونظن أن غربنا من مؤرخي الفلسفة المحدثين يعتقد أنه لم يكن للشرق في تكوين الفلسفة اليونانية والعقل اليوناني والمهاسة اليونانية تأثير يذكر إنما كان تأثير الشرق في اليونان تأثيراً مادياً عالياً ليس غير .

فقد أخذ اليونان الشرقيين أشياء كثيرة ولسكنها عملية مادية — أخذوا عنهم شيئاً من الموسيقى وتعلموا منهم فنونا عملية كالخسابة والهندسة ولكنهم لم يأخذوا عنهم شيئاً عقلياً يذكر (ص ٤٦ — ٤٧) وأن قيادة الفكر اليوناني كان قوامها الشعر والفلسفة .

قول : كيف عرف اليونان الفلسفة .

هل عرف اليونان الفلسفة والشعر عقواً . أم أنهم نقلوها من الأمم التي استعصروها ، فإنه لما ضاقت الأرض اليونانية بأهلها ذرعا لم يجد اليونان أمامهم إلا الهجرة أو الاستعمار فانتشروا في مختلف أقطارها كآسيا وأفريقيا وإيطاليا وصقلية وإسبانيا وفرنسا .

ولا أخال الدكتور يناقضنا إذا قلنا أن جميع الاقطار العربية التي

استعمرها اليونان في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وصقلية في تلك المصور لم يكن بها حضارة أو مدنية . وإنما كان الجهل فيها طبقات بعضها قوى بعض . وتريد أن فصل من هذا إلى حقيقة واضحة هي أن اليونان لم يأخذوا عن أهل هذا الاقطار القريبة شيئاً من الحضارة أو المدنية .

والذي لا شك فيه أن العقل اليوناني ارتقى وتطور عندما عرف اليونان الهجرة والحروب والاستعمار . والحقيقة المرة القريب أن يترف بها الدكتور هو أنه لو لم يكن الشرق وحضارته وقنونه لما ارتقى العقل اليوناني ولما انتقلت مقارة الفكر من الشمر إلى الفلسفة .

* * *

• قال الدكتور : أن اليونان لم يأخذوا عن الشرقيين إلا أشياء عملية مادية ليس غير ، أخذوا عنهم شيئاً من الموسيقى ونقلوا عنهم فنوناً عملية كالخساب والمهندسة .

أما نحن فنجاهر بأن الدكتور أخطأ في زعمه .

فما معنى أن اليونان أخذوا عن مصر فناً عملياً كالموسيقا . أليست للموسيقا فناً من الفنون الجميلة .

• ويقول الدكتور : قلن كان البابليون قد رصدوا النجوم ووصلوا من ذلك إلى نتائج قيمة في علم الفلك فهم لم يضمنوا علم الفلك وإنما هذا العلم يوناني لم ينشأ من النتائج البابلية وإنما نشأ عن البحث اليوناني (ص ٤٧) .

والحقيقة أن البابليين عرفوا علم الفلك قبل أن يعرف اليونان هذا العلم وماهيته . وعلم الفلك الذي توصل إليه البابليون هو الذي تدرسه اليوم في جوهرة وأصوله .

* ينسكركم الدكتور نبوغ الشرقى من الفاحية الفلسفية المنكازاً باننا بكل ما فى السكلمة من معنى . ولا أدرى هل سبب هذا هو أن الدكتور غير علم بالأصول الفلسفية الصفة أم هو ملم بها غير أنه لم يقو بعد على تحليل هذه الأصول تحليلًا صحيحًا وتفهيمها فهما جيدًا .

ونظرة بسيطة إلى الشرق قبل أن يولد مترابط وأغلاطون ، بل قبل أن يعرف شيئا عن اليونان جميعها نجد فن التحليل ولا أراى محتاجا إلى أن أقول لم حفظ القدماء فى مصر بحث موتاهم .

فهل هناك شك أن هذه العقيدة التى كان يؤمن بها المصريون القدماء وهى خلود النفس نتيجة بحث فلسفى قيم . الحق أن الفلسفة ظهرت فى مصر قبل ظهورها فى بلاد اليونان بمئات السنين غير أن سوء الحظ الذى سادها اليوم . هو الذى أخفى هذه الحقيقة .

تسأل ذكرى مبارك^(١) ما الموجب لإثارة هذه الشككة وأجابه :

الموجب هو إصرار الدكتور طه على القول بأن مرجع الفسكركم الشرقى والغرب إلى القدماء من مفسكركم اليونان وحرصه على إثبات هذا القول فى الكتاب المقرر لمناهضة الأذهب العربى ، وكان قبل ذلك مقررا للمعالجة فى المدارس الثانوية .

يضاف إلى هذا أن الدكتور طه . « جعل » القيمة الفعلية من حظ الغرب وجعل اليوارق الخيالية من حظ الشرق وانتهى إلى القس بأن الغرب وطن الفلاسفة وأن الشرق وطن الأنبياء .

ما حظ الدكتور طه في أن يقرر أن العقل الشرقي إنهم أمام العقل اليوناني مرات في التاريخ القديم وأنه اتى السلاخ في التاريخ الحديث .
ما الغرض من الإصرار على أن العقل الشرقي يذهب في فهم الطبيعة وتفسيرها
مذهباً دينياً قائماً بدليل أنه خضع للسكان في عبوره الأولى وخضع للسلطات
المهادية في صوره الواقعية .

لايد من تفض هذه الآراء قبل أن يقرن بها التلاميذ لأنها مسجلة في
كتاب رقم عليه اسم وزارة المعارف العمومية .

• السكان :

والظاهر أن الدكتور طه يقوم أن السكينة ظاهرة شرقية لا غربية
وذلك ترم طريف لأن الدكتور طه نفسه يشهد بأن سقراط قد استلهم
السكن من أنه في زعم الدكتور طه أول محرر للعقل الإنساني من أغلال
الأضاليل وأقول بمباراة صريحة أن السكينة لم تعبر مينة مقدسة إلا في عبود
الوثنية اليونانية فقد كانت لها معابد وكان لمعابدها سدنة وأمناء . وكان
المصير اسكل معضلة فردية قومية رعيها يرى (الضوت المتفكر) في زوايا
الظلام للفسور فوق معابد اليونان .

أما سكان الشرق فقد كان مركزهم في المجتمع أيسر وأخف ، لأن
الشرق سبق الغرب إلى استيعاب العقل ، وهل يستطيع مكابر أن ينسك فضل
الشرق في السبق إلى رفع التواعد عن الحضارة الإنسانية .

• تفرد الشرق بالأنبياء :

وأقول إن العجوات في الشرق دانت الإنسانية بديون يراها الحاضر
ويذكرها التاريخ .

إن الشرق لن يتغلب على السيطرة الرومية وإن عجز عن السيطرة للندية
ولن يوهن من قوة الشرق أن يقرأ اغاؤه كلاماً مقولاً عن أحد الأجانب
ولو كان العاقل على حنين.

وقال الدكتور زكي مبارك^(١) تحت عنوان « نزعة تعجيد اليونان »
أن العرب لا يزالون أقوياء بحسب شرم ، وذكواتهم الأدبية والمطبعة
والقشرية مقرونة بالإسلام وكل إحياء للذكوات العرب خلق بأن يثير
الزهو والكبرياء في نفوس الأمم الإسلامية وهم يعرفون ما صنعت تلك الأمم
في الألفاظ الخوالي ، وأثار العرب ترجع في صميمها إلى التشريع وهو من اللغات
الجافة التي لا يقبل عليها غير أهل الجند من كبار الباحثين ، ولا كذلك أثار
اليونان فإن معظمها يرجع في جوهره إلى الأدب العريق الذي يهيج الأهواء
ويثير الشهوات حتى ليسكن أن يقال أن جميع الشهوات والذات الجنسية
أخذها الأوروبيون عن اليونان ، ولذلك يعجد الغرب ذكوات اليونان
ولا يعجد ذكوات العرب .

ويقول زكي مبارك^(٢) : يرى الدكتور أنه أن الأدب الذي يحتل المركز
الأول في الآداب القديمة هو الأدب اليوناني ثم يبعث الأدب العربي .

ككتب مأمون حلي هيد الطيف يقول :

إذا كان كل هذا حق فمن هو الفيلسوف الأول الفرموني الذي أنهت غلود هلس قبل
أن تولد الأمة اليونانية ، أم سقراط الذي جاء نفسه هذه النظرية قبل الميلاد بأقل من
أربعة قرون .

(١) الرسالة : مجلد ١٩٣١ .

(٢) البلاغ : ١١ نوفمبر ١٩٣٢ .

ويقول هناك ، إن من الحاملة المهددة أن يعان الدكتور طه أن الأدب العربي أقوى من الأدب القارص واللاتيني .

وإذا كان الأدب اليوناني في المسكان الأول فإن الأدب العربي في المسكان الأول أيضا . الأدب اليوناني له للسكان الأول من الناحية القصصية والتمثيلية وأنه في هذا الباب يمتاز امتيازاً صريحاً لا يقبل الجدل ولا النزاع .

والأدب العربي له المسكان الأول من الناحية الدينية ، فإن البلاغة الدينية باب مهم من أبواب البلاغات في الأدب القديم والحديث ، فقد شغل ثلاثمائة مليون في العالم شغلا موصولا بأروع أثر في البلاغة الدينية مثلا في القرآن وعندنا أدب الصوفية .

أستطيع باحث أن يزعم أن اليونان عديم هذا الصفاء في الجوانب الروحية أما الأدب والعرب فقد سكبت عنه الأوروبيون عامدين ، لأنه يمثل الحضارة الإسلامية وهي حضارة كانت تبنى أوروبا هدمها منذ أزمان ، ولأنه من جهة ثانية مصبوغ في أكثر موضوعاته بسينة الجند الرصين ، وأوروبا عفت بما في الأدب اليوناني من نثر وطيش وخلاعة ومجون ، بدليل أن أكبر شاعر شرقي وأج أدبه في أوروبا هو عمر بن المهام لأنه شاعر اللغة والفن والارتياح ويضاف إلى هذا أن بقعة أوروبا الحديثة اتفق وجودها في أزمان كانت فيها الأمة العربية مكدودة إلى مهوى الضعف والخورق فلم تستطع أن تقدم ادبها إلى العالم القديم تقديمًا سقا يقدر ما كان له من روعة وجلال .

[رأى رشيد رضا] :

وقدما يتصل بالفرقة اليونانية ما كتبه إبراهيم الممرى في تفضيل الشعر

اليوناني على الشعر العربي وقد كتب رشيد رضا^(١) في الرد عليه . قال :

أما شعر الإغريق الذي يفضلُه الجدد لإبراهيم المصري على الشعر العربي
ويقتضي على العرب يذمُّه له وترك الاقتباس من معانيه كما اقتبسوا من فنون
اليونان وفلسفتها - فقد كفا نفعه قبل أن يترجم لنا سايان أفندي البستاني
« الإلياذة » وكفا نبيح لافسنا الحكم عليه ، فلما أطلقنا على « الإلياذة »
وهي أعلى شعر الإغريق ومفردتهم التاريخية حكمنا بأن أجدادنا لم يبدؤوا
شعرهم وراء ظهورهم ، إلا لأنهم وجدوه دون الشعر العربي في حكمة وماتر
معانيه وأنه على ذلك عشتوا بالخرافات الوثنية التي طهر الله عقولهم وغفلاتهم
وملأها بالإسلام .

(١) المجلد ١٠ ص ٢٤٧ (أبريل ١٩٢٦) .

٥ - كتابه السيرة بين التاريخ والأسطورة

بين هيكل وطه

بدأ تحول في التفكير العربي للناس في مصر بدء عام ١٩٢٩ حيث قام الدكتور هيكل بكتابة فصول من حياة الرسول تحت عنوان «حياة محمد» مترجمة عن كتاب مؤلف فرنسي هو لابل هر منجم ولم تلبث أن صدرت بوجه الرسالة وبها فصول الدكتور طه تحت عنوان «على هامش السيرة» ثم صدرت هذه الفصول في كتاب بهذا العنوان وقد أثارت كتابته حسين من الاسلام والبيعة دائرة المجهدين والمخالفين على السواء .

وكان الرأي أن طه حين أراد أن يملأ الجاهل بعد أن حصل بالزهد وترك حزب الأحرار الدستوريين ومن فيه حزب الاتحاد الذي أنشأه أثناء مؤاد .

وقال آخرون أنه أراد أن يسلك إلى دعوة «التفريب» سبيلا جديدة مختلفاً من سبيل «العصر الجاهل» ولكنه يهدف إلى نفس الغرض .

وكان كتاب هامش السيرة موضع سبيل وجدل : تورد هنا منها رأيين : رأي هيكل ورأي طه عن محمد :

وجبه ما قيل : أن طه حين بهذا الكتاب قد تحول من القاد الأدي إلى أحياء الأساطير

[طه حسين : مقدمة هامش السيرة] :

أنا أعلم أن قوماً سيضيعون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ، ولا يثقون إلا به ، ولا يطمئنون إلا إليه . وهم لذلك يضيعون بكثير من الأخبار والأحداث التي لا يسميها العقل ولا يرضاها ، وهم يشكون ويلحدون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار ، هؤلاء سيضيعون بهذا الكتاب بعض الشيء . لأنهم سيفهمون فيه طائفة من هذه الأخبار والأحداث التي تصبوا أنفسهم عليها وهوها من نفوس الناس ، وأحب أن يعلم هؤلاء أن العقل ليس كل شيء ، وأن الناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة إلى النفاذ والرضا من العقل .

وأن هذه الأخبار والأحداث إذا لم يلمسن إليها العقل ولم يرضها اللطق ولم تستقر لها أساليب التفكير العلى فإن في قلوب الناس وشعورهم ومواقفهم وخيالهم وميلهم إلى السذاجة وإستراحتهم إليها من جهد الحياة وعناشها ما يحجب إليهم هذه الأخبار ويرغمهم فيها ويدفعهم إلى أن يلتصقوا عندها العرفية على الناس حين تشق عليهم الحياة .

أحب أن يعلم الناس أنى وسمت على نفسى فى القصص ، ومتعتها من الحوبة فى رواية الأخبار وأختراع الحديث ما لم أجده بأساً ، إلا حين تصل الأحداث والأخبار بشخص النهى أو ينحو من الدين .

[هينكل : ملحق السياسة^(١)] :

« . . . طه ، إنما سلك فى هامش السيرة طريق كتاب العرب من يتعدون عن الأساطير القديمة بنشرونها رزيفونها ، وطه إنما قصد إلى إحياء أدب الأساطير حين أسل هذا الكتاب أو حين دفع إلى ذلك دفعا وأكرم عليه أكراما إذ رأى نفسه يقرأ السيرة تفتق بها نفسه ويغيب بها قلبه ويطلق بها لسانه .

وهذه القصول لم تسكتب لذلك فعلاء ، ومؤرخين : ولم يرد المؤلف بها إلى العلم ولا قصد بها إلى التاريخ ، إنما أراد إحياء الادب القديم وإحياء ذكر العرب الاولين ولئن لم يلمس العقل إلى إخبارهم وأحداثهم ولم يرضها اللطق :

وهى أن تسكن أساطير يضيق بها العقل وبأياها للطق فليس العقل فى الادب كل شئ ، وليس العقل فى الحياة كل شئ . . . ذلك كله بقوله طه فى

(١) ديسمبر سنة ١٩٢٢ .

مقدمة هذا الكتاب وهو يشير إلى أنه وضعه نموذجاً للشباب في استغلال
الطاقة العربية الأولى وإتخاذها موضوعاً خصباً للإنتاج في الأدب الإنشائي
الخالص .

وأمل طه قد رأى واجباً أن يقدم لكتابه بهذا التعدييد للغاية منه
لمسبون : أولها : ما ذكره في المقدمة من أن قوماً سيضيعون بكتابه لأنهم
يكبرون العقل ولا يتفكرون إلا به ولا يهتمون إلى إياه .

والسبب الآخر : لم يذكره هو المقدمة لأنه سبب يتعلق بشخصه فهو إلى
حين وضع كتابه هذا كان من أولئك الذين يكبرون العقل ولا يتفكرون إلا به،
فهذا الكتاب تطور عظيم في نفسه طه وفي نظراته إحياء . تطور صارخ
صارخ يكفي لتبينه أن قرأ ما مقدمتين : مقدمة « على هامش السيرة »
ومقدمة « في الأدب الجاهلي » .

ولا تقل أن المقارنة غير ممكنة بين كتاب (في الأدب الجاهلي) وهو
كتاب يفتد به إلى غرض التعقيق العلمي الدقيق وكتاب (على هامش السيرة)
وهو كتاب في الأدب الإنشائي لم يكتب للمعلم ولا للتاريخ ، فقد مر طه في
فترة ما بين ظهور هذين الكتابين بالافتقار من العلم إلى الأدب ، كان مظهره
كتاباه : الأيام وفي الصوف .

وهو في هذه الفترة قد كتب مقالات أدبية كثيرة نشرتها الصحافة
ونشرتها الرسالة ونشرتها السكوكب وما أنتج طه من ذلك لا اتصال بينه
وبين الأساطير مما يروع طه في تدوينه وتزيينه في (على هامش السيرة) ولا
دلالة فيه على موله إلى هذا النوع من الأدب .

ثم أن بين (في الأدب الجاهلي) وعلى هامش السيرة موضعاً للمقارنة

فكلاهما يتحدث عن العصر الجاهلي الذي سبق مولد النبي عليه السلام والذي عاصر هذا الولد ، والكتاب الأول يهدم ما جاءت به الأساطير عن الجاهلية بل يهدم الكثير مما ينسب لجاهلية من شعر ونثر وراء من وضع المتأخرين لأغراض دينية أو مخالفة لدين . والكتاب الأخير يهدم هذه الأساطير ويثبتها ، ويرى في ذلك غذا لما سوى العقل من ملكات النفس .

وله يذكر أنه دفع لإحياء هذه الأساطير دفعا لم يكن له إلى الأذهان منه يد ومعنى ذلك أن هذه الخطوة من خطوات تطور النفس خطوة طبيعية كان محالا مغالبتها أو التنازل عليها .

ويجب أن تذكر أن هذا المذاهب قد بلغ من القوة مالا يستطعم أحد من الناس مقاومته ، فهو كما رأيت قد خطا في هذا الكتاب من تحقيق العلم الذي ظن عاكفا من قبل عليه سجين إلى أدب الأسطورة الليتولوجية في حياة العرب وفي سيرة النبي وهو إذ خطا هذه الخطوة يعلم أن كثيرا من هذه الأساطير التي روى إغاها بعض الاسرائيليات ، التي ورج اليهود بمد عصر النبي متأثرين بمقدم على عهد لأنه حاربهم وأجلى الأكثرين منهم عن بلاد العرب ومهد بذلك لإجلاء القبة الباقية بعد زمن قصير من وفاته ، متأثرين بحفرياتهم على المسلمين حنيفة جعلتهم يروجون الأقرف من الاحاديث المسكونية على النبي ومن القصص التي تنافي تعاليمه منافاة صريحة . فما عسى يكون هذا الدافع القوي الذي دفع له إلى هذا التطور فلم يجد بدا من الأذهان ومن صياغة هذه الاساطير في الصورة البديعة الرائدة التي تنفس فيها كتابة الأخير .

وقال الدكتور هيسكل : أن الامور التي مر بها طه في حياته هي التي

أتهت حتماً إلى إخراج هذا الكتاب ، فهو قد روى لنا في كتاب الأيام الشيء الكثير من طقوله وبدء صباه وكيف كان في تلك الاثناء متأثراً بنظروته وبيئته بخلاف الاشباح وبتوهمها ورسم مقدا في خياله عند وفاة أخيه وللفاسيات أخرى فنونا من الصور ، ثم بدأ بعد ذلك يدرس في الأزهر ويقرأ سيرة النبي عليه السلام . ويقرأ في كثير من الكتب أساطير من الاسرائيليات التي لم يضيف التحقيق في ذلك الزمن .

فلما بدأت ملكات الحكم تدمو ونتجه إلى ناحية التمام العقل عنده وبدأ يستمع إلى الادب وإلى العلوم الحديثة بدأت تتسكون ذاتيته وتفصح تضجاً سريعاً ماحداً ، وأول مظهر لتسكون الذاتية ظهور ملكة النقد .

وقد ظهرت في طه أول شيا به عاصفة لا يراها شيء . ولا يثبت أمامها شيء . وقد تناولت هذه الملكة ما وهي وأستظهر في الأزهر فسكران ذلك سبب خلافه مع شيوخه خلافاً انتهى إلى ترك الأزهر والانها إلى الجامعة المصرية الجديدة إذ ذاك ، وفي الجامعة وجد الطريقة العلمية في البحث ؛ الطريقة التي أرست عنده ونرضى عنده كل إنسان ملكة النقد إلى غاية ما تريد هذه الملكة من الرضى .

في ظل هذه الطريقة العلمية سقطت عن جوانب طه العقليات أكفاس مما تعلم من قبل ولكن ابن سقطت ، في طوايا نفسه وفي البعيد العميق من خبايا ذاكرته .

(ثم صور) كيف أثار كتابه في الشر الجاهل اللائمة ، مما دعاه إلى أن يقطع إلى نفسه يتاب ويمتنع أركانها ويمتنع ، يرى آخر الامر أن الناس يتوون بالحقيقة العلمية ويأبون حمل أمانيها ثم يقبل طه في نفسه

ويقلب ويحرق من أركانها ويهز جدرانها عذبا حتى تختلط تلك الصور المختلفة المتباينة ليخرج منها مزاج كانت « الأيام » مقدمة البشرى به ثم كان هامش السيرة ثمرة الأولى .

وقال هيكل : أن أدب الأسطورة هو أعذب ألوان الأدب عوريزدها خصباً أن السكائب والقارى، يعرفان جميعاً أن المادة التي يعالجها هي من نوع الأسطورة لا جناح عابهم إذا هم أطلقوا لاشمال فيها المعان فابتعدوا من خيالهم ما يزيد هذه الأساطير رقة وعذوبة لا تحول بينهم وبين الاختذ بقول بعضهم (أعذب الأدب أكذبه) أى حائل . ولذلك أستطيع طه العذر أن خالفته في إتخاذ الدين ومعهرة مادة لأدب الأسطورة .

وأشار إلى ما أنصّل بسيرة القين ساعة مولده وما روى عما حدث له من اسرائيليات روجت بعد النبي ثم قال : لهذا وما إليه يجب في رأيي أن لا يتخذ مادة لأدب الأسطورة ، فأما يتخذ من التاريخ وأفاضل مائة لهذا الأدب ما أنذر أو ما هو في حكم المفادير ، وما لا يترك صدقه أو كذبه في حياة النفوس والمقائد أثرًا ما . والدين وسيرته وعصره تفصل بحياة ملايين المسلمين جميعاً ، بل هي فلة من هذه الحياة ومن أعز فدراتها عليها . وأكبرها أثرًا في توجيهها وطه بسلام أكثر مما أعلم أن هذه الاسرائيليات إعا أريد بها إقامة أساطير متولوية إسلامية لإنساد العقول والقلوب من سواد الشعب وتشكيك المستعبرين ودفع الرية إلى نفوسهم في شأن الإسلام وفيه . وقد كانت هذه غاية الاساطير التي وضعت عن الأديان الأخرى . ومن أجل ذلك ارتفعت صيغة للصالحين المدينين في مختلف العصور لتطهير العقائد من هذه الاوهام .

ثم قال هيكل : من أجل ذلك أود أن يفضل طه قيا قد يكتب من بعد من فصول تجري مجرى (على هامش السيرة) بين ما يتصل بالمقائد وما لا يتصل بها .

المودة إلى إرضاء الجماهير : هامش السيرة

الدكتور محمد عوض محمد — الرسالة ١٨ ديسمبر ١٩٣٣

ثبت لدى ما كتبت أنوهم من أمره وما أكاد أثبته — إن ثقافة الدكتور الحقيقة هي ثقافة أزهرية متينة قوية الأسس ضخمة الدعائم وطيدة الأركان وأن ليست ثقافة التربين التي تسمع عنها الشئ الكثير إلا رواء وطلاء أن تهر العين منظره فإنه لا يذهب إلى غور بعيد . وقدما قال نابليون في الروس . أنك إذا حكمتك الروسى بدأ لك التترى . وفى وسعنا أن نقول إذا حكمتك طه حسين يرفق بدأ لك الأزهرى الفتح الصميم بكل ما تملك هذه الكلمة من فضل وعلم .

وقد أستطاع طه حسين — على غير عمد — أن يعترف الناس عن حقيقة أمره بحديثه عن اليونان والرومان والسكسون واللاتين . وأثارته هذه الفوايح التي برع في إثارتها أثناء كلامه عن أشخاص مثل ديكاوت وبيرداير وعن التجديد قبل أصدقاء طه حسين أن يحدوا للشخص الضعيف كاتب هذه السطور أن كشف لهم عن أمر صدقهم ما خفي عليهم هذه السنين .

٦ - كتابة التاريخ

بين رفيق العظم وعطه حسين

آثار عطه حسين * جدلا طويلا حول طريقة كتابة التاريخ عنده ما اعتمد على كتابه « الألفاظ » في تصوير الحياة العقلية لقرون الثاني للقرن مما أدى إلى إسباغ صورة الغلاة والمجون على هذا العصر ، وقد انظر عطه حسين إلى هذا العصر مثالا في أبي نواس وأشرابه من الشعراء حكم على العصر كله بأنه عصر شك ومجون قال (أن هذا العصر الذي انحلت نحوه الأدبية وفقدت فيه القوة الباعدية قد كان عصر شك ومجون) (١) .

قال س . ه . ه أن هؤلاء الشعراء كانوا يتلون عصرهم هذا وكانوا أشد تشيلا وأصدق حيالة تصويراً من الفناء والهداية وأصحاب الكلام . وأن هؤلاء العلماء في ارتفاع أقمارهم لم يأمنوا أن يكون من بينهم من شك كما شك الشعراء ، وقا كما لحا الشعراء * .

وقد وجد هنا من الرأي الدكتور طه عياد وسجلا عنده : وأبرز من تناول هذا رفيق العظم وإبراهيم الأسير .

١ - من رفيق العظم إلى عطه حسين (٢) :

مما بلغت القدر ويستندعي التمهيس والمفرد في ذلك الحديث حكمكم أن أبا نواس ومن في طبعته أو على شاكلته من الشعراء كانوا مثالا صادقا لعصر الذي عاشوا فيه . وأن الرشيد والمأمون ذهبا من الشك والاستماع بالذات في ذلك العصر مذهب أبي نواس وأشرابه من شعراء المجون . وقد سردتم طائفة من الشعر والاختبار المنسوبة إليهم وأستنتجتم منها ذلك الحكم الذي يحتاج إلى تمهيس كثير .

إن العفائق التاريخية ولا سيما في تاريخ الإسلام شبه الدر المنى بين

(١) مقدمة كتاب حديث الأربعة ج ١ .

(٢) السياسة - ٧ فبراير ١٩٢٣ .

أشواك يحتاج من يرد استغراجه من ناك الأشواك إلى أناة وروية ونظر في وجه السلامة من أذى الشوك . ولا يزيد أن نذهب بعيدا في مذاهب الشك التي ذهب إليها الأستاذ وإنما يكفي أن ننبهه بما نقول وهو التليم بما عايناه رواية الحديث وثقه الأخبار الجيدة في تمييز تلك الأخبار وتنظيمها من شوائب الوضع المكذوب .

نقرأ في كتب التاريخ أخبارا نسبها شيع العباسيين إلى خلفاء بني أمية وأخبار نسبها شيع آل علي إلى خلفاء بني العباس هي أحط ما ينسب إلى خلفاء أمويك أو سميم ما شئت ، كانوا في مثل مرتبتهم من العزة والذمة وبسطة الجاه والملك . وكان من المحال أن يسكنوا من إنضباط الأخلاق والسيرة في الفترة التي أنزلهم إليها الوضعون وبدوم لهم طويلا ذلك الملك العريض والشهرة الدائمة في التاريخ .

الخليفة الذي يدعى أن يقال أن القنازع السياسي بين الشيع لإسلامية أدخل من روايات بعض الأخبار بين شوائب في التاريخ الإسلامي ليست منه في شيء . فأعماهي من وضع للفنولفين لبيوت الإمارة والملك أو القشيمين لبعض المذاهب السجانية أو الدينية .

ولا أظنني مخطئا إذا قلت أن ما نقل من هذا القبيل عن أبي نواس وأضرابه من شعراء ذلك العصر ، ويسميه الذكفور طه حسين عصر الشك والمجون ويتخذهم دليلا على حكمه على أهل ذلك العصر إنما هو تفتيق قصصى يراد به أحد أمرين : أما تشويه سمعة بعض الخلفاء العباسيين كالرشيد والمأمون . وأما سد سبيل العامة إلى أسفار تلك القصص المنحوية والروايات الملققة . على أنه لم يصح شيء . منه لما كان لنا أن نعرضه دليلا على شيوخ

الفنش والتجور والشك بين أهل ذلك العصر لأنه مجون لا يجوز أن يقعدى
اللاجئ مهما تسكال إلى النيل من سواء باسم المجون .

على أنى اعتقد كما قلت أن مانسب إلى أولئك الشعراء كإبي نواس
ويشار ومن قى طيبتهما محل للشك ولا سيما إذا صح أن شعر إبي نواس لم
يجمع في كتاب (ديوان) على حدة في حياته وإنما جمعه دولة القصص
وأخبار شعراء المجون وتناقلوه بعد وفاته بزمان قريب أو بعيد .

إن أكثر ما نقل عن إبي نواس واضرايه من شعراء المجون إنما هي
روايات قصصية بعيدة عن الصحة وأنه لا يصح أن تتخذ دليلا على حالة الأمة
الروحية والفكرية في ذلك العصر ونفى كل ذى علم عليهم .

[رد على حسين]^(١)

لا يزال العالم الجليل وكثير من العلماء المروفين في الشرق يسيئون على
التاريخ الإسلامى سفة من الجلال والتقدس الدينى تحول بين العقل وبين
النظر إليه نظراً يعتمد على القند والبحث العلمى الصحيح . فهم يؤمنون بمجد
القديماء من العرب وجلال عظمهم وتقديس مكانتهم .

إننا الزعم أن القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون وأزعم أن كل
شئ في هذا العصر يؤيدنى في هذا الرأى .

إننا أرغم - واعتقد أنى قادر على إثبات ما الزعم - أن القرن الثانى
لهجرة قد كان عصر لمز ولعب ، وقد كان عصر شك ومجون . وأزعم أن
كل شئ في هذا العصر يؤيدنى في هذا الرأى . وحسبى أن ألفت الأستاذ

(١) السياسة اليومية ١٩٢٢/٧/٢٢ -

وفيق بك إلى أن هذا القرن قد بدأ بخلافة الوليد بن يزيد ونظم بخلقة
الأمين ابن الرشيد وأحب أن يقارن بين حذين الخلفيتين ثم ألت الأستاذ إلى
بشار ومطيع وأبي الفوارس والرقائى والعباس بن الأحف ومسلم بن الوليد
وحاد هيرد ويحيى بن زياد وابن المقفع وأبان بن عبد الحميد وغيرهم من
الشعراء والكاتب والفكرين ولا أريد أن أذكر التقفاء وأصحاب الكلام
مخافة أن ينضب المخرجون .

٣ — نزهة الأباحية في كتب طه حسين^(١)

(رد لمبراهيم عبد القادر للزافى)

لقد لفتنى من الدكتور فى كتابيه حديث الأرباء وهو ما وضع وقصص
تخليقية وهى ملخصة ، أن له ولما يتمتبه الزناة والفاسق والفجور والزناة .
وقد ينسك القارىء أن أدخل القصص التخليقية فى هذا الحساب . ويقول أنها
ليست له وإن كان ماله فيها أنه ساقى خلاصة وجيزة لها ، وهو اعراض مدفوع
لأن الاختيار يدل على عقل المرء ويشى بهواه ، كالأيتسكار سوا . يسوء ،
وأعنا يختار المرء ما يوافقه ويرضاه ويحمله عليه انجاه فسكره حتى لا يسهه أن
يختلله ، ولست بمأزح حين أنه إلى ذلك وما هو حديث الأرباء : ماذا
فيه ؟ فيه كلام كثير عن العصر العباسى والعصر العباسى وجوه شتى ، وقى
وسمك أن تسكتب عنه من عدة وجهات . وأن نقاول فلسفته أو علمه أو
شعره وجده أو مذهبه . ولكن الدكتور طه يدع كل جانب سوى المنزل
والجون وروح يزعم أنه عصر مجون ودعارة وإباسة متنافلة إلى كل فرع
من فروع الحياة فلماذا بل قل لماذا لا يرى فى غير المناجين والمطيعين صورة

(١) ص ٨٣ من كتاب التولى (قيس الرجب .

مده . ولست أنقري عليه فإنه القائل في الصفحة السابعة والمشرن من كتابه
 « أدرس هذا المعصر درساً جيداً وأقرأ بفروع خاص شعر الشعراء وما كان
 يجري في مجامعهم من حديث تدعشك ظاهرة غريبة من ظاهرة الإيابة
 والإسراف في حرية الفكر وكثرة الازدراء لشكل قديم سواء أكان حفا
 القديم ديقاً أم خلقاً أم سياسة أم أدب . فقد ظهرت الزندقة وانتشرت انتشاراً
 فاحشاً اضطار الخلفاء من بني عباس إلى أن يبطشوا بالشعراء والكتاب لأنهم
 اتهموا بالزندقة ، وظهر ازدهار الأدب القديم والمواهب العربية القديمة
 والسياسة العربية القديمة ، بل ظهر ازدهار الأمة العربية نفسها وتفضيل الأمة
 الفارسية عليها . وكانت مجالس الشعراء والكتاب والوزراء مظهرًا لهذا كله .
 وليس يعني أن تكون النهضة السياسية الفارسية وحدها على الانتقام
 من العرب والاستقلال دونهم بالسلطان مصدر هذا التغيير وإنما الذي يعني
 أن هذا التغيير قد وجد وقوى حتى ظهر في الشعر ظهوراً جعل إنكاره
 مستحيلًا .

ولم يكف الذكور طمأنينة أن يبعد إلى طائفة معينة من شعراء العباسيين
 وأن يرسم من سيرتهم صورة يزعمها صورة المعصر بل هو يتسحر أن غير
 هؤلاء من العلماء أو الشعراء يمثل المعصر النبوي وأقرأ له قوله في ص ٥٠ من
 هذا الكتاب « فقد بينا في هذا الحديث أن هؤلاء الشعراء كانوا يمثلون
 عصرهم حقاً وكانوا أشد تمثيلاً وأصدق لحياة تعويراً من الفقهاء والمحدثين
 وأصحاب الكلام وأن هؤلاء العلماء على ارتفاع أقدارهم العلمية ومنازلهم
 الاجتماعية والسياسية وعلى أن كثير منهم كان ورعاً متخلصاً طيب السيرة
 لم يأمنوا أن يكون من بينهم من شك كاشك الشعراء ولها كما لها الشعراء
 واستمتع بلذات الحياة « في سره كما استمتع بها الشعراء في جهرهم

و هل يفت الذكـتور هنا ويقـع بهذا القدر ؟ كلا ياسيدى ! بل يجرى إلى آخر الشوط ويقول فى المـنـة ٣٩ من كتابه وخسرت الأخلاق من هذا التطور و ربح الأدب فلم يعرف العرب عصر كثر فيه الجون وأقن الشعراء التصرف فى غنوته وألوانه كهذا العصر ، ثم كان من كثرة الجون أو أصبح كان من فساد الخلق فى هذا العصر والمصور الذى وليه أن ظهر فن جديد فى النزل لم يكن معروف فى الجاهلية ولا فى صدر الإسلام ولا فى أيام بنى أمية وإنما هو أثر من آثار الحضارة العباسية ، وهو أثر انشأته هذه الحضارة الفارسية عندما خالطت العرب أو عندما انتقل العرب إليها فاستقل سلطانهم فى بغداد وهذا الفن الجديد أو النزل بالفن الذى سيجدك عن خصائصه فى غير هذا الفصل .

وإذا سمعت رجلا يقول أن الأخلاق قد ضلت وخسرت وأن الأدب ربح من وراء ذلك أفلا ينهض لك العذر إذا قلت أنه ينبغى من هذا الفساد ويسوغ هذه الخسارة ؟ نعم بالاربيب . وأنت تحس من كلامه الرضى والارتياح . ومن الذى لا يشعر بذلك حين يقرأ قوله فى عقب ماسقنا الله إنما الذى يمتنع الآن أن هؤلاء الناس الذين وصفنا لك ما وصلوا إليه من شك فى كل شيء وإسراف فى المعون والهدو كانوا مجتمعون ومجتمعون كثيرا أكثر مما كان يجتمع أسلافهم وكانت اجتماعاتهم ناهضة خضة فيها المهور وفيها الترف . كانوا لا يجتمعون إلا على لغة ، إلا على كأس تدار أو ليم يتعرف ، وكانت اللغة والأناج حديثهم إذا اجتمعوا ، يتحدثون فيها شمرًا ونكرًا ، وكان الدين واللغة والفلسفة حديثهم أيضا . ولم تسكن اجتماعاتهم غلو دائما من النساء ، فقد كان الاماء والطريقات يأخذن منها ينصيب عظيم . وكانوا مجتمعون فى الحانات والأديرة وفى بيوت الأمراء والوزراء فيلذون ويتحدثون

فأنت تستطيع أن تتنبأ بمقدار ما كان لأحاديثهم هذه من أثر عظيم في الأدب العربي والمثل العربي . كانت هذه الأحاديث عذبة غير معسكة ولا قتيقة الروح . كانت تصدر عنهم عفواً فتشغل عقولهم وشعورهم وقوة حرصهم على المآلات وشدة شغفهم بالهدوء أحسن تمثيل « م . ص ٤٠ .

ثم مضى يورد سير أبي نواس ومن إليه من مثل الوليد بن يزيد ومطيع بن أبياس وحاد عبيد والحسين بن الضحاك وواليه ابن الحباب وإبان بن مروان ابن أبي حفصة ويقول في بيان الحكم عن ذلك إنه لا يريد أن يكتفى بالقول « بأن القرن الثاني للهجرة على كثرة من عاش فيه من انقضاء والزهاد وأصحاب الشك والشتونين بالجد إنما كان عصر شك وحيون وعصر افتتان وإلحاد عن الأخلاق والآخرة والماديات المروثة والدين أيضاً .

وليس عدى شك في أن هذا العصر لم يكن عصر إيمان ويقين في جلته وإنما كان عصر شك واستغفان وعصر يحون واستهتار بالآلات « / م .

ص ١٨٤ .

يقول المازني : إنه مامن عصر يمكن أن يكون له جانب واحد كما يريد أن يصور لنا العصر العباسي وأنه لم يزل زمن قديم أو حديث من مثل ما يصف الدكتور .

٢ - القصص المترجمة :

وبعد ذلك نعود إلى ما كنا فيه ونقتل إلى قصص الدكتور وليبدأ بقوله عنها « فإني اعترف بأن لا أنخير هذا القصص عفواً وإنما أنخير منها بتوقع خاص مامن شأنه أن يهز الماظة أو يلهي العقل أو يدعو إلى العناية والتفكير « فليس في الأمر مجال للأول والتأمل والإحالة على الأخلاق والمصادقات فإن المبدأ هنا معترف به :

ويتول الدكتور أنه إنغا كتبها وجمعها ونشرها لأنه يريد أن يطلع قراء
الجنة العربية « على نحو من أنحاء الأدب الغربي ، ولأنه يرغب أن يكون بهذه
القصص وما فيها من الآراء الفلسفية والمذاهب المختلفة أثر في نفوس الأدباء
والذين يمتنون منهم بالتمثيل الغربي .

وللتقارىء أن يسأل : لماذا يؤثر الدكتور (نحو) آخر من أنحاء الأدب
الغربي وليس هذا كل ما فيه ولا هو خير . لماذا هي على وجه الخصوص
بقصص الزناة والزواني ومحسكات الجهاد - كما يقول هو - « بين المواطف
والشعور من جهة وبين العقل من جهة أخرى . بين المواطف والشعور الفردية
من ناحية وبين القانون والأوضاع الاجتماعية من ناحية أخرى . بين المواطف
وبين الواجب وبين العقل وبين الدين ثم بين القانون وبين الدين أيضا ؟ »

ألا ترى أن صلبه في اختيار هذه القصص كصليبه في اختيار من كتب
همهم من العباسيين ؟ فسكا أنه ترك أبا تمام والبيهقي والشريف ومهياراً
وللتقي والري في شعرة شعراء العرب وفضلائهم ووقع على أهل الجون
والخلافة والاستباحت ، كذلك لم يفتق من كنوز الأدب الغربي إلا هذه
القصص الحافلة بضرور « الأكل والنسكات » .

ونحسب الآن أن نزعة الدكتور قد صارت ملغوسة باليد فهل لها
تأثير ؟ . هل في وضع الكتاب منا أن يبين لماذا كان الأمر كذلك والحال
على ما وصفنا لقراء ؟ نعم والعلة ظاهرة والكلام حاضر .

— لم يدخل الدكتور طه في مناقشة مع الأثري صراحة وصحت صحت صحتها طويلا
وانتظر مجالا آخر لرد عليه وكان بعد سنوات طويلة .

٧ - معركة الترجمة

بين منصور فهمي وطله حسين

هذه إحدى المارك الأدبية البكرة ، جرت عام ١٩٢١ حينما عرض الدكتور منصور فهمي في حجة الأعرام لقصة (سيرانودي بيرجراك) التي مر بها مصطفى لطفى النفلوطي فأعلن إعجابها بترجيها العربية الجيدة .

غير أن الدكتور طه الذي كان قد أوغل قبل ذلك بسنوات في نقد كتاب « النظرات » للنفلوطي ، كتب في الأعرام بريد على منصور فهمي وبارش رأيه في ترجمة القصة القريبة ويرى أسلوب النفلوطي بالإنجازات .

ثم عادت ساجدة بين منصور فهمي وطله حسين حول الأسلوب والنسب وطريقة الترجمة وتعد هذه الساجدة من أولى مارك الترجمة مع الأدب الأوربي .

١ - رواية^(١) الشاعر (سيرانودي بيرجراك) - منصور فهمي :

قل للذين لاذهب أنظارهم إلى مارراء الأدب العربي أن لغيرنا ما من الأسم أديا يلينا رائها تسكب من حسنه لأدينا إذا ما أردنا أن نأخذ من حسناته . قل للذين قصروا تشبيهاهم على التشبيهات العربية والكافيات . وقيدوا عواطفهم بالأساليب العربية أن لغيرنا أساليب من ذهب وعواطف من رقة وصفاء . ويحق علينا أن نتبادل معهم عواطفنا ونزوج أساليبنا من أساليبهم حتى تتجدد اللمعة ونعمو وتكثر العواطف في قلوبنا وننتشر .

ثم قال : إن للعرب اقتحم سبيلا وعمراً في قصة سيرانو إذ في بلاغة الأصل المترجمة وصفاءاتها المفضلية واصطلاحاتها ما ليس في الطاقة نقله .

على أنه لا ينبغي أن تكون صدوبة القتل عمية في سبيل التعريب ورعا محمد الجرأة في اقتحام الصعاب ولا سيما وقد أنعم الله على النفلوطي بتلم بلوغ وأدب موفور ، فلو أن تعريبه لا يؤدي لنا صورة كاملة من تلك البلاغة

(١) الأعرام ١٩، يوليو ١٩٢١ .

الفرنسية الثالثة إلا أنه يؤدي لنا صورة حية بقلم عربى مبدع وتؤدي بعض أجزائها على أحسن مثال في البلاغ.

٧ - طه حسين^(١) :

يقف وبين المفلوظ خصومة أدبية قديمة كوثت لى فيه رأيا قديما لم أوفق بعد إلى أن أتحوّل عنها ، وهذه الخصومة نفسها هى التى جعلت على أن لا أعرض للكتاب « الشاعر » بغير ولا يشرع أن لى فيه رأيا قبل ظهوره .

منعنى هذه الخصومة من أن أعرض لهذا الكتاب بغير أو شر ، فأنا أعلم أن القدر لم يصل بعد فى مصر من الحرية إلى حيث يمكن أن تتناهى فيه الأفكار والتأثيرات .

قال أن مؤلف « برانو قد وضع قصه تمثيلية شعرية وأن جمال هذه القصة رحين بالشعر من جهة ، وبالأسلوب الثقيل من جهة أخرى ثم بالبلاغة الفرنسية نفسها .

فألى أى حد يباح للترجم أن يحول قصة من التمثيل إلى الفن التصصى الخالص ، أليس هذا مسيها للكتاب . وجناية على المؤلف .

لا أطالب المفلوظ بأن يترجم الكتاب شعرا كما ألف شعرا فقد لا يكون ذلك ميسورا ، ولكنى لا أستطيع أن أجاوزه من تحويل التمثيل إلى قصص فهذا مسيح لا يرضاه إلا الذين لا يقدرون الفن قدره .

٨ - أن لسلك لغة جمالا خالصا ليس إلى الله إلى لغة أخرى من سبيل ففن التمثيل أن يتذوق هذا الجمال فى لغة غير الله الفرنسية . ومع ذلك

(١) الأكرام ١٠ يوليو سنة ١٩٢١ .

قد يتجاوز المترجم عن هذا التصور فهو غير مكلف أن يحقق المستحيل .
إلى أي حد يباح للمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بالمسخ والتشويه . أي
الأمرين أجدر بالثنين - أن نترجم قصصاً فيه من التصور الخلق في نقل أخص
ما يميزها من الجمال أو أن نترك هذه القصة في لغتها حتى لا تمسخ ولا تشوه
وحق لا ينقص من قدرة المؤلف وبهوعه في صورة أقل ما نوصف به أنها
لا تطابق بعد الأصل ولا تدل عليه .

٣ - مقصود قهي^(١) :

كلانا متفق على أن لا تطالب الطفولي بأن يترجم الكتاب شعراً كما
ألف شعراً فقد لا يكون ذلك بمسوراً . تتفق في ذلك كله ، فأين الخلاف ؟
إن الخلاف الذي أظنه ينشأ بيننا قد يكون في سؤاليين وجهتهما إلى :
إلى أي حد يباح للمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بالمسخ والتشويه ،
وجوابي البسيط أي لا أبيع قط للمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بمسخ أو
تشويه . أما بعد هذا فليجيب لي أن أسألك :

— أي الأمرين أجدر بالثنين أن نترجم قصة ففوه مع التصور عن نقل
أخص ما يميزها من الجمال أو أن نترك هذه القصة في لغتها حتى لا تمسخ
ولا تشوه .

أرى خيراً أن نقبل لنا القصة في جمال الأصل من أن نحجب عنا كل
هذا الجمال ، وخير لنا أن تكون عندنا فكرة صغرة من أدب جديد من
أن يهمل هذا الأدب ولو لم يسكن ذلك لما نقل الفرنسية في لغاتهم القرآن
الكريم . ولما قرئت في لغاتنا النوراة والأنجيل ولما قرأنا بالعربية شعر

(هوميروس) وما ترجم من أدب اليونان وكلفا يعلم أن جمال الأصل فوق جمال للقول .

أضف إلى ذلك أن الدافع الأول لنقل من لغة إلى لغة قد يكون في جمال الموضوع وليس في تفصيله ، وقد يكون في المعاني وليس في تباينها من الأساليب دعني أسألك إلى أي حد يباح لنا أن نبخل في تزيين كاتب جد وكذا في سهول الأدب ونأني عليه حقه .

٤ - رد على حسين^(١) :

تسألني أين يقع النسخ والنشوب فيما قبل اللغوي وتعلم أنك لا تهم كيف يكون تحويل قصة تمثيلية إلى حكاية قصصية مسطحة ونشوباً .

إن التمثيل جالاً لا يشتغل عليه القصص وأن مصدر هذا الجمال هو أسلوب الحوار .

مارأيتك تبين بترجم لك « الجمهورية » ميلاً لأسلوب الحوار ويصوغها في قالب نثري عادي ككتيب ابن سينا وأرسطاطليس .

— ما أظن أن التاريخ الأدبي سطر تحويل قصة تمثيلية إلى حكاية قصصية قبل اللغوي ولكن سطر تحويل القصص إلى تمثيل إلا أننا لا يؤيده به .

يقول إلى أن استعهادك بنقل القرآن ليس بمقتنع . فالقرآن لم ينقل من حيث هو أثر فني محض . وإنما نقل لأنه كتاب دين ولأن نقله أمر لابد منه ، فأما كتاب سريانو فأثر فني ، وآية من آيات الجمال ليس غير .

(١) البلاغ - ١٩ سبتمبر ١٩٤٢ .

وكتاب المغلوطى مع ما فيه من التشويه والمخ لم يقل عن الأصل وإنما نقل من ترجمة وعن ترجمة عربية فواضلة الوقت ولا لحرص على الشهرة ويهد السيت .

أحب أن لا تكون مقالاتك مشحمة بالفسدين الفقيين على إفسادهم وللادعاء في الأدب على أن يصرخوا في إدعائهم ويغلب إلى أن أحسن أثر القاطعة إنما هو تقدير الأشياء وإقرار الأمور في نصاها .

• - رد منصور فهمى - حول قصة - سيرانو

إنك مهما تشددت في النقد فلا تجد ما يبرر لك ذكر المغلوطى مع الادعاء وإنى مهما تساهلت في الفن ، فلا استكثر وصف الكتاب الأدب عندما أذكر المغلوطى

إنك تجد جريمة تريد أهل التأليف أن يلتفتوا إليها إذ تحول قصة سيرانو من قالبها التمثيل إلى صورة قصصية . واذك تجد غريبا ووضحة لوقت أن تصيب الرواية في الشكل القصصى بعد أن ترجمت في شكلها التمثيل الأصل .

وأنت في الوقت نفسه تقول : إن قراءة الموضوع أسهل على الناس في تركيبه القصصى منه في تركيبه التمثيل ، فما ترى أن المغلوطى وقد حافظ على الأصل أدى خدمة للجسمور إذ سهل عليهم ذرأة هذا الموضوع الجليل ، أم ترى أن يسهل الأدب والفن والعلم على العامة إنما ، ليس له في ساحة غفراك نصيب .

لا أخالك تقول بذلك وأنت تعلم أن أكبر العلماء وأحرصهم على لغة الفن والعام يشقون جامعات الشعب فيلقنونهم نتائج أبحاثهم المعينة سهلة

سلوة المذاق ويتبدون نتائج كعدم في كتب مبسطة ليسهلوا تناول العلم
والفن على من لا يألف من الناس لغة العلوم والفنون حتى ولو فرطوا في
مصطلح العلم ووقائمه .

فإذا كنت ترى بدعة تحويل الرواية التي نحن بصددنا إلى قصة ، فتلك
بدعة صالحة لا يستهجنها الذوق السليم ويستحق المبدع عليها كل
الحمد والثناء .

زد على ذلك أن لسلك لغة أسلوبيا فيه رواؤها وبهاؤها فإذا كان أسلوب
المحاورة والتمثيل يمشى مع بها اليونانية والفرنسية فإن العربية يمشى مع
روائها أسلوب القصص ، على ذلك لم يكن المنطوقى ليسخ الفن أو يشوهه كما
يقول بل حرص عليه إذ يحول الفن الغربي إلى فن عربي صميم .

أدعوك بالوداع .. على أنى مقدما أذكر شكك على المنطوقى أدعوك
بالتمسك القاسى .

٨ - آداب الماندويتش

بين الزيات والمازن والمقاد

هذه مساجلة حادثة حول الأدب في دور من أدوار تجوله ، عندما انفسرت ظاهرة الأدب السريعي المصحف ، التي لا يرمي قواعد الشعر ولا أصول القلم ، وهي صيغة تصور مدى الخط الذي تعرض له الأدب في هذه الفترة ، ولقد أثار للناقلة : أحمد حسن الزيات واشترك فيها إبراهيم عبد المقام التازن وميائس محمود العتاه ونوحى هذه المساجلة بالفرق التي قلت بعد الحرب المالية الثانية حين استطلعت أزمة أدب الماندويتش وتورط فيها كثير من كبار الكتاب وعادت لزامها محادثة ذات اتجاه واضح .

٩ - أدب الماندويتش (١) : أحمد حسن الزيات :

أريد الأدب الذي تتأديه ناشئة اليوم : والثقافية الأدبية اليوم لا تختلف في سرعتها وتفاعنها وتساعدنا من هذا النوع الجديد من الأكل ، فهي تتألف من السكتب واللفقات من السجف وخطقات من الأحاديث ومطالعات في القهوة أو القرام . يلفظ الكلام فيها الفطر الطاطف . كما يلفظ الحب الطائر القزع ثم نتاج مشتمر مفسر كهتف الحامل أسقطته قبل التمام . وصراخ مزعج في أدنى هذا السقط ليستهل وهو مضمة من الحجم المصح لا تشع ولا تفيض .

يقول أنصار الماندويتش في الأدب : أن قواعد اللغة قيود لا توافق حرية العصر ، وأساليب البلاغة عوائق لا تنجاري قراءة السرعة وبذائع الفن شواغل لا تساعد وفرة الإنتاج . والحق الصريح أن آكلي المندويتش أمثالهم محاربي العمل ومشاهل الرزق عن العميم الأمن والجوامع الطمب والبيت المظلمين تهيولوا صعلكة المصاعم نظاما وفلسفة .

آثار هذا الموضوع في ذهني طائفة من الرسائل النقدية نقلتها من أقطار

العربية تستفسر بعض ما تظهر للطابع المصرية من لغو السكحول وعبث الشباب وتشدد النكير على بعض الأحاديث الأدبية التي تبشها الإدامة اللاسلكية . والواقع الأليم أن الذين درسوا لغتهم وعقوبها من الأدياء النابيين نمر قليل . فإذا استثنيت هؤلاء السنة أو السنة وهم من السكحول الراجلين وجدت طبقة الأدياء كطبقات الصناع والزرايع والتجار يأخذون الأمور بالتقليد والمحاكاة لا بالدروس والمناظرة .

وكما تجد من هؤلاء من ينشئ الشعر ثم يكثره إلى اجنبى ينظمه ويرتبه تجد في أولئك من يؤلف الكتاب ثم يدغمه إلى شعوى يبره ويهذه .

٢ - رد إبراهيم عبد القادر اللزنى

نقى صديق الأستاذ الزيات - صاحب الرسالة - على أدياء هذا الجيل الجديد جهلهم بلغتهم وتقصيرهم في تحصيل آدابها ..

وهذا صحيح .. وأحسبني من السنة أو السنة للذين أشار إليهم الأستاذ . وأنى لمن السكحول فقد جاوزت الأربيعين وقاربت الخمسين .

عرفنا القراءة والإطلاع ونحن تلاميذ في المدارس الثانوية (وبعد أن تحدثت للزنى عن جهده في صرف كل ملهم على شراء الكتب) قال : ومن المصاعب الذي تسكفته أنى اشتريت الأغاني الذي طبعه (الساسى) اشتريته ورفا على عادتي فسكنت أراجع الأبيات التي ترد فيه ، في دواوين الشعراء . أو كتب الأدب الأخرى فاصلاحها أو أنعم التعديده - أنسخ ذلك في ورقة والصقتها في الكتاب . وكما فرغت من جزء . جلدته وقد أصبح ضعف ما كان ، وهذا هو

الكتاب الوحيد الذي بهت بأضدادى تحته فقد اختبرته بمائة قرش وخمسة قروش . فلما بهت مكتوبى عام ١٩١٧ أو ١٩١٨ ، لا أذكر ، ابتاعته منى وراق بخمسين وسبعمائة قرش . وقد قدمت على يومه فما استطعت اليوم أن أصنع الآن ماصنعه قديما .

ولأنا مع ذلك أقل الثلاثة - المقاد وشكرى - إطلاعا وصبرا على التحصيل ، وأدوم للقارىء أن يتصور مبلغ شرهما العظمى ، ولا خوف من المبالغة هنا ، فإن كل عظمى دون الحقيقة التى أعرفها عنهما . وأنا أجتر كالغروب ولكنهما يقضيان قضم الأسود وبهيمان كالنميمة ، فليتنى مثلها .

٣ — السندويش والمائدة : عباس عمود المقاد

أدب^(١) السندويش هو أدب الثقافة والجميلة . وأدب المائدة واليسار والوقار كما سماها الكاتب البليغ الأستاذ الزيات وأصاب فى التسمية لأنها تسمية وتوصيف وتعليل فى وقت واحد .

وقد ختم الأستاذ مقاله سائلا : ليت شعرى إذا خلت أمكنة هؤلاء النفر - أدياء الكحول - الذين ذبقوا بالاستعداد والإجتهاد ، كيف يكون حال الأدب الرفيع فى مصر ؟ أبذهبون ويطئان ما يمشون على رأى الأستاذ أحمد أمين . أم يذهبون وسرعان ما يخفون على رأى الأستاذ المقاد ؟

وفى جوابه هذا السؤال أيضا كنت من المتشائمين لأن الجواب يعنه من سر المستقبل . ويضنه من حقائق الماضي .

قبل ربع قرن من الزمان كان افلاس غير قليلين يسألون كما يسأل الأستاذ

(١) الرسالة - ٤ يونيو ١٩٣٤ .

الزيت اليوم : ترى من يرفع لواء الأذى بعد أعلامه الجارزين في هذه الأونة ! ترى هل يتطوى القوارىء بدمهم أو تهوى له الأيام أكفأ تشروه كما تشروه وتمزه كما تمزه.

ولم يكن اسم واحد من الاحياء السعة أو السبعة الذين أشار إليهم الأستاذ الزيت معروفا تلك المرة التي تننى عن إجابة السؤال . وربما كانوا مجهولين كل الجهل في غير مجال الأصحاب أو مجال المصلحين المسمين إلى أهد الأصداء .

فإذا سألتنا في معرفة الجليين مثل هذا السؤال ورأينا البوارىء تحلى علينا مثل ذلك من الجواب . فليس من اللازم أن تصدق البوارىء وأن يتفق خمس وعشرون سنة أخرى دون أن يختلف السابقين عرض من اللاحقين .

وإذا اندكر اليوم السنة أو السبعة القائمين بأمانة الأدب ونفس السنين أو السبعين الذين كانوا يهزلون . كما يهزل البعض الفاشين في أيامنا . ويتلقون بالقبول من زاد الإطلاع كما يتبلغ أدياء الساندويتش بيدينا . شيفا أولئك السنين أو السبعين لأن الزمان قد تسبهم وعلى على اسمهم وآثارهم . ولستكنهم كانوا في أيامهم محبوبون وشبهون الشخصوس على الانتظار ويعتون اليأس وبسطون الرجاء .

وفي العالم كله توارىء شقى تنزع بالفس الآن إلى الأدب الرخيص أو أدب الساندويتش أو أدب القاعة والمعبلة . . ثم قال : تلك الفوارىء من بلاد العالم كله على اختلاف النظم الاجتماعية خالقة أن تنصر أدبية الثقافة والمجدة وتنسى على أدب اليسار والوقار . ولستكننا نرجع إلى المصور الفائرة فلاصاقتنا عصر معها إلا كانت فيه فوارىء كهذه الفوارىء في فسرة الأدب المبدول وخفلاان الأدب المكرم المبرز .

أما في مصر؛ فأدب الجدد والأمانة والرفاهية والترفع من التشويع إنما يقوم على كواهل اصحابه ولا يقوم على كواهل القراء . وكل ما تخلك من هراء أن الجدد والمفزل في هذا الباب يشاويان فليس بيننا كاتب هازل يمشي بهزله . وليس بيننا كاتب جاد يمشي بجده .

إما عندنا فعين طهر بيننا من يمدنون أنفسهم بمدرسة الشباب لم يكن منهم شيء جديد ، ولاداءل على الحداثة غير شهادة الميلاد، وراحوا في دعوتهم يحمون نعيم الذي برت على عظميه ويصعب إلى نفسه وقرط في تدليل سفة كأنه يتقدم في سوق الرقيق لا في ميدان الفكر وحلبة الصراع . .

٩ - أدبنا : هل يختلف

بين أحمد أمين وأمين الخولي

هذه سאלة هامة بين أحمد أمين وأمين الخولي حول أدبنا : هل يختلف أو لا يختلف؟ بماها أحمد أمين فأني نظرة شاملة على الأدب ورأي أن أدبنا لم يصل بعد إلى القدرة على تحليل كل جوانب حياتنا ، بينما قال أمين الخولي أن أدبنا يختلف وأنه في « ثقافة » ليس إلا صورة صادقة كل الصفات الحياتية الاجتماعية .

١ - أدبنا الآن لا يختلف - أحمد أمين

في رأي أن الأدب العربي يخالفه الحق هو عليها الآن لا يصلح أن يكون غذاء كافياً لتجديد الحاضر سواء ، في ذلك الأدب القديم والأدب الحديث والأدبين معاً .

قد يكون الأدب الإنجليزي قديمه وحديثه صالحاً للإنجليز في الوقت الحاضر وقد يكون الأدب الفرنسي والألماني كذلك . أما الأدب العربي فليس صالحاً للأمم العربية .

ذلك ؛ لأن الأدب إنما يعد صالحاً للأمة إذا كان مظهرها تماماً شاملاً صادقا لحياتها الاجتماعية على اختلاف أشكالها في جدها وهرمها وفي صيا أفرادها وكمواتهم وشيخوختهم ، في آلامها وأمالها ، في حياتها اليومية . في البيت وللمصنع وللشجر ودور الهمم والفنمبيل والموسيقى . في حياتها السياسية وحياتها الاقتصادية . وعلى البسطة في كل شيء فيها . فاستطاع أدب الأمة أن يعلل هذا التراجع عد أدبا صالحا كافيا وإلا لم تكف وحده فلفظ في ضوء هذه النظرية إلى الأدب العربي . فإذا نجد ؟ نجد أن الأمم العربية - من مصريين وشاميين وعراقيين وغيرهم - بين أدبين : أدب عربي قديم وأدب عربي حديث .

فأما الأدب العربي القديم فلا يمثل إلا أجياله ولا يمثل جهلنا وهو صورة للحياة الاجتماعية التي نشأ فيها . وليس صورة لحياتنا .

وهذا النوع من الأدب العربي القديم لا يصلح أن يمثلنا ولا يسمى أدبا لنا بالمعنى الدقيق للكلمة ولا يقول به عاقل .

ولست أشك أن قسما منه صالح لكل زمان ومكان ، كالطعّم والروايع وتمثيل العواطف العامة المشتركة بين الناس كلهم كالسرور والحزن والوفاء والقتل .

والنتيجة لهذا كله أن الأدب القديم ثقافة انطاسة لا ثقافة العامة . وثقافة العدد القليل لا الجيم الغفير . وليس يكفي ذلك وحده في أداء رسالة الأدب العامة إذ هو لا يؤدي رسالته حتى يجد الناس فيه عامتهم وخاصتهم المتميز الفنى عن مشاعرهم .

أما الأدب الحديث العربي فهو كذلك لا يكفي لهذا الجهل الجديد لأنه لم يمثل حياتنا ، وإن شئت فسمّ عرض كل شئون الحياة نجده لم يحقق رسالة ، فإن أحببت أن تضع في يد أطفالك في ستمهم المختلفة كتباً في القصص أو في الثقافة العامة لم تجد إلا القليل الذى لا يكفي على حين تدخل المكتبة الأوربية فيبداك العجب والإعجاب من وفرة الكتب للأطفال على اختلاف أنواعها ومما حلت به من الصور الجذابة والأسلوب الشوق البديع .

والواقع أن أدب كل أمة يجب أن يساير نهضتها ، وأدبنا الآن لا يمثلنا وهو وراء نهضتنا ويجب أن يكون أمامها وهو كالنوب القدير للرجل الطويل . أو كالنوب الرقيم للرجل الفنى أو كالنوب البدوى للرأى المتحضرة .

وأهم علاج هذا القمص عنابة العالم العربي بإيجاد طائفة تحفقت ثقافة عربية
ولسنة . وثقافة غربية واسعة ثم تتولى بعد الإنتاج .

٢ - أدينا الآن عثقا : أمين العلوي

أن دأبنا عثقا في هذا العصر تمام التمثيل . وليس يثبت ذلك إلا أن
تنظر لحياتنا . وننطق على من نحن الآن ! ولستنا إلا شرقيين قد ورثنا حضارة
لها مواجها وكيانها . ثم طلمت علينا حضارة غربية لها مواج آخر وكيان آخر .
وعاجعتنا محاولات لإحياء قديم أسبق من الحضارتين تثير عصبيننا نجد
شاهد التراجع . فمن بين هذا وذلك أشقات يحد : يذهب كل فريق إلى
ناحية ويلوذ براوية أو يقوم فريق وسعنا بين هذا وذاك . ومظاهر هذا التقسيم
واضحة في حياتنا فلا أقول لك مثلا أن في مصر دارين للآثار : مصرية
وعربية ودراسيتين للآثار : مصرية إسلامية ولكن أقول لك أن لدراسة
الادب في مصر معاهد ثلاثة : كلية الآداب تبيع للثقافة الحديثة الغربية ،
والأزهر بكلية اللغة العربية تحفظ بالشرقية جاها ودار العلوم تميل إلى هنا
حيثا وقصد من هناك حيناً .

وانظر مع ذلك في صفوف التلاميذ عثقا تجد المثقفين قد وردوا مناهل
العلم في جامعات الغرب ونسروا إلى الحضارة للشطة التنوير العامة وتذوقوا
أو حاولوا تذوق صفوف الفنون المبدعة في مثلها السامية ، وإلى جانب هؤلاء
متعطون قد عسكفوا على القديم ليس غير ، فهم يحرمون الفنون ويودون بمجمع
الانقباض مرقوا الصور وحطوا التماثيل . يبدون المتحف المصري داراً
للإصنام وثقة من جاهلية وثقة ثم هناك آخرون قد مروا بمدارسها الدينية
وتعلموا مراحل التعليم فيها ففقدوا ربح تلك الحضارة الحديثة وانصاعوا بذلك
الفنون اتصالاً تاماً .

وآخرون قد أصابوا خطأ من ذلك يختلف قلة وكثرة . وشيئا وسعة ،
وإلى هؤلاء . وأولئك ترى ناسا توسطوا بين هذه الأطراف وقالوا نصيبا من
كل جانب يتعدون إلى أهل التقدم فيفسحونهم ويمجدون من قديم اصطلاحهم
وموروث علمهم بما يرضى ويلبسون ... قلل أصدق ما يقال في وصف أدبها
الآن أنه يمثل مصرية قد التفت معصرهما . والثاني وفاق طرفاها . وقد طاب
منها الأصلان وكرم المنصران ؟ من فرعونية غادت الإنسانية وأسست المدنية
وعربية شاركت في تمدن الدنيا وحلت مشعل المسدى فنحن منها بين
أصلين كريمين .

تقى الحق أن أدبنا في عريقته وغريبته وقدمه وحداثته . ثم في تحفها
وتناقضه ليس إلى صورة صادقة كل الصدق لحياتنا الاجتماعية التي لا يترجم لها
عنوان موحد ولا تبرز لها صورة مكتملة .

١٠ - غاية الأدب : ما هي ؟

بين زكي مبارك وسلامة موسى

كانت حنة سلامة موسى على الأدب العربي مثاراً لمبارك متعددة ، كان أبرزها ، مركبته مع زكي مبارك . يرى سلامة موسى : أن غاية الأدب هي توجيه الحياة الاجتماعية وأن الأدب الحديث انفتح من الأدب القديم . ويرى زكي مبارك أن الأدب وثيقة تسجل فيها مظاهر الحياة الاجتماعية وقد يصير دستوراً تخضع له هذه الحياة :

١ - الآداب الباقية : رد زكي مبارك على سلامة موسى (١) :

كنت أبحث لأخضع الشريف سلامة موسى وجه انطلاقة فيما ذهب إليه من الدعوة إلى الإقلال من العناية بالأدب العربي . وكانت حجتى أنه ينسب للأدب القنعوى مع أنه أدب موغل في القدم ، وأن الأستاذ عبد القادر حمزة يبذل جهوداً عظيمة في شرح الأساطير الفرعونية ، ولم يقل أحد أنه يضع وقته فيما لا يفيد . فكيف يلام رجل مثل إذا قصر عمره على درس الأدب العربي مع أنه أدب حتى لا يزال يسيطر على أذواق الناس في الشرق والغرب ، وهو فوق ذلك يفسر عوامض النفس العربية التي تلقت الإسلام ونشرته في العالمين .

وأعود فأقرر أن لدراسة الأدب العربي غايات أخرى غير تلك الغايات الدينية وأبدأ فأنقض حجة الأستاذ سلامة موسى إذ يرى أن غاية الأدب هي توجيه الحياة الاجتماعية وأن الأدب الحديث انفتح دائماً من الأدب القديم .

وعندى أن الأدب كما يكون ضرباً من الإصلاح يكون نوعاً من الوصف وهو وثيقة تسجل فيها مظاهر الحياة الاجتماعية ، وقد يصير دستوراً تخضع له الحياة الاجتماعية . فإن كنت في ريب من ذلك فراجع كتب الأدب في القديم والحديث تراها سجلات دونت فيها أزمات النفوس والفقوس والمقولات .

(١) ٥ : الأسرار والأحداث ص ٣٧٤ .

والكتاب الاجتماعيون يعيشون في عالم الواقع كما يعيش رجال القوانين، ولذلك نراهم يهتمون بشئون لا يلتفت إليها أحد من الشراء ، والأسفاد سلامة موسى كاتب اجتماعي وليس بأديب واللغة عنده ليست إلا أداة تقام وكل تأنيق في العبارة يبدو لمبغية وكأنه لغو وإسراف . والادب القديم لا يمكن أن يحتل رأساً مثل رأس الأسفاد سلامة موسى .

أما الأديب - وأرجو أن لا أديب - فهو إنسان لا يعرف غير عالمه الخاص وليس لدنيا في نفسه حدود ولا تواريخ فهو ياتمس المسكة حيث وقعت ، المسكة الجديدة التي تحمل طابع الحق والخير والجمال .

الذي يعني أن أتور أن الأديب لا يشوقه غير العالم ، وهو من أجل ذلك لا يتقيد بالحدود التاريخية ولا الجغرافية وهو لا يدق بالمشاكل إلا من الوجهة الإنسانية . أما الأوضاع الاجتماعية فوقفه منها موقف الوصف الذي يشرح الحسن واليؤوب .

وهذا لا يمنع أن يكون الأديب من أهل الكفاح ، وهو حين يستكشف يصبح قوة خطيرة في الحياة الاجتماعية لأنه يعلق دائماً في الأجواء العالية ولا يتنعم بالقليل .

٢ - قد يكون سلامة موسى في دينه اصدق من في ديني والله أعلم بالسواثر . ولكن من المؤكد أن اصدق منه في الوطنية فأنا أحرص على اللغة العربية والإسلام خدمة لوطني . وأنا انقض الفطر عن حقول كبيرة لرجال الدين لأتهم على أي حال من الشواهد على أن وطني له سلطة روحية ، وقد تطوع المسلمون في مصر لمداومة الاحباش أيام محنتهم بيدوان الطليان بنرض وطني هو الشهور بأن الكنيسة التبعية لها سلطات روحية على عقائد الاحباش .

فهل يقار الاستاذ سلامة موسى على الازهر الشريف كما أغار على الكنيسة القبطية .

وهل من السكثير أن يكون منا عشرة أو عشرون أو ثلاثون يتضون أهدارهم في دراسة ماضي الأمة العربية ، وهي الأمة القومية في مصر منذ ثلاثة عشر قرناً وهل تناب فرنسا وإنجلترا وإيطاليا بأن فيها مئات من الباحثين لا يهتمون بغير درسي الذخائر من الادب القديم عند اليونان والرومان .

وفي العرب : نضاري ويهود ومسلمون لأن العروبة هي مصدر هدم الديانات الثلاثة ، ولو كان سلامة موسى من أربابه الكآرب للأدبة لقد رثاه وقتلنا أنه رجل يتفنع من مؤازرة خصوم العروبة والإسلام ، ولكن سلامة موسى رجل عفيف القلب والجيب ولن يترك لأطفاله غير ماورث عن أبيه الكرميين فكيف يستطيع لنفسه أن يسيء إلى سمعة مصر العربية الإسلامية بلا جزاء .

٣- إن اهتمام الاستاذ سلامة موسى بالكلام عن الحرمان وتفاوت الطبقات نتاج خطفه من موائد الاجاب الذين كتبوا في الاشتراكية فليس فيه إيصاله فكرياً أما أعمالنا نحن في درس أسرار الأمة العربية فهي الأساس لزعماء مصر في الشرق فؤقاتنا في الادب هي الظاهر لمجد مصر .

إن تجنى سلامة موسى على مؤرخي الادب العربي بغير حق دليل على أنه جاهل وجهول وجهالة وجاهل .
إنه ينادي لغة العرب لسبب بسيط وهو أنها لغة القرآن المجيد .

١١ - متى يزدهر الادب

معرفة بين لطفى رحمه وزكى مبارك

هذه مناظرة وقعت بين لطفى رحمه وزكى مبارك في مارس سنة ١٩٤٠ في مدرسة كلية الادب بالجامعة - صور هذه المناظرة زكى مبارك باللغة فرسم صورة الاساليب التي تتبع في اعداد المناظرات وما يجوز وراه كوالفها - وكيف يبرز أحد للشايعين النصر - مرسوم للمناظرة : يزدهر الادب في عصر القوضى الاجتماعية : أهد الرأي زكى مبارك ومعارضة لطفى رحمه .

• • •

١ - سألتى فريق^(١) من أعضاء كلية الآداب أن اشترك مناظرات هذا الموسم وعرضوا على طوائف من الموضوعات لم يرقى منها غير موضوع « يزدهر الادب في عصر القوضى الاخلاقية » .

ولكني اقترحت أن يبدل فتوضع كلمة « القوضى الاجتماعية » مكان القوضى الاخلاقية ، ومضت أيام وأسابيع والاتحاد مشغول بالبحث عن مناظرين من لسانة كلية الآداب ثم علمت أن الاساندة لم يرقهم أن يناظروا « للشايع الأكبر » بل حد تعبير الدكتور هيكمل باشا ، وعمل من العمل أن يقدم أحد الاساندة لمناظرين وقد شاع وداع إلى أكبر للشايعين .

هي نعمة ظالة ولكنها حقت على وسأنتفى بنية الدر في الدفاع عن نفسي ولكن بلا فزع ولا عفا لأن الناس عندما يؤذيه أن يصحوا رأيهم في رجل ظفوه بلايينه ولا برهان .

وأخيراً ظفر اتحاد السككية برجل مناظرين . ولكن أي رجل ؟ كاتب مشهور في منه وقائع في بعض الجرائد والمجلات ، نقلت في نفسي ، هي مكرمة

(١) الرسالة ١٧ مارس / ١٩٤١ .

من مكرمات الأستاذ لطفى رحمه . فقد هداه القاب الطيب إلى إني رجل ينهض
الأدب والفن من الاستغفاف بأقدار الزمان .

كانت المناظرة لاتصل الملقى الملقى لها ، وهي أن يحمل جانباً من الجانبين
يشي أنه من انصار هذا الرأي ، وإنما الأمر أن يأخذ كل مناظر نصيبه من
المناظرة ليعرض المتناظرين للجمهور ، ولا يعني هذا الإيمان بالرأي ولذلك
تصحب كيف قول زكي مبارك بالزبابة حينما تقدم هذه المناظرة وأنه سمع من
الذين حاوروه في المناظرة قول أحدهم أنه لا يستجيب مالا يباح في تحقير الرأي
الذي ارتضاه وهناك من أعلن عيبه أن يكون من موافق وزارة المعارف من
يحمل على الدعوة إلى التوضي .

وعيل الأستاذ لطفى رحمه على أدنى وهو يقول :

أهتاك على أن عرضت سمعك للأراجيف في سبيل الحق . فانيتم
وانتظر أن يصنع ماصمت ليظفر بتهتق . وينض الطعم الشريف فيسلك في
تحقيري جميع المسالك ويندي إني فوضي أنهم وينون الجمهور من الإنداع
بأرائي وبعان عجيبة من أن يكون في كتاب اسمه التصوف الإسلامي في مجلدتين
كبيرين مع إني من انصار التوضي الاجتماعية ويتقضى في محامله ساعة وبعض
ساعة وأنا مطرق أكاد أذوب من الخجل والحياء .

وأعود إلى نفسي فأندم على تعرضي لسمعي لهذا الضيف البقيض . وأعرف
إني أخطأت في قبول المناظرة مع الطعم الشريف . وأعاهد الله على اعتزال
الناس إلى يوم المات . ومن الذي يغري بصحية بني آدم ولم التي منهم غير
شجا الخلق وقذى العيون .

وقد ائت داري على حدود الصحراء لأنس بنقلات الليل ولأنسى إني
موصول الاواسر بهذا الخلق ولا تالني موات البادية حين أشاء .

فلقي جمعه الرجل القاضل الذي أثبت عليه في خطبتي أيقضى في شتى ساعة ويمض ساعة . تلك إحدى الأعاجيب إن كان الفكر في زماننا من الأعاجيب ، ابن أنا من دعوى وزمانى ، أمثل يشم جبهة في كلية الآداب وقد حلت على كاهل أحجار الأساس . هو ذلك وعمل نفسه أنا الجاني فقد عرضت سمقي للجدل الذي يسمونه مناقشات . زينتني الأستاذ لللقى جمعه من خطبته بعد أن مررت أداني كل عرق وبعد أن شفى صدره منى وقد كانت بينى وبينه تراث وضائت وحقوق^(١) .

موضوع المحاضرة

في بلادنا تصطرح جميع المذاهب والمعتقدات وفي بلادنا تنتقل جميع المادوات والتقاليد وفي بلادنا يلتقى البهران : بحر الدنية الشرقية وبحر الدنية الغربية وفي بلادنا يجتمع العرب والعوت وتختلج أقدام المؤذنين بأصوات الفواقيس . عندنا برج بابل المشهور في التاريخ . بل عندنا برجان ها : الأزهر والجامعة المصرية يتجه احدهما إلى الشرق فيسكون خلف الضفة الشرقية للبحر ويتجه ثانيهما إلى الغرب فيسكون حول الضفة الغربية .

فالأديب المصري يفرح إن شاء فيرى القاهرة في ثياب اليس ومرجريت ويشرق إن شاء الله فيراها في عباءة ليل وعظمياء .

ويفضل هذه البابلية بين الحضارة والديانة نهضت قواعد الأدب الحديث .

٢ — النهضة الحقيقية للأدب الحديث ترجع إلى عهد مشنوم هو النزاع بين الرجائين المظليين : عدلى يسكن وسعد زغلول ففي هذا العصر صارت الكتابة والنظاياه عنصريين أساسيين في تكوين الادب المصري الحديث

(١) يقرأ معارك لاني جمعه منه ، باب زكي مرارك وشخصوه .

وبفضل التزام بين عدلي وسعد خلقت جرائد ومجلات وأندية صار لها في نهضة
الادب مكان ملحوظ وبفضله استطاع أن تذيع في الشرق فنا جديداً هو الادب
السياسي وهو فن كان انقراض بانقراض النضال بين أشباع بني أمية واتباع
بني العباس ، وإليك هذه الفسكة : كان شاعر إلى أخاصم الدكتور طه
حسين فسكتبت في الهجوم عليه مقالات كان لها وقع حسن أو سيء عند قراء
الجنة العربية .

وكان بين وبين الدكتور طه ود وثيق ولكن رعاية هذا الرد لم تنفع
الادب لأن كل ما يصدر عنه كان يقع في نفس موقع القبول ، فلما ثار على
وغضبت عليه أثبت في مصاولته بالأعاجيب ، وأطلع الأستاذ محمود بسيوني
على تلك المقالات فأنزعج أشد الانزعاج وسمى بصلح بين وبين الدكتور
طه في حفل مشهور حضره العمدة وكبار الاساتذة بكتليات الجامعة المصرية
فهل تعرفون نتيجة هذا الصلح المشؤم أو اليمون ؟ تلقت الناس متوجعين
لضياح فرصة محنة هي فرصة البديل حول المذهب الادبية فهل فيكم من
يتفضل بالسماحة بين وبين الدكتور طه لارجع إلى مصاولته جديد .

٣ — لو سلم المجتمع من الاضطرابات لاغلت الحماكم ولم يبق أمام
الأستاذ لطفي حيمه إلا التراجع إلى الريف ليأخذ قوته مما تخرج الارض بمهاد
التأسي والمطراث .

١٢ - الأدب المكتشف

بين توفيق دياب وسلامة موسى

سلامة موسى^(١)

كان «الأدب المكتشف» من الموضوعات التي كثر حولها الجدل وتغلب القول : وقد برزت مساجلة بين سلامة موسى وتوفيق دياب في ٩ ديسمبر ١٩٢٤ عن الأدب المكتشف والأدب المصور ثم لم تلبث جريدة السياسة أن انتهت بحال المناقشة وكان السؤال هو : هل يشهد أن يفسر كتابنا الأدبياء بأساليبها وأن يكتبوا أو يبرروا أفكارهم وفرائهم ما تنطوي عليه عوام الزوجين أو الخليلين من أسرار طائفة مكتومة أم هل تقول بأن التصق في وسط التفاصيل مشقة أخلاق الناضجين والناشئات ، عديد الإلزامات والقيود وإذ إن يجب أن تقع الأنلام بين الشيء فلا تخس في هذه الأمور إلا على حذر واستعلاء

وقد دائر سلامة موسى عن الحرية المطلقة في الأدب وعدم التقييد أصلاً بالاختلاف بيننا وبين توفيق دياب من جهة النظر الأخرى ودخل الحركة كثير من يمدوا سترات سنوات طويلة

موضوع الأدب هو موضوع الطبيعة البشرية في حقيقتها والقسمي بهذه الطبيعة إلى ما هو أرق منها مما يبعثه الأدب بما يشبه بصيرة النبي . فالعلم يقرر الواقع . ولكن الأدب يسمو بالواقع إلى ما هو أرق منه . فالعلم كالصورة الفوتوغرافية والأدب كرسم اليد .

فإذا عالج الأدب موضوع الحب فهو لا يتبع بما هو مأثور من العلاقات الجنسية بل يسمو بها إلى ما هو أرق من المأثور ، فإذا احتاج في ذلك إلى سرادة تامة فيجب أن يمنع هذا الحق أن للأدب قيوداً واحداً فقط يتقيد به هو إخلاصه في عمله وله الحق مادام مخلصاً في أن يقال الحرية في أن يبحث بصراحة كاملة جميع مسائل الجنس كما يبحث العلم المسائل الغازات السامة مثلاً .

(١) انظر ما في مجلة الجندة (المجلد الأول - ١٩٢٠) .

وليس في الأدب كله ضرر نشأ من العسكرة يساوى أو يقرب من الضرر الذى نشأ من المآزات السامة .

قد يقال أننا يجب أن نراعى الاخلاق ونعقشم في وصف العلاقات الجنسية فإذا فعلنا ذلك هل نمتنع من قراءة (ثورة اللانكة) التى وضعها أفاثول فرانس أو (المجرية والمقاب) فستوفسكى وفيها أوصاف بالغة للدهارة .

إن الاديب الذى يعالج العلاقة الجنسية قد يصارع القارىء أو المشاهد بأشياء كثيرة ، ولكن لإخلاقه وأن بصيرته تنزع إلى السمو لا يستقر في القارىء شيئاً من الشهوات الدنيا .

إن الذى يثبته علم النفس الحديث أن السراحة والوقوف في وجه التفرقة الجنسية . والكلام عنها كل هذا لا يضرب بل يفيد ، أن الذى يضرب ويؤذى هو مجازاة الموضوع والاقتصاد عنه بقائنا بالقول والعمل .

وهنا ترى مهمة الاديب الصريح إذا عالج موضوع الشهوة الجنسية أسكنه أن يفتح أمام الشباب باب القسامى ، أى أن ينقل حبه المرأة إلى حب للفنون الجيدة ، وذلك لتسهيل هذه الشهوة البهيمية إلى العمل الشرف والقوة والجهد .

وليس للأدب علاقة بالاخلاق .

إن ستر الحقائق يجعلها أجذب للنفس من شعورها ، وإبعاد السائق الجنسية عن الادب أو عدم المصارحة في الكلام فيها يجعل الذهن أعلق بها ويقتحم الطريق لسكانب المنحط الذى يلبأ إلى الرجس .

الادب السافر يعلمهم بمسوغ الحياة كما هى في الحقيقة والواقع فلا يحدث الإنحراف الذى تجلبه المجانبة .

إن الأدب كالعالم يجب أن يبقى حراً . ثم أن علم النفس الحديث يبين لنا أن المصارحة في المسائل الجنسية خير من الواربة وأن معظم الأمراض الجنسية تنشأ من المعاناة والاعتقاد .

٢ — توفيق دياب : الأدب العلم^(١)

إن وظيفة الآداب والعلوم والفنون منها اختلفت موضوعاتها وظيفتها سامية أو يجب أن تكون سامية . ذلك أن وجهة الإنسانية هي الرقي في جميع بواطن النفس وطواعرها .

وعندى وعند كثير ممن هم أجل منا مقاماً في عالم التفكير وتصوير قيم الأشياء، وغاياتها أن كل علوم الناس وآدابهم وفنونهم يجب أن تكون خدماً وأعواناً لثال الإنسانية النشود ، فأما أن يشذ الأدب عن سائر عناصر الثقافة وعوامل التهذيب فيجمل همهم معزوفاً إلى مجرد (الترفيع الحافلة) منها تسكن تلك الترفيع مزربة بالملابة الإنسانية العليا مقربة بالذائذ الهديا ، فذلك ما نضالضغيه أخانا النقاد والأخذين أخذه .

وتشمل الذائذ الهديا كل شهوات البدن إذا خرج بها صاحبها على حرمة الأفراد أو الجماعة أو وقف عليها من فكره وجهوده ماقد يشل معه مواهبه العليا ، ونحن نزعهم أن كثيراً جداً من مادة الأدب الحديث منصرف إلى تلك الشهوات ، دافعا إلهيا دفماً شديداً وكيف يتفق (الغيال المذهب الراقى) وتلك العناية المستمرة التي لا تدع للخيال الراقى مجالاً .
لو وضعتا كل شيء يقع وضماً ذيقاً لاستحالت كتب الأدب وأثار رجائه

(١) السياسة الأسبوعية (جلد ١٩١٧) .

أو كثير مقبلاً إلى حافات مقبوبة ومواخير مبتلّة له مقرأ رسوم الكتاب والقارئين وأشدّها صها أولئك (الأبطال) الذين يصورهم لنا (الفنّ الأيمن) غارقين إلى الأدقان في لجج الشهوات ممسكين فيها إنسان من لا يرى في الحياة متاعاً يملو متاع الحيوان .

إن القطيعة التي يزعمها بعض الباحثين من الأدب القوي والخلق الإجماعي قطيعة وهمية لا أساس لها من الواقع إذ الواقع ، أن التفاعل بين الأدب والأخلاق متواصل لا يتقطع .

٣ — حافظ محمود : الأدب للكشوف

إن الأدب الصحيح ليست مهمته أن يصف لنا (ما نتطوّر عليه مضاعف الزوجين أو الخليلين من أسرار ، ولست مهمته أن يبلّغنا ملايسات العاشقين ومداعباتهم .

لأن وظيفة الأدب في الحياة وظيفة فنية قوامها : أن يصور لنا الوقائع الحادثة والحقائق الزمنية إلى جانب دخائل النفس تصوراً صادقاً لا يداخله غلو في شيء ولا إنغراق في شيء .

فالقصود من الأدب ليس الحكمة أو اللوعة ، وإنما هو أن يعطينا صورة لأنفسنا وبنرك لتاريخ صورة من حياتنا ، فإذا انطردنا ما نتطوّر عليه مضاعف الزوجين أو الخليلين صورة من التفسير الإنساني صحت علينا الأمانة الفنية أن تذكرها على ما هي عليه من واقع لا تغيير ولا تفرير فيه .

أما أن يكون التفصيل في هذه اللواضع مما يضعف المقاومة ويحلل المفاعلة بين الفتيان والفتيات فهذا شيء ليس متصلاً بالأدب إنما هو موضوع الخلق الاجتماعي في الأمة .

٤ — عزيز مقلد^(١)

نشأ هذا النوع من الأدب نشأة سهلة لم يكلف الذين ولدوا منه عناء ولا جهداً فليس هو الأدب الذي يستدعي بحثاً أو تحصيها ، وليس هو الأدب الذي يتصل بالدراسات الفنية بسبب وبكأن أن نغزل عن شيء من الأخلاق وبكأن أن تسليح شيئاً من الجون والاستهزاء ليخرج للناس أسلوباً جديداً يفكر منه الذوق ونجدة النفس .

وإذا أنت حاولت إقناع أصحاب الأدب الرخيص بأنهم حين ينشرون مثل هذا العبث في مختلف الهيئات يفتنون على الأدب أولاً وهل التواميس الاجتماعية يزعمون أنك قديم وإنك مادمت قديماً أو من أنصار القديم فأنت عدو لكل جديد .

٥ — إبراهيم المصري

أغلب الجمهور عندنا نظراً لاجتيازها فترة الانتقال العاصرة يعتقد أن المقصود بالأدب السكشوف : هو أدب التبهذل والتنهك وتصوير المحرمات الجنسية والميلو المحزنة وأن كل من يعالج هذا الأدب إنما يرمى إلى نشر الإباحية المفقوتة وأن من واجب الحكومات والمصلحين وقادة الرأي الحكام محاربة هذا الأدب وأسماياه حرصاً على أخلاق الأمة .

وليس شك أن من حق الأدب الصحيح على الأدباء المصريين^(٢) اللغتين ألا ينفقوا سكوناً حيال خلط كهذا . وألا يسمحوا — وهم الذين يتولون جهود الجهادية في تعديل القيم الأدبية وتنويعها — بأن تظهر في الجو القسري في

(١) البلاغ ٢٤ نوفمبر ١٩٣٦ . (٢) الهلال (يوليو ١٩٣٧)

مصر خرافة مربعة تحمل اسم الأدب للكشوف وهي في الواقع ليست من حقيقة هذا الأدب في شيء .

والغريب أن الأدب للكشوف اسم غير معروف في أوروبا حيث ابتدع هذا الأدب وإنما هو اسم ابتكرناه نحن وناعقنا عليه ثوباً صارعاً مما جعل المخالفين التقليديين يرون فيه الشيء الكثير من معنى التحدى .

وما نسميه نحن أدباً مكشوفاً يسميه العربيون (ناتوراليزم) أو (رياليزم) أي رسم الطبيعة كما هي .

أما أدب التفتك والتبذل فلا يعتبر هناك أدباً يطلق عليه اسم (يودوجرافى) لتفرقة بينه وبين الأدب الصحيح .

والبناتوراليزم أو ما يسمى عندنا بالأدب المكشوف مذهب يترف بحرية الكاتب في أن يقول كل شيء ويرسم كل شيء وينقد كل شيء في حدود أدب القول مادام حسن النية رائد وتصور الحقيقة البرينة غرضه الأول والأخير .

وهذا الأدب يتبع للنقص بصفة عامة أن يصور أخفى الفرائز البشرية ومحدثنا عن أطوارها وتقلباتها وتفاعلهما وما يفرد عنها من إغرائات تصطبغ بها الشخصية الإنسانية في فترة من فترات حياتها .

وإذن فالقصد بهذا الأدب ليس ترويع الإباحة المتقنة ولا نشر التبذل والتفتك بل دراسة الإنسان والكشف من ميوله الدقيقة ونزعاته الغريبة التي تسيطر تمام السيطرة على معظم اتجاهات عقله وقلبه .

ومن اليسور جداً أن تفرق بين الأدب الصحيح الذي يرسم الأعراض

الغسية الغربية ليهتدى إلى حقبة الإنسان وبين الأدب الزائف الذى يروج
لتهتك ويتاجر بالشهوات ويميل على هدم الاخلاق .

ومن مميزات الادب الأول أنه لا يبالغ في وصف تلك الأعراض الجسمية
والفسيقية المرمية ولا يخلع عليها حلا خيالية رائمة تستهوى القارى، وتفسده
ولا يلتذ رسم الدقائق والتفاصيل الجنسية بل يعالجها في أدب جم وحيدة
تامة . ويقررها تقريرا هادئا لا يؤرق أعصاب القارى. ولا تشوبه الدية
الطبيقة التي تخرج بالحقبة عن محيط الادب وتهوى إلى درك القهبل .

عباس محمود العقاد^(١)

معظم الادب الأوربي الذى تم بعد الحرب العالمية أدب ضرورة كشفية
وخضوع أهمى للحاجة العاجلة وليس بأدب حرية وتمرد على قيود الضرورة فقد
اعطت الحرب عشرات اللابيين من الجنود عاشوا في الخنادق معيشة الخسج
الذين يواجهون ضرورة الجسم في كل ساعة من الساعات وتمودوا تسيان
التهديب في الشهور والفوق والسكلام .

فإذا انطلق هذا الجيل المصاب في دمايته وصبره وهزئته يريد أن يفرض
على الدنيا تلك الآفات والمقائض فليس هذا دعوة إلى التعبد وليس
دعوة لورنس ولا اشتداد دعوة السريالية إلا من آثار الفسكة وقايا
الخطوع .

(١) ٢٢ فبراير ١٩٣٤ - الجهاد .

إبراهيم عبد القادر المازني^١

النزوع الملحوظ في أدب النصف الأوروبي إلى تناول المسائل الجنسية بلمحة صريحة - أو إلى الأدب المكشوف - كما يقولون شبهه بالنزوع إلى العري بل الحركة فرعان من أصل واحد ، وهى في الغرب مقسيمان يغطى مقاربة وقد لا يكون ثم بأس في الفشو في نهاية الأمر . ولكن اليأس يكون من التجرد في جماعة كاسية ، ومن الأدب المكشوف لأذعان ألفت الاستفارة ، وهل أنى لا أرى مزية لاكتشف لا تنال بالتحفظ بل أنى لأرى على الإنسان خسارة لا تموض .

إن الإنسان حرف الثياب فهو يستريحها جسمه ولو ظل عاريا كثيره من الحيوان لما كان للمسائل الجنسية ودكرها - أو حتى رؤيتها - أى تأثير في نفسه . فلما ترى الحيوانات عارية ولا تتجمل وتشهد تنزها فلا تحرك لذلك شهواتها ، وكان يمكن أن يكون هذا نظر الإنسان إلى الإنسان لو ظل عاريا ، ولكنه استتر فمكان من فضل الثياب أن صرفت ذهنه إلى حد كبير ، عن جسمه وشهواته إلى ما هو أبهى أعلى وإن جعلت مافي الثياب شيئا يستغنى عنه ولا يذكر إلا بمباراة مستووية مثله ، وصحیح أن الثياب أغرت بالتطلع والكشف ولكنها حجبت ، فوجهت الفؤوس والقول وجهات أخرى . وكان من فضلها هذا الرقى ولا فرق عدى بين أن تصف المسائل الجنسية - شاذة كانت أو غير شاذة - وصفا صريحا في قصد وأن تمرى إنسانا في الطريق وتترج عنه ثيابا .

وإذا كان أحد يرى فرقا فإني لا أراه ، وما دلم الإنسان بلبس الثياب

(١) ٦ يوليو ١٩٢٥ - البلاغ .

ويستقر بها فلا يد أن يوحى في كتابته السبح والتمنيط ، والتهاب جال
مزبد ، وقد التمسها الإنسان أول ما التمسها للزينة لا للفطنة والجسم الإنساني
في الثوب المناسب أجل منه وهو هريان . وأثن أيضا . وكذلك الكتابة
المعربة أقل جالا ونفحة من لفظة للسجدة . ومزية التحفظ في الكتابة أنه
يحلبها أقوى وأفضل وآنس وأسى وهو يبد ذلك آمن لأنه لا يبيع شهوة
ولا يشغل الذهن بما هو أسى وأروع .

١٣ - التراث الشرقي: يكنى أو لا يكنى

بين عيد الرحمن الرازي ومباس محمود العقاد

« هل يكنى التراث الشرقي لتضج الحياة العقلية عند الشرقيين »

هذه مسابقة ماثلة بين عيد الرحمن الرازي ومباس محمود العقاد حول « كدابة » التراث الشرقي لتضج الحياة العقلية عند الشرقيين . أخذ فيها الرازي جانب تصور التراث الشرقي وضرورة الترجمة وأخذ العقاد جانب كدابة التراث الشرقي .

عيد الرحمن الرازي^(١)

التراث الشرقي في العلوم والآداب والفنون هو ولا شك تراث عريق ولكنه مع ذلك لا يكنى لتضج الحياة العقلية الحديثة عند الشرقيين . بل يجب لكي يصل هذا التضج إلى مداه من التقدم أن يجمع إلى التراث الشرقي خير ما أنتجته ونتجته التراث والمثل البشري في الغرب ولا غشاضه علينا في ذلك ؛ فإن الأمم الأوروبية نفسها وهي التي تم تضج الحياة العقلية فيها ، لا تنفأ كل منها تقتبس عن أمة أخرى في الغرب أو الشرق ما يظهر فيها من مستحدثات التجارب والأكتشافات والمذاهب العلمية . ولذلك قالوا : إن العلم لا وطن له وإن كان العالم له وطنه .

ومما لا شك فيه أنه منذ التبع العثماني لمصر سنة ١٥١٧ قد وقعت حركة التقدم تماماً فكسرت العلوم وانعطى الأدب وجهت التراث وتراجعت العقول وانقضت نحو ثلاثة قرون والشرق في تأخر من العاجية الطبية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . بينما الغرب قد أخذ بأسباب الحياة والنهوض فسبق الشرق عدة قرون من التضج العقلي . فبدى أنه عندما ابتدأ الشرق يستيقظ

(١) ص ٣٢٠ م السنة الخامسة ١٩٤١ (رسالة) .

من سبانه الميق في نهاية القرن الثامن عشر كان لابد أن يقتبس من الغرب ما سبقه إليه في خلال القرون للتدافعية .

ولم يتردد الغرب حين بدأ عهد مايمث والنموض أن يقتبس من التراث الشرقى حضارته وعلمه فقد نقل علماء فلسفة ابن رشد ودرسوها وكانت يدموعاً لوقتة العلمية في الغرب .

فن الواجب إذن على الأمم الشرقية إلى جانب إحياء التراث الشرقى القديم أن يقتبس من الغرب تراثه الجديد . وتأخذ منه بحاسه ومزاياه ، ولو أن حركة التقدم قد ناهت سيرها في الشرق ولم يبقها ذلك التأخر الذي أصابه خلال قرون عديدة فإذ من غير شك تراثه في العلوم والآداب ولما سبقه الغرب في هذا الضمار .

هناك وجهات نظر ثلاث لا تزال البهضة العلمية والعقلية في الشرق مترددة حائرة يبقها : « إحداهما » ترمى إلى الإقتصار على التراث الشرقى القديم وإحيائه ، وقصر الحياة العقلية على حدوده ومقتضياته . وهذه الوجهة لا تسكني فيها اعتقاد لا سلكاً أسباب النهضة والحياة في العصر الحديث . والثانية « إطرارح التراث الشرقى جانباً وقطع صلاتنا بالماضي والقباس الحضارة الأوروبية والعقلية الأوروبية كما هي بما لها وما عليها وهذه أيضاً وجهة خاطئة تقتضى بنا إلى الققباس الميوب دون الزايا . وتؤدي إلى نوع من النجبة العقلية والثقافية لأوروبا تنطو مع الزمن إلى نيمية سياسية وقومية . والوجهة الثالثة « هي إحياء التراث الشرقى مع الققباس خير . أنتجته وينتجه التراث الغربى من الفاحية العلمية والأدبية . وحى في اعتقادى الطريفة الوسط اتقى تسكفل لنا نهضة صحيحة في الحياة العقلية والفكرية .

وصفوة القول أن التراث الشرقى يمتوى ولا شك على ككوز من العلم

والحسكة والأدب ولكننا في حاجة أيضا إلى كنوز التراث الغربي الحديث لكي نتم لنا النضج والسكال في حياتنا العقلية .

عباس محمود العقاد^(١)

هل يستطيع أحسد أن يقول بأن الشرق خلا من العقول الناضجة في العصور القديمة ؟ هل خلا الشرق من الحياة العقلية الناضجة ؟ يوم أن كان التراث الشرقي هو التراث الذي لا تراث غيره ؟

فإذا كنا لا نرى أحدا يستطيع أن يزعم ذلك فقد حسكة بأن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية ، لأننا إذا أنكرنا هذه الحقيقة وجب أن نقول أن الشرق خلا من العقول الناضجة قديما وحديثا وهذا ما لم يقل به أحد من الشرقيين ولا من الغربيين .

الواقع : أن الشرقيين لا يمكن أن ندفع لهم حياة عقلية في غير تراثهم الذي يقتضى إليهم ويصطبغ بهبشتهم .

فغير ممكن أن نجعل العلم الطبيعي تراثا شرقيا أو غربيا بأية صفة من الصفات وغير ممكن كذلك أن نجعل العلم الرياضي تراثا ينسب إلى الشرقيين أو إلى الغربيين ، فلم يبق إذن إلا التراث الغناس بالشرقيين الذي لا يشاركهم في خصائصه مشترك من المألين ، وهو التراث للشغل على ما لهم من أشعار ومواعظ وأمثال وحكايات وآداب وقواعد سلوك . وفي طليته روح العقاد الدينية والحسكة البنفسية والفكرية وما يصاب ذلك من قته وشريعة ودين . وقد يسأل السائل في هذا العرض : وما الرأي في الأشعار والأمثال والحكايات التي تعقل من الغربيين وهي تراث غربي لا نزاع فيه .

(١) ص ١٠٦ ، جلد السنة الخامسة (١٩١٨) ابرسالة .

فيجاءنا على هذا السؤال أن التراث الغربي ينقل إلى الشرقيين ينقسم إلى قسمين : القسم الذي يمكن أن يمتزج بحياتهم وهو من نوع تلك الحياة فلا يلبث أن يدخل في الشرق متى استطاع بصيغته ويجري على سنته .

والقسم الآخر من التراث الغربي الذي ينقل إلى الشرق هو القسم الذي لا يمتزج بحياة الشرقيين ولا يدخل لهم في عقل ولا روح . وهذا غريب عنهم وهم غريبون عنه . وحكمهم فيه حكم المتفرج العابر الذي يمر به وكلاهما باق حيث كان ، هؤلاء شرقيون وذلك تراث غربي لا يدخل في عوامل النضج العقل أو في عوامل التكوير . سواء رجعا فيها إلى الأفراد أو إلى الشعوب .

وسمى هذا : أن الحياة العقلية إذا تضجت بين الشرقيين فهي شرقية لاحقة بالتراث الشرقي أيا كان المصدر الذي جاءت منه أو حلت صفاته ولا يصح أن تنسب إلى غير الشرق ألا كما يصح أن تنسب دأؤنا إلى أستراليا وأمريكا لأننا تأكل الفصح الإسترالي والفاكهة الأمريكية في بعض الأوقات وعلى أية حال ليس لنا مقام من إحدى القتين : أما أن نقرر أن الشرق خلا من الحياة العقلية الفاضحة في جميع المسور وهو مخالف للمعتول ومخالف لأجتماع الآراء ، وأما أن نقرر أن الشرق قد عرف الحياة العقلية الفاضحة ولو في عصر واحد من عصوره وهذا في لبايه مرداف لقواد : أن التراث الشرقي كان لنضج الحياة العقلية بين الشرقيين .

١٤ - ثقافة دار العلوم

بين أحمد أمين ومهدى علام

عبرت فترة على الثقافة العربية في مصر بعامليها سراج عفيف بين الأزهر والجامعة وبين دار العلوم والقضاء الفرعي . وبين دار العلوم والجامعة . وكان أحمد أمين من خريجي القضاء الفرعي ثم عمل بالجامعة فزاد الأزهر ودار العلوم في العدد الأول من مجلة الرسالة في مقال ليجنون حلقة مفقودة . وقد رد عليه الدكتور مهدي علام فيما يتعلق بثقافة أبناء دار العلوم في مقال بالعدد الأول من مجلة دار العلوم .

أحمد أمين^(١) حلقة مفقودة

في مصر حلقة مفقودة لا نؤكد نذكر بوجودها في البعثات العلمية مع أنها ركن من أركان الأركان التي عليها نهضتنا . وقدانها سبباً من أسباب قوتنا في الإنتاج والقيم والفداء الصالح .

تلك الحلقة هي طائفة من العلماء جمعوا بين الثقافة الدينية الإسلامية العميقة وبين الثقافة الأوروبية العلمية الدقيقة ، وهؤلاء يوزنوا الكثير منهم ولا يتسنى لنا أن نتهمز إلا بهم ولا نسلك الطريق إلا على ضوءهم .

إن أكثر من عدتنا قوم تفقوا ثقافة عربية إسلامية بحته وهم جاحلون بكل الجمل بما يجري في العصر الحديث من آراء ونظريات في العلم والأدب والفلسفة وطائفة أخرى تفتت ثقافة أجنبية بحته يعرفون آخر ما وصلت إليه نظريات العلم في الطبيعة والكيمياء والرياضة ولكنهم يجهلون الثقافة العربية الإسلامية ككل الجمل .

هاتان الطائفتان عدتنا يمثل الأول خريجو الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء ويمثل الأخرى نوابغ خريجي المدارس المصرية والثقافات الأوروبية .

(١) الرسالة : العدد الأول ١٥ (١٩٣٣)

ذلك أن الأولين إذا أنتجوا قبيب إقناجهم أنهم لم يستعملوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر ، وإنما التزموا التعبير القديم في الكتابة والخط في التأليف ونحجرت أمثلتهم ومل الناس بلاغاتهم وعمادها رأيت أسداً في الحمام وعصت على العتاب بالبرد .

ومل الناس فحوة ومداره ضرب زيد عمراً ورأيت زيدا خسفا وجهه ، أما الآخرون فزحف ثقافتهم العربية الإسلامية ، فلما أرادوا أن يخرجوا شيئاً لقومهم وأنشئهم أعجزهم الأسلوب والروح الإسلامي . فلم يستعملوا التأليف ولا الترجمة وحاولوا ذلك مراراً فلم يفهم الناس ما يريدون ، والذي جر إلى فقدان هذه الحلقة أن للتعليم عندنا سار في خطين متوازيين لم يلتقيا فالتعليم العربي الإسلامي سار في خط والتعليم الذي الحديث سار في خط آخر ولم تسكن هناك محاولات جديفة لتلاق الخطين أو ربط بعضهم ببعض وقد كان إخواننا المفود أسبق منا إلى إيجاد هذه الحلقة والانتفاع بها .

ولكن المفود يمرضون وأسقامه (إقناجهم) باللغة الإنجليزية فلا يتذرون جمهورنا ولا يسدون حاجه العالم العربي .

محمد مهدي علام^(١) : الحلقة المقطوعة

شاء صديقنا الكاتب أن يختص أبنا دار العلوم بالنصيب الأوفى من سهام جيبته . فسكتب ردّاً على تلك المقالة .. ولكن رأيت أن الأستاذ أحمد أمين أكرم علينا من تقاضيه على صفحات الجرائد التي لا تقتصر قراؤها على خاصة القوم .

(١) مجلة دار العلوم (العدد الأول) يولية ١٩٣١ .

يدعي صديقنا الفضال أن رجال (دار العلوم) لا يمثلون إلا التتانة الإسلامية وحدها وأنهم لا يزالون حيث كانت مصر قبل اتصالها بأوروبا وإذا أتجروا فميب إلتاجهم أنهم لم يستطعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر وإنما التزموا التعبير القديم في الكتابة والخط القديم في التأليف . ونجبرت أمثنتهم ومل الناس بلامتتهم وعصاها رأيت أسداً في الحمام وضعت على العقاب بالبرد وعشرة أمثلة عن هذا الطراز .

ومل الناس نجوم ومداره ضرب زيد عمراً ورأيت زيداً حشاً وجهه .
وسئم الناس معظمتهم وكله الإنسان حيوان وكل حيوان يموت فالإنسان يموت وهذا حبر وكل حبر جباد فهذا جباد .

ونعيل إلى ناري . هذه المقالة أن كاتبها لا يمشي على أرض مصر ولا يتصل بمسالم العلم والأدب فيها ، ولا بالثروة التأليفية التي نهضت في هذا العصر ، أو أنه يعرف كل ذلك ولكنه لسبب ما لا يريد أن يعرف به .
(ثم عدد مؤلفات أينا . دار العلوم) .

هل نسي الأستاذ أن الأثر يوم أراد الإصلاح الجديد لم يجد أمامه إلا رجال دار العلوم يستعبد بهم ليقوموا بهذا العمل القليل فيسكنوا رسل الثقافة الحديثة إلى العهد الجديد ، بل هل نسي السيد أن كلية الآداب بالجامعة المصرية التي يمتز صاحب الحلقه المققودة للزعومة بأسفاديته فيها ، لا يقوم عليه التدريس في قسم اللغة العربية فيها والنهضة بها إلا هل شيوخ دار العلوم فإذا استقنى الأستاذ نفسه وزميله فاضلاً آخر لم يجد الجامعة إلا إخواننا الفضلاء : إبراهيم مصطفى وعله أحمد إبراهيم وعبد الوهاب حودة وأحمد الشايب وعبد العزيز أحمد .

على إتي أشعر بميل مائع لأن أصر في إذا الأستاذ كله بيني وبينه : هو
أن يحدثني عن الاسانقة الذين كان لهم فضل تثقيفه في مدرسة القضاء الشرعي
وفي الجامعة المصرية القديمة فهل يسمح له أذنه للمروف بأن ينسك ما تركه
في نفسه من أثر كل من أسانذته : عاطف بركات وعبد القفري ،
وعبد الحكيم بن محمد وحسن منصور وعبد الهدي وحفي ناصف وغيرهم .

أولئك أباني فحدثني بحلهم

إذا جيمعتنا يا جرير الجامع

هل أنتي أريد أن أجاري الأستاذ ، جدلا ، في أن طلبة دار العلوم — أو
على الأصح خريجها — لا يمثلون الحلقة المفقودة الموهوبة . فهل لي أن أطمع في
أنصاته بالاعتراف بأن خريجي دار العلوم عثرت قد تمهوا دراساتهم العاليه
في جامعات إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وأن من الإسراف في العلم والتجريح
أن يدعى مدح أنه حق هؤلاء لا يمثلون مايسميه الأستاذ (الحلقة المفقودة)
في أمة أنا وهو نعلم عدد التملين فيها .

وتم غلط آخر وقع فيه صديقنا الغايه . وارجع الفلن أن الذي أوقعه فيه
هو خطأه الأول في الحكم علينا — لأسباب تعرض أنفسا على اعتقاد أننا
نجهلها — ذلك أنه ادعى أن « إخواننا المهود أسبق منا إلى إيجاد هذه
الحلقة والاتقاع بها » .. فإن مانوخ من أطرائه إخواننا المهود على إيجاد
« الحلقة المفقودة » مقدم حتى سطر بقلمه مايقض ذلك .. ويهدم كل إدعاء
بأن حلقة مفقودة قد وجدت في المفسد ، ويسمع إليه القاري . حين يقول
« ولكن المهود يرضون وآسفاه ذلك بالهنة الإنجليزيه » مرحى مرحى !
فهل يرى الأستاذ أن تأليف المهود في الشريعة والتاريخ الإسلامى بالهنة
الإنجليزيه يصل السلسلة المنطوقة بجلته أو يقيم على الموهبة المحقة بين الشرق
 والغرب قطرة .

وهل يعد ذلك إيجاباً للحلقة المفقودة ..
إن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
أرأيت يا صديقي أنك تشكل في المقالة الواحدة بكتليتين تعتمد اللغة الوطنية أساساً في الحلقة المفقودة الأدبية ولا يتيم لها وزناً في الحلقة المفقودة الهندية ..

والجواب على سؤالك الأول هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك الثاني هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك الثالث هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك الرابع هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك الخامس هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك السادس هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك السابع هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك الثامن هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك التاسع هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .
والجواب على سؤالك العاشر هو : لا ، لأن الحلقة المفقودة لا تتحقق في أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه في مشتمل مقالة من أن يكون التآليف بلغة الأمة وبلغتها العصرية .

الباب الرابع

معارك الأسلوب والمضمون

١- الأسلوب والمضمون

الرائي وسلامة موسى وعبد الحسين

٢- أسلوب الكتابة

شعب أرسلان وخليل سكاكيني

الفصل الأول

١ - الاسلوب والمضمون

بين الرافض وسلامة موسى وطه حسين

كانت معركة « النشرون » في الأدب من أبرز معارك الأدب بين «مسكر الخفاطين والمجددين» ، ودارت تحت هذه الحركة في عدة مساجلات - بدأت بهذه المناجاة عام ١٩٢٥ في القلح عندما كتب سلامة موسى من أدب التفاهل بقصد أدب مصطلح صادق الرافض . وقد تدخل الرافض الحركة وأعلن وجهة نظره في كتاب طه «واجباً الرافض والسكن الرافض لم يلتصق بحول من أسلوبه انفرادي إلى أسلوب وسط فيه عاشن الأسلوب القديم مع العناية بالنشرون

أدب التفاهل : سلامة موسى^(١)

أدباء الصنعة يكتبون وكل همهم محصور في تأليف استمارة خلافة أو جهاز جيل أو كتابية بارعة أو غير ذلك من التفاهل ، فإذا أراد أحدهم أن يؤلف كتاباً أو يضع مقالة لم يمن أقل عناية بالموضوع الذي يكتب فيه ، وإنما يمدد إلى التفاهل فيؤلف مدناً عبارات خلافة هيتوبل بها إنشاءه أو برصاً رصاً أو كثيراً ما يسبح أمثاله من تأليف عبارة من إنشاءهم الخاص .

وهكذا يعيش كتاب الصنعة هذه الأيام بما خلقه لهم الأقدمون يتداولون الصنعة القديمة في الآداء ويمتدونها لإجتراراً كما تغير الهيبة طعماً طوال حياتهم أو يقضون وقتهم في العبث والبهو بتأليف الصنجات والاستعارات والشبهات ولست أنكر أن لهذه الأشياء جمالاً ، ولكنه جمال التفاهل والزبد الذي يذهب جفاً عندما تسيطر عليه أشعة الشمس أو تهفوا به الريح .

كتاب الصنعة يكوهرن الفلسفة والمعلوم . وقد قلنا أحدهم (للتفاهل)

(١) ١٩٢٣ . جلد ٣٣ من القلح - أبريل ١٩٢٥ .

وربما كان ألقم صفة (مادخلت الفلسفة أيا كان نوعها على عمل من أعمال القسرة إلا أنسدته) .

وهذه فزعة خطيرة تطالب أن يمدد رجال الذهن في جميع البلاد العربية إلى وفقها بكل الوسائل . يجب أن نعيب تلامذتنا في الفلسفة والعلوم ونسكرمهم في فقايع الاستعارات والكتابات .

وهذا كاتب يضع كتابا عن الحب والجمال (يتصد كتاب مطلق صادق الرافعي — الصحابي الآخر) وبدأ الفصل الأول منه بوصف فتاة هي نصاب قلم مصنوع من زجاج ويمر على مداد أحمر ويباع بالقاهرة بعصف قرش فيكتب عن هذا الفصيح عدة صفحات ويستفيض منه التأملات والمواظرة في الحب والجمال . فهو كاتب صفة لا يزال إلا برنين ألفاظه وخلاصة استماراته وهذا لعمري هو المهر والصب . فإن الأدب غاية وغايته هي صلاح الناس وهديمهم وكشف حقائق هذا السكون والتمتع بجمال هذه الحقائق .

٢ — المذمت القديم والذهب الجديد — سلامة موسى ^(١) :

في مصر وسوريا طبقة من الأدباء لها عيون من خلف رؤوسها فإذا نظرت لم تر سوى الماضي ثم هي مع ذلك لا ترى كل الماضي وهي لا استطاعت أن تفعل ذلك لسكان لها من ذلك بصيرة بالماضي والمستقبل . أجل لو كانت هذه الطبقة تنظر إلى الماضي خلال تلك كوب العلوم الحديثة لاستطاعت أن تقرأ لغة الطبيعة وتذكر أن روح العالم هي روح نشوء وتطور . تقول هذه الطبقة أن الأدب لا منفوحة له إذا أراد أن يسكون أدبيا

حقيقاً أن يتخذ العرب ويمتدنى كتابهم في أساليبهم ومبادئهم . ومن هذه الطليقة بل وفي رأسها تضع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي والأستاذ الأمير شكيب أرسلان .

ومن المستطاع أن يحلل الإنسان هذه (الوطنية الأدبية) وأن يردّها إلى أصولها في ذلك العقل الباطن الذي يغاط بين الدين والقومية والأدب العربي ، فانفزوج عن المؤلف في الأدب العربي يوم أفراد هذه الطليقة وانفزوج على الدين والقومية العربية .

الصفة دون الفن . وأن الفن هو الجوهر وهي الغرض . ونحن الآن بقوة ماوردناه عن العرب كثيراً مانى بالصفة ونهل الفن فننتقل بالقشور وترك القلب .

الرافعي (١) يدافع عن المذهب القديم ويقول بأفضلية الأساليب العربية القديمة على أساليبنا الراهنة (٢) هو أيضاً يحمي الصنعة إيماناً وإجادة ولكنه لا يمي بالفن فإذا كتب استقت عباراته وانظمت ألقاطه فأى بالصجب ولكن الحقيقة (أى الجمال) لا تشبه في نظمه أو نظره (٣) هو لا يكاد يؤمن بالعلم بل لا يجد له أثراً في جميع كتاباته .

٣ - دفاع^(١) عن المذهب القديم في الأدب - الرافعي :

زعم الأستاذ الفسخر سلامة موسى أن ماقول به من اقتداء العرب في أساليبهم والارتياض بكتلامهم والحرص على لغتهم وأن يكون الكتاب في هذه اللغة حسن البيان رشيق العرض رائع انغلاية يثبت في ألقاطه وينظر في أحطاف كلامه ويتفنن في أساليبه - كل هذا وما إليه من مذهب قديم

و (وطنية أدبية) ترجع اللغة فيها إلى ذلك النقل الجاهل الذي يخلط بين الدين والقومية والأدب العربي . ثم قال أن أهل المذهب القديم يهللون العلم لأن العلوم تتعارض ومعتقدات العرب

وظاهر أنه يعنى بالعرب المسلمين لا غيرهم .

فالمذهب القديم إذن هو أن تكون اللغة لا تزال لغة العرب في أصولها وفروعها وأن تكون هذه الاسفار القديمة التي نحويها لا تزال حية تنزل من كل زمن مفردة أمة من العرب العظام ، وأن يكون الدين العربي لا يزال هو كأنما نزل به الوحي أمس ، لا يفتننا فيه علم ولا رأى . وأن يأتي الحرص على اللغة من جهة الحرص على الدين إذ لا يزال منهما شيء كالأساس والبناء لا منفعة فيها مما إلا بقيامها مما .

اللغة في الحقيقة لا ترجع إلى مذهب قديم أو جديد بل إلى الضعيف في لغة والقوة في أخرى وأن صاحب المذهب الجديد . . أخذ بالحزم في واحدة وبالتضييع في الثانية . وأكثر من الإقبال على شيء دون الآخر فتعلق به وأمنى أمره عليه وحسنت نيته فيه واستمكنت فصارت إلى نوع من المعيبة للأدب الأجدى وأحد .

فلما تعطل الزمن وأصبح الأدب صحفياً . وآلت العربية وآدابها إلى لفيفة في أوراق مدرسية وأزوى ذلك العلم المستطيل واستعصمت السكاكيب له كالقبور الملوثة بالنوابيت . وفشت المعيبة بيننا للأجدى . وجع الأمر على مقدار ذلك في صنو الشأن وضعف القوة واحتاج أهل هذا القليل من العربية إلى أن يعتبروه كلاً بنفسه لا جزءاً من كله فكان ذلك مذهباً . وكان مذهباً جديداً .

فإنك واجد في أهل سنة ١٩٢٣ (يقصد جبران خليل جبران) من يقول في هذه الفئة « الك مذهبي ولي مذهبي ، ولك لنتك ولي لنتي » فق كفت صاحب الفئة وواصفها ومنزل أسوئها وخرج نروعها وضابط قواعدها ومطلق شوائبها . من سلم لك بهذا سلم لك حق التصرف (كما يتصرف المالك في ملكه) وحق يكون لك من هذا حق الإيجاد ومن الإيجاد ما تسميه أنت مذهبك ولنتك .. لأنهم عنك أن تولد ولادة جديدة فيكون لك عبر جديد تبتدى فيه الأدب على حته من قوة التحصيل وتضاف دراسة الفئة بما يجعلك شيئاً فيها — من أن تلد مذهباً جديداً أو تبدع لنة تسميها لنتك — فإنك عبر واحد بين ملايين من الأعمار في عصور متعاقبة وأن ما أحدثه على خطأ لا يبقى على أنه صواب ولا يبقى أبداً إلا كما يبقى الحق على أنها حق فلا تقاس عليها أمر الصحيح ولا يحكم بها فمين لم يفعل ..

إن أعادوا بالذهب الجديد أن يكتب الكتائب في العربية منصوفاً إلى المنى تاركاً الفئة وشأنها معصفاً فيها ، آخذاً ما يتفق كما يتفق وما يجري على قلبه يجري .. أن أراءوا بهذا وأشباهه الذهب الأدبي الجديد قلنا لا ثم لا ثم لا ثلاث مرات . ثم أي خير لأدبها وعلومها وكتبتها أن نحرس على الأصل الصحيح القوي الذي في أيدينا ونجعل فيه ضعف الضعف ونعبر على مدافعتهم عن أسادهم حتى يفتشوا جهل أقوى من جيل ونخرج أمة خيراً من أمة .. أم ندع الإصلاح للفساد ونقرأ في القوة حتى نحول شفا .

إن هذه العربية لنة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم وقد أجمع الأولون والآخرين على إعجازه بوضوحه إلا من لا عقل به من زنديق يعامل أو جامل يتردد .

ثم أن فصاحة التركن يجب أن تبقى مفهومه ولا يدور القوم عنها ألا بالقرآن والمزاولة ودرس الأساليب الفصحى والاحتذاء عليها .

٤ — انحصورة بين القديم والجديد في الأدب — طه حسين :

الحق أن مودان هذه انحصورة أوسع من مجلة الهلال وأن أبطال هذه انحصورة أكثر من الأستاذين سلامة موسى ومصطفى الرافعي .. أن مصدر هذه انحصورة إنما هي صحيفة الأدب في السياسة حول رسالة « أسلوب في القتب » ذهب فيها الرافعي مذهب التشككيين من بعض الكتاب القدماء ثم أن للمركة نحو ثلث إلى مارك ثلاث :

١ — بين طه حسين والرافعي : السياسة .

٢ — بين السكاكيني وشكيب أرسلان : السياسة .

٣ — بين الرافعي وسلامة موسى : الهلال .

للأستاذ الرافعي في فصله هذا آراء محتاجة إلى شيء من المناقشة . ومنها ما كان يحتاج إلى شيء من الترجمة قبل أن ينشر ويعلن إلى الناس . أنظر إليه مثلاً يزعم أن المذهب الجديد في الأدب ليس في حقيقة الأمر إلا هجوة لضعف في اللغة والأدب العربي وقوة في اللغة والأدب الاجنبي . وأن الذين يزعمون أنهم من أنصار المذهب الجديد إنما هم قوم ضيعوا حقهم من لغة العرب وآدابهم وأخذوا بفصيح موفور في لغات الأجنبي وآدابهم .

نعتقد أن الأستاذ الرافعي يسرف في هذا الحكم . ولعل مصادر إسرائفه في هذا الحكم ، أن صحت نظريته أنه أخطأ فهم ما يكتب أنصار المذهب

العربية وهو إنما أخطأ القوم لأنه أخطأ الذوق أو هو إنما أخطأ الذوق لأنه أخطأ القوم .

ولكن الأستاذ الرافض معذور على كل حال فأكان له أن يحكم فيحكم المحكم دون أن يتم ويدق وهو قد يخطئ القوم والذوق أحياناً فتخطئ الإجابة في الحكم .

ونظن أن الأستاذ الرافض خطأ من الانصاف وأنه يرى هنا أن بعض أنصار للذهب الجديد أو الذين يسمون أنصار للذهب الجديد قد أخذوا من الفنة العربية وآدابها بحظ لا بأس به وإن قوتهم في الفنة الأجنبية وآدابها لم تحصلهم على أن يضيروا حظهم في الفنة العربية وآدابها .

لأن فائتصار هؤلاء للذهب جديد ليس ضيقاً وليس اعتذاراً لأنفسهم وليس تمسكاً بالآداب الأجنبية الذي تفوقوا فيه

نسمح لأنفسنا بأن نزعم أن لنا في هذه الفنة التي نكلمها ونصنعها أداة: القوم والأنعام خطأ يجعلها ملكاً لنا ويجعل من الحق علينا أن نضيف إليها ونزيد فيها كلها دمت إلى ذلك العناية أو قفت ضرورة القوم والإنعام أو كلها فما إليه الظرف التي لا يتبدلنا في ذلك إلا قواعد الفنة العامة التي تقصد الفنة إذا تجاوزناها .

ولولا هذا ولولا أن الفنة ملك لأبنائها يضيفون إليها ويدخلون فيها لما تمت الفنة وعاشت ولا استطاعت أن تفي بمطالب أهلها التي تتجدد وتتوسع .

والرافض .. يسرف في سوء الظن بأوروبا وأمريكا وفي سوء الحكم

عليهما وادل مصدر ذلك أنه لا يقرأ لغة أوروبا وأمريكا ولا بينهما ولا يفتونها
فهم يخطئ في الحكم على أوروبا وأمريكا .

والرافض كثيره من أنصار المذهب القديم مشفق كل الإشفاق على القرآن
السكرم وحل الإسلام أن يصيبها من المذهب الجديد شر أو يخالها ضيم ...
تهون على الأستاذ ونهدي من روعه فليس هناك ما يدعو إلى هذا الإشفاق.

٢ - أسلوب الكتابة

معركة بين شكيب أرسلان وخليل سكاكيني

هذه معركة أخرى بين شكيب أرسلان وخليل سكاكيني ، تمثل وجهين من وجهين ، شكيب أرسلان يؤمن بالأسلوب القديم ويرى خليل سكاكيني أن الفن يمكن أن يؤدي بالأسلوب البسيط التفراف ، متأثراً في ذلك بأراء صلاح موسى في مصر ، خليل سكاكيني من كتابه «العلم» ، والأثير شكيب أرسلان كاتب العرب اللباني الأصل للثوب الخيم في سويسرا ، إذ ذاك يحمل لواء حارة اللغة العربية ويقاوم مع معطل صادق الرافعي في مصر كل تمرداً إلى مواجهة اللغة العربية إيماناً منه أن هذا الهجوم موجه إلى الدين والأعاجم والتراث العربي كله .

لغة الجرائد - خليل سكاكيني^(١)

لعل القاريء الكريم يذكر أن «لما تقنا المرحوم الشيخ إبراهيم البازجي صاحب مجلة الضياء» كان أول من تصدى للتنبيه على هذا النوع من التقلط قائلاً: لذلك الفصل الطويل في مجلته في لغة الجرائد وفصولاً أخرى في أغلاط العرب وأغلاط المؤرخين مما يجدر بكل أديب الرجوع إليه والاستبصار به . ومن العجيب أن ترى الأغلاط التي نبه عليها لا تزال مفضية إلى اليوم (أورد نماذج من هذه العبارات) .

يقولون أن اللغة مرآة الأمة وسجل تاريخها وصورة أحوالها في كل أدوارها بحيث أن من نقد ألقاظها وتدرع معانيها واستقصى تاريخها وجد فيها آثاراً تدل على ماضي الأمة وتطورها من حال إلى حال كما تدل الأحافير والمعادن على حالة الأمم الفائرة ، ولكننا ما لنا لا نزال نسمع لغة البدولة وقد إنقشع وبدا ويعلو الامد وانقطعت كل صلة ، وإذا نقد الفلاس في

(١) السياسة - ٢ ديسمبر ١٩٢٣ .

للمستقبل الجيد لنة هذا العصر أملا يقولون أننا كنا في الجيل العشرين : عصر السيارات والترم والطائرات بدوا رحلا ولفقتا الوحش في سكتى مراتها وخالفناها بتقويتى وتطليب كما يقول الثنى .

لا تكون لنة أمة حية إلا إذا انطقت على حياة تلك الأمة التى تستعملها ومسا استعمال لنة البداوة فى عصر الحضارة إلا من قبيل إنزال الش . فى غير محه

٢ - تطور اللغة فى القاطلها وأساليبها : خليل سكاكيت^(١)

كان الناس قبل هذه النهضة الأخيرة : لوسار المورى فى مصر أو المصرى فى سوريا لا يسير إلا بترجمان .

فما أولع به أصحاب الذهب القديم إلى يومنا هذا تكرار الكلام فى غير مواطن السكندر والإسراف فى استعمال الترادفات على غير حاجه إليها ولا فائدة منها فهم لا يأتون بكلمة إلا اتبعوها بموافاتها .

بل استأذن القارىء الكريم فى تقديم مثل على ذلك من رسالة أمامى لسكاكيت كبير قال « بالخواص : أن الصارخة القوية والتمرة الجلدية قد بدأت فى الأقوام وثأت مع الأمم مذ السكبان ومنذ وجد الاجتماع البشرى وتساكن الإنسان مع الإنسان ، وأن هذه التمرة الجلدية والحمية القومية وإن هم أموها جميع الأمم ولم يخل منها عرب ولا عجم فقد اختص منها العرب بالشمس الأخر والحظ الأكل » وهذه العبارة الشكيب أرسلان وسيب ذلك هو إمالة البيضاء أو نزارة المادة الفكرية وأصحاب هذا

(١) مقالات نشرها فى السياسة الدولية خلال (أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٢٣) .

المذهب يحسبون إن اللغة هي كل شيء. فإذا حل أحدكم حل ظهر قلبه مقفات الحريري وديوان الحسانة والمفاتيح والمفاتيح فقد صار كأنها بحريرا. أو يكون ذلك مقابلة لما ورد في بعض أقوال العرب من التكرار لفردية أو تقليدا لأحمد فارس الشدياق في كتابه (الساق) ولكن أحمد فارس لم يأت بالمترادفات لأنه لا يذهب إلى هذا النوع من الكتابة وأما أراد أن يضع كتابا في المترادفات ككتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى المدراني. فبدلا من أن يسرد المترادفات لغير مناسبة التي بها في سياق كلامه على اعتقاد منه أن ذلك أشوق للقارىء. ومما يمكن السبب فإن هذا النوع من الكتابة غير طيبى أو غير حرى: أو على الأقل لا يستعمره ذوق هذا العصر.

٢ - رد شيكيب أرسلان على خليل سكاكيني^(١)

ظاهر أن هذا الكاتب الأديب يقصدني في تعريفه لاستشهاده ببعض أهل من نشأ كان الوفد السوري وجهه إلى الأمة العربية مراعى حالة من مخاطبهم وضرورة تمكين الممانى من نفوسهم وتحريك عواطف حميتهم.

وقد كنت فسكرت في أن أترك هذا الكاتب وشأنه وأن أمرض عنه وأتجاهل إحصاءه تاركاً اللغة العربية ونظمها ونثرها ومتونها وأسوطها ترد عليه وتقمه بمطلة لولا أنى رأيت — وأرجو منه أن لا يؤاخذنى على هذا القول — وأضما نفسه موضع أستاذ اللغة وشيخ الصناعة والجميد الذى لا يقبل هذا وزيف ذلك والقاضى القيصلى الذى يحكم ولا مستقب لحسكه ماضيا في غفائه مسرورا بأرائه راضيا عن أمائه، فخرصت على أن أبين له مناهج

(١) الرسالة ٧ نوفمبر ١٩٢٣

الفئة في باب الإيجساز والمساواة والاطفاب ومقام كل منها ليعلم أن مقام منشورنا هو مقام اطفاب كما لا يخفى على كل من شأ شيئا من الأدب أو طالع شيئا من آثار هذه الأمة .

— أما الأساليب فهناك مذهبان مذهب قديم ومذهب جديد . وأنا لا أعلم مذهب جديدة إلا في العلم والفن أما في الأدب والفئة فلا أعرف إلا مذهباً واحداً هو مذهب العرب وهو الذي يريد أن يسميه بالمذهب القديم . وهو الذي يجتهد كل كاتب في العربية أن يحذو مثاله ويقرب منه ما استطاع لأنه هو المثال الأعلى والقائمة التصوى ، وقصارى الأدب العربى اليوم أن يتسكن من انزاع الموضوع المصرى في قالب عربى بحث لا يخرج بالفئة عن أسلوبها ولا يهجن لهجتها ولا يحملها لغة ثانية إذ كان التباعد عن النصاحة والحرمان من حقلها مما على مقدار التجانف عن أسلوب العرب عند ما كانوا عرباً لم تضاموا لغتهم المنجم . ولم تقصد منهم السليقة .

أما المذهب الجديد الذى أشار إليه في الأدب فلا تعلقه في المذاهب ولا وصل إلينا غيره . لحيناً لو أننا صاحبنا بشريف المذهب الجديد هذا ودلنا على أمتة منه وكتب مؤلف فيه .

إني أريد أن أتره صاحب مقالة التطور في الفئة عن أن يكون مقصده الانتقاد لأجل الانتقاد ولإثبات فضله وأظهار طوله على غيره .

[تم استشهد الأمير شكيب بأسياد مختلفة من الاطفاب في الفئة العربية]

٣ - من خليل سكاكهي إلى شكيب أرسلان^{٥٢}

(١) السياسة ٢٢ نوفمبر ١٩٣٣ .

إن الأمير لم ينضب لأن انتقادی الذهب القديم جاء مياينا لوجسه الصواب . إنما غضب لأن استشهدت بأقواله ، ولم استشهد بها إلا أني اخترت أن استشهد بأقوال كاتب كبير يوثق به . . تركته ولم أترك أحدا من القدمين والمتأخرين إلا انتقدته ، لسان الخطيب مفده حيناً ولكن انتقادی حيلت في همة . ولكنني نفسه مؤونة هذا الرد الطويل المريض الذي أوجوان لا يتجمل في النضب على إذا قلت أن هذا الرد من أوله إلى آخره جاء دليلاً جديداً على أن الأمير من اصحاب الذهب القديم ، وأنه لا يزال مولماً بالترادفات على غير حاجة إليها ولا فائدة منها .

ثم قال للأمير : أن مقالته مترادفات . ثم قال : أما كان الأول بأديه وعلمه أن يلزم نفسه قاعدة « خير الكلام ما قل ودل » ولكنه يظهر أنه لم يراع هذه القاعدة لا في مشورة الذي طبعته معه الوف الوف من النسخ لم يوزع على ملايين وملايين من الأمة العربية في اللذر والوبر .

إذا كان لكل مقام مقال فما باله امزه الله . يجعل القال الواحد لكل مقام . ولست اعلم أن كاتباً كبيراً مثله يتمذ عليه أن يفسك هذا الأسلوب من الكتابة لولا أنه الله وأخذ مذهباً في كل ما يكتب سواء أكان مشوراً نقرأه الأمة العربية جمعاً أو . . . فصار إذا أمسك القلم لإنهات عليه للترادفات كأنه يتناولها من جبل ذراعه فلا يتركها حتى تنجم على آخرها . وليس هذا أسلوب الأمير ، ولكنه أسلوب قديم أكل الدهر عليه وشرب ولله يتصل بمصر السكبان وليس الأمير فيه إلا متلداً .

انتقدت الأمير على أكثاره من الترادفات على غير حاجة إليها ولا فائدة منها فقال أن منشوري العامة ، ياسيدي الأمير . نهم منشورك . أكثرت

فيه من الرافعات أم أثقلت . إذا أردت أن تخاطب الجمهور فلا أخالك تنسك
على أنه يجب أن تخاطبه بلغة مفهومة تنجذب فيها مثل قولك « الشخص
الأخر » إلا إذا كان قصدك أن تنومه لا أن تنهيه .

٤ - واسأل دولة رجال^(١) (رد الأمير شكيب)

كنا فنان أنما بعد الأتيان بنصوص علماء الأدب وشواهد فنون البلاغة
مثل الجاحظ والبدیع المحدثي وابن خلدون وأمثالهم فأمن القلاء والمكابرة
ويقع انتسليم بأن الترادف مأخوذ في لغة القوم قد يأتي في الإحايين لتفكيك
اللعن في نفس السامع . إن للأطراب مقادير وللإيجاز مقامات وأن وضع
الواحد مقبها موضع الآخر محل بالفصاحة التي هي المطابقة لقتضى الحال إلى
غير ذلك .

لا بل والله كنت غافلا عن أنك صاحب مذهب . ولم يحضر بيالي أن
أسلوب الجاحظ صار قديما باليا وأن مثلي ومثلك صرنا مجذوبين في الفنة .
وإذا كان هؤلاء مذهب فليست أنت بالذي بقدر أن يأتي ببقية . فارجع على
ظلمك ولا تركب في غير سرجك .

وتحمر التصد أنك أنت تفكر للترادف مطلقا وأنا أقول بل له مواضع .

٥ - رد خليل سكاكيني^(٢)

وتحرير التصد أي قلت أن الأطناب ومنه تكرار الكلام بلفظه أو
بجودانه موافق وشرايط معنى عليها البيانويون ، وأن الأمير يسكن من
الرافعات اقتضاها المقام أو لم يقتضها ، فأنت ترى أن الجدول أصبح عقبا .

(١) السياسة ٢٢ ديسمبر ١٩٢٣ .

(٢) السياسة ٣ يناير ١٩٢٤ .

إن الأمير أعزه الله وإن تسكف الدفاع عن مذهبه في الكتابة جهد ما يستطيعه كاتب كبير مثله لم يسمه إلا أن يتكسب في ردة هذا الأخير عن مذهبه الذي الله وألقناه منه ، إذ لم يأت منه بالترافات ليسكيها كيلا . اقتضاها التمام أو لم يقتضيا .

ولا شك أن تنسكية عن مذهبه اعتراف منه أنه مذهب بال وأنه ليس طبيعيا ولا عربيا ولا يستمره ذوق ذلك العصر .

لست ياسيدي صاحب المذهب الجديد في الكتابة ولكني من دعائه ، فإذا كان لك شيء فدونك فننده ولا شأن لك مع أصحابه ودعائه . إلا إذا كتب ارسطرطلي للمذهب في الكتابة كما أنت ارسطرطلي للمذهب في الاجتهاد فلا يجوز في حرفك أن يكون الكتاب من غير الامراء .

٦ - العري شرط لازم في القديم والحديث : رد الأمير شكيب^(١)

أنا لم أقل في وقت من الاوقات أنه لا يوجد أسلوب جديد ، أنه يحرم على الناس التجدد وأنه إن جاز في شيء فلا يجوز في البيان وإنما قلت أن لكل لغة أسلوبا أصليا أو نصاها معروفا وليس هذا خاصا بالعرب وحدهم ، إن اللغة العربية يمكنها أن تسع المعاني الجديدة ومن المواضيع المعاصرة ما يمكن للكتاب وبتوحيدهم للؤلؤ مع رعايته ديباحتها الاصلية التي إن خرج البيان عنها كان عند العرب مستهجنا .

وقلت في موضوع التجدد : إن العقل البشري هو بنفسه لا يتغير بل للظواهر هي التي تتغير .

إذن لست ممن يفرشون على أولئك الذين يريدون (أن يأخذوا بحظهم من الحياة ويريدون أن ينفوا الناس ويفهمهم الناس ويمشوا مع الجيل الذي هم فيه دون أن يقطعوا الصلة بينهم وبين الأجيال الماضية)

كلا . لأن من هؤلاء القوم أنفسهم ، لي ماض يشهد لي بذلك وحسنة في عالم الطيورحات من أهرام ومؤبد ومقتطف ومقتبس وجرائد ومجلات عديدة عشت فيها مع الجيل الذي أنا فيه واجتهدت من أنهم الناس وأن يفهمي الناس ولكن حست على أن يبقى أسلوبي عربيا وأن أقتدى بقصة السلف في دولة قضايتهم .

إن شكيب أرسلان لم يقل أصلا ولا في موضع من المواضع أن الأقطاب خصة من خصال الفئة العربية . ملازمة لها ولا بد منها . لا ، بل شكيب أرسلان كرر عدة مرات من قبل ومن بعد ، أن كلا من الأقطاب والإيجاز والسواة له مقام أن عدل به إلى غيره أدخل ذلك بالقصاحة .

٧ - رد السكاكيني على الأمير^(١)

مر زمن غير قصير على الفئة العربية انصرفت عناية الكثيرين من أديائها وعلائها إلى الصناعة الثقيلة . من ذلك أنهم كانوا يطلبون حيث لا يجوز أقطاب ويكترون من التراجمات انتضاها القام أو لم يقتضوها .

وقد سرت عدوى هذا المرض إلى عصرنا هذا فلم يسلم منها أحد من أكبر كاتب مثل الأمير شكيب إلى كاتب هذه السطور . ولم تخف وطأة هذا المرض إلا من عهد قريب ، فأخذ كثير من الكتاب أصحاب المذهب

(١) السياسة ١٩ مارس ١٩٢٤ .

الجديد يميلون إلى الإيجاز ، ولا يطنون إلا إذا اقتضى المقام الإطناب . إن لكل لغة أسلوب أهل أو نصاب معروف لا يد من المحافظة عليه كما يقول الأمير شكوب فالذهب القديم خروج على ذلك النصاب المعروف والمذهب الجديد رجوع إليه والخلاف بين وبين الأمير ليس على هذا (النصاب المعروف) ولكن على أسلوبه ، فهو يقول أن أسلوبه ينطبق على النصاب المعروف في اللغة وأنا أذكر عليه ذلك .

٣- أساليب الكتابة

بين شكيب أرسلان ومحمد كرد علي

هذه مسابقة أخرى حول أساليب الكتابة بين أبناء النام - بدأها محمد كرد علي في كتاب (قواعد الحديث في فنون مصطلح الحديث) لجمال الدين (١) القاسمي وماجستير طريقة المؤلف وأتمى باللائحة على الكتاب الذين قدموا كتابه وم ثلاثة من بينهم شكيب أرسلان وقال أن هذه اللوائح لم يخرج الكلام في بعضها عن الدعاية والتبديد . في حين أن الكتاب لم يأت بجديد وأن المؤلف « يقتصر على نقل كلام غيره من أول الكتاب إلى آخره » وقال « كأن هذا الأمر كان مجموعة من مذكرات يريده واضعها أن يفتح كتاباً في هذا الفن ويأخذ من أوائل المؤلفين الذين درجوا . وقال أن القاسمي جرى على طريقة الأقدمين في الجمع والنقل (ما كان في أكثر تأليفه بسطاً كراه غيره) . وقال أن طريقة التأليف « يوم هي الانحياز من دون إعلاء «إمامي» - وبأسلوب سهل سائق حال من الخطابات والرسيم » .

ولا كان الأديب شكيب أرسلان أحد كتاب هذه اللوائح فقد دخل في سجال مع محمد كرد علي حول الأسلوب المروي وتطوره على هذا النحو :

١- من شكيب أرسلان إلى كرد علي

إنني في كتابي من الشيخ جمال القاسمي رحمه الله لم أدخل في علم الحديث دخول من تصدى لترجيح أو تبرير وخاض في الحديث غوص من يلهه ، بل بقيت واقفاً على الشاطئ . على حين أن محمداً السكرت علي دخل في الموضوع وحكم فيه حكمه . وهو مع ذلك يقول : إنني أنا وإياه لسنا من هذا العلم في ورد ولا صدر . فإذا كان الأمر كذلك فما كان أحراراً بأن يترك انتقاد كتاب مؤلف في الحديث الشريف وقد أظن في وصفه مثل الاستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله الذي إذا تكلم في هذا الفن يقال : القول ما قالت خفام .

(١) أول جولية ١٩٣٥ - الرسالة .

كان أكثر كلامي في محاسن الأستاذ جمال التامسي تشمده الله برحمته ،
فإن كفت لست من علماء الحديث فإني لست جاهلا معرفة الرجال ولا مصلوبا
مزية التمييز بينهم ولولا حسن فرائضي ما كان الأستاذ كورد علي عظيما في
عيني وقد اخترته لاختاني معه الثين وأربعين سنة .

أما المسجع وما أدراك ما المسجع . فالسكلام العربي ينقسم إلى مرسل
ومسجع ، وموزون ومتقي . ولكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة مقام بعينه
فيه أكثر من غيره . والمرسل هو السكلام المعاد الطلسمي الذي به أكثر
تفاهم الناطقين بالعناد والموزون المتقي هو الشعر الذي لا رونق لثلاث بدونه .

والمسجع وسط بين المرسل والموزون . وله وقع في النفوس لا جدال فيه
ويكفيه من الشرف أن كتاب الله أنزل بهذه الطريقة . وأنه نهج البلاغة
وكثير من كلام أفصح العرب هو من النوع المسجع .

فإن كانت اللغات الأوروبية ليس فيها مسجع إلا من ندر فليس هذا بحجة
على اللغة العربية فلكل لغة خواص تمتاز هي بها وقد خلق الله الناس أذواقا
مختلفة وجعل لكل أغان مشربهم والعرب غير المعجم والشرقي غير الغرب .

• • •

إن هناك غمرا بالمسجع . وليس الآخ (كورد علي) وحده الذي بدأ بهذا
الغمز ، بل إن أحد الأصحاب أطلق على كتاب الدكتور زكي مبارك لحيث
فيه كلاما يشبه أن يكون استعصارا للمسجع أو استكبارا لانهاية . وهذا
باب جديد عجيب إذا أردنا أن ندخل فيه بطول هذا الأمر .

ولم نعلم أحدا عاب المسجع من حيث هو ، وإنما عاب المسجع بالصحة
إلى المقام الذي يستعمله فيه السكاتب . أي أنه لا كان المسجع تنبيها بقواصل

كما هو الشعر تحييد يتوافر فلم يكن السجع مستحسنًا في المواطن التي يجب أن يطلق منها عقاب القلم تأدية للمأني على وجهها . أما في المواطن التي هي أقرب إلى الشعر منها إلى الباحث العلمية الصرفة فليس السجع بالنقض يندس في على العربية . بل هو من محاسن هذه اللغة . وإن كان يجب حذفه من هذه اللغة من أجل كونه طريقة قديمة ، ومن أجل أنه عبارة عن زينة كلامية فإن هذا يؤدي بنا إلى اقتراح حذف الشعر .

وأن العرب قد اصطالحوا على السجع في أسماء الكتب ولم يختشوا في ذلك لأن الكلام المسجع أعلق في الذاكرة من غيره^(١) .

من محذوكره على إلى شكيب أرسلان^(٢)

نعم ، شق على يا أخي أن تلقى ذلك في الدلائل . وأن تكتب مقدمة « قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث » بهذا الأسان الذي ما عهدت منك من تأديروا بأدبك وأكبروا عظمه ببيانك . بالأمس كتبت مقدمة القند التعليق لكتاب في الأدب الجامع فن هذا لم يوجب بما كتبت وحيرت وإن كتبت قد أطلت وتوسمت .

واليوم تكتب ما تكتب لقواعد التحديث في فن لست منه ولا أنا في العير ولا في النغير وجئت تفأل بكفاب ليس فيه من حديثه ولا أسلوبه أسلوب المؤلفين .

أنا أجلك عن الدخول في هذا المأزق ، لأنك في غفلة عنها ولست بمجدد الله محتاجا إلى مصانعة الناس ولا فضيت أمامك الموضوعات ، محتاج لمالقتها

(١) الرسالة — أغسطس ١٩٣٥ .

(٢) الرسالة — ١٩ أغسطس ١٩٣٥ .

لتورتك شهرة وحسن ذكر ، وما أخالك إلا كتبت ما طلب منك في غير وقت نشاطك . وليس لك من القول ما تقول فتبدع على عادتك . ومهما كانت مزية الكتاب وكاتبه من نفسك . ما أرى لقلبك أن يعزى إلا فيما يصلح أن ينسب إلى إحسانه . وحدة الأعلام مسؤولون إذا القصروا مع المؤلفين والطابعين على مقارضة الثناء .

ولم يتبادر دوم بالقد الصحيح . والإفراط في التفريط . شيعة للتأخيرين من أهل عصور الانحطاط الأدبي في العرب . والتفد للقيود عادة نقاد الأتروج في زماننا . ومن الأمانة للعلم والأدب أن يدل كل كاتب على مواطن الخطأ في كلامه . وإلا أن ننشئ وننش قراءة فتجسم ما صغر حجمه في العيان ولا يشول منها نقشاه في القيان ثم عرض نموذجاً لما قال في مقدمته وقال :

بأي أنت وأمي بالشكيب ! هل هذا بيالك الذي عرفته وعرفه نيك قومك أنا لا أطلب غير حكمك . فلا أحسبكم إلا إليك ! أعذا كلام ترضاه لنفسك في كتاب يبقى .. وما هذا التلق في العاني والباي .

وحديث السجع .. أنت عرفت رأيي فيه ولعلك تذكر أني كنت قلت فتركك إلى ما أسيت به كتاب وحلفك إلى المجازة الارتسامات الخلف في خاطر الحاج إلى أمي مغلف . وقالت لك يومئذ ميماء بلغ من تقوب ذهقه لا يدرك لأول هذه معنى هذا العنوان المسجوع إلا بكثير من إجهاد الفكر .

وهكذا كنت باستمساكك السجع في بعض المقامات وأتلق في تقرظ من توى تقرظه أن تضيفا حشائلك عليها في كلامك الرسل الكثير وأفا على ما تعلم من أحرص الناس على تخلوذه وتأيينه .

بحقك هل رأيت لأحد من خلفاء القرون الأولى سجما في شيء من أسماء
كتبهم وهذا الجاحظ وابن المقفع . وهذه أسماء كتبهما ورسائلهما . هل
وجدت لهم سجما تنتزعه كصاحبك أبي إسحاق الصمائي الذي أنشد الهمزة
على علو مكانته في الألوپ بما سجع ورصع .

وأطاك موافق هل رأى في أن التصحيح أضف ملكات المؤلفين من
عهد ابن الحميد إلى زمن استاذنا الشيخ محمد عبده الذي قضى بقوة حكومته
على استعمال السجع في الصحف والرسائل الرسمية ، فمد هذه هذا أكبر حسنة
من حسناته . ولولا عمله ما دخلت الهمزة في هذا الأسلوب المتبع الذي تقرأه
للفنشين والمؤلفين . ونرجو أن تعود به الهمزة إلى رونقها السابق من الرشاقة
والحيوية .

ولو كنت على مقربة منك ما تركتك تقول في مقدمة الديوان الذي
نشرته باخرو ودعوتك (روض الشفيق في الجدل الرقيق) ما قلته في
قائمتك :

« . . الذي لا أجد لشعره وصفا في عرشه عن الانتظار . ولا لديوان حلية
أجمل نشره في الانتظار . وخير وصف الحسناء . جلاؤما والحيواد عهته تنفي
عن التوار . ولمرى لو وصفته بأزهار الربيع وأنواع البديع وشفتت في محليته
أصناف الاسابيع وكان هو في الواقع دون ما أصف ما أنتيقه نهلا ولا
رفقه من درجته كثيرا ولا قليلا .

ولو كنت مقابلك لقلت وما باليت « . . الذي لا أجد لشعره وصفا أوفى
من عرشه على الانتظار . ولو وصفته بأزهار الربيع وكان في الواقع دون

ما أحصى لنا أغنيته قليلا . ولو قدمت لقرا ، فريده مطاللا . وكان هو في نفسه
درا نظيما لما خفى أمره . . .

أليس هذا الإيجاز أوقع في النفس وأجمل في أداء المعنى وأدعى إلى
الإنهاء من إسجاع ثقيل على الطابع . ونحن إنما نكتب لفهم لا لتعجب
وولهم .

الباب الخامس

معارك النقد

أولاً : حول الآراء والمذاهب

- ١ - أساليب طه حسين :
(النازى وطه حسين)
- ٢ - مقومات الأدب العربى :
(زكى مبارك وأحمد أمين وعبد السلام الصميدى)
- ٣ - مذهبان فى الأدب :
(سيد قطب وسعيد العريان وشاكر الطنطاوى)
- ٤ - النقد الذاتى والنقد الموضوعى :
(أحمد أمين وطه حسين)
- ٥ - الأدب بين الجديد والإنحراف :
(زكى مبارك وزكى أبو شاذى)
- ٦ - هل تنبئ أم تقلد :
(منصور فهمى وطه حسين)
- ٧ - معركة عقلان الثقافة :
(هيكال وطه حسين)
- ٨ - الفن للفن والفن للمجتمع :
(أحمد أمين ونوفيق الحكيم)

الفصل الأول

أسلوب طه حسين

معركة بين المازني ومطه حسين

عندما أصدر عزيز أبطاؤه ديوانه « أدب حائر » كتب الدكتور طه حسين مقدمة لادريان ظفر المازني ، قال في البلاغ حادياً فيه هذه المقدمة وقال أن الدكتور طه حسين قد غسوه الأدب ولم يرحمه الحكومة وقد أثارته هذه « اللدنة » لآثره الدكتور طه ، التي وجه خطابه إلى رئيس تحرير البلاغ ضده لوعاً حينها من الجهاد لإسعاد طه أسلوب المازني والأيام . واعتذر من ذلك بأنه لا يتحدث إلى القاري بقدر ما يتحدث إلى المازني نفسه . ثم أن الدكتور زكي مبارك لم يبع هذا الكلام بلشر في الصحف دون أن يتفقه إلى مجلة الرسالة ويشره . ويكشف رموز الجهاد التي ضمتها طه حسين بدقة . والنتيجة أن هذه الحركة ليست خطفاً قائماً بذاته وإنما هي اتصال بمبارك سابقة أغضى الدكتور عنها في حينها ثم انتهى هذه القصة فالتزم من المازني . من هذا ما تجده في معركة لدنة الميمني بين الدكتور مبارك وبين الدكتور طه . ونشأ ما أورده الدكتور طه من عهود متعددة السكتانية حديث الأرماء والشعر الجاهلي بما أوردها نوبختا منه في معركة « كتابه التاريخ » وفي هذه الحركة .

[إبراهيم عبد القادر المازني^(١)]

وتوكلت على الله وقرأت التصدير الذي كتبه الدكتور طه حسين له نقلت نفسي لأحول ولاقوة إلا بالله هذا طه حسين يحضره الأدب ولا تسكب الحكومة فما خلق لها بل للادب وأنه ليضع نفسه في هذه المناصب التي تشغلها وتستغنى جهده ووقته ، فإذا كتب جاء بماذا ؟ يمثل هذا الكلام الذي لا يحصل وراءه ولا يعرف له رأساً من ذنب ، فلماذا لا يستقبل ويربح نفسه من هذا العناء الباطل ويتفرغ للادب فإذا يفتنه من هذا العرض الرائل والذي أحمل أو ترك أبقي ، كيف يستطيع بالله أن يواطى على التحصيل وتنديه

(١) البلاغ في ٢٥ جوانية ١٩١٢ .

عقله ونفسه - وهو ما لا غنى بأدب عنه - وكيف يمكن له التجويد حين يكتب وهو مشغول في ليله ونهاره بهذا الذي لا آثار له من شئون الرقعة والبيان وما إليها .

جئت على طه لأني لم أتهم تصديره لآلآته غير مفهوم أولا بنهم بل لأني كتبت ذاهلا شارد أتب وآية ذلك أني لم أعرف من هذا التصدير أن الكتاب شعر لاثر ، وأن كان قد ذكر هذا في غير موضع .

ورجعت إلى الكتاب بعد أيام فادعيت أنه شعر أنه فوق هذا جيد عامر

طه حسين (٢)

أراد الأستاذ المازني أن يفي على ديوان شاعرنا المدرس أو مديرنا الشاعر الأستاذ عزيز أباظة فلم يستطع أن يصل إلى غرضه دون أن يقدم بين يدي مقالة برأى ، لي وإشفاق على لأن الأديب قد خسر في وأن الحكومة لم تسكين ولا في كتبت في تصدير هذا الديوان كلاما لا محصول ورواء ولا يعرف له رأس من ذنب أنا أسفأ ذلك في أن أشكر للأستاذ رثاء لي وإشفاقه علي ، فذلك أقل ما ينتظر من أديب مثلي لا يكتب إلا ما وراءه محصول وما يتبين رأسه من ذنبه . وأريد أن أؤكد أني أسف أشد الأسف لأن الأستاذ عزيز أباظة لم يعالج إليه هو كتابه هذا التصدير إذن لكان له المحصول كل المحصول ولكان له رأس كلمة الجليل وذنب كلمة خوف به التجمون المتصم حين هم ينتج هو ذنبه .

وأسف أشد الأسف لأن الحكومة لم تسكن إلى الأستاذ هلي في وزارة المعارف وفي جامعة فاروق إذن السكينة الحكومة والأدب جديما والأستاذ

النازي يعرف أن لابي العلاء قصة مع الشريف المرتضى وأظنه بأذن لي في أن
أسرق من هذه القصة شيئاً فالسرقة في الادب مباحة ولا سيما حين تكون
في العلم لاني المرء ، ومن حينئذ أشبه بالسطو . ولست أسرق من قصة أبي
العلاء أو لست أسطو منها إلا بقدر أنا أرجو أن يقرأ الأستاذ سورة
القلق وأن يقرأ مطولة لبيد ومطولة طرفة وعينية سويد بن أبي كاهل التي مطلعها :

بسطت رابعة الخيل لها
قبضتنا الخيل منها ما اتسع

ورائية الاحتال التي مطلعها :

ألا ياسلي ياخذت هند بني بدر
وأن كان حيانا عدى آخر الدهر

ولامية التنبؤ التي مطلعها :

بقاى شأ ليس هم الرحالة
وحسنى الصبر زمو لا الجلالة

وسيقول الزمخاري أني أفتر بهذا الكلام ولكنني اعتصم إليهم فاني
لا أكتب لهم وإنما أكتب للأستاذ النازي . وأنا أسلك في ذلك طريقة
الأستاذ نفسه فمن الحق أنهم لم يفهموا عفة ما قل أمس لانهم لم يقرأوا
التصدير الذي لا يحصل وراءه والذي لأرأس له ولا ذنب . ولأن أكثرهم
لم يقرأه لأن الكتاب ليس معروضا فتمسوا بالحجب إلى أن استقبل وأنزع
للادب ولكنني أود أن استيقن قبل ذلك بأن الحكومة ستضع الأستاذ
المسارني مكانه لئلا يرى أبك كتب كلاما كذاي أكتبة أم يكتب كلاما
خيرا معة .

زكى مبارك^(١) :

مناوشة عتيقة ثارت بين الدكتور طه والأستاذ المازنى على صفحات جريدة البلاغ وهو مناوشة تمثل التعصب والنظام على اعنف ما يكون بين الرجل على الرجل ، وسقف من المناوشة موقف القاضى العادل فقد سألت أن يتقارض هذان الرجلان النظم والمدبران بلا ترفق ولا استعفاء. بعد أن طلا صديقين حيناً من الزمان وأصل القصة أن عزيزاً ياطة مدير البعيرة أصدر مجموعة شمرية سماها (اثبات سائفة) مع تصدير بقلم الدكتور طه حديث .

فلما بدأ الأستاذ إبراهيم المازنى أن يتحدث من تلك المجموعة بدأ بالهجوم على صاحب التصدير فغضب الدكتور طه وكتب رداً أراد به دفع المدون بما هو اقصى من المدون ثم قال إنه سيفسر نقارى هذه الرموز .

ونظم زكى مبارك كلمة المازنى في عفاصر اربع :

١ - إن الدكتور طه خسر الأدب ولم تكسبه الحكومة ومعنى ذلك أنه يتولى ههنا لم يخلق له . وسئرى كيف أن الدكتور طه ناز على هذه العبارة وعدّها تحدياً لقدوته في الاعمال الحكومية .

٢ - إن الدكتور طه يضع نفسه في مناصب تشبه وتسفد جهده ووقته فإذا كتب جاء بكلام لا يحصل من ورائه ولا يعرف له راس من ذنب

٣ - إن الأفاضل الدكتور طه أن يستقبل ويربح نفسه من الغنا الباطل (وهو عمله في الحكومة) ويتفرغ للادب .

• - إنه لا يمكن للدكتور طه أن يزود نفسه بالتصحيح أو يتفرغ للتجويد حين يكتب وهو مشغول ليله ونهاره بأعمال كل واحد منها كافٍ للارفاق وتعارض تذكر أن الإشارة إلى سورة التلق منسوب عن آية • ومن شر حامد إذا حمد •

وإن الإشارة إلى مقلوه (لبيد) يتجه إلى هذين البيتين :

فأتبع بها تسم المليك فاعا
تسم الثلاث بيننا علامها

وإذا الأمانة قسمت في معشر
أوفى بأعظم حظها قسامها

وأته يريد من مقلوه (طرفه) هذا البيتان :

فلو كنت وغلا في الرجال لفسري

هداوة ذي الاصحاب والمتوجس

ولكن نفي عنى الاحادى جرى

علوهم وإقدامى وصدقى ومعتدى

ومن عينيه (سويد) أشار الدكتور طه إلى هذين البيتين :

رب من أنصبت غيظاً قلبه

قد نعى لى موتاً لم يلع

وترانى كالثجا فى حلقه

مسراً مخرجاً ما يتزعج

وأراد من رائية (الاخطل) هذين البيتين :

تفق بلا شيء شيوخ محارب
وما خلقها كانت تربش ولا تبرى

مخادع في ظلمات ليل تجاوزت
فعل عليها صوتها حية البحر
ومن لامية (الشيء) أراد هذين البيتين :

أرى المنشامين غسرو بذي
ومن ذا يحمل الماء العسال
ومن يك ذا فم مر مريض
يحد مرأ به الماء اللذلا

وما أردت تلجح هذه التماثيل إلى الأستاذ المازني وإنما أردت مقفة
القرأ والشر يسم بالخبر في بعض الاحايين
غزوات الدكتور عله

١ - كان يستطیع أن يقول أن « يستعير » قعة أبي العلاء مع الشريف
و« يستعير » هو التقلية المطلوبة في هذا الموقع . ولكنه قال أنه « يسرق »^(١)
ليندد بالأستاذ المازني ولم يكتف بذلك بل جعل مرقفه علفية ، وهي « حقتذ
أشبه بالسطو » كما قال .

٢ - صور الأستاذ المازني بصورة الخادم لمن كتب تصدير الديوان .

(١) كان قد وجد المازني في بعض النسخات إلهامات السرعة من قصائد بعض الشعراء
الأمميين وكانت « ناصة »

٣ - صورة بصورة من ريجز عن عدل المستشار القنى لوزارة المعارف
ويجيز عن إدارة جامعة قاروق .

وقد فصلنا المضمومة بين الرجلين بوضوح ولم يبق إلا كشف شر
الاستاذ المازنى عن الدكتور طه . وشر الدكتور طه عن الاستاذ المازنى .
لأننا نكره أن نختل الموازين في هذه البلاد .

ولم ينس الدكتور زكى مبارك أن يهاجم الدكتور طه بعد أن أشاد
بقدرته على إدارة الاعمال الحكومية فقال :

أما قول الاستاذ المازنى بأن شواغل الدكتور طه تصرفه عن تزويد
عقله بالمطالعات والمراجعات فهو قول صحيح . ولكنه لا يؤذى الدكتور
طه فى شيء لأن الدكتور طه قد اختار بنفسه أن يسكون من رجال اللذة
لا من رجال الادب وهو لمن يراحم أحداً من الباحثين . وإن يقول أنه أوسع
القاس فى جميع القنون فما يجوز لمن يكون فى مثل حصافته أن يقتضى أن
الاستاذية فى الادب توجب الانقطاع إلى الادب . وتفرغ الخلوقة إلى النفس
ساعات من كل يوم وذلك لا يجسر لمن تسكون الاعمال الإدارية معناه
بالنهار وهمه بالليل .

٢ - رأى المازني في أسلوب طه حسين

لما أردنا أن نعرف تلك ما هي طه حسين المازني على هذا النحو ، علينا أن نرجع إلى ما قبل ذلك بـ عشرين سنة منذ ما حارب المازني أسلوب طه حسين في حديث الأرياء فقال :
والآن ما رأينا في أسلوب صديقنا الدكتور طه حسين .

الحق أن هذا موضوع يلقى فيه الكلام !

تناولت القلم فكتب به الشيطان ما يأتي :

الدكتور طه حسين رجل اتيس الحضر زكي التؤاد جريء القلب
تجيبك منه سرارته ويعلق بقلبك إخلاصه ووفاءه . ويقل عليك أحياناً
اعتدائه بنفسه .

ولما كان قد ألف أن يلى كتبه ورسائله ومقالاته فإن كتبه وحديثه
حين يجد في مستوى واحد ، كأننا ما كان ذلك المستوى ، فقلت نققد في
أحاديثه ما تجده في كتابته من انصاف والحيث ويندر في غيره مقرر ذلك .

ومن شأن الإسلام أن يحول دون سطو الكلام وأن يجعل الجمل قصيرة
فلانطول مسافة ما بين أولها وآخرها . وأن ينزى بالتكرير والإعادة إلى حد
ما ، إذن أنا أخرجها من عالم الكتابة . نعم ولن أراها إلا خطيباً مدونة .

وقد صدق في قوله ما كُتبت فصلاً إلا وأنا أعلم أنه شديد القصد
بحاج إلى استئناف العناية به والنظر فيه وإذا أقدر أن سيتاح لي من الوقت
وفراغ البال ما يمكنني من استئناف تلك العناية وهذا النفاذ حق إذا فرغت
منه ونشرته المصاحفة وعرضت لغيره في مثل هذه الحالة المقلية التي عرضت له

فيها معقوماً أن استأنف العناية به والنظر فيه مستحجها أن أقدمه إلى الناس على ما فيه من نقص وحاجة إلى الإصلاح . والأهم من هذا أن الظروف تتقلب مختلفة متباينة أشد الاختلاف وأعظم التباين ولكنها كانت تحول دائماً بين وبين ما كنت أريد من تجديد العناية واستئناف الفكر » .

ولا شك أن أظهر عيب في مقالات الدكتور هو التكرار والحشو وما إليهما من سبيل وعدنا أن هذا ذلك ليست فقط أنه على ولا يراجع بل الأمر يرجع في اعتقادنا إلى سيين جوهري :

أولها : إن ما أصيب به في حياته من فقد بعضه كان له تأثير لا يستطيع أن يقدّر كل مداه في الأسلوب الذي يتناول به موضوعاته . وليس يخفى أن الزم إذا حيل بينه وبين المراثيات ضعف أثرها في نفسه ولم تعد السكفة الواحدة تنفي عن إحضار الصورة المنصودة إلى ذهنه بالسرعة والقوة السكفيتين ، فلا يسهه فيها يعتقد إلا الأسباب ومحاولة الإحاطة ومعالجة الإقتصاد والتصفية .

وثاني هذين السببين : أنه استأذ مدرس وقد طال عهده بذلك والتعليم مهمة تعود المشتغل بها التبسط في الإيضاح والأطراف في الشرح والتكرار أيضاً وبعبارة أخرى تغطر المدرس إلى تجنب التعمق والنوص ، وأن يكتفي ماوسمه الإكتفاء — بما لا عسر في فهمه ولا عناء في تلقيه وتلك آفة التدريس . :

٢ — هل^(١) زادت ممارفنا به قليلاً أو كثيراً ؟ (يقصد كتاب حديث الأربعماء) أكتنا فنكون أجمل عما نحن الآن لو لم يكتبه . وأذكر أن الأدب العربي ليس إلا بعض الأدب العالمي وأن الدكتور لم يتناول في كتابه سوى

(١) ص ١٥ — من كتاب فيس الربيع .

جانب واحد من فترة من عصر من عصور الأدب العربي . وأعلى بذلك أن الدكتور لم يزدنا علما بالعصر الدينامي ولم يضيف إلى ما نعرفه عنه شيئا فلو لم يكتب هذه المقالات لما فانا شي . يذكر من هذه الناحية . ولكن هذه المقالات كشفت عن جانب من جوانب نفسه هو ، لم يكن يقاى لنا العلم به والإطلاع عليه لو قدرنا هذه المقالات . وهذا هو الذي رجناه . والواقع أننا جميعا نترجم انفسنا ونحدث الناس عنها ونكشف لهم عن دخالها حين نكتب مؤرخين أو مترجمين أو تاليفين أو غير ذلك .

٣ — أنف^(١) الدكتور كتابا ودفعه إلى الناس وقال لهم في نواضع كله كير : هذا ما رضيت لكم : وما هو يسفر أو كتاب كما تصور السفر والكتاب وإنما هي مباحث متفرقة (لست نجد فيها الفكرة الواضحة التوبة المتعمدة التي يبرع بها المؤلفون حين يؤلفون كتبهم) ويالفر في هذا النواضع القلوب فأعلن إلى الناس أنه لم يمن بهذه المباحث المتعمدة التي تليق بكتاب يدره صاحبه ليسكون كتابا حقا (كأنما أراد أن يقول لثراء الضعيف السيارة يوم جمهور القراء في عصر : لستم أهل للمعانيه . كلا ياسيدي . وانكم وددت أنكم لا تقرأ) حين قرأت هذه المقدمة التي صدر بها الدكتور كتابه وقبل أن يصل حائل الأقدار ما بين أسبابي وأسبابه أن اعلمه احترام القراء .

ولقد سمعت الدكتور مرة يقول وقد عرض ذكر أسلوبه ما معناه أنه لا يطلع من الشهرة في أكثر ماوفق إليه من كثرة المقلدين الذين يقتاسون به ويعدى أن الأساليب التي يسمل بها كتابها هي أحلى الأساليب من الناحية الشخصية والليزات الخاصة التي يختلف بها كل كاتب عن كاتب .

(١) ص ٤٧ — من كتابه في تاريخ الأدب .

مقومات الادب العربي

معركة بين زكي مبارك وأحمد أمين

كتب أحمد أمين مجموعة مقالات في مجلة الثلاث تحت عنوان (جالية الأدب الجاهل على الأدب العربي) ٩ و ٢٣ مايو ١٩٣٩ و ١ يونيو ١٩٣٩ و ٤ و ١٥ أغسطس ١٩٣٩ ثم كتب تحت عنوان (أدب الروح وأدب المادة) ١٠ إلى ١٦ يونيو ١٩٣٩ . وفي ١٢ يونيو ١٩٣٩ طابعت مجلة الرسالة قراءتها باستكمال سلسلة من الثلاث المبدئية في الرد على أحمد أمين بقلم الدكتور زكي مبارك تحت عنوان (جالية أحمد أمين على الأدب العربي) وقد اتصلت هذه الثلاث مع ١٣ نوفمبر ١٩٣٩ أي أنها استمرت ستة شهور وبلغت ٢٢ مقالة .

ولم يشترك أحمد أمين في المعركة على نحو سائر مما يمكن منه أنه يطلق على هذا الرجل اسم معركة وأن اشترك فيها بعض الباحثين أمثال عبد الوهاب مرزوق وعبد القادر الصبري . ولا شك أنه هذه المعركة تمثل جانباً هاماً من جوانب حياتنا الفكرية لأنه هو اختلاف المدرسة الحديثة على نفسها وروافد أحمد أمين الأخرى التي لم يدرس في الجامعات الأوروبية مواقف التطرف في ترويض آراء الشكوكيين ودعاة التفريب بينما وقف زكي مبارك خارج السربون موقف الاعتدال والدفاع عن تراثنا وتدرجنا ويمكن القول أن زكي مبارك يلزم من منه وشيئة كان يصدر عن نفس ثابة من المصوبة الشخصية : قال :

« أنتم أنى أهجم على هذا الرجل وأنا كاره لما أصنع ، فأحمد أمين رجل محترم وقد صلت بكفائه إلى منزلة عالمة في الحياة وأنا قد ضيقت جميع أصدقائي بفضل جوائز النقد الأدبي . وكنت أحب أن أداوي ماجرح قلبي لأتجنب من الدسائس التي تدرجني في جميع القياديين » .

ثم يقول « أن أحمد أمين لم يوجه إلى أية إساءة ، وربما جاز أن يقال أنه لم يؤذ أحداً من معاصريه » . ولكن أحمد أمين الذي كلف شره من الأفراد وجه شره إلى التاريخ . فهو يدرس ماضي اللغة العربية ولا تعزز ولا رفق ولو تركناه شهورين اثنين يورث الأدب على مواء لجعل الأمة العربية الضعيفة بين العالمين » .

(المعارك الأدبية)

ويصور صفة أحمد أمين بطله حسين فيقول : إن الدكتور طه هو السؤال من أحمد أمين فهو الذي قال « إن أحمد أمين يمكن لم يعرف نفسه فهديتاه إليها . ومعنى ذلك أن أحمد أمين لم يمكن يعرف أنه أديب قبل أن يدله الدكتور طه على التكتل الأدبيون في صوته » أن أحمد أمين لم يمكن أديبا . لو أعاد طه له صفة « حسين » كان أديبا فلم يمكن . »

ويقول في موضع آخر « كان أحمد أمين مشدود البصر إلى رجل واحد هو طه حسين : كان يكتب وهو يراه أمامه لأنه كان يعرف أعداؤه » فينبغي صوابه .

ويقول : أن أحمد أمين شغل نفسه بالتمسك على أن العرب في جملتهم « لم تكن لهم وثنية تتبع الأساطير » على نحو ما كان الحال عند اليونان وذلك يشهد بأن الجاهليين لم يكونوا من أهل الخيال »

هل يعرف القراء من أين أتى « أحمد أمين » هذا الزمى . أخذ من قول الدكتور أحمد ضيف (وقد قال بعض المستشرقين « مثل زيفان ومن أجرى على مذهبه أن العرب كمثل الأمم السامية ليس لها أساطير في شعرها بوق عقائدها) .

ثم قال « ولو كان أحمد أمين يعرف أن في مصر رجالا يسارعون الحياة الأدبية مسابقة تمسكهم من رد كل كلام إلى « هادرة الظلمة والحقبة تهيب عواقب السطو على آراء من سبقوه في التقديم والحديث » وقد ردد مرات أن آراء الدكتور ضيف التي أدامها ١٩١٨ عاد أحمد أمين إلى ترددها ١٩٣٨ .

وردد على قول أحمد أمين أن أدب التمامات « أدب معدة » أن إحتقار

المدة لا يقوم على أساس من الواقع، ولا من المنطق وإنما هو عبارة عن عوام
الذين يصيب عليهم أن يدركوا أن النفس تتبع الجسم في الصحة والمرض والقوة
والضعف والشباب والشيخوخة ويسر عليهم أن يفهموا أن الإنسان يرى المذنبات
والمحسوسات به شكل مختلفة في وجوهه متباينة تبعاً لاختلاف الذوق
والحس والذواج .

ولم يلبث زكي مبارك بعد أن أنهى مقالاته الأثني والعشرين أن عاد إلى
مصالحة أحمد أمين (الرسالة عدد ٣٢٦ — ١١ ديسمبر ١٩٣٩) فقال :

ولم يبق شك في أن الأستاذ أحمد أمين شهاب بنسب القالات التي
تجاوزت العشرين والتي حررت عليه من خاصه في مجلة المشرك وأغرقت
بعض أنصاره في العراق وأخرجته عن وقاره فشقها في مجلة الثامنة بآيات
جاهلية ساءت الله وعفا عنه وأقول اليوم أني استوحشت بما صنعت
والإعتراف يهدم الإعراف

وليس من السكثير أن أرجو عفو . فقد عفا أخ له من قبل .

والأستاذ أحمد أمين يعرف أني رجل محتمل بمدلوات الرجال . وقد
عانت من ذلك مصائب لم صادفت رجلاً غيري لمجرته في القصر وقت .
فمن حق عليه وهو صديقي وجاري وكان زميلي في الجامعة المصرية أن
يقبض من سيوف أله — والله المثل الأعلى — غفور رحيم .

وهذه مقتبسات من هذه المساجلة :

جناية أحمد أمين على الأدب العربي (١)

لصديقي الأستاذ أحمد أمين مؤلفات جيدة على أساس المنطق والمنطق

(١) الرسالة — ١٢ ابريل ١٩٣٩ (العدد الأول) .

وهو من كبار الباحثين من العصر الحديث ولكنه على أدبه ونضله لا يحسن إلا حين يصطحب الروية ويطلق الطواف بالوضوح الواحد عاماً أو عامين وذلك سر تقوّه فيما نشر من البحوث والتصانيف .

أحمد أمين باحث كبير ولا جدال ولكنه ليس بكتّاب ولا أديب أن كان من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية . ولم يستطع أحمد أمين على كثرة ما كتّبه وصنف أن يقلل التآريء من ضلال إلى هدى أو من هدى إلى ضلال . وإنما كانت مؤلفاته وعمومه ضرباً من التفرير الذي يناط به الأذهان ويبيح من شطاطة القول والقلوب .

وحياة أحمد أمين تؤيد ما تقول : فهو رجل لا يعرف انطفؤة إلى التسكر والنفل . ولا يتسع وقته لدرس مافي الوجود وما في الأخلاق من مشكلات ومعضلات . وإنما يقرأ ويسمع ويعلق على ما يقرأ ويسمع . بدون أن يتغلغل إلى أسرار المجتمع أو سرائر القلوب .

الخطر كل الخطر أن يذهب هذا الرجل نفسه - كما بأمره في مصير الآداب العربية - وهو لم يستطع إلى اليوم أن يقيم الدلائل على أنه يتذوق المعاني والأصاليب .

والخطر كل الخطر أن يقوم أحمد أمين أنه قادر على زمزعة ما أقامته الأيام . من الحقائق الأدبية . الحقائق التي ساد بها العرب في أزمان طوال . وكان لها سلطان مهيبة في إقطار الشرق وإقطار الغرب

ولكن ما الذي نقل ذلك الرجل المتاضل من حال إلى أحوال وحوله من الروية إلى الإرتجال .

تقد أصبح الرجل صحفياً ، وكان استاذاً ، ولكنه لم يراع أدب الصحافة ، لأن الصحافة تفت من المشاهدات وهو يهيم بأودية الترويض .

أيتدا الرجل مقالاته في مجلة الثقافة يتلخص ببعض الكتب الأدبية فساكن من الصحفيين الأدباء ، ثم رايته يتحول فجأة فتلخص الأدب العربي في جميع صوره تاريخياً يقوم على أساس الخطأ والاعتصاف . ويعوزه تحرير الملحة : نصحيح الدليل ، فهل يظن أنه سينجو ومن عوالب ما يصنع ؟

هل يقوم أن تتجنى على الأدب العربي سبباً لا إعتراض ولا تنقيب ، قارأه إذا اقتناه بأن للأدب العربي انصاراً يثارون عليه أشد الفيرة ويتقنون طعومه بالمصاد .

٢ — أياً^(١) أو من بأن الأدب العربي أدب أصيل واعتقد أن من الواجب أن ندعو جميع أبناء العروبة إلى الاعتزاز بذلك الأدب الأصيل لأنه يستحق ذلك القيمة الذاتية ولأن الإيمان بأصالته يزيد في قوتنا المعنوية ويرفع أنفسنا حين ننظر فنرى أن أسلافنا كانوا من البشكرين في عالم الفكر والبيان .

وقد خرج الأستاذ أحمد أمين في الأيام الأخيرة على النفس من قيمة الأدب العربي وكان من السهل أن تفكره بتول ما يشاء لو كان من عامة الأدباء . ولكنه اليوم رجل مسئول ، لأنه من أساندة الادب بالجامعة المصرية ولاغلاطه سفاذ من تلك الاستاذية فهو يتقدر عزمة الثقة الادبية في أناس طلبة الجامعة حين يريد .

فإن بدأ لهذا الصديق أن يتعصب من هجومه عليه فأمامه انطلاص :

وهو الانسحاب من ميدان الدراسات الادبية إلى أن يعرف أن الادب لا يؤرخ على طريقة الارتجال .

ولعل هذا الصديق يرجع إلى نفسه فيذكر أنه لم يخلق . ليسكون أدبيا وأنه لم يفكر في دراسة الألف دراسة جدية إلا بعد أن جاوز الأربعين . فو رجع هذا الصديق إلى نفسه لعرف أنه لا يجيد إلا سدين يشغل وقته بتلخيص المذاهب الفقهية والكلامية . ولو شئت لتكررت ما قلت من أن موقفه في جميع اتجاهاته موقف (القدر) ولم يستطع مرة أن يسكون من البشر في الدراسات الفقهية والكلامية وإذا كان هذا حاله في الفقه والتوحيد فكيف يسكون حاله في الادب ، والآدب يرتكز على الحاسة الفنية . وهي حاسة لم توهب لهذا الرجل قبل اليوم ولن توهب له بعد اليوم لأنها من الهبات التي لا تتأهل بالدرس والتحصيل

أحمد أمين ليس يكتب ولا أدب ولا سود الملايين من الصفحات . أيهدم ماضيها الادبي بمحاولة رجل محروم من الذوق الادبي ، هذا الرجل ينظر إلى الادب وإلى الوجود نظرة عامية : فهو يقسم الادب إلى قسمين : أدب معدة وأدب روح . والشغرة من المدة لا تقع إلا من رجل يفكر كما يفكر الأطفال فالمدة التي يحقرها هذا الرجل الدامي هي سر الوجود . وعن قوة المدة تنشأ قوة الروح .

إن الباعدة بين المدة والروح عقيدة هندية الأصل وتلك الباعدة هي التي قضت بأن يعيش الهنود قراء . ولو احترمت الهندي مدته كما يحترم الإنجليزي مدته لما استطاع الانجليز أن يسكنوا سادة الهنود . لقد فسحت كثيرا قبل أن انظم على هذه الجملة الأدبية وصح هندي بعد

الروية أن النفس من قيمة الأدب العربي هو عدوان على كرامة الأمة العربية .
مأنا استهدف لدلوله هذا الرجل وعداوة أصدقائه في سهيل المبدأ والمقيدة .
والهجوم على هذا الرجل قد يفتنه أجزل النفع فيفتنه من حال إلى أحوال
ومحسب إليه التروى والفتيت ويصرفه عن التعامل البقيض على
الأدب العربي

وإعما يصل إليه الخطأ من طرفين : الأول عدم تمكنه من تاريخ الأدب
العربي ، والثاني عدم تصفه في درس السرائر النفسية والوجدانية .

واحد الترض من هذه الخدلة أقول : تولط أحمد مبن في أحكام
جائرة وهو يلخص تاريخ الأدب بطريقة تشعفية .

٣ - إن^(١) هذا الرجل يحكم على الأدب العربي أحكاما تشهد بأن
طريقته في فهم الأدب والمياة طريقة عادية فكيف يكون حاله إذا صححنا
بعض ما وقع فيه من أخطاء . أيرجع إلى الحق . أوجه إلينا كلمة نقاد . هنا
تعرف قيمة الأخلاق في نفس الرجل الذي ألف أول ما ألف في الأخلاق .
وأقسم أنني أطمح على الرجل وأنا كأه لا أصنع فاحمد أنهم رجل محترم ،
وقد وصل بسكفاده إلى منزلة عالية في الحياة الأدبية وأنا قد ضيبت جميع
أصدقائي بفضل جرائر فقد الأدبي . وكنت أحب أن أداوى ما جرح قلبي
فأصير من الدسائس التي تترفضني في جميع الميادين ولكن كيف أسمع
زجلا يحاول أن يطلع ما همينا الأدبي بالسواد . يرى هذا الرجل أن (الدج

(١) ٢٦ يونيو ١٩٦٩ (الرشاش : المال الثالث) .

والهجاء (من اظهر التفوق في الأدب العربي وبذلك يسكون الادب العربي في اغلب احواله ادب معدة لأدب روح^(١))

ولو كان هذا الرجل يدقق لعرف ان الماربع والهجاء هي السجبل الصحيح للاخلاق العربية . فمن المديح غرض كيف كان العرب يفتخرون المقاب ومن الهجاء غرض كيف كانوا يتعزرون المثالب ومن الخاسن والعيوب يعرف الباحث صور المتبع في الحياة العربية والإسلامية .

ولو ضاعت قسائد المديح والهجاء لضاع بقيتها أعظم ثروة يستعين بها عقلاء النفس لنهم تطورات الابتكار والأذواق فيها حالف من جهود الفارخ حتى قال :.. أريد أن أنزه تاريخ العرب من وصمة الأمية والعمه ليست وصية إلا في ذهن الأستاذ أحمد أمين .

أحمد أمين يقول :

« نرى في العصر العباسي ملطبان أدب المعدة على أدب الروح . هذا

(١) كتب أحمد أمين بصور القرى بين أدب الروح وأدب الأمية فقال :
أدب الروح هو الأدب الذي يصل بالمواطن البادية عند الإنسان ببيئتها ويردنها ويغشها الفراكان أدب روح لأنه يدعو الإنسان من عالم المادة وأنشد يده إلى السماء . وفي الخامسة من ديوان الخنساء أدب روح وغزل جميل وكثير والقياس بن الأخت أدب روح والنزل القادر أدب معدة . وأدب الطيبة أدب روح .
قال زكي مبارك : أن الفران إذن على هذا الأساس أدب معدة لأنه ذكر المورعين . وقال زكي مبارك أنه لا يمكن لقراء أن تكون معدة وهي والحلم فريال إلا بقا اشتغالها بقوة حسية ومن دلي على ذلك فهو رجل ضيق لا يدرك جوهر الصلوات بين الرجل والمرأة .
وأن رجال الأخلاق لم يستكروا الفهوات إلا بسبب الإسراف . أما الفهوات في حد ذاتها فهي دليل العافية . وأن فضيلة الخاف لا ينام لها وزن ولا حين تصدر من رجال مزودين بميوحة الفهوات .
وقال أحمد أمين أن أدب الأمية فهو ذلك الأدب الذي يتصور حول ملا الأمية واستمرار الحال ويعمل الفهوات . وذلك لأنه بالنزول الفاجر ومعالاة الكتاب التي عدتها الأولى من الأمية والاستيلاء على الزواج وأدب المديح .

البارودي اختار ثلاثين شاعرا من خيرة شعراء الدولة العباسية . وكانت مختاراته في أربعة أجزاء . كبار ، فساكن ما اختاره من المديح ٢٤٨١٥ بيتا ومن الأدب ١٩٩٧ بيتا ومن النزل ٤٦٦٦ بيتا ومن الهجاء ١٢٢٩ بيتا ومن الوصف ٣٩٩٣ ومن الزهد ٤٧٣ بيتا ونظيره واحد إلى هذا الإحصاء تدهشنا أشد الدهش إذ تبين لنا عتبان أدب المدة — وهو المديح والهجاء — على أدب الروح طغيانا كبيرا ، هذا هو أحمد أمين الذي يدرس الأدب بالإحصاء والذي يقيس الدواوين الشعرية بالمتر والبايع والذراع .

لو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن طعنان المديح على الزهد كان من علامات الطيبة في العصر العباسي . فهو الشاهد على أن العرب كانت حياتهم تتزاحم بالأنظار الذهنية وهو الشاهد على أنهم كانوا أهل تربية ولزمنية وهو الدليل على أنهم كانوا يحبون حياة تفيض بمعاني الأفراح والأحزان وتنقسم بعلامات القوة والضعف .

٤ -- يعان^(١) الأستاذ أنه يحضر المادة ليصبح له التطاول على ماضي الأدب العربي ، واحتقار المادة لا يقوم على أساس من الواقع ولا من المطلق وإنما هو «معاراة» لغوام الذي يسبب عليهم أن يدركوا أن النفس تنبع الجسم والصحة والفرص والقوة والضعف .

والواقع أننا عهد لحواشنا وأعضائنا ، وأن جمهورنا مدين في تكوين ذوقه ونقله إلى ما يأكل وما يشرب .

يقول أحمد أمين .

«ثم أنظر بعد إلى الفن المبتكر في العصر العباسي . وهو من المقامات

(١) الرسالة — ٣ يولي ١٩٢٩ (نقل التاج) .

فقد ابتدعها بديع الزمان الهزاني فلم يجعل محورها حباً ولا غراماً كما يفعل الروائيون ولم يجعل محورها شيئاً يتصل بأدب الروح ولسكنها كلها « أدب معدة » فابو الفتح الإسكندري يبتلى للقائات كلها : رجل مسكر واحتيال يستلهم جميع ألهم لا يتأثر الأموال « راة مرة فزاداً يسلى الناس ويضحكهم ومرة وأغفلت مزقاً يهبط وينصح ثم تتكشف حيلة فإذا هو مبرج .

وجاء الحرري فيجعل مسكان أبي الفتح الإسكندري أهازيد السروحي وهو كصاحبه دناءه نفس وخداثة حرة .

— لهذه الجرائم يحكم أحمد أمين على فن القوائم .

يلاحظ أولاً أن أحمد أمين لم يفهم أغراض الحرري وبديع الزمان فهو يتوهم أنها يحاولون إغراء الجماهير بالإقبال على ما في تلك القوائم من شمائل وحشائيل فيما تعرض من نظم القوائم عند بديع الزمان هو نقد الحياة الاجتماعية والأدبية في القرن الرابع .

وغفل أحمد أمين أن لفن غاية أخرى : وهي النظرة التي تقول بأن لفن والأدب غاية أصيلة هي العشق في وصف ما ترى العيون وما تحس القلوب وما تدرك العقول

ثم يقول : هل يطلب من الكتائب ألا يفشل وصف الطفيلين لئلا يقال أن أدبه أدب معدة .

أتحبون أن تعرفوا من أين وصل انطباعاً إلى الأستاذ أحمد أمين ؟

وصل إليه الخطأ من الثقافة للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين ؟ فقد حكم الدكتور طه بأن العصر العباسي عصر شك ومجون لأن فيه عصاة

مشهورة بالزينة والتسقي ومن جماعة أبي نواس ومطيع بن أبياس . مع أن
العصر الذي عرف أمثال هذين الرجلين هو نفس العصر الذي فتح فيه كبار
الفتحا ، والتسك والزهاد : وهو الذي بلغ فيه الفكر العربي غاية النقايات في
فهم أصول الفلسفة وأصول الاخلاق .

• — • عرض (١) زكي مبارك لسيا ورد في كتاب أحمد الشايب
« الأسلوب » الذي ترف فيه بأن أحمد أمين له أسلوب له مزايا وخصائص .

وتسائل : هل لإحمد أمين أسلوب حق يخلق لأسلوبه مزايا وخصائص
ثم قال : أن الدكتور طه وقف في قصر الزعفران سنة ١٩٢٧ ألقى كلمة في
مهرجان شوقي قال : أن الجامعة لا تزوح الإحياء . ثم هو الذي أرتضى
نفسه أن يدرس أسلوب أحمد أمين بكتلية الآداب .

ثم قال : أتريدون الحق أن أحد أميت لم يكن له أسلوب يدرس
في كلية الآداب إلا لأنه أستاذ في كلية الآداب . وإلا فكيف غابت قيمة
أسلوبه عن أساندة الأزهر واساندة دار العلوم .

أن الرجل لا يكون له أسلوب إلا يوم يصح أنه يحس الثورة على
ما يسكره : والإنس بما يجب ، فتدلل تعرف نفسه معنى الإعطاعات الفنية
ويعبر عن روحه وعقله وقلبه بأسلوب خاص .

لقد اشتغل أحمد أمين بالقضاء الشرعي يضع سجون فهل قرأتم له مقالا
لوقعه تدل على أنه توجع مرة واحدة لكلام الإنسانية :

لقد عاش أحمد أمين بالزواجات فهل سمعتم قبل أن تسمعوا متى أنه قد
عاش بالزواجات .

(١) (رسالة — ١٠ يوليو ١٩٢٩) (القال المجلس) .

ولكن احمد امين لم يكن ادبياً ، وإنما كان موهباً مخلصاً فواجب
الوظيفة لإبرى ما عداها من الشؤون ثم قال طه حسين : كن ادبياً فكنان :

ان هذا الرجل أراد ان يؤرخ العصر العباسي من الوجهة الأدبية فجملة
عصر ممددة لأعصر روح وشاء له ان يختص البصرة بحكم من احكامه
القاسية فزعم انها عرفت « نقابة النفايليين » فهل خطر في بال هذا الباحث
الفضل ان البصرة عرفت اكرم انواع فكريان الذات حين كانت بهذا
لإخوان الصفاء .

لو ان احمد امين كان يثق لعرف ان البصريين لم يصلوا إلى ذلك إلا
لقوة الروح فكيف شاء له هو ان يجعلهم اصحاب مدقات ! لو ان مدني
كانت كاسب من القوة والدانية لأكلت لحم الأستاذ احمد امين وارجحت
الدينا من احكامه الجائرة في الأدب والقاريخ .

ولكن الذعر حكم بأن اكون من اصحاب الأرواح لم يبق لي في
عاجيته غير شيطنة الروح وفي الأرواح شياطين

٦ — يشهد^(١) الأستاذ احمد امين « على نفسه فيقول :

« ابن الشعر العراقي الذي نجد فيه الشعراء يتفقون بمناظر العراق
الطبيعية ويؤمنون فيه أحداثهم الاجتماعية . وابن الشعر الشامي او المصري
او الاندلسي الذي يشيد يذكر مناظر الطبيعة واحوال الاجتماع للشام ومصر
والاندلس : انك تقر الشعر العربي فلا تعرف ان كان هذا الشعر مصري او
عراقي او شامي إلا من توجه حياة الشاعر : اما القالب كله فشيء واحد :

(١) الرسالة — ٢٤ يوليو ١٩٢٩ .

والوضوح كله واحدة مديح أو فناء أو هباء أو نحو ذلك مما قال الجاهليون » .

يمتد أحمد أمين أن شعراء العراق لم يصفوا مناظر بلادهم الطيبة ولم يصفوا أحداثهم الاجتماعية ولو أنه كان أطلع على الشعر العراقي في عهده الماضية ومن التي تنبئه لعرف أن شعراء العراق لم يقرطوا في الحديث عن أتهارم ويسانينهم ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من شؤون المجتمع إلا أوردوها بحديث خاص .

— الشعراء المصريون في فنلر أحمد أمين لم يسكنوا إلا مقلدين لشعراء الشام والعراق .

ولأحمد أمين في هذا الحكم الجائر عذر مقبول ، لأنه لم يدرس الشعر المصري دراسة تنسكه من الحكم له أو عليه ، فلو كان من المطنئين لعرف أن الشعراء المصريين وصفوا بلادهم وتحدثوا عنها بأقوى العواطف وتفنوا بحساسن بلادهم أجمل غناء .

٧ — لقد كان ناس يتوهمون أننا جاربنا الدكتور طه حسين لأغراض شخصية وكان الدكتور طه يلوز بهذا التوهم فلم يدر لرد علينا غير ثلاث مرات أو أربع مرات بأسلوب واضح صريح . ثم شاء له العذر والاحتراس أن يوم قراءه وساميه باننا نحاربه لفرض خاص ثم دارت الأيام واعترف الدكتور طه علانية أمام جمهور من انطاب الرجال بأن زكى مبارك من أصحاب المقاليد في حياته الأدبية ويجب أن ينظر المصنف إلى مصاولاته في النقد الأدبي يمين الرفق .

فكيف جاز للاستاذ أحمد أمين أن يهرب من الرد علينا بحجة أننا
نشتمه ونؤذيه بغير سبب معقول . وكيف جاز له أن يظن أننا تأثرت مع
صاحب الرسالة عليه . مع أن مقالنا في الرسالة قد تنمى بمضمونه بيقين
الزيات . لأن الزيات قد حذف من مقالنا فقرات كثيرة وعناية لصديقه
العزیز أحمد أمين .

أريدون الحق أيها القراء .

الحق أنى في غربة موحشة بين أخوان هذا الزمان فالاستاذ أحمد أمين
كان ينتظر أن أمشيق قلبى لتزكية أحسكته الفلماطين . على الأصب العربى
والاستاذ الزيات كان ينتظر أن أزد على أحمد أمين بأسلوب دقيق شفاف
بحاكي نساتم الاصائل والمشيات حل صغاف القيل .

الله يشهد أنى متوجع لما صنعت بالاستاذ أحمد أمين وهو رجل له
ماضى في خدمة الدراسات الإسلامية وله مواقف في مؤازرتى حاد كرها
وبأن طال الزمان وتلكه في الاعوام الاخيرة أصيب بعرض عضال هو الصخرية
من ماضى الامة العربية وأغرم بضره من الخلفة لا يقره غير الاصحاب
التطفلين الذين لا يسمهم غير الانتراب من روجه الطيف .

أحمد أمين رجل فاضل وإن تودى في عابرة العماية والجهل حين حكم
بأن أهواء الغرب كانوا أصحاب مدلت لأصحاب أرواح .

• يقول أحمد أمين أن الأصب يخدم بالنقد أكثر مما يخدم بالتقريب
وهذا حق ولكن هل يدرك المراد من النقد :

النقد هو في الأصل تمييز الزائف من الصحيح فيدخل فيه التوم ويدخل
فيه الشكا . . ولكن أحمد أمين يقوم أن النقد مقصور على التبريح .

وبرى السكفة الطيبة بابا من التقريظ وهو عقده معرب . ونحن نقول
بلا تردد أن الأدب العربي أدب أصول والوائف منه لا يقام له وزن بجانب
الأدب الصحيح فكيف انصرف بصره عن الحسن ولم يشهد إلا العيوب
وهل في الأدب حسن وقبح . الأدب جده جده وهزله جده ، ولا يعاب عليه
إلا ما غاب عليه التكلف والافتعال .

لو رزقني الله الشجاعة لقلت : إن هذا الرجل يتجنى على الأدب العربي
لأنه لم يعرفه معرفة صحيحة : ولو قد عرفه حق معرفة لأدرك أنه خالق بأن
تبدل في سبيله نفائس الأعمال من أحرار الرجال .

بعض على أن أراد يحيط أعماله بمقالات خطيرة لم تكن ثمرة لسهر الليل
واقضاء العيون تحت أضواء الصابيح . وإنما كانت ثمرة لنزوة وقتية أراد بها
أن يغلق حركة في بعض المجالات ، والمجد كالرؤى يعضه حرام وبعضه حلال .

٨ - نحن أمام فتنة جديدة : هي فتنة القول بأن الأدب العربي لا يصلح
لتربية الأذواق في الجيل الجديد . وهذه الفتنة ليست من مخترعات أحد أمين
قد نجت ثرونها منذ أكثر من خمسين سنة حين أراد المستعمرون والمبشرون
أن يوهوا أبناء الأمم العربية بأن الصلة بين ماضيهم و-ماضهم لم يبق لها
مكان وأن الصلحة تقتضي بأن يوضع الأدب القديم في القمامة وألا يدرسه
غير المختصين على نحو ما يصنع الأوروبيون في الآداب اليونانية واللاتينية . ثم
تقبل كل أمة على أنها المحلية فتجعل لغة التخاطب والتأليف . وبذلك تكون
اللغة النصيحة أمّا واحدة لغات الشعوب العربية . كما صارت اللاتينية أما
أوحدة لغات الشعوب اللاتينية . وقد صرح بذلك المسيو ماسينيون في خطبة

ألقاها في بيروت سنة ١٩٣١ وتلقتها يومذاك بمقال أرسلته إلى البلاغ من باريس .

والحق أن القفزة التي أداها المستعمرون والمبشرون كانت قفزة براقية جذابة تزيج البصائر والمقول وقد استخدم بها من اتخذ من الأعراس المضيئة فسكات المفاصلة بين النصيحة والنداء من الشكائات التي تقام لها المفاخرات في المعاهد والأندية الأدبية وقد وصل صدق هذه القفزة إلى المجمع التنويري بالقاهرة فانقسم الأعضاء إلى فريقين : فريق يقول بدراسة التهجيات المحلية وفريق يقول بأن الأفضل اتفاق المال في إحياء الأدب القديم وقامت بسبب هذه المشكلة مساجلات فوق صفحات الجرائد بين الدكتور منصور فهمي والدكتور حلم حسين والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين من أنصار القول بإحياء التهجيات المحلية فهو يدرس على صفحات مجلة الزاوية المصرية ألقاها التهجيات المصرية باهتمام يدل على تأمل تلك القفزة في نفسه الواعية

٩ - الدكتور^(١) حلم قد زعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فتراهم إليها وأنا أيضا أزعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه وسأهديه إليها وفريق بين المداييين ، شغل الأستاذ أحمد أمين نفسه بالنص على أن العرب في جاهليتهم لم تكن له وثنية تودع الأساطير على نحو ما كان الحال عند اليونان . وذلك يشهد بأن الجاهليين لم يكونوا من أهل التليال .
أخذ هذا من الدكتور أحمد حبيب .

١٠ وقد قال بعض المشرقين مثل ديفان ومن جري على مذهبه : إن العرب كسكل الأمم السامية ليس لها أساطير في شعرها ولا في عقائدها . وأن

(١) ٦ نوفمبر ١٩٣٩ مقال (٢٦) الرسالة .

هذا يدل على سبق الخيال لديهم : لأن الأساطير والخرافات إنما هي نتيجة سمة الخيال وندبة الفكرة والبحث حسب الإطلاع وكل ذلك يظهر أثره في بلاغات الأمم من نظم ونثر كما هي الحال عند الأمم الأوروبية كانوا فنان وغيرهم . وقالوا : سمة الخيال ولا يتعدون الخيال ما تصده نحن من الجواز والقيود وإنما يقتضون سمة الخيال في تصور الحقائق وفي إدراك الموضوعات المختلفة .

إن الدكتور أحمد ضيف لم يشكر هذا السلام ولكنه راعى الأمانة العلمية فذكر مصدره من كلام المستشرقين ، أما الأستاذ أحمد أمين فقد انتبه ما نقله الدكتور أحمد ضيف عن المستشرقين ثم ادعى أنه من مبدعاته .

١٠ — يقول أحمد أمين إن الأدب العربي على اختلاف عصوره ليس فيه إلا كاتب واحد بهم يتحليل المعاني هو ابن خلدون ولا شك إن إعجاب أحمد أمين وابن خلدون يرجع إلى أن الدكتور طه حسين شغل به .

إن بعد الدكتور طه حسين من مفرق أيام الصيف عرض الأستاذ أحمد أمين للمناظرة . فلو أن الدكتور طه بقي في مصر لسكان من الجائز أن يعلن إعجابه بكاتب آخر غير ابن خلدون .

فهل نرجو أن يتطلف الدكتور طه حسين فيقول أنه لا يعقل إلا ينفذ في الأدب العربي غير كاتب واحد في ذلك الأمد الطويل الذي سيطر فيه على أفكار أسيوية وأفريقية وأوربية .

إن الدكتور طه لو قال هذه الكلمة وعي حق — لسرت عذوها إلى الأستاذ أحمد أمين فاندفع بشئ على الإحراج العربي بما هو أهله . السكان من السكان أن يصرخ بأن الأدب العربي نبع فيه من الكتاب عشرات أومئات . ولكن الدكتور طه يترقب بأصدقائه أشد الترقق ويحرص على صتر ما يشعرون فيه عن أوهام وأضاليل ، وقد قدمهم إلى الجمهور في جلبة وضوضاء . فكيف يحتفل أن يقول في الأدب العربي كلمة حق تشجع رجال مثل علي (المعارك الأدبية)

مهاجرة رجل يستبيح في الغرض من أدب العرب مالا يباح . إن الدكتور طه حسين هو المسئول عن أحمد أمين فهو الذي قال « إن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهديناه إليها » ومعنى هذا أن أحمد أمين لم يكن يعرف أنه أديب قبل أن يذله الدكتور طه على السكز المدنون في صدره .

مقال الختام

هل استطع أن أحدث القارىء مرة عن بعض مكاره النقد الأدبي . ليقى أعرف من أغرونى بسوءك هذا الطريق المحفوف بالخاف والمطرب والمخوف ، كنت نبت وبجاني الله من مهلكات هذا الطريق الوعر الشائك فكيف رجعت إليه بعد أن عرفت وجه الخلاص !

كنت يومئذ مدرساً بكلية الآداب . وانخرج الاستاذ أحمد أمين الجزء الثالث من ضحى الأسلام . وقد سرى من الاستاذ إبراهيم مصطفى مسألة معصلة بتاريخ النحر وسرق مني مسألة معصلة بتاريخ التشريع الإسلامى . فصاح إبراهيم :

إن هذا أخى له تسمة وأسمون تسمة ولى تسمة واحدة فكيف يسرقها منى ، إنه الطماع !

وجلس أنا وإبراهيم ننشأكى فى غرفة أساتذة اللغة العربية ، وانتقلنا من التشاكى إلى التباكى فنهفت : سأنتقم لى ولك يا إبراهيم :

منذ أشهر نشر الاستاذ أحمد أمين مقاله الأولى فيها حماء حقاية الأدب الجاهل على الأدب العربى فلم تبعينى لأى رأيتهما من الحديث المقاد ، ثم لقينى مصادفة فى « المرو » بعد ظهور مقاله الثانية فسألنى عما أراءه من الأفكار التى أودعها مقاليتى . فقلت له : لم يعجبني غير نقد الشاهد الذى

أوردته في كلام ابن قتيبة . أما سائر أنسكارك فتحتاج إلى تدقيق . فقال أبا
ادموت القراء . إلى مناقشة تلك الأنسكار .

فهل كان يدموني إلى أن أسأله الحديث !

كانت الصداقة بيني وبين الأستاذ أحمد أمين قد بلغت أقصى حدودها
والصدق ، وما كان ينتظر أن يرى مني غير ما يجب . وكنت والله خليفا
بالفجاءة عن سيئاته لو لم يصرف في الإساءة إلى ماضي الأمة العربية في وقت
يحرص فيه العرب على تفهيم أبنائهم أن أجدادهم كانوا من أصحاب المنازل
لرفعة في العلوم والآداب والفنون . وأنهم كانوا في ماضيهم من أقطاب الزمان .
وكذلك وقعت الواقعة وكان ما عرفه القراء من تمزيق الأوهام التي أعز
بها ذلك الصديق ، أن الشعر ينضج بمقوت وقد عابه على الأصدقاء قبل
الأعداء . ولكن ماذا أضع وأنا أشهد آرائني تنبئت بلا تمحيز ولا ترفق بها
يرد على خصومي حين يشجر القتال .

أعز الأستاذ أحمد أمين بالنص عن أن الشعر العربي كان في أغلب
أسواره أدب مدونة لا أدب روح وحجته في ذلك أن التسكيب بالشعر كان
عادة غالبة على أكثر الشعراء . وقد ملطن بهذه المسألة وأخذ يبيدها في كل
مكان وهذا الكلام وارد في البدائع ج ١ ص ٩٩ .

عاب أحمد أمين على العرب أن يلتزموا اقتراح القصاص بالقتيل وأن يتصلوا
بهذه العادة من جيل إلى جيل في حين أن الشاعر قد لا يكون مشوباً بالعاطفة
في كل حين . وهذا الكلام مسروق من مقال أرسلته من باريس سنة ١٩٣٩ .
أعز الأستاذ أحمد أمين بتوكيد القول بأن نزعة القرآن روحية لا حسية
فقال بذلك ثناء الأستاذ محمود علي قراءة الذي عد كلامه من الليسكات فقل
يعل أن هذا الكلام مسروق من قول صاحب التصوف الإسلامي ص ٧٠ .
إن الشعر ينضج بمقوت وقد عابه على الأصدقاء قبل الأعداء . ولكن ماذا

أصنع وأنا أشهد آرائى تنتهب بلا تحرز ولا توفيق وبها يرد على خصومى حين
يشعبر القتال وكأنيما ابشكرت من أفسكارهم الثواب واستقيم التواضع .
يقول أحمد أمين وطه حسين : أن الأدب يجب أن يرفع نسبة الأمة
ويبلغها على مواطن الضعف والقوة فتواجه الحياة عن مدى وبسيرة قبل استطيع
أن أقول أن هذه الأراء منهوية من قول صاحب رسالة اللغة والدين والتقاليد
من ٤٦ ، ٤٧ . أما بعد فقد أنهيت القول من محاسبة الأستاذ أحمد أمين
بعد أن أوقفت جفونه خمسة أشهر كافت عنده كآف - ٤٠ مما تدون .
انتهيت من محاسبة أحمد أمين الباحث أما أحمد أمين الصديق فله في قلبي
أكرم منزلة وأرفع مكانة وإن راني إلى حيث يجب في حدود التقاط والمقل .
فأأرضى له أن يكون من المشاخرين بالأدب العربي وماضى الأمة العربية .
وسأبدأ بالفتية حيث لفتته فلا يزعمى وجها أراه أهلا لكرامة والحب
وسلام عليه من الصديق الذي لا يندر ولا يخون .

مجوم من [عبد القمال الصميدى] على زكى مبارك (١)

إن الدكتور زكى مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عن الشعر الجاهل
فهو وأستاذ الدكتور طه حسين لا يؤمنان بصحة ذلك الأدب ، فقد ألف
الدكتور طه كتابه في الشعر الجاهل وكان أكبر جناية على أوص الجاهلية إلا
أفكر فيه صحة هذا الأدب وقد هذا الرأى أعداء الأدب العربى من المستشرقين .
فم يكن الدكتور زكى مبارك إلا أن احتفل بظهور ذلك الكتاب وهذه
نصحا جديدا في الأدب العربى (مقال جريدة البلاغ الأسبوعى ٣ ديسمبر
١٩٢٦) وقال عنه أنه [آثار ماخذ من القرائع وأيقظ ما عجم من العقول] .
والفرق كبير بين رأى طه حسين في الأدب الجاهل ورأى ورأى أحمد
أمين فيه فطه حسين يرمى إلى اللهم والظلم في لغة السلف ونحن نرمى إلى
(١) الرسالة - أول فبراير ١٩٢٣ .

الإصلاح ومن الغريب أن زكى مبارك يؤمن بالإصلاح ويدعو إليه في كتابه
أحمد أمين . الذر الفنى واسكنه يلقى ذلك في حب القلب على الأستاذ
عبد الوهاب عزام يناقش أحمد أمين^(١)

بيننا أنا في بغداد . لقيت أحمد الأديب العراقي بسأني : أقرأت مقال الأستاذ
أحمد أمين عن الأدب الجاهلي . فقلت لا . فأفكر ما ضمن المقال من آراء
وأخذت على الأستاذ كاتب أنه ذهب هذاذهب في بحثه فقلت : سأقرأه لأرى .
جادت الأستاذ منذ سنتين على صفحات الرسالة في موضوع التجديد في
الأدب وهو مقصّل بموضوع اليوم . كلاهما نتاج آراء . اعتقدها الأستاذ في أدبنا
التقديم وأبادر إلى حد استلذا في اجتماعه في تناول مسائل كثيرة من مسائلنا
الأدبية والاجتماعية فذا الأستاذ في هذا إلا مفكر مجتهد مخلص . له الحمد إن
أصاب أو أخطأ .

ثم قدم لي بحثه عن مذات أربع :

١ — إن معيشة العرب في جاهليتهم وهي المعيشة التي يصورها الأدب
الجاهلي لم تزل بظهور الإسلام ولم تنقطع بالقطاع الجاهلية الدينية بل هي مستمرة
معد العصر فسميه الجاهلية إلى يومنا هذا .

٢ — هذه البداوة القسوة بنا ليست سرّاً يفتنى الابتعاد عنه ولا أمراً يجوز
جهله أو إنفاله فهو بمنزلة باريغنا . وهي طور من أطوار الجماعات الإنسانية
أقرب إلى الفطرة وأحفظ للإنسان في كثير من أحوال جسمه ونفسه .

٣ — الأمة العربية تشمل البادين والحافظين . ولا يجعلها البداوة
والحضارة واختلاف درجاتهما أمماً مختلفة .

٤ — الأدب العربي هو أدب الأمة العربية كلها يقيناً أن يصور حياته
الامة : حاضرتها وباديتها على اختلاف التصور باختلاف البيئات والحالات . .

(١) الرسالة - ١٠ نوفمبر ١٩١٢ .

• — إن الثقات على تطور هامة الأمة تحفظ. في ألقاها ومجازاتها وأمثالها كثيرا من تاريخ الأمة . وكما تتطور الأمة تتقدم ولا يتهمها التقدم أن تحفظ. بما يربطها من سن وعادات كذلك تتطور لأنها ولا يضرها الاحتفاظ بكلمات وجمل وكتابات هي من تاريخها . آخذ على الأستاذ الشلو في الدعوى والإغراق في تصويرها . وما يحصل بهذا الفلو أنه جعل رأى طائفة من الأدباء في عصر ما رأى أهل العصر كلهم ومهم الدعوى حيث يقتضى الدليل التخصيص .

حيثما تكلم عن الأدب العربي نظر إلى الشعر وحده وأغفل الفن . وعرض رأى أحمد أمين الخامس بالتزام شعراء العربية في المصور الإسلامية طريقة الجاهليين في العزولان والتواقي وبين أنهم اخترعوا نظاما لتقريبه لم يؤتوا عن الجاهلية واخترعوا أوزاناً على قدر ما أعسوا من حاجة .

ثم عرض رأى أحمد أمين في التزام شعراء العربية موضوعات الشعر الجاهلي وخالفه . ودال على أن الشعر العربي لم يهجم عن موضوع ما ، وأدخل في أحوال المعيشة وحادثات الحياة من شعر أمم كثيرة .

وعرض رأى الأستاذ في الشعراء حيث قال أذهب لم يمسا عواطفهم وحالاتهم الاجتماعية وأن شعراء الاقطار العربية : العراق والشام ومصر والاندلس لم يمتوا بمنظر بلادهم الطبيعية وأحداثهم الاجتماعية .

ورى عزام أن الشعر العربي شاك بيان وجدان الإنسان وآلامه وآماله ، وإن الشعر الذي يصف بيئة إقليم أو حادثة معينة فهو كثير في دول من شعراء العربية ، وإن الشعراء العرب لم يقتوا في الشعر على موضوعات قليلة يخلوا فيها الجاهليين . وذكر طرقا من تصوير شعراء عصر الفصحى عاشوا فيها وبين أن شعراء العراق والشام صرخوا بآلامهم وأمتوا في الصورة ، وعرض زكي مبارك لقد المذكور عيد الوهاب عزام لأحمد أمين مقال : قال أحمد أمين [أن علماء العرب رفعوا من فن كل شيء جاهلي وغفوا

في تقديره قلنا. المحذور في مستنقع جاء إلى خير من دجلة والفرات والذيل وكل
أنهار الدنيا . والجاريان الثمان غنقا للثمان كان صوتهما وغلظهما خيرا من
كل صوت ، وكل غنقا ، ودوسر كقوية الفهمان بن اللذو أقوى جيش
عرفه التاريخ . وأيام العرب في الجاهلية ووطئها الحربية لا يماثلها أي يوم
من أيام المسلمين وجبال على جبر جبال الدنيا . وحاتم الطائي لا يساوي كرمه
كرم . حتى الرزائل لا يصح أن يساوي برزائهم رذيلة . فليس أبغ من ماذر
ولا أشأم من اليوسوس ولا أشرف من شظاظ .

[قال الدكتور عزام في نقد هذا الكلام الاجوف : قال إنه يقوم على
أساس اللبالة والإغراق . وهناك كلمة طواها الدكتور عزام وهي كلمة
[الإغراق] فقد اقترى أحمد أمين على علماء العرب حين زعم أنهم لا يرون
أن أي يوم من أيام المسلمين يعادل أي يوم من أيام الجاهلية ونحن نتعدها
أن يثبت أنه رأى شواهد هذا الرأي في أي مكان من كتب الادب والتاريخ
فصدها ، فليعلق إن كان على يقين] . ما رأيك إذا صارت حقت بأن
كلامك هذا هو الحق عليك . ألم تقل أن العرب لم يصعروا الطبيعة في بلادهم .
موقف أحمد أمين

أردت أن يصعد الادب من قيوده التي تنقله وأن يكون المسك في أدبنا
أذواقا لا أذواقا غيرنا وأدبنا معتمدا على شياطين . خير ما في الماضي مما
يقتاسب وحاضرنا ويثبت على تحقيق أملنا في مستقبلنا ودراسة حاضرنا
واستقامة أدبنا . لا أن يعيش في أدبنا على الماضي وحده .

ولا يتم شيء بعد ذلك إذا نظرنا إلى الخلف فقط وإلى الخلف دائما .
ولا يكون شيء من ذلك إلا إذا كسرنا عود الشعر الذي وضعه الأدب
الجاهل ، إنما يسكون ذلك يوم تزن الأدب العربي ككل أدب بموازجه
الصحيحة من غير عصبية ونصرح بالقص من غير خجل . وثيق الجديد في
غير هواده ولكسر القديم في غير رفق .

الفصل الثالث

٢ - مذهبان في الأدب

ترجم الموسكوير الرافض والدناد إلى إمام السكابة في مجلة (البيان) ١٩١٩ و ١٩٢٠
ثم انضمت - خلال حياة الرافض - من أوق. ١٩٣٠ على النحو الذي تسكف به - وقائع الماروك
كما اوردناها - ثم بدأت التركة بين انصار الرافض وانصار العقاد بعد وفاة اشرفيهما من
جانب الرافض : الاساتذة سعيد العريان وعمود عبد حاكم ومن جانب العقاد : سيد قطب
وجسم للوكة الاساتذة القدر لوى .

معركة بين أنصار الرافض وأنصار العقاد

ختمت المعركة ثمانية شهور من (٢٥ أبريل إلى ١٤ نوفمبر ١٩٢٨) .

وقد صور - سيد العريان - موقف الرافض من الحياة الفكرية في عصره فقال
(أنه هو الذي ألجأ على نفسه هذه العذوات حياً وميتاً) .

(لقد كان نادراً حينئذ حديد الإنسان لا يعرف للدائرة ولا يسلطع الأدب
في تضال خصومه . وكان فيه غيرة واعتداد بالانفس ، وكان فيه حرص على
الثقة (من جهة العرض على الدين) إذ لا يزال مفهماً شئ . قائم كالأحاساس
والبنوا لا منفعه يتبادر معها إنها ممتعة بما و كان يؤمن بأنك لن تجد
ذات خفية خيفة لهذا الدين إلا وجدت لها مثلاً في اللغة (١)) .

ولقد جرد أنصار العقاد (الرافضى) من النفس والإنسانية والمقيدة الأدبية وقال محمد أحمد النبراوى [لو غير صاحب تلك المقالات خطر له فى الرافضى مثل هذا رأى المسرف من أنه ليس للرافضى إنسانية ولا طبع ولا نفس ولا ذوق ولا ذهن ولا حياة إلى آخر ما شئت له بمشاوذه أن ينفى عن الرافضى ، لو غيره خطر له هذا فى الرافضى لو قف من هذا الطاهر موقف المتهم على أقل تقدير ، إذ غير معقول أن يبلغ الرافضى رحمه الله ما يبلغ من حسن السمعة وبطء الصيت فى عالم الأدب العربى ثم لا يكون له من كل تلك الصفات حظ يقصر ما نال من صحت حسن وتقدير كبير] وهذه هى أصول المعركة :

بين الرافضى والعقاد

١ — سيد قطب :

قرأت كل ما كتبه الأستاذ سعيد العريان عن مصطفى الرافضى ، قرأته تحت تأثير عامل نفسى خاص ، ذلك أنه كان فى رأى فى المرحوم صادق الرافضى ، لعل فيه شيئاً من القسوة ، ولما كتبت على ثقة أن هذا رأى لم يدخل فى تكوينه هدى أى عامل خارجى وإنما كان نتيجة لعدم التجاوب بين آثاره الأدبية وبنى ، فقد كتبت فى حاجة لأن أسمع من أصدقائه الرافضى ما عساه يخفف شدة هذا الحكم ، ويكشف لى عن بعض حياة الرجل الذى اشتهرت فى تكوين أدبه ، فلهذا نبها تفسيراً وتبريراً لما كتبت أراه فيه مما يستدعى قسوة الحكم وشدة التفور .

والقصة بين الرافضى وبنى أننى قرأت له أول ما قرأت كتابه : «حديث القمر» فاحسنت بالإنهاء له . أجل بالإنهاء . فهى أصدق كلمة تعبر عن ذلك الإحساس الذى خالجتى إذ ذاك . ولم تكن تثارث بين العقاد وبنى إذ ذلك خصومة . ولم أكن سمعت شيئاً عنه من العقاد أو سواء . مما قد يكون

سببا في هذه البهضة . ولو خالفني هذا الشعور بعد خصومته للمقاد فوجدت
بعض التفسير ، فأنا لا أنكر انني شديدة النيرة على هذا الرجل . شديد
التعصب له . وذلك ينتج من فهم صحيح لأدبه واقتناع عميق ببطورته ، لا يؤثر
فيه أن تيف العلاقات الشخصية بيني وبينه في بعض الأحيان .

ولقد كنت اكوه نفسي بعد ذلك على مطالعة الرائي فتزداد كراهية
لهذا اللون من الأدب ، دون أن أجيد التعليل ، ذاك انني كنت إلى هذا الوقت
أديبا يتذوق نغص ، لا ناقدا يستطيع التعليل ويصير على التحليل . والرجل
قد مات فما تحسن النسوة عليه . ولكن لا يصح أن يسكون لثوت معطلا
للقدر . ولهذا ساعدت عنه ككثير كان حيا . لأن الذي يمتني هو إنتاجه الأدبي .

كنت أشك في « إنسانية هذا الرجل » قبل أن أشك في قيمة أدبه ،
وكنت أزعج لبعض إخواني انه خواء . من « النفس » وأن ذلك سبب
كراهيتي له ، ولو أني لم أراه مرة واحدة ولم اجلس إليه .

ولذلك كان من أن أبحث فيما كتب الأستاذ المرفان عن حياته لا عن
أدبه . وكان يهمني أن اعرف في ثانيا هذه الحياة هل نفس وعلى إنسانية .

ولهذا اعتصمت ، إن لم أقل دعشت ، حينما رأيت الأستاذ سميذا يذكر
لرائسي (حيا) ومحدثنا عن مظاهر هذا الحب وخطواته . ذلك أن خيالي
الليث من قراءتي لرائسي لم يكن يطوع لي أن ألح إمكان وجود هذه العاطفة
في حياته ؟ فالحب يتطلب قلبا ، وكنت أزعج أن ليس الرجل قلب والحب
يتقضي إنسانية وكنت اتفقدتها فيه .

ولقد ظلت هكذا حتى استعملت أن اكون ناقدا ، لا يكتفي بالتذوق
والاستحسان أو الاستهجان ولكن يعالج ما يحس ويحبه فسادا كانت النتيجة؟
لقد عدلت حكمي قليلا . ونفقت - دونه - ولم أعد أشعر ببعض الكراهية
لرجل وأدبه . ولكن بقي الأساس سليما .

كفت افكر عليه الإنسانية فاصبحت اشكر عليه الطبع . وكفت
لا أجده (الأدب النقي) فاصبحت لا أجده عنده (الأدب النفسى) الرافى
أدب ممجج ، فى أدبه ملاوة وقوة ، ولكنه بعد أدب الذهن لا أدب الطبع .
فيه السمات الذهنية الخاطئة ، والفتات المتلفة القوية ، اتق تفرح لكثيرين
أدبا مغريا حقيقا قديما ، ولكن الذى يتقصها انه لويس ورامدا ذخيرة نفسية
لا طيبة حية .

لم تسكن تنهى الرجل فى أدبه الحقيقة الازلية البسيطة بقدر ما يعنيه أن
يصور الحقيقة الزمنية بحكمة السج رائحة الظهور ، تشبع الذهن ويستطيعها
ولكنها لا نفس القلب أو ببيتها .

وكثيرا ما يحتل أدب الذهن وأدب الطبع إذا كان مع ذكاء وقوة وما من شك
أن الرافى كان ذكيا قوى الذهن ولكنه كان مطلقا من ناحية الطبع والاربعية .
وبعد فما كان يمكن أن يفتق المقاد والرافى فى شئ . فكل من
تهيج لا يلتقى مع الآخر فى شئ .

المقاد أدب الطبع القوى وانفطرة السليمة والرافى أدب الذهن الرضاء
والذكاء . المقاد متفتح النفس ريان القلب والرافى مغلق من هذه
القاحية متفتح العقل وحده لفتات والرمضات .

والطاقة العامة لكل منهما فى ناحيته متفاوتة بعد ذلك . فطاقة المقاد
النفسية أقوى من طاقة الرافى الذهنية وعالم المقاد والحياة فى نظره أشمل وأرحب
بكثير من العالم الذى يعيش فيه الرافى ويصير الدنيا على ضوئه .

ونما كثره الأستاذ سميد عن المقاد كثير من الجهل بطبيعة المقاد ورائعة
فى الحياة وهوامل السكينة فى نفسه والأستاذ مذكور فى هذا لأنه لم يحتل
بالمقاد أولا . ولأن نفسه لم تفتح لأدب المقاد ففهمه ثانيا . وقد كان يعيش

في بيئة الرأى وجوه ويلوح لى من كذابه أن ذلك يلائم جوها الخاص ويناسب
بيئته الروحية . وأدلى ما يخطىء فيه اعتقاده أن طعن العقاد على الرأى من
فاحيته الوطنية في رده على نقد وحى الأريين كان حيلة أمانها البراعة
السياسية . وإذا اتهم العقاد الرأى بأن تقدمه لوحى الأريين مشوهة ضئيلة
شخصية وإلحاقاً سياسى كما نمل فإنما هو معتقد هذا في صحيح نفسه وما يعنيه
ما يقال الرأى من الفاحية السياسية قدر ما يعنيه كشفه من الناحية النفسية .
كتب الرأى عن وحى الأريين كلاماً يتعرف الأستاذ ببواحه الأصالية
والعقاد يعرف هذا ويعتقد في صفات الرجل النفسية وفي نصيبه من التابع السليم
والتهم للفتح أشد مما اعتقد أنا ودواعيه لذلك الاعتقاد كثيرة ومفهومة .
عندما كتب بصور الرأى كما هو في خيال العقاد وكما هو في الحقيقة فليس
الغضب ذنب العقاد في قسوته فأما هو بصور حقيقة أو على الأقل ما يعتقده
أنه حقيقة .

(رأيه في لقب أمير الشعراء) .

• رأى أن هذا اللقب غير لائق بالعقاد لأن اللسافة بينه وبين شعراء
العربية في هذا العصر أوسع من اللسافة بين السوقة والأمراء ، قد يكون
هناك من يتقاربون مع العقاد . ولكن ليس هناك شعراء في لغة العرب
يتقاربون مع العقاد . الشرق هائل جدا وأكبر مما يتصوره الأكثرون بين
طائفة هذا الشعر والطائفة الأخرى .

٣ — محمود محمد شاكر

يملأ الأستاذ قلب أى إذا أحببت لا أغلو . ولا أتجاوز حد الحب الذى
يصل القاب بالقلب . فهذا أخلق الحب أن يخلو من سوء المعصية وفساد الهوى ،

فلا يحدى أرفع الرافى عن الخطأ ، ولا أجده عن الضعف ولا أنزله عما هو من عمل كل إنسان حتى ناطق بأمل وبشدهى .

ولقد عرفنا الرافى زمناً — طال أو قصر — فأحبناه ومدحناه من أنفسنا ومديحنا من ذات نفسه . ورضينا له . أبا وأخا وصديقاً وأستاذاً ومؤيداً فلم نجد إلا حسن الظن به في كل أحواله وأخاؤه وصداقته وأستاذيته . ولقد مات الرافى الكاتب الأدب وهو على عهدنا به إنساناً نحبه ولا ننزله . ثم جاء الأستاذ سيد قطب بحمن أدبه يقول في الرجل غير ما عهدناه . يقول كلامه ويأخذ منه ويدع ويتألف ويحلل ورزعم القدرة على التوغل في طبقات القلوب وغيب النفوس فيكشف أسرارها ويحيط النقام عما استودعت من خبيثاتها . ثم هو في ذلك لا يتورع ولا يمحط . ولا يرضى زمام الموت ولا يوجب حق الحق . هذا الذى ترك الدنيا بالأمس وجيئاً . وخاف من وراثته صفاراً وكباراً من أبنائه وحفدة وأصحابه واللائقين به . ثم يرامم والدع بأخفهم بين الذكرى المؤلمة والألم البالغ . ولو فعل لمرق كيف أخطأ ومن أين أساء ولوجده لزاماً عليه أن يتدر عاطفه الحق أن لم يعظم حرمة الموت .

جعل^(١) الأستاذ يعقير دقائن الأمن والأعتاد التي كانت بين الرافى والمقادير منذ دليبه الذى يفرغ إليه في أحكامه على الرافى لا بل على قلب الرافى نفسه وإيمانه بجماله وعقيدته فيه . ثم لم يرض بذلك حتى نفع منها من روح الحياة ما جعلها مما يكتب الأطباء عن الأطباء للايلام والانتارة لا للجرح والتعديل والفتاد . وكأن الثقة عادت جذعة بين الرافى نفسه وبين المعتاد وإلا فبما الذى دعى في صدر الأستاذ بهذه القضية الجائحة من أجل المعتاد !

حقيقة لا يد من تقريرها عن الرافض والمقاد :

ذلك أن الرافض رحمة الله أو كان يرى المقاد ليس بشيء البتة وإن أذهب كله ساقط ذاهب السقوط . . وأن مما كان يكتب ليحفظ به المقاد من جراء المدواة التي ضربت بينهما — لما حل الرافض عفاء الكتابة في نقد المقاد وتزييف أدبه وإبطال أصل الشعر في شعره .

ولو كان المقاد يرى في الرافض بعض رأيه الذي كتب لما تسكتف الرد على الرافض ولا التعرض له . فالرافض والمقاد أدبيان قد أحسكا أصول صفاتهما : كل في ناحيته وغرضه ونفيا للثاني والأيام والسنين في ممارسة ما هو فيه واليه . وكلاهما يعمل من عمل صاحبه مثل ما يعلم عنه ولا يظن بأحدهما أنه يحمل قيمة الآخر . فقد كانت المدواة بأساها بينهما بدأت قوة تعارض قوة ورأى يصارع رأيا . وكان في كليهما طبيعة من العنف والفرام والمخلة . ولمع المقاد بإرسال العبارة حين ينهض على حينها سرعته لا صنته فيها . وأغرى الرافض بالسخرية والمبالغة في تصوير ما نصبه لسخره وتبسكه على طريقة من الفن . فن ثم ظهرت المدواة بينهما في النقد وفي أذيا لها أذى كثير وغبار ملؤه القواذع والقوارص من المنطق .

وعلى جبيناته صور بنشتم أحدهما لتسكيد والتعيط والمخيلة ولا يرد بها إلا ذلك .

وخلق بنا وبأدبنا أن نطوى الآن سيرة رجلين قد تقارط أحدهما في غيب الله وبقي الآخر .

المسألة الأولى أنها تدور رحاها عن نقي الإنسانية عن ذلك الإنسان رحمة الله عليه وخلوه من النفس وتقدانه الطبع . ونقره إلى الأدب النفس — وما إلى ذلك من لفظ ضل عنه معناه ونهات عليه حده .

وإن كان — رحمة الله عليه — ذكيا قوى الذهن ، ولكنه كان متقلبا من نعمة الطبع والأريحية . وأن أدبه كان أذهب الذهن لا أدب الطبع فيه السمات الزخنية الغاطفة والانتعاش العقابية القوية ، ولكن الذي يفتقها أنه ليس وراءها ذخيرة نفسية ولا طيبجية حية . . .

في القبول والإسكار . ولكي تفتت ما فيها من تقوى الحبيوة واستغراق الطبع وأنتيت على هذا للأمثلة التي ثابتت موت هذه الطريقة وعجزها عن مسايرة الحياة وهذا هو مفاط الحكم .

إما قول أحدهم بأن رنمت صاحبي ولم يقل هو في صاحبه بعض ما قلت فلماذا في معرض مفاخرة على طريقة التمداء ، لا يهم فيها الواقع والصدق وإنما يهم القدر والرفع

٥ — على العظماء (١)

إنما للناظر والناقد من اثنين وسائل النقد واستكمل إرداده . وسهيل الأستاذ قطب إذا أراد نقد الزماني رضى الله عنه أن يدرس كتبه كلها ويحكم عليه حكما عاما ويبحث في أسفويه وفي ألوان أدبه ويشرح مزاجه ويؤيد به لأن يأخذ كلمة من هذا ويؤيد من هذا . . .

لقد تعلمت وعلمت تلاميذي أن النقد يستند إلى دعامين : دعامة في اللغة وعلومها — يعرف بها خطأ الكلام من صوابه ودعامة في الذوق يعرف بها جماله من قبحه ، أي أن النقد علم حين يدور على الخطأ والصواب وفن حين يبحث في الجمال . أما فن النقد فلا يمكن الجدل فيه لأن أداته الذوق والذوق شيء شخصي ومداره على الجمال ، والجمال لا يتبع من قاعدة ولا يعرف له مقياس . . .

(١) الرسالة — ١٣ يونيو ١٩٤٨ .

٩ - إسماعيل مظهر :

تاريخ^(١) الصراع الأدبي في مصر . وتاريخ الصراع السياسي بطلخصان
في معارك تقوم بين أشخاص . ولقد أدركت هذه الطائفة النقد أيضا : فتاريخ
النقد في مصر عبارة عن موارنة بين كاتبين أو شاعرين يحاول النقاد أن يعل
أحدهما على الآخر .

أما مذاهب الأدب ومذاهب النقد فهذه لا قيمة لها في نظر الأديب ..
ولا في نظر الناقد .

أنهم أن يقوم الصراع الأدبي بين مذهبين يمثلهما كتاب أو شعراء
يمتثلون في الأدب مذهبيا محدود للرأي بين الثنائيات .. وأنهم أن يقوم النقد
على فكرة مطلقة يقتنع الناقد بصلاحيتهما وحققا في اليقظة في نقد
الكتاب أو الشاعر انتصارا لتلك الفكرة . وأنهم فوق هذا كله أن يقتتل
كاتبان ولكن انتصارا لمذهبين يمتثل كل كاتب مذهبيا منهما والغلبة
للاصلح بين المذهبين .

وما يرى . نفس فإن عدم قدرتي على فهم هذه الأشياء . قوة لم أشهدا
في نفس إلا منذ عهد قريب . وما يمثلها إلا ذلك الصراع الذي قام على صفحات
الرسالة بين أنصار صديق الأستاذ الفقير وصديق الزعيم الأستاذ الراحل :
صديقان مات أحدهما وادعى الله أن أن يد في عمر الآخر . سكت أحدهما
وطواه الزمن . وصمت الآخر على ما كان بينه وبين الأديب الراحل نجلة
للوث . ودنا الحزازات ما أجد الموت أن يكون ماحيا لأثار ماود كرباتها .
صحت صاحب الحق وتكلم غيره احتسابا وحاشيا أن أقول هنا لوجه
الله ، لأن الله لا يأمر أن نعش الحزازات ونحفر الضغائن .

(١) الرسالة - ١٢ يونيو ١٩٢٨ .

٧ — سيد قطب (رد على اسماعيل مظهر) :

« إن الذي لا يفهم ولا يستطيع أن يفهم يوماً من الأيام أن يكون رجل كالأستاذ اسماعيل مظهر أو أقل منه درجات، يقرأ ما كتبه ثم لا يفهم منه أنفاً لنقد مذهبها معيهاً في الأدب وتنفق مذهبها ببقا منه كذلك وإن الكاتب الذي تنصر له بمثل مذهب يبقا يدعو إليه مفسد خمس وعشرين سنة وما يزال يشرحه ويقرره ويعود إليه في نشره وشرحه وأنا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا للكاتب لطريقته وأشد الناس نهماً لها وانتفاعاً بها ونسجاً على منوالها .

ويتحدث الأستاذ عن الشذوذ في نصرة كاتب على كاتب فإن شاء أن يعرف الشذوذ حقاً فليبحث عنده .

إنه يا سيدي في تقديم هذه السوأة الأدبية الخلقية الإنسانية للسلام « على السوء » في تقديمها ذاته . وفي طريقة تقديمها . وفي نشرها « دون تأذ ولا تألم . ولا خشية على آداب الحديث في الأمة ولا آداب الطريق . ودعك من آداب النقد ودون راحة باسراع القاس وأبصارهم وآفاتهم .

وإذا شاء الأستاذ أن يعرف نوع هذا الشذوذ فليعلم أن هذه « السوأة » التي كشف عنها من قديمها للناس لم يستطع أشد تلاميذ الرافض إخلاصاً أن أن يبلسها . ولقد حاول أن ينجسها في خفة عن أعين النظارة وهو يزن حسرات الرافض . ويرغم وزن سيئاته ، حتى لا تهبط هذه السوأة بالسكفة إلى الخفيض فهي لامت للبراق .

قال الأستاذ سعيد البربان أنه قرأ (على السوء) فغابة على الرافض وأزله (المعارضة الأدبية)

غير ما كان ينزله من نفسه وإذا قال الأستاذ سميد مثل وهو يدغم الكلام ويخرج له ليهاد بهذه السوأة عن الأنظار فالذين لم يصابوا بداء المدالكاتارية يستطيعون أن يعرفوا مقدار شعهم .

ولولا أنني أكرم اسماعيل النرا ، وآدابهم وإنسانيتهم من التدهور والتأذى والتأفف لنفهم شيئا من « على الحقود » الذي لا يعتبر نقدية ونشره شذوذا ولا عناصرة لأدب على أدب ، وإنما يعتبر نعره المذهب بين على مذهب بين في الآداب والآراء .

٨ - إسماعيل مظهر :

إن^(١) انفصال سيد قطب فيما كتب لم يكن ليجعل لفته محلا من الأثر في صوغ الماي التي أرادها فأخذ يرى الجبل والسكام ذات الثين وذات الشمال . . شأن التأثير ، لا شأن التأثير ثم خاضه ثورته وخذه انفصاله فاستقطعت عقله الباطن استيقاظه المفقودة فرجع إلى قوله « أنا » كأعنا عليه لم تنو على احتمال تلك الثورة ولم تستطع مقاومة ذلك الانفصال فتبدت في ثوب ذي ألوان .

• • • إننا نالآديب سيد قطب أشد الناس فهما لأدب الأستاذ العقاد وليس ذلك فقط فهو أيضا أشد الناس اقتناها بطريقته ، وليس هذا ولا ذلك فقط بل هو فوق هذا وفوق ذلك أندر الناس على التسج على مغوال الأستاذ العقاد وأن يكون الأديب سيد قطب أديب طيبة فانية فهو باعترافه أديب غير أنه عبارة عن نسخة من أديب آخر ، أديب شخصية صورة من شخصية أديب آخر

١ - الرسالة - ٢٢ يونيو ١٩٣٨ -
(٢) الرسالة - نفس العدد .

وأدبه لوحة من أدب شخص آخر ، أدب أسلوبه كالطبعة التي يتركها في الرمل
قدم أدب آخر . أدب بنفسه وطابعه وفانيته كالصورة الواهية التي تلتصقها
الصورة الضوئية وتطبعها على الرق المعروف ، ولسكنها صورة وهمية .

.. هذه الصورة الوهمية قد أفرغ عليها صفت وحلاها بنضائل ، لأنكر
أنه نسبي إلى المقاد لتسكون نسبيًا إليه مفسرة بالذبيبة إلى الطبعة الثانية
من الأستاذ المتأد وتلك الطبعة هي الأدب سيد قطب ..

٩ - سيد قطب ،

(عرض^(١)) به من جعل من كتاب على الصفوة ورد عليها فيما يتعلق بمحدث
المقاد عن رأي شو ينهور في الجبال) .

قال في مقدمتها : « يعرف الناس كيف يكون الإنسان من القهيم بقصد
الرائف - قاصر الإطلاع ، ثم يناقش المقاد الذي البصيرة الطامنين - بقصد
المقاد - ولا تكلف نفسه الإطلاع على أصل المسائل إلى يناقش فيها ويحد من
الجرأة في نفسه أن يقول : لم يطلع على هذا الموضوع ولسكنه يحزم بأنه كتب
وكتب أما الذي أطلق فهو جاهل » .

« ثم يقول كلام الرائف في المقاد » .

« على مثل تلك الطريقة من القيادة سوء الفهم وقبح الاجتزاء والذرو
والحفاقة : يجد كل ما يرواه المقاد أو أكثره ثم يزين له لزم نفسه وهي
بصيرته أنه هو وحده الذي يهدي إلى سرائر الأشياء ، ويلهم حقائق الساني .

(١) الرسالة - ٢٧ يونيو ١٩٣٨ :

(٢) الرسالة - ٢٧ يونيو ١٩٣٨ .

ثم يقول قلاب « ولولا أننا نسمو بأدبنا وآداب المجتمع لرددنا هذه المسكات إلى من يستحقها بعد هذا البيان من الرجلين .

رأى سعيد المزيان في كتاب « على المقود »

« الحق الذي اعتدناه أن هذا السكتاب — على ما فيه — نموذجاً في النقد يدل على غاذ الفكر ودقة النظر وسعة الإحاطة وقوة البصر بالعربية وأساليبها . ولكن فيه مع ذلك شيئاً خفياً بأن يفسر كل ما فيه من معالم الجمال فلا يبين منه إلا آدم المسود واقبح الألوان . بما فيه من هجر القول وصر الهجاء . »

« .. وإنما نريد للناقد في العربية أن يكونوا أصبح أدبا وأعف لساناً من ذلك وأنها نفسارة أن ترى المثال الذي اليدع مغموراً في الوحل فلا تصل إليه إلا أن تخوض له الحداثة اللقطة وإنما الخسارة على العربية أن ترى هذا الفن اليدع في النقد يكتشفه هذا الكلام القازل من هجر القول وصر الهجاء . »
« الرسالة ٢٧ يونيو ١٩٣٨ »

١٠ - على العنطوى :

ما هكذا^(١) يكون النقد ولا هكذا تكون المناقشة .

إني حقت رأيا أن كان خطأ حدث إلى الصواب الذي تكتشفه لي فيه ، وإن كان صوابا وجب أن تمود أفت إنيه فحين خطأ من سواي .
وعد عن هذا الأسلوب : أسلوب التعريض والسخرية . دأبني أني أن

(١) الرسالة - ٢٧ يونيو ١٩٣٨ .

حططت عليك سائرا ومعرضا لم ادعك حتى تلتصق بالأرض . وأنا من أقدر الناس على ذلك . والسكن ذلك شيء . بأياه الخلق السكريم وأنا بأعمال الرسالة . ولقد كذبت لي في هذا الودان جولات ، سرعت فوها كثيرا من السكتاب للدهين المستكبرين . ثم اقلعت عنها واستغفرت الله . .

قال لصاحب الرسالة :

لماذا تنشر الرسالة هذه المقالات للأستاذ قطب : الحقيقة والحقيقة لا تظل لها في هذه المقالات . لم من أجل الأستاذ العقاد .

وفيها من الأبناء ، العقاد مثل ما فيها من المس بالرافعي . أم بنشأ بالرافعي وصاحب الرسالة صديقه المحميم . وهو شريكه في التليس بمرجه البلاغة والمحرص على البيان المشرق الذي يسره هؤلاء المجددين أم لماذا ؟ أنا لم تعد من هذه المقالات إلا نائمة واحدة ، هي أنا عرفت أن الجديد أن كان كما يسوره سيد تطلب فهو أهون شيء . وأبعد عن الحق ، وأنا رضوان قد يمتسا مطمئنون إلى « رجعينا » . .

« كلمة الرسالة » : وقالت الرسالة أن من مبادئها أن تكون صورة صادقة لأدب العصر فلا تسجل مذهبا دون مذهب ولا تنوخي أسلوبا دون أسلوب . ومعارك النقد طاعرة مألوقة عفت الرسالة عنها حيفا ثم رأت أن تسجل هذه الحركة ، لأن أدب الرافعي وأدب العقاد يمثلان وجهتي الثقافة في القطر العربي ومن حسن القول أن يتكلم القاطر في الأدب بلسان الأدب وأن يعتقد أن أدب الرجل شيء . آخر غير شخصه فلا ينبغي أن يدخل النقد في حجابيه العليا ، واللوت : ولا الصداقة والعداوة .

لقد كانت بين الرافض والفقاد عداوة وشحناء سارت مسير الليل بين
أدياء الجليل فهل كان من الملمّ تبعاً لذلك أن يكون سيد العربان وسيد قطب
مدونين ؟ لأن أولهما يؤرخ للرافض والثاني يجري في خيال الفقاد .

ولسكن سيد قطب يشرح ليسكنون في عداوته في الأدب منظر ومقدار .
وما يرى نفسه بالغا هذه الأثرة إلا أن يجري هل تهيج صاحبه ويتأثر خطاه .
فمساكن أول سعيه إلى غايته أن احتجب كفايته وخرج إلى الناس في برى الناس
بالين والشمال . لا يفتيه أن يصيب ولا من يصيب . ولو كان أحرص الناس
عليه وأراهم به . .

• • • لقد طال للرحوم الرافض دأبها على تجديد الآداب العربية وثلاثين
سنة . يتردد اسمه في المحافل والندوات ومجامع الأدب فليس بين قراء العربية
أحد لا يعرفه . وسيد قطب واحد من قرائها الإحصائيين في اللغة كما قد يعرف
القراء . ولكنه مع ذلك لم يشرع قلبه ليبرد الرافض من النفس ومن الإنسانية
ومن العيشة وليرف أدبه ويكشف عيبه إلى حين غيبة التراب وكان
أوان ذكره .

هذه هي حريتنا نحن أنصار للذهب القديم فأي عربية فهمها القائد المجدد
الإحصائي في اللغة وفي أساليب البيان .

١٢ — سيد قلب (الرد على اسماعيل مظهر)

أنت ياسيدي^(٢) كم تفهم الكلام ومن هنا كان تفسيرك للجملة التي أقول

(١) رسالة - ٤ يوليو ١٩٢٨ .

فيها « وأنتا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكتاب لطريقته وأشر الناس فيها لها واعتداعها بها ونسجها على مفوالها »

فنهجت منها أن الذي يقول ذلك يكون (طبعة ثانية) لعقاد وهذا كلام تقوله للناس وكلام تقوله لك :

« إن الإخلاص الطريقة في الأدب والاعتداع بذهب خاص والنسج على مفوال مدرسة معينة لا يعني تقليد شخص معين ، فقد نشأ أمام وبشيء له مدرسة ويكون لهذه المدرسة تلاميذهم ثم يكون لكل تقليد من هؤلاء طابعه الشخصي ويمزجه الذاتية . ولا سيما إذا كانت هذه المدرسة هي مدرسة العقاد التي تقوم على أساسها الدعوة إلى أدب (الشخصية) وتفكير التقليد وتنشط في إنكاره .

« أما كلمتنا لك فنحن نسلم أننا « طبعة ثانية » من العقاد فسادا نكون أنت ، إنما نقول لك : كن أنت — إن استطعت — طبعة ثانية من العقاد أو أي فنان سواه . أو كن على حد تمييزك للذوق الطيبة التي تتركها في الرمل قدم العقاد تسكن غيرها ما أنت الآن عشرات الزرات .

.. إنك تعتمد على العقاد حقا؟ دفينا لا يجب له — إذ ليس يفتكا مقانسة ، لامقاسة على أدب ولا موهبة فنية — وإنك لهذا ترحب بشنائم الواقعي له وتطبعها وتزوج لها وتسميها علوا عن الشخصيات .

١٣ — محمد أحمد الغبراوي

مسألة^(١) تقديم ولجنهده هرجا لا يزيد على ثلاثين عاما أنارها من الناس

فمن تلقوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأحدهم من الثقافة الإسلامية نصيب مذكور ، والغرب والشرق على طرفي نقيض . لا يلتقيان . كما يقول رينارد كبلنج . إن كان من الممكن أن يلتقيا في العلم الذي هو سمجة الغرب والذي هو جز . من الإسلام الذي يدين به الشرق . لسكن الذين أثاروا مسألة القديم والجديد لم يكتفوا بمعرفة . ولعل أنصارهم لا يزالون يجهلون أن العلم الذي يظهر به الغرب هو في الإسلام جزء من الدين ، وأن المدينة الغربية ليس فيها ما يستحق أن يطلب ويؤخذ إلا ذلك العلم الطبيعي الذي اعتدى إليه الغرب بالمقل والتجربة والذي يمثل فكرة الله التي فطر عليها الأشياء . أما نظرة الله التي فطر الناس عليها فذلك يمثلها الإسلام عن يقين . فسكان الغرب والشرق قد اقتسما علم القطارة . علمها الغرب في الآليات والعلم والتجربة . وعلمها الشرق في الروحانيات والاجتماعيات ، الدين والوحى فسكان الشرق هم هنا حين لا يأخذ بعلم الغرب وكان الغرب ضالاً حين يخالف الإسلام .

علم الغرب الطبيعي ودين الشرق الاسلامي . . حسنا هو سبيل التقدير الصحيح ان يريد أن يكون مجددا مصاحبا ؟ يحدد للشرق شيابه ولجده من غير أن يرضه لشر ما يحدد الغرب من أخطار .

لكن دعاء التعديل الذين جاءا يدمها (بعد جمال الدين ومحمد عباد) ولم يكن لهما مثل علمهما خلوا سبيل الدعوة . وصدقوا الغرب في ظنه الذي ظن بالإسلام من أنه كان يجب تأخر الشرق . ولما لم يطبقوا أن يهاجموا الإسلام مواجهة فيدموا الناس سراحة إلى نذره إلى مهاجمته . دائره بدعوة الناس إلى قبول كل ما عليه الغرب أن كانوا يريدون أن يكون لهم ما للغربيين من قوة وحياة . وزعموا للناس أن المدينة الغربية كل لا يجرأ فأما أن تؤخذ

كتبها أو تترك كتبها ، أما أن تؤخذ بأجتماعياتها وأدبياتها وعلقياتها وأما ألا
تؤخذ فيها شيء .

ونجحت حركة الانشقاق التي قام بها دعاة الغرب ضد سلطان الإسلام في
نفوس من أصغى إليهم من الناس حين الجأؤم إلى أن أصابتهم فتنة ذلك
التجديد كمن احاط به العدو لا يد له من الموت أو التسليم .

ومن هنا كان ما أصاب أولئك المجددون من نجاح . وما يهدد الإسلام
في بلاده وفي نفوس أهله من خطر . ومن هنا اضطر فريق
من المجاهدين المحسنين الذين آتاهم الله منها في الدين وقوة في الحنان وبسطه
في البيان وفي طليعة هؤلاء ، كان الرافعي رحمه الله عليه .

فالمسألة بين القديم والجديد كما يسمونها ليست مسألة اختيار بين أدب
وأدب وطريقة وطريقة والسكتها في صميمها مسألة اختيار بين دين ودين .

فالذين يسمون أنفسهم أنصار التجديد يؤمنون بالغرب كله ويريدون
أن يحلوا الناس على دينهم هذا .

وكل خلاف بين أنصار القديم وأنصار الجديد منشؤه هذا ومردفه إلى
هنا . هؤلاء يريدون متابعة الغرب في السفور والاختلاط . وأولئك
يروون السفور والاختلاط مقصدًا ثم أنصار الجسد بدنه يقولون ذرعا بالقيود
الأخلاقية التي قيد الدين بها الناس فما يعملون ويقولون . يريدون أن يتفكروا
منها فيزعموا الناس أن هذه الأخلاق قيودها أن هو الإعراف والتأيد . وأن
التقيّد بالعرف والتقاليد في الفن والأدب يعوق الفن ويمنع دون ترقى الأدب
فيجب إذن إطلاق الفن وتحرير الأدب من تلك القيود ومن هنا نشأ خلاف

آخر بين الفريقين ، نقل المراءى بينهما من ميدان الاجتماع إلى ميدان الأدب فأنتصار الجديد يدعون إلى الفن العساوى والأدب المكتشف ويدعون للفن والأدب حرة في القول والعقل . . .

وانسح الخلاف وتشعب بين الفريقين يضى أنتصار المدين الجديد في توحية السد الاسلامى الذى يحذونه قانحاً في وجوههم أبنائهم فترعون للفاس من طرف حتى أن القرآن من صنع عبقرى لا من صنع الله . وأنه أبة غبية ، لسكن آياتهم إنسانية لا معجزة إلهية . . . وإذن فيأبى أن يخضع له كل عمل إنسانى من النقد والتقصص والبحث العلمى فيها يزعمون وبعب لدرء هذا الأتلك النظام كل كرم ويقاؤونهم على اعجاز القرآن وحرمته وتقديسه ويدعونهم إلى حلة انصاف ليس من انصاف بدنه .

إن من أشد ما يؤسف له أن يفترق قوة أولى القوة في الشرق هكذا فريقين إحداهما تهدم والأخرى تدهمها عن الهدم فيشغل الفريقان جبرما عن التجديد والبناء ، وحدوها واقف لهما بالمرصاد .

٩٤ — سيد قطب : (في الرد على سمود المبران)

« لعل القسوة ليست في الحكم الذى أصدرته ولسكنها في وضع الرافى مقابل العقاد والجميع يربها في عنوان . فن هنا بدأت مطالبة الرافى بأدب الطبع وأدب النفس . لأن المقابل له فياض بهذا النوع . يبرز فيه بلى ومميزته ورمز منه . وقد كان من جراء مطالبة الرافى بهذا اللون الرخيص من الفن الأدبى ظهور خوائه وأنسكار إديه . فلهذه هي القسوة ومع أعفينا الرافى من أدب النفس والطبع فقد تجده بعد ذلك شتبا من التعبير . وفي الأخذ بطريقة خاصة في هذا التعبير . . . »

لقد قرأت كل ما كتبه الراجسي في هذا الباب (النزل) فإذا هو خواص
مفتر من كل عاطفة وإحساس فإذا أنا مرصده فإذا أعرض قطعة من صحاري
النفوس ليس فيها ندى ولا حياة — ولن يغير القراء معنى — إذا أنصرت
على قطع هذا القفار الوحش التشابه الأرجاء .

• والثاني : وقد اخترته أن أعرض لجزل المقاد فاكشف عن هذا العالم
الحى المائج المضطرب بشق الانفعالات والاضغاثات .

• إن المقاد والراجسي مختلفان متناقضان . ولقد شئت التفرؤف أن يكون
العنوان بين المقاد والراجسي فتوجد رابطة بين اسمي هذين الرجلين لا وجود
لها في أدبهما ولا اتجاههما ولا في شيء مما يصح فيه التشابه والارتباط .

والواقع : لقد كان هذا الجمع بينهما ظلم لشكائهما ، فأما المقاد فظنوم
— ولا شك — أن يقرن اسمه إلى اسم الراجسي . ويهيمها هذه الهوة الصحيحة
الفارقة ، والهوة إلى تفصل بين الضورة الفنية ترمز إلى معنى وتكاد تعجش
بالهواة وتمس بالناطق والتمير وبين القوش التي تراها على أبواب المساجد
وتوافؤها . خطوط متدرجة أو مستقيمة ودوائر ومثلثات وسريعات كلها من
همل المسطرة والبركار . ولا شيء وراءها غير اللبارة في التلمب والعزوي .

١٥ — يجد أحمد الشراوى :

١ — المقاد : أديب الطبع التوى القطرة السليمة والراجسي أديب الدهن
والوضاء . والذكاء . البهائم والمقاد متفجع النفس ديان القلب . والراجسي مفلق
هذه الناحية مفتوح العقل وحده تفتت والرمضات .

٢ — كدت أنكر عليه الإنسانية فأصبحت أنكر عليه الطبع . وكنت
لا أجد عند الأدب النفس فأصبحت لا أجد عنده الأدب النفس .

هكذا حكم سيد قطب بين الأدبيين الكبيرين ، والحكم لا يعطى للمقاد شيتا من القبح العقل ولو لغات والرمضات . فقد سوى بين الاثنين تسوية تكاد تكون نامة أو بالأحرى جعل للزبا الأدبية قدمه بينهما عن سواء تقريبا ؛ أخرج المقاد من دائرة الذهن والعقل . كما أخرج الراضى من دائرة النفس القلب ، وخص أحدهما بما غنى عن الآخر . فإذا شك أنصار المقاد في أن هذا مفهوم حكم صاحبه على صاحبه ومنطوقه فليقرأوا مقدمة الحكم إذا شاءوا :

« وبعد : فما كان يمكن أن يتفق المقاد والراضى في شيء . فشكل منهما نهج لا يلتقي مع الآخر في شيء » إذا لم يكن المقاد يشرك الراضى في أدب الذهن لا تفق الاثنين في شيء . والنقى الأدبيان على شيء . أما وهما لا يتفان ولا يلتقيان في شيء . في حكم هذا الحكم الجدد فما ألبته لراضى من أدب الذهن الوضوء والذكاء الفصاح لا بد أن يكون نفاه عن المقاد إن كان يعرف ما للتعليق وما للتفكير . ليس عن ذلك محبس :

والراضى كذلك مظلوم — ولا شك — أن يقرر اسمه إلى اسم المقاد . فيطالبه المقاد حينئذ بالحياة والحركة والعشق . أو بطالبونه برأى معين في مسائل الحياة الكبرى وفي نواحي الإحساس والشعور . والرجل في عالم آخر غير هذا كله ؛ عالم الأخشاب المنقوشة والشرفات للزركشة .

و لقد أخذ يردد نغمة العوام في الوثى والأحيا . ويعتد على شعور هؤلاء العوام في تقدير موقفى وأنا أحدث عن المقاد الحق . وموقفهم وهم يتأخرونه عن الراضى الذى مات .

« فأنا في دفاعى عن المقاد أجهذ وأشرف من دفاعهم عن الراضى . فإذا يسكتهم الدفاع عن الراضى ؛ فإنه لا يكلفهم شيئا . بل على العكس يكسبهم

حسن الأخذوة لدفاعهم عن رجل ميت ، ويكسبهم سمعة الدفاع عن الدين .
ويكسبهم محبة الأساقوسين والمجاهزين عن التحليق في الأجواء القوية العالية .
أما الدفاع عن العقاد فيكسب التعرض للفتن الكثرين من ذوي القنود .
لكن العباد رجل لم يبق له قول الحق صديقا وكثير ممن يظهرون صداقته
يكنون له غير ذلك لأنهم يفسدون عليه شموخة واعتداده بنفسه وتماليه
على الضرورات .

١٦ - معيد العريان

الجديد والقديم حديث طويل في تاريخ الرافض فهو قد وقف نفسه على
الدفاع عن الدين والخلفاء على لغة القرآن . ذلك مذهب دوح علم وأمانته
عليه بشأه وتدينه ، فهو إنما يحرص على اللغة من جهة لحرص على الدين .
إذ لا يزال مقبها شيء قائم كالأساس واليقين ، لا مفعلة فيهما معا
إلا بقيامهما معا »

فأما نعرفه فأقدا عقيفا إلا حين يتناول الجديد والقديم وإذا نحن تدبرنا
ما أسلفناه من تلخيص رأيه في الجديد والقديم ومن مقدار جهته في الذود عن
الدين والعربية عرفنا لماذا يؤثر الرافض ذلك الأسلوب المتوف في مهاجمة
خصومه والطمع عليهم إذ هو لا يعتبر حينئذ إلا شيئا واحدا هو الدفاع عن
الدين وتراث السلف مؤمنا بأنك « إن تجد ذا دخله غيبته لهذا الدين إلا وجدت
له مثله في اللغة » .

وقد تعجب أشد العجب أن ترى الرافض بنفسه حين يجرده قلعه للنقد كل
اعتبار عما يقوم به الصلات بين الناس ولكنه هو يعتذر من ذلك بقوله إنما
نعمل على إسقاط فكرة خطيرة ، إذا من قامت اليوم بقلان الذي نعرفه فقد

تكون غدا فيمن لا نعرفه . ونحن نرد على هذا وعمل هذا برء سواء ، لا جهلنا من نجهله بلطف منه ولا معرفتنا من نعرفه قبالغ فيه . فإن كان في أسفونا من الشدة والمنفى أو التول التولم أو التبهك فدا ذلك أردنا ولكنا كالتى نصف الرجل الضال ليعلم للمعدى أن يضل ، فدا به زجر الأول بل عظة الثاني .

٧ — محمد أحمد الغمراوي^(١)

جرب الناس على رد التفاسيل في الأدب إلى أصالين: النقط والذي وأبدأوا في ذلك وأعادوا وأمرقوا في الاختلاف بينهم : أى هذين الأصالين يقدم على الآخر في تقديم أدب على أدب واختلافهم في هذا شئ . عجيب . فإن النقط والذي ركعان متلازمان لا يفتق التفسير في أيهما فالأدب المكتمل .

إن املاك قاصية الة أمر لا يد منه لسلك أدب يريد أن يطلع في الأدب مزية المفلود وليس معنى هذا أن املاك قاصية النقط حدة كاف المفلود . فليس في الأدب مكانة لمفلود صاحب المعنى المفسس في النقط الأفيق .

وإذا تسائل متسائل : أى الأدبيين أول على املاك قاصية الة واقتدار على التفنن والتصرف في التعبير بها . أدب الروائي أم أدب المقصود ؟ كان الجواب الذي يسرع إلى الإنسان في غير تسكتف ولا تحيز : أدب الروائي ؛ كان أم لك قاصية الة من شك وأ كثر اقتناعا فيها ونصرفا بها . ولا نفل أن المقاديين يمارون في هذا فأ كبر ما ادعاء المقاد مفتونهم به هو الأسلوب النظم والتعبير الجيد غير يعاين عن شعر المقاد .

يقوت قاصية المعنى ولم تر أحدا ظلم في مدانيه مثل ما ظلم الروائي ومعاني الروائي أكثر من بيتها المظريف كثرة تدعو إلى العجب . كثرة لا تفلن أحدا من المحدثين بفضلها فيها أو بزحمه .

(١) الرسالة ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٨ .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.. ثم قال : فالمسألة في الأدب ليست مسألة لفظ ومعنى فقط ولكنها في جميعها مسألة روح . فربما يريد أن يجعل روح الأدب روحاً شمولانياً بحيث وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة في حدودها الواسعة . إن أدب الفريق الأول هو ما يسمونه بالأدب الجديد وعقله العقاد . وأدب الفريق الثاني هو ما يسمونه بالأدب القديم وعقله الرافعي .

الرافعي يتفوق على العقاد في التعبير وفي التخيال وكلاهما يمتثل بالمعنى أكبر استئصال . غير أن الرافعي عنده نور يهدي به ليس عند العقاد ، فكانت لذلك أقل من العقاد عاباً وأكثر صواباً .

إنما الخلاف الأساسي بينهما في الروح : هما من حيث الروح مختلفان كل الاختلاف وعندك الحكم بين الروحين معيار صدق لا يعطى . هو معيار الدين . ومعيار انطالق الفاضل . وإذا قيمت الأدبيين بأحد هذين المعيارين لم يبق عندك شك في أيهما أولى بالكبار وأصلح لابقاء .

الفصل الرابع
بين النقد الذاتي والموضوعي

الفصل الرابع

بين النقد الذاتي والموضوعي

بين أحمد أمين وطه حسين^(١)

هذه معركة داخل جبهة المدرسة الحديثة ، بين رجائين مرعاً بالسحر في الشرقى الواحد ، كان أحمد أمين واضراً واختاره طه حسين ليدل أساتذته على كفاية الأدب بعد أن عاش معه في لجنة الأقرهر عند بحث مسألة الشعر الجاهل ثم فسكراً مع جريد الجريد المبادئ على نشر كتابه حفر الأسلام . يحسن كل منهما بجانب منه لم يفس أحمد أمين تأيم الدراسة وتوفيق طه والمبادئ وبالفرع من هذه الصداقة والأبلا في التجلعات الفكر والتفلة والجامعة . كان أحمد أمين حين مرض لفتة الأدبي لم يشراج من أن يملأ رأيه سريعاً في موقفه الأدبياء الذين برزوا بعد وقد جرى في هذا الشأن سجال بين أحمد أمين وطه حسين أصريه أحمد أمين حل وأيه في أن كتاب هذه الفترة كانوا مناهسين مناهسين أول الأمر حتى لما تحلفت لهم القهره والسكانه عادوا إلى شيء كثير من الاعتدال وحله من المعركة .

هذه معركة ١ — أحمد أمين

« ... حدث في تاريخ مصر الحديث أن جماعة تسلموا بالشجاعة فظهروا آراءهم في سراحة نامة ولم يبالوا الرأي العام سواء في ذلك بحوثهم أو تقديمه ، وكانت هذه البصرة الأولى لشجاعة الأدبية في مصر فألقوا كتباً عبروا فيها عن آرائهم في جلا ، ووضوح ، وكتبوا مقالات تدبر عما يختلف في نفوسهم ولأن لم تكن على هوى الجمهور ، وشفوا أدبه الأدياء . وإن بلغوا القمة في نظر الناس ، فشكل صراع بين القديم والحديث وبين التفكير الحر والتقاليد وبين الأدب الدائم والأدب المورث . ولكن حسداً الصراع انتهى بتقية الجامدين . ونال الأحرار من السيف والمفت فوق منظرهم .

وشعر القاعون بهذه الحركة الجديدة أنهم أصيروا في سمعهم ثم رأوا أن

(١) الرسالة — أول يونيو ١٩٣٦ .

أتباعهم تحملوا عنهم في وقت الضيق ، ومن صعلك عليهم شعلت أناملوني ، صعلك يخسر ، وكان الرأي العام قويا مسلحا فتغلب وانتقم وأصبحت له السلطة الثامنة ، وانهزم أمامه فريق المفكرين الصرخاء حزنة منكورة . ولم تسكن له أمثلة كثيرة في تاريخه القريب فاضطر إلى التسليم . وتعود التجارة بدل للقاومة . والدائرة مكان الصراخ . فلم يعد هناك ممسكان ولم يعد صراخ وإغاها هو ممسك واحد ولا قتال ، وتعلم الجيل اللاحق مع الجيل السابق السابق فاختلط خطوه ونهج منهجه وأخذ الدرس عن أخيه الأكبر بفضل السلامة . وبذلك اختلق النقد الأدبي في مهبه وأصبح الأدب مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافا طفيفا ، في العرض لا في الجوهر . ولا أمل في عودة النقد الصريح إلا ببذرة جديدة وروح جديد على شرط أن تسكون البذرة صلبة تتحمل حواشي الدهر وعواذي الأيام .

ويتصل بهذا أن الأدباء عندنا صنفان : صنف نضج وتسكون واستوى حل عرش الأدب . وهؤلاء هم القادة ، وهم أفراد معدودون تسالموا وتهادنوا وحرمنوا ما بينهم من خصومة أدبية وعقلية ، وصنف ناشئ في طور التسكون وهو يحشى أن يتعرض لمن استوى حل العرش فيبطش به بطشه جبارة تقضى عليه ، فلما جامل الكبراء بهمهم يدها ، وخاف الناشئون من الكبراء ، ضاع النقد بين هؤلاء وهؤلاء . . . »

٢ — طه حسين^(١)

فأنت ترى أن جماعة النقاد الذين كانت إليهم قيادة الرأي الأدبي أو قيادة الحياة العقلية منذ حين قد أصابتهوا الشجاعة أول امرهم . واتروا الصراحة

(١) الرسالة : ٨ يوليو ١٩٤٦

أو كانت الصراحة لهم خلقاً . فسكتوا كما كانوا يرون ، وأخذوا يحطوهم العلوية من الحرية ، فلم يحفلوا بالجمهور ولم يخافوا الرأي العام . ولم يحسبوا مقاومة الحائزين حساباً . ونشأ عن شجاعتهم تلك وعن صراحتهم هذه أن يمشوا في الحياة المثقلة نشاطاً لم تألفه مسرة فسكان الصراع العنيف بين القديم والجديد . وكان الخصام الشديد بين الحرية والرجعية .

وكذلك ترى بعد ذلك أن هؤلاء الكتائب قد أودوا في مقاصم وفي أنفسهم وفي سمعهم وفي أرزاقهم فلم يثبتوا للأذى ، ولم يحضروا في المقاومة ، ولم يهتفوا بانتمائهم وأولياؤهم على الثبات ، وإنما عطفوا عليهم عطفاً أفاطونياً . فلانوا ودانوا وجاروا وداروا وآثروا العانية ومضوا مع الجمهور إلى حيث أراد الجمهور . ونشأ الجيل الجديد فاقضى بأشوته الكبار دسار سيرتهم وأصبح النقد مصانعة ومتابعة وأصبح الأدب علقاً وتقليداً .

وهذا أيها الأخ العزيز هو الذي أخافك فيه أشد الخلق وانكسر عليك أعظم الإنكار يدفعني إلى ذلك أمران : أحدهما أن رأيتك بعيد كل البعد عن أن يصور الحق . والثاني أن رأيتك يمسى وأؤكد لك أنه يحفظ كل الاحتفاظ ويؤذي كل الإيذاء . ولعله يحفظ ويؤذي أكثر مما احتفظ وأداني كل ما بقيت من ألوان الشقة والإعنات .

فهل من الحق أن هؤلاء الكتائب الذين نشير إليهم قد أدرتهم الضعف والوهن فالأول الجمهور وصانوا السلطان ، وآثروا العانية في أنفسهم وأموالهم ومقاصدهم ؟ ومتى كان هذا ، أحين عصفت المواصف بمصرف أفسدت أمرها السياسي والمثلي ولتت نظامها الحر وعرضت عليها نظاماً آخر مصنوعاً القيت فيه كرامة الأفراد والجماعات .

تعال أيها الأفع المزير تبحث معا عن هؤلاء الكتاب أين كانوا في ذلك الوقت ؟ وماذا صنعوا ؟ وإلى أي حد جازوا وداروا وأثروا العافية ؟ لست في حاجة أن اسميهم فأنت تعرفهم كما يعرفهم الناس جميعا ، لم يكن لأكثرهم مقصب في الدولة ، ولعل كنت من بينهم الوحيد الذي كان يشغل منصبا من المناصب ، فلما عصفت الماصفة القصيت من هذا المنصب فأدركت الزملاء ووقفت معهم حيث كانوا يتفنون ، ومعينا جيهما إلى حيث كان يجب أن نحفي واحتلنا جميعا ما كان ينبغي أن نحمل من الأثقال . فسكنا أيها الأفع المزير السفة الساسة وسيوف القادة والصفراء بيهم وبين الشعب . وكنا سباطا في أيدي الشعب يمزق بها جلود الظالمين تمزيقا .

وكنتم تمجيدون معا بذلك وتحمدوننا لنا وتؤيدوننا فيه . وكنتم تقومون على الشاطئ وتروننا ونحن نتألب الأمواج وتقاوم المواقف تظهر عليها حيفا وتظاهر علينا أحيانا فسكران بعض الناس يصفق لنا إذا خلا إلى نفسه لا إذا رآه الناس ويهطف علينا إذا لم يحس السلطان منه هذا الخلف ولست ازعم أنني قد استأثرت بهذا الفضل فقد كان نسبي منه أقل من نسب كثير الزملاء . لم أدخل السجن وقد دخله معهم من دخله .

أترى أن مواقفنا تلك كانت مواقف النهزمين ؟ أننا شغلنا عن القيد الأدبي بأنفسنا وادوالنا وإخبارنا للعافية ومجارآنا للسلطان .

والتريب أن أريك هذا في إخوانك الكتاب يظهر أنه قد أعجبتك حتى أهلك عن حقائق ما كان ينبغي أن تلهو عنها . فهؤلاء الكتاب النهزمون في رأيك لم تشغلهم هذه السياسة المنيقة للسكرنة عن الأدب ولا عن النقد . وإنما لتعلم أنهم جميعا كانوا يخاصمون في السياسة وجه النهار ثم يفرعون

لأدبهم آخر ، وكلمهم قد أنتج في الأدب أثناء الحقبة وفي الأدب الطامس الذي لا يتصل بالسياسة ولا يت لها بسبب . ومن ههنا اتخذ السجين وسيلة إلى حقا الانتاج .

وبعد فليس السبيل على الذين أدوا واحبهم الأدبي كما استطاعوا وما زالوا يؤدونه كما يستطعون ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم الهدوء ويستمتعون بالبال الرضى والحياة المستقيمة للطمينة ثم لا يتفقدون لأنهم لا يقرأون ، أولا يتفقدون لأنهم يقرأون ويشفقون أن اعطوا آراءهم أن يتفكر لهم الناس وأن يسلمهم أصحاب السكتب بالصفة حذاد .

٣ - أحمد أمين

شرح وجه نظري في بعض وجوه الغيب في النقد العربي من ناحية العامة . فإن^(١) أراد أخى على أن يحورها من عمومها إلى شخصياتها وينقل المسألة من النقد الأدبي إلى النقد السياسي ويجعل الأمر يدور حول أنا وأنت وتقدت ولم تنقد ، وكذبت ولم تسكتب . وبشت وتشت ، وشقت وسعدت لم إجاره في ذلك ، ووقفت حيث أنا إلا أن يهود إلى أساس النظرية ويقوع حجة بحجة وبرهان فأتى اذن أسأله القول حتى يفعل الحق ويظهر الصواب .

٤ - إني افان^(٢) بين النقد من نوعه عاما والنقد الآن فأجده ليس غامضا لسعة القشور والإزقاء . بل لسعة التدهور والإنحطاط حتى وصل إلى حالة من العجز برئى لها .

(١) الرسالة ١٠٠٠ يونيو ١٩٣٦ .

(٢) الرسالة أول نوفمبر ١٩٣٦ .

تقد كان الكتاب إذا ظهر هبت الصحف والجلات لمرضة وتقدمه
ماتلفوى يتقدمه نقدا لنوبا وللؤرخ يتقدمه نقدا تاريخيا والأديب يتقدمه نقدا
أديبيا وتثور معركة حامية بين أنصار الكتاب وأعداء الكتاب ..

ولست أنسى ما كان يقوم به الأستاذ إبراهيم اليازجي في تقدمه لمجاي
والأدب وأقرب للوارد كما لست أنسى ما تقدم به كتاب التمدن الإسلامي
وكان شوقي أو حافظ يقول القصيدة فيقوم ناقد معترض بين معانيها،
ومادح مفرط بين محاسنها ومن هذا وذلك يستفيد الأديب ويرقى الأدب .

وكان يؤلف الكتاب الذى مثل كتاب الإسلام وأصول الحكم
فقتل مارك حامية وينقسم المنكرون إلى معسكين .

تمال فانظر معى الآن إلى ما وصلنا إليه . لقد كثرت الكتب بجزها
للؤلؤون واسدح الإنتاج الأدبى اضمااف ما كان ، ولكن من الغرب أن
تحدث هذه الظاهرة وهى رقى الأدب وإنحطاط النقد .

.. ولكن ماهى علامات هذه الظاهرة فى الأدب العربى .

أهمها أن النقد السريع الصحيح يحتاج إلى شجاعة أدبية قوية من
النقاد .. ورحابه صدر من اللقود . وقد حدث فى تاريخ مصر الحديث أن
جماعة تسلاحوا بالشجاعة الأدبية فى مصر فأنفوا كتبها عبروا فيها عن آرائهم
فى جلا . ووضوح وكثيرة مقالات تدبرها ينتلج فى نفوسهم وأن لم تكن
على هوى الجمهور . وتقدوا أدب الأدياء وأن بلدوا القصة فى نظر الناس
فكان صراع بين القديم والحديث وبين التفكير الحلو والتقاليد .. ولكن
هذا الصراع انتهى بهزيمة هذه الطائفة إمن المعسكين وتعرضوا للخطر فى

مناصبهم وأرزاقهم . ونالوا من المصنف والمصنف ما ليس في طاقاتهم . وهذا يحدث منه في كل أمة من الأمم الأوروبية ولكن كان هناك فرق كبير بيننا وبينهم . ذلك أن أصحاب الرأي الجديد في البلاد الراقية إذ أودوا في العصر الحديث رأيتنا من مثليهم وانابعهم في الرأي من يحدونهم بالمال والموتة .

أما في مصر فقد شمر القائلون بهذه الحركة الجديدة أنهم أصبحوا في سمعتهم وفي مناصبهم وفي مالهم ثم رأوا أن انابعهم تخلوا عنهم في أوقات الضيق ومن عطف عليهم منهم فمطف الانلاطوني ، عطف بتبخر . عطف لا يمكن أن يتحول إلى مال أو مجهود .

وكان الرأي العام قويا مسلحا فتنقلب وانتقم وأصبحت له السلطة التامة . واتهم امامة فريق العسكريين الصرحاء حزبة مفسدة . ولم تعد له أمتعة كثيرة في تاريخه القريب فاضطر إلى التسليم بل وفي بعض الأحيان رجع عن رأيه إلى آرائهم . وعن مذهبهم إلى مذهبهم وتعود المجازاة بدل المناومة ، وللدارة مكان الصراحة فلم يعد هناك مستكران ولم يعد سراع . وإنما هو واحد ولا قتال .

وتعلم الجيل اللاحق من الجيل السابق فاختط خطته ونهج مذهبهم وأخذ القدر من أخيه الأكبر ففضل السلامة وبذلك اختلق القدر الأدنى في مهده وأصبح الأدب مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافا طفيفا في العرض لا في الجوهر لا مدارس متعددة تتباخر وتمازج وتتصادق .

ولا أمل في عودة القدر الصريح إلا بعودة جذبة وروح جديد . ولعل من أسباب ضعف القدر السياسة ، فأنظروا الله فقد تدخلت ففصرت

الجمهور على القادة ، وعلمت الرأي العام على المتكرين وما كان الجمهور
والرأي العام ، يتممران ، هذا العصر لوقت السياسة على الحياذ وفوضا
لكانت الحرب سجيلا ولنفل المتكران في قتال .

ثم أن السياسة دخلت في الأدب ولدت الأدب بونه السياسي ولم
يستطع الناس التفرقة بين موزين الأدب وموازن السياسة فأفسد ذلك الأدب
والنقد معا .

القصيدة الخامسة

الأدب بين التجديد والانحراف

بين زكي مبارك وزكي أبو شادي

هذه واحدة من حكايات الفكر بين التجديد والانحراف ، في فترة غلبت فيها تركة
« التثريب » واتخذت سبلا غاية في الدقة واليقظة لتصل إلى إقامة الآراء للتعرف . فقد
كان الكتاب يتناولون موضوعات حالية بأسلوب غاية في الفناء والامتثال ثم للأجور
بن أحشاء هذه الأزمات عبارات قليلة لها برزق ومظهر واجتماع وآخر ليثيروا الجلبة وكانت
كل عناصر « التثريب » تسكن في إقامة الآراء حول بيت غرموية مصر وأساليبها
السابق للاسلام . ومهاجرة الأزهر وبعاء الأزهر باسم مهاجرة الكنائس والمسيحية
ومهاجرة الاسلام باسم مهاجرة الأديان جميعا . وإقامة آراء (فرويد) لأنه يدعو للفرض
الرأى الذي يقول بأن الجنس هو المانع الأول للعبادة ومقاومة الدعوة للثورة العربية
بالإقامة آراء اللاهوتية واليهودية .
ولقد وثقت الدكتور زكي مبارك من صديقة الدكتور زكي أبو شادي مولانا حسنا
وما أبو شادي قدسكم عن حرية الفكر ونقل أصول كلماته للسموعة التي حسبا في مقالاته
ومسؤوله إيهما جرت بحري السبيل وأنها لم تكن تستهدف فرضا مينا .
وهذه هي المركة :

١ - الدكتور زكي مبارك :

قرأت مقال الدكتور أبو شادي (عن فرويد) فلم يرضيني وقرأت له
مباحثات من الدولة والدين فلم يرضيني (نشرها الدكتور أبو شادي في مجلة
أدي) وما أحب الدكتور أبو شادي أن يتورط في مسائل تنزع المجال
أمام الدارسين وما أحب له أن يفتح أجهلنا على مسألة جديدة في عالم الأخلاق

سأحاسب الدكتور أبو شادي على مقاله بأنني ما يكون من العنف ولكن على شرط يجع له الدفاع عن نفسه في حدود المنطق

لقد عرفت وعرف الجمهور أن فريقاً من خصومك شكوكك إلى النبابة العمومية وقال بعض الطلبة أن مشيخة الأزهر اهتمت بدرس ما نشرته في مجلتك .

أأنت الذي قلت في مجلتك (أن جميع أبناء مصر أقباط ضميمون أغابيتهم أسلمت بحكم الفتح العربي) .

أأنت الذي قلت ذلك . أن كنت قلته فأين الدليل ، أين دراساتك التاريخية ، أين اطلاعك على تفاصيل ما نظرت به مصر بفضل الإسلام . أين ما روى التاريخ حين حدثنا أن والي مصر كتب إلى عمر بن عبد العزيز يخبره أن حالة مصر في خطر لأن الأقباط سارعوا إلى الإسلام فقال :

« إن رسول الله بعث هادياً ، ولم يبعث جابياً » نفرض جدلاً أن أكثر الأقباط أسلموا بحكم الفتح العربي فهل من الذوق أن تقول ذلك وأنت رجل مسلم اسمه أحمد ، إن هذه سقطة ذوقية يجب أن تستغفر منها الذوق إن لم تستغفر لثق ، ومن موجبات الأسى أن هذه السقطة الذوقية نزلت من قلم قبلك رجل مسلم اسمه طه حسين في مقال كتبه في جريدة كوكب الشرق ولكنه حوسب على ذلك مسايها عميراً وحده أهل سوريا بإحراق ما يوجد من مؤلفاته في مكاتب دمشق .

أأنت الذي قلت في مجلتك بوجوب هدم الأهرام وهدم الكنيسة لوسيا المصريين جهالة بدنية .

أنت قلت ذلك وقد نقل ما كتبه في مجلتك إلى المجلة الجديدة (مجلة
سلامة موسى هذاه الله) و سلامه يسره أن ينشر في مجلته ما خطه بقلك في
مجلتك وليس عنده ما يجمع من هدم الأزهر وهدم الكنيسة تأسيساً بقول الشاعر
اقضوني وما لكنا واقفوا ما لكنا ممي

ولكن أنصف ما يكون لوهدمت الكنيسة وهدم الأزهر في يوم واحد
أنصف الطيبة أيها السلام الذي اسمه أحد بن محمد والذي يرتفع نسبة إلى
الحسين ، تكون النتيجة أن يهدم الأزهر ثم لا يبقى أيديلا لا قدر الله ولا سمح ،
أما الكنيسة فهدم ، ثم تنهى من جديد على قواعد أمن وأرستخ .

من أين جاءكم هذا اللصاح يا أبناء اليوم . من أين جاء تسكم هذه العقلة
يا شعراء الجيل .

أنت تشهر بهدم الأزهر يا أبا شاذى ؟ ولم ذلك ؟

أنتستكثر أن تقوم أولئك المشايخ بنشر الثقافة الإسلامية والثقافة العربية
وبرقموا رأس مصر في العالمين^(١) .

أمن القليل في عهد مصر أن يذكروا اسمها في كل لحظة بين أهل الشرق
والغرب بفضل الأزهر الشريف .

سيظل بلاؤك يا أبا شاذى حين تذهب الثقافة الأزهرية وإلى من يستعد
الأدب الحق حين يفترض هذا النوع من التثنية

(١) انظر المقال بالسكافل في البلاغ ٢٢ أغسطس ١٩٣٦

والأزهر مدرسة . ومن مجد الإسلام أنه يرى الدرس أفضل من العبادة
لأن الإسلام منذ نشأ يحمل طابع الدنية ، ويعمل الساجد معاهد للدرس
والتنقيب .

وليس في الدنيا كلها أمة متدينة دعت إلى العلم كما دعت إليه الأمة
الإسلامية والمسلمون هم وحدهم الذين لا يفرقون بين الدنية والدين ..

٢ — (قال زكي أبو شادي عن فرويد أنه الرسول الجديد ..)

وعلمهم زكي مبارك وقال : إن الجزء الأعظم من فلسفة فرويد تنتمي إلى غاية
واحدة هي أن الناس جميعا متأثرون بالتريزة الجنسية في جميع المراحل أما
الأنبياء منهم ميادين أخرى ، الأنبياء يفهمون أن الناس لا يعيشون لاجساد وبالجملة
الأرواح حيوانات . ليست الغاية المسمومة التي تحلك تفويحك وإغماضك تفويحك
من بينهم خائفة الأهلين وما عفى الصدر ...

٢ - زكي أبو شادي

كتب^{١٥} زكي مبارك مقالاً في البلاغ خصه بما سماه (الدعامة الخلقية البشعة) التي تشمل في كود الأدباء بعضهم لبعض . . .

وقد أستعفى أن واحداً من أولئك الساكنين السكائدين أخضع معظم الساعات التي ينفقها عادة في دعايته لنفسه يستعدي على القيامة ومشينة الأثر وغيرهما فليتهم هذا التزم وأمثاله أن كاتب هذه السطور يبدد مبالغته للأدب زهاء ثلاثين عاماً ليس في حاجة إلى من يفهم ما هي أحكام القانون في الكتابة ولا ما هو واجب الأدباء في احترام عقائد الناس ولا ما هو مبلغ سواج الحرية الفكرية التي يحسبها الدستور . . .

إن المقال الذي أشار إليه صديق نشر في مجلة المذهب . . . وقد أهدى نشره بعد ذلك بزمان طويل في مجلة (أديس) لأنني اعتدت أن أجمع فيها شعري وبيجوتي .

ويبدو أننا لو أخذنا بحساب جميع الكتابات الأدبية والفلسفية والكتابات العلمية على أساس ذلك التصريح المسيب لا ينتهي الأمر بالظلم فيها جسيماً وعلى الأخص الكتابات الصوفية . وأن ما ذكرته من فرويد ونتائج أبحاثه التي تمارض الدين على الأقل في ظاهرها لا علاج لها سوى قيام المفكرين من علماء الدين (ولا أعني بذلك طغساء الإسلام وحدهم) بالرد القاطع عليها بدل العادة القديمة في طلب معاذرة كل مالا يرضيهم .

ليس لشبهة الأزهر ولا لنهر الأزهر ذرة من الحق في محاسن على مذهبي
الدين وتفسير عيني .

فليس الذي يلخص آراء فرويد وتعاليمها في نزاعه كما أيراعا المسلم
الأوروبيون مع الحرص على الإشارة إلى اختلاف أصحاب الأديان ، مثل
هذا الرجل لا يجوز أن تقام له محكمة تحقيق إسلامية سنة ١٩٣٩ إذ لا محل
لقيامها من القاحلة المستوية ولا من قاحلة الإسلام نفسه الذي سامع في الأزهر
عصوره حتى مع العقائد المخالفة له نهاية التسامح .

أما هذه الوصاية المقونة على آراء الناس التي تعهت عليها طائفة بين شعوب
الأزهر فأمر لا يلحق لا بكرامة الإسلام ولا بكرامة الأزهر .

وإذا سكنت عنه مؤلف أو أكثر بين الحضرة والالم فإن يسكت عنه
كاتب هذه السطور بقية حياته التي وعدها لتحرير الفكر والوطن لا الميؤوبة
الجمود والرجعية .

ولا ينوتني أن أذكر أن بين الأزهر وكاتب هذه السطور خصومة قديمة
ترجع إلى اعتبارات نقدية فلو تقرر أن يكون الأزهر حاكما قانونيا لوجب
حماؤه . . .

٣- لا يجوز حمل تعابير الشريعة في مقال عن (فرويد) على الحمل
الذي ذهب إليه إذ ليس من المعقول أخذ هذه التعابير على حرفيتها ولولا
البحر الذي خلقه حب السكند لي لسا رأى أحد فيها شيئا .

وهذا البحر نفسه مستول عن نظرات صديق الدكتور إلى فقرات أخرى
من كتابي بحيث أخرجتها عمدا عن دائرة تفكيره .

إن قولي (لا أؤمن بقيام وحدة وطنية سليمة إلا إذا توافرت عوامل الاندماج في الأمة ومن حسن حظ الأمة المصرية أنه من الفاء الوطنية لا توجد فيها أكثرية وأقلية . لأن جميع أبناء مصر أقباط مسيحيون أغاليبتهم أسلمت بحكم الفتح الحرفي وأغلبتهم بقوت على مسجدها التي كانت حقله ومن الشعب المصري) إن هذا القول لا يتعارض بتاتاً والروح القوية التي أبدعها هو من عبد العزيز .

وليس هو مذكوراً في معرض بيان أسباب إسلام المسيحيين المصريين إذ أن هذا خارج عن موضوعي وليس فيه أي انتقاص للإسلام إذ لولا الفتح العربي لما عرف أقباط مصر شيئاً عنه وتجهتوا للدخول في الإسلام حتماً نظراً لمعصية الدينية الخالقة من النصارى حينئذ ، وإنما سقط هذا القول إشارة إلى أن أصل للسلفين والمسيحيين واحد بالدليل القوي الذي أثبتته الدكتور محمد شرف بك في خمس دعامتهم وهو أن الجميع أقبساط ومن شموه البحر الأبيض المتوسط .

٤ - لا أعرف أي قلت بهدم الأزهر وهدم الكنيسة ليجها المصريون حماة مدنية إنما هذا ما قلته بالحرف الواحد .

٥ - وإنما تنبسط بكل حركة إصلاحية يسقيدهم منها الأزهر والكنيسة القبطية ولكن عنايتنا بكنائسهم يجب أن تكون محدودة ويجب أن توجه العناية الكبرى إلى تهذيب الروح المدنية في الشعب .

٥ - إني أعني على صديقي الدكتور زكي مبارك أن يبقى حسن ظنه في كماله ثم يراجع كتاباتي فيسجد لها معاني جد مختلفة مما ساقته إليه حماسه الدينية في الجو الشاذ الذي خلفه السككوتون ..

والضاحك الحزين أي بالرسم من اعتدال أسلوبه وعة قتي وحرمي (المعارك الأدبية)

على زراعة التمدد بعاب على ما تعرضه ثقافتى من تلخيصات فلسفية وأدبية لقرائى
تأغا الواجب أن احفظ بمارق الفنى واحترق أهداء المصريين الذين يجهلون
الانسان الأوربية .

٦ — إن لغتنا الشرعية محرومة من مئات التصانيف الثابتة فى شتى الفئات
الحية والميتة فى نفس بلادنا ، لا السبب سوى أن حركة النقل إلى اللغة العربية
غير مشجعة ولا تنال القصة بقرى والتطليل والتزوير إلا النقل من الكتب القديمة
من أساسات النابيط القاد والتقليدية العتيقة التى يبدونها بعض الجامدين .

وما دامت هذه الحالة الخزبة فليست لها أى معنى سوى أنها ستتردد فكرتنا
إلى حياة القرون الوسطى وسيكون للأهواء لا لتواين العليا الحكم فى تكليف
الثقافة والأفكار .

إن الأبدى المصرية للثقافة تتداول مئات الكتب الأدبية التى لا يجوز
ترجمة واحد منها لما فيها من الفكر الحر وإن جاء فى أدب واتزان مع أن الظير
كل الظير فى ترجمتها وإثارة النقاش الأدبى والفكرى .

٧ — وظاهرة أخرى عجيبة نقرأها فى كتابات من يتصدرون للنقاش
وهى الجهل التام بمقائق التاريخ والمآلوم والآداب الحديثة مع أنهم قد شجروا
النقل التواى إلى امتنانهم التفتوا إلى الرد على مالا يهجمهم من هذه الترجمات
اجابوا لنا برود أقوى وأحكم لا يمسأزل مضيقه يبرأ منها الذين والمسلم
والأدب معا .

الفصل السادس

هل نقتبس أم نقلد ؟

بين منصور فهمي وطه حسين

قال زكي عبد القادر مثلًا على حديث الدكتور طه عن التمايم الجامعي^(١) في مصر ومقارنته بفرنسا « أما الرج^(٢) » فرنسا وغيرها من البلاد الغربية حين يكون السلام خاصا بمصر فكم كنت أود لو أعفانا مئة الدكتور طه فإن مصر لن تكون كفرنسا وفرنسا لن تكون كعصر . والأسلوب الذي تتناول به فرنسا مشاكلها لا ينبغي أن يكون هو الأسلوب الذي تتناول به مصر مشاكلها . فإن لنا مشاكلنا الخاصة ، لنا حاجتنا وبيتنا وشمسنا وشارعنا ونهرنا وصحرانا . ولنا أخيرا عقولنا وثقافتنا فلتعالج مشاكلنا على الأسلوب الذي نراه إلى أدنى تحقيق مصالحنا .

فرد طه حسين عليه^(٣) وقال :

إنما أكتب اليوم لأني أرى في تفكيرنا الاجتماعي والتعليمي شيئا من العوج وأود أن تلتفت إليه وتنبه بتقوية الفهم أشد الأشياء خطرا أن تفكر في شئوننا الاجتماعية والثقافية تفكيراً معوجاً ، ثم نقرم على هذا التفكير نتائج ذات خطر ثم تتخذ هذه النتائج أصولا للإصلاح الاجتماعي والثقافي . ولأخرب لذلك مثلاً قريباً جداً فالاستاذ زكي عبد القادر يريدني على ألا أذكر فرنسا ونظامها التعليمية لأن فرنسا ليست مصر ولأن ظروف فرنسا

(١) الأهرام — ٣ يولية ١٩٣٩ — زيارته — طه حسين

(٢) الأهرام — ٥ يولية ١٩٣٩ — زكي عبد القادر

(٣) الأهرام — ٧ يولية ١٩٣٩ — انور — طه حسين

ليست ظروف مصر . وهذا كلام يستقيم في ظاهره كل الاستقامة ولكنه لا يثبت التحقيق . فإذا كان من الحق ألا نذكر فرنسا وألمانيا وإنجلترا . فقد يكون من الحق ألا نذكر في التعليم الإلزامي ولا في التعليم الجاهلي الحديث ، ولو أننا أردنا أن نلاحظ ظروفنا الخاصة وألا نلاحظ غير هذه الظروف فقد كان حقاً علينا أن نسكتي بما كان عندنا من ألوان التعليم قبل أن تنتظم الصلات بيننا وبين أوروبا بتعليم السكانوب وتعليم الأزهر الشريف فقد عشنا نرونا على هذا اللون من ألوان التعليم حتى كون شخصيتنا أو كون جزءاً عظيمياً من هذه الشخصية . ولكننا منذ أوائل القرن الماضي نظرنا إلى أوروبا وأخذناها مثلاً نحتذية ونقلده ، فاستمرنا منها فكرة التعليم الإلزامي ومجانيته وفكرة التعليم الجامعي العالي .

أترى إلينا ننظر إلى أوروبا نظراً متصلاً ونقلدها تقليداً مستمراً ونفسكر في التوثيق نفسة النظر إلى أوروبا والانتفاع بما خدمت له من التجارب وما اختلف عليها من المفاووظ .

مقصود فهمي^(١)

أكاد أرجع أكثر المصنوعات في الرأي حول مشاكلنا الاجتماعية إلى عدة واحدة : تلك هي « الرقبة في تقليد الغربيين أو كراهية هذا التقليد » . أقرأ لزميل الدكتور طه حسين مقالا حديثاً من مقالاته في جريدة الأهرام فليجد ما باني و لكننا منذ أوائل القرن الماضي نظرنا إلى أوروبا وأخذناها مثلاً نحتذية ونقلده ، فاستمرنا منها فكرة التعليم الإلزامي ومجانيته وفكرة التعليم الجامعي العالي . أترى إلينا ننظر إلى أوروبا نظراً متصلاً

(١) الأهرام ٢٠ يولية ١٩٣٩

ونقادها تقليدا مستورا ونفسك في الوقت نفسه انظر إلى أوروبا والاتضاع بما
خطمت له من التجارب ولما اختلف عليها من الحطوط .

وطالاً قرأت كثيره من ذوى الرأى وسمعت منهم حين يتحدثون في اتخاذ
طرائق الغربيين أو بعينها ، ما يخالف رأى الأستاذ الصديق ونظاره . وعندئذ
يتردد إلى خاطر زوار فأقول في نفسى : أيهما يا ترى أهدى إلى الحق وأدق
إلى سبيله ، أذلك الذى يجد أن حياته الاجتماعية تظل في عوج واضطراب
مادما لا تحظى إثر الغرب وتقدم على اصطباع منه في صراحة وعزم ؟ أم
ذلك الذى يرى أن أمنا ليست كأمم الغرب في كل شئ . وأن اتخاذ
أكثر من نظام الغربيين لا يندى في رقبتنا وأسماعدنا . وقد يودعينا بالشقوة
والخسران .

وقى الحق أننى طالما عجزت عن الجواب على هذا السؤال ، وتولدتى منه
حيرة من هذه الحيراث التى تتجمع فيها النفس للتمتين بأثر عساة يترها إلى
رأى ويسكنها إلى مذهب نجد عنده راحة اليقين وتغلبس به من الملمية .

كدت أشعر أحيانا بدافع إلى الميل لرأى زميلى عليه فهو لا . ذوو الشأن
فيما يتأثرون الغربيين في غير عروادة ولا مبالاة ، فأوروبا إمام في التعليم وأوروبا
إمام في أكثر مسائل التشريع ، وأوروبا إمام في أكثر مظاهر الأخلاق والنظام
وقد يجرنا القادة إلى اتباع أوروبا فيما هو أبعد الأمور عن طباعتنا . فهل من
الاستطاع حقا بعد ذلك أن نسجل علينا الرجعة والتكوص .

سبحانك تأمهم أى السبيلين لنا فيه هدى وتوفيق ؟

على أننى بعد هذا الجذب الذى يراد به تقريبي إلى ما يقولون . أعود
فأستمع من أعماق القلب صوتا مدويا يشق سبيله إلى عقلى الخائر فأقول إلى

نفس «سبحانك اللهم فليست يتيق القأ أعيش بها ولها وفيها هي بيئة القرب،
فهذه ساؤما غير ساء، القرب وهذه تربتها غير تربته وهذا موقعها في ملكوت
الله غير موقعه . وهذه لنتها غير لنته وما ورثناه من عادات، وعمن وطروف
وصروف غير ماورث القرب . فتسكون مسكنونا لنا ، ومميزانا غير مميزاته
وطروفنا وصروفنا غير طروفه وصروفه، ثم يراد بقا على أن تسكون كالقريبين
وبمحاول داعية صريح ، أن يقتضيا بأن نتخذ من القرب إماما قائم به في
كليات مايسير عليه القرب وفي جزئياته ؟

هنوك اللهم وهناك ، إن نفس ونقل مازالا راغبين في سبيلها . بل إن
النفس لندعوها أن أحفظنا بالعلمائس التي أراد الله أن يميز بها أمة أبا من
بينها وأن أتمسك بميراث اتحدت إلى بلدى من قرون . وأن استوحى به
تاريخي وأن استلهم مايلهمنى به جور بلادى وما تلهى به تلك الأرواح الخفية
الحائمة في سلاوة » .

مقدسكون نفسى إلى هذه الفزعة أعود فأهمهم في شدة وحماسة : اسأنا
من القرب في شىء . وإناها لكبيرة أن نتعجب في كل شىء . سبيل القريبين
فليتقليد حدودنا هي :أرى حدوده ؟ » .

الفصل السابع

ممره فقدان الثقة

بين الدكتور محمد حسين هيكل ومه حسين

حدثنا أستاذ الدكتور هيكل كذابه في فترة الأدب في استاذة الدكتور مه حسين لا حادلا كعادته في استاذة كذابه وصيته ، غير أن الدكتور مه لم ينس بدور الخلف التي كانت قد نشأت بينه وبين زبيله القديم ، وهو خلاف جوهري يتعلق بصميم الطبيعة والفكر والأيام ، ذلك أن هيكل رأى أن الغرب قد ساءوا عن غبه حتى انكشف ثأرك ، كما يذهب إلى الغرب الشرق ، وانطوى هذا حين أصدره الشرق ، جب و كياه ، ووجه الإسلام كالتى كان يبدى الأثرى كقولك في هيكل ولكن مه حسين لم يظن معرأ حتى اراكه انهم الفرصة ليماني الدكتور هيكل وهذا السوء حكايا ، ارتد هذه الحركة التي ساءت له في كذا في تروق تارة للمدرسة الجديدة .

من طه إلى هيكل

وهيكل كالسبل إذا عرض لموضوع أنتفع فيه بخاء بالجلد الكثير ولكن لا يعلم أحيانا من العثار فكثيرا ما يتورط في الخطأ لأنه يسرع ولا يتكلف التحقيق والتثبت .

... ونستطيع أن تأخذ هيكل بملقاة غير قليلة من الخطأ الذي مصدره الإهمال والسرعة وشيء من الازدراء للتحقيق المحققين ، متفق أننا بعد هذا كله مع هيكل في آرائه كلها حول القديم والجديد ، ما أظن إلا أننا نتفق في أكثرها وتختلف في ألقابها ، ولعل استقلاننا أن يكون ناشئا من شيئين : أحدهما . هذا الإهمال الذي أخذ به هيكل والذي يندمه إلى المبالغة ويضطره إلى التفسير أحيانا . والثاني . أن هيكل لا ربح أدب . ولكن اشتغاله للفصل بالسياسة قد أثر في تصوره للأشياء وحكمه عليها ببعض الشيء . فهو يسرف حين يسيء الظن بما يكتبه الأوروبيون عنا حين يحسون حياتنا الأدبية ويسرف أيضا حين يحسن الظن بما وبخطنا من الغيالي وقد رتبنا على الإنتاج .

واسكنه رجل سياسى حين يكتب فى الأدب يريد أن يدافع عن مصر والشرق كما يفعل فى السياسة ، أما أنا فأريد أن أدافع عن مصر والشرق وأريد أن أرى مصر والشرق ولكن بشرط ألا يورطنى هذا فى تغيير الحقائق العلمية أو مدحها بشئ من القشور أو قذال .

من هيكل إلى علم

وقد لاحظت يا ألعى أن اشتغالى الفصّل بالسياسة قد أثر فى تصورى الأشياء وفى حكمى عليها بعض الشيء . وذكرت ذلك مثليّن . أحدهما ، أنى أسرفت حين أسأت الظن بما يكتبه الأوربيون عن حياتنا الأدبية بينما أنت تعلم أن جب وأمثلة لا يأخذون السياسة وأحوالها مقياسا لدراساتهم الأدبية والثانى . أنى أسرفت حين أحسنت الظن بما وعظما من الخيال وقدرتنا على الإنتاج وإنى إنما فعلت ذلك لأرضى المصريين والشرقيين فى الأدب كأأتمل فى السياسة وانك أنت ترى هذا خطأ لأنه تغيير للحقائق العلمية وإنى أؤكد لك أن الحقائق العلمية أثر عدى أنا أيضا من كل شئ . ومن كل إنسان .

وإن كان اشتغالى بالسياسة قد أثر فى تصورى الأشياء وفى حكمى عليها فإنما كان أثره أن زادنى تقليباً للأشياء واستعداداً لها وتعمقاً فى بحث ما نطوى عليه وما ترمى إليه وإذا كانت الأهواء السياسية ليست هى التى توجه دراساتهم فدراساتهم بقصد بها فى كثير من الأحيان إلى خدمة تلك السياسة .

وما أحسبك تخالفى بأصديقى فى أن كتاب « وجهة الإسلام » الذى ألفه خمسة من كبار المستشرقين المشتهرين بالأدب الحديث فى بلاد الشرق المختلفة . إنما هو كتاب سياسة مداه بحث ما وصات إليه أوربا مما يسميه الأستاذ جب « تغريب الشرق » وما يرجى لهذا التغريب فى المستقبل من نجاح

وأنا لا أعيب هؤلاء العلماء بهذا بل أحسد عليهم أعظم الحسد فهم به
يخدمون أوطانهم ويخدمون العلم ويخدمون الحقيقة من ناحية سياسة بلادهم
ومن ناحية الحضارة الغربية التي يريدون أن تظل الأدنية الحاكمة في العالم .

وهذه الخدمة الجليلة التي يقومون بها لأوطانهم وللعالم ولحضارتهم حقيقة
علمية يسر في اشتغالها بالسياسة الزنوف عابها ولو أنك انقطعت للسياسة
باصديقي إنقطاعي لها وأغفيت من تنكيريك ما أغفيت أنا لو انلتقي على هذه
الحقيقة ولم تنهني بالإصراف إذ علمتها .

• • •

أما إلى أسرفت متأثراً باشتغالي الدسلي بالسياسة في حسن الظن بيها
وباعتقالي من الخيال وقد رتقا على الإنتاج فأحسب صديقي يوافقني على أنه إذا
زالت عوامل الفتن والضعف عما أشرت إليه في تضاعيف كتابي لما كان
فهما قلت شي من الإصراف ، يومئذ يكون القول بقصورنا في الخيال وفي
القوة على الإنتاج أهولاً على هذه البلاد وعلى الحقيقة ، هذا إلا أن تكون
يا صديقي من الذين يقولون بأن الأوروبيين ينتمون إلى الجنس الآري وهم
لذلك أرق منا ونحن ننتمي إلى الجنس السامي بالعلم .

وما أحسبك تقول بهذا أو تعتبره حقيقة كما يود بعض العلماء في أوروبا
اعتبارها ، بل أحسبك ترى هذه حقيقة سياسية يراد بترويجها • تنريب
الشرق • والقضاء عليه بأن يثنى خاضعاً للحرب إلى الأبد .

اعترافات الدكتور هيكل^(١)

والآن هذا أن استعرض القضية من أرفها ذلك أن هذا القول كان بعيدا كثر في الفكر العربي العاصر وهو ليس مبنيا على التعمق الذي يبدو من الساذجة والسكينة كان مبنيا ونظريا بالنسبة للثقافتين الذين سافروا إلى أوروبا واعدتوا مذاهب الغرب في الفكر ثم نقدوا انهم في هذا الفكر قريبا بعد وذلك بعرض هيكل هذه القضية عند المصدر هـ جب هـ كتابه وجهة الاسلام قال

عاد هؤلاء (اليهوديون من شباب العرب) إلى بلادهم يبشرون بالحضارة الغربية، لسكدهم ما يشعرون أن صدمتهم ظاهريتان عجيبتان أثارتا دهشتهم لتناقضها مع أصول الحضارة الغربية تناقضا بينا. الأولى: هذه الحرب المظلمة التي تقوم بها الاستعمار الأوربي لحرية العقل حرية مستندة إلى الفطام الجامعي الذي يقرر البحث العلمي الطليق من كل القيود سواء أكانت دينية أم غير دينية والمستند إلى القواعد العلمية الصحيحة. وقد راعهم من هذه الحروب أنها لم تكن تقلل هوانه قط. وأن مثل انكسارها في مصر لم يكن يأتي أن يكسب في تذاخره أن مصر بغير حاجة إلى علماء، بالعلمي الغربي وأما هي بحاجة إلى مواطنين متواضعين.

والظاهرة الثانية: انتشار المبشرين الغربيين في كل مسكن في المدن الصغيرة والصغيرة بل في القرى بدعون إلى المسيحية ولا يأبون التعريض بالإسلام. ويألفهم من هاتين الظاهرتين ظل هؤلاء الشبان بدعون إلى الحضارة الغربية مستندة إلى أصابها الصحيح. أي إلى حرية البحث ونزاعة العلم وبدعون إلى ذلك في حرارة لم تكن من شأن الجامدين على التقليد الذين الذين رسمهم بالإلحاد، إلا أن داوها قوة استمارة، ولكن مروز الزمن فتح حيوتهم على سقفة أخرى لم تكن أقل إثارة لدهشتهم من

(١) ١٤ أكتوبر ١٩٣٤، ملحق الدراسة الأسبوعية

الظاهرين المتيقن قديمتا . فما يصدر الغرب لشرق من آثار حضارته قد وقف أوكاد عند أسوأ ثمرات هذه الحضارة وعندما كان يؤتي بلاد الغرب من الريح المادي ما يجده بأسياب الرخاء . والتترف . فتجارة الرقيق الأبيض والسكحول ومواد الزينة والفور وجوفات المذبح المسرح كانت أول ما يصدم الناظر لآثار الغرب في الشرق . ولم يقدم الغرب إلى جانب هذا من صالح ثمرات حضارته ما يستر سوءاتها هذه ، بل هو كما قدما قد وقف حائلا دون سرعة انتشار العلم للمسيحيين مما كان هؤلاء الشباب يجاهدون بكل ما يدخل في حدود طاقتهم لنشره والتسكين له .

ثم كشف تعاقب السفين من بيد المغرب عن الحقيقة المؤلمة المضمية ، قضية أوروبا التي حاربت في سبيلها أربع سفوات نياحا والتي بذلت فيها مهبج أبنائها وملايين ما كدست من الثروة على السفين ، لم تكن إلا قضية الاستثمار ومن يكون له حق التوسع فيه . دول الوسط أمام الحفاد . ثم بدت حقيقة أشد من هذه الحقيقة مرارة وإيلاما ، تلك أن الغرب الذي تزعم دولة أنه تحرر من قيود التعصب الديني مازال يذكر الحروب الصليبية التي نشبت خلال القرون بين المسيحية والإسلام . وإن كفة لورد القدس يوم استولى على القدس وقوله أن الحروب الصليبية قد انتهت كانت تعبر عن معنى يجول بخاطر الدول الأوروبية بجماء .

في ظل هاتين الحقيقتين الأليمتين جعلت دول الغرب التي وضعت يدها على العالم الإسلامي تحد في أسباب الجلود الديني عن طريق الحامدين المتعصبين لتزويد الشعوب الإسلامية بجمودا ليزيدها الجمود وضعا . وجعلت تحمي الجماعات التبشيرية الدينية وتحميها بكل ما يستطيع من قوة وتداول أن تعظم كل قدم وكل رأس يتقف في وجه هؤلاء وأولئك .

هنا نقطة الرحمة ، نقطة هؤلاء الشباب الذين درسوا في أوروبا وجاءوا
ببشرون في البلاد الإسلامية نوا ، حضارة الغرب - مادفا ؟ إلى أي حضارة
يهوى أهل الحضارة . كيف تطرح ثم شاؤهم أن يستخدموا العلم الإنساني
لإدلال الإنسانية وإعداد كرامتها ؟

وكيف تظل أوروبا على تعصبها الديني الذي انبعثت جنودها في القرون
الوسطى باسمه لمحاربة المسلمين ؟

وكيف تدبج أوروبا في سبيل الحياة المادية وترغبها أن تحول بين شعوب
كاملة . بل بين عالم بأسرة وبين الفجر القديم الذي يضيء به الله الأرواح
والقلوب عن طريق العلم والمعرفة وكيف تطمع المسيحية في أن تستلصق
الإسلام وهو أسس الأديان التي دعت إلى الحرية الحقة ما أخذ في صفاء جوهره
وما نبت عنه هذه الزخارف التي أشيعت إليه على أنها مئة وليست منه .

وقامت لذلك في نفوس الذين ألقى إليهم التمهيد بأعبار . تحركات
القومية التي اعتزت بها أطم الشرق في أعقاب الحرب ثورة على هذه الأساليب
التي لجأ إليها الغرب . وجعل كل يفكر .

والذين يقومون بأمر السيف في الشرق ويؤيدون هذه الأفكار
التي تثار على الغرب وعلى استعمارهم وتبشيره أكثرهم الساقطة إن لم نقل كالم
من الذين تعلموا علوم الغرب وكانوا يبشرون بحضارته ومن الذين يؤمنون
ما يزالون بأن الأسس التي قامت عليه : حرية العقل والتفكير وحرية البحث
العلمي هو خير أسس تقوم عليه حضارة على أن لا يفكر هذا الأسس
حاجات الروح للاتصال بالعالم على أنه فكرة لا على أنه آفة . وعلى أن
لا يفكر على العاطفة وعلى وحى النفس وإلهام الأنوار سلطانها في الحياة .

ثم أشار الدكتور هيكال إلى هذا التحول من جانبه وجانب زملائه فقال : وليس أدل على ذلك مما لاحظته الأستاذ جب وزملاؤه مؤلفو « وجهة الإسلام » من أن كثيرين من الشباب الذين حاولوا تواء الحضارة الغربية وصاروا يشربون بها قد عاد السكتيريون منهم يشعرون شعورا قويا صادقا بأنهم في حاجة إلى أكثر مما تقدم الحضارة الغربية به ، وأنهم لذلك يجب أن يلجأوا إلى تراث العالَم من المسلمين لالتمس ما ينقص هذه الحضارة الجديدة .

وزادهم شعورا بهذا النقص أن رأوا الفكرة القومية تقوم في الغرب على تضال اقتصادي عتيق لا يعرف هوادة ولا يقف في وجه اعتبار من قواعد الخلق أو من الإخاء، الإنسان أو من المودة والرحمة . تضال في سبيل المادة بين أهل البلد الواحد وبين الدول المختلفة هو الذي كان مثار الحروب ومثار أسباب الشقاء، والتدنى في هذا العصر من عصور الإنسانية قبل ترى بعد العالم في تراث الماضي ما يشفي غلة روحه مما عبرت الحضارة الغربية عن أن تقوم به وما يقيم حياة جديدة وحضارة جديدة ليس فيها هذا الجشع الذي الفطخ الذي يهوى بالإنسان إلى مرتبة لا ترضاهما النفس الفاضلة . إن هذا التراث قد اختفى تحت طبقات وطبقات من أهامل عصور الإنحلال الذي أصاب العالم الإسلامي قرونا متوالية . فليست من عمل رجال العالم الإسلامي أن يزعموا أكذاب هذه الطائفات وأن يمددوا إلى الوجود في إحدى صور الوجود وهل طريقة عقلية صحيحة ما يشتمل عليه هذا التراث الذي غزا العالم وغناه بأدوات الحضارة أجيالا وقرونا طويلة .

بعد هذه القطة يقف العالم الإسلامي اليوم ، ومظهرها الواضح العرصب أن أولئك الذين كانوا دعاة الحضارة الغربية وحمل أعلامها والذين يلتفوا

من إهداك حقيقتها ، أن وثقوا على هذا العجز والتصور فيها ، هم الذين يقومون اليوم بهذه الدعوة وكثيرون منهم هم الذين يقومون اليوم بهذا البحث ، أولئك يشعرون شعور الواصل بأنهم سيجدون ولا ريب في هذا التراث ما يبعث إلى عالم اليوم الرازح تحت ظلمات المادة ضياء روحيا ، هم وحدهم القديرين على بثه من جديد لأن إنصافه بوجههم دون روح القرب هو الذي يذكى ضياءه . ويوم يدعون إلى هذا فتستأج العالم الإسلامي بموقعه الجغرافي بين الغرب والشرق وبين المسيحية والديانات الأسبوية أن يعد يدا إلى ناحية وبدا إلى الأخرى ليرتفع بهؤلاء . وأولئك إلى ميادين الحضارة الصعبة . الحضارة التي تقوم على أساس الإخاء . ونقول إن الغرب لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . الحضارة التي لا تعرف إسلاما لتبر الله . ولا تعرف لنسق -لنودا ولا لخرية القتل -نودا . والتي تنير ظلمات العرش بالرحمة والوفاء بين الناس جميعا أيا كانت أجناسهم وعقائدهم .

الفصل الثامن

الفن للفن والفن للمجتمع

بين أحمد أمين وتوفيق الحكيم وعبد الوهاب عزام

جرت مسابقة حول « مستقبل الأدب العربي » حيث أثنى أحمد أمين في عهدة الثالثة هذه مناقشة في هذا الموضوع لأول مرة ضرورة إنشاء أدب جديد يفي بالإصلاح الاجتماعي ومرس الأدب الإبداعي الأمريكي وحاجم الأدب الذي يتأثر على التراث القديم ويحاول أساليب اليونان والرومان ورد عليه « توفيق الحكيم » مبتدئاً أن الأدب الباقي وهو الذي لا يرتبط بالأحداث ولا بالتأكل الإبداعية العامة ؟ ولماذا يرفض الأدب حين يتصل بالنفس الإنسانية :

وحاجم توفيق الحكيم دعوة أحمد أمين إلى « أفلاقية الأدب » وقال أن الفنان ليس مطالباً بأن يرسم له القريب وله أن يكون حراً في عمله .
وكان توفيق الحكيم في هذا متأثراً بالنظرية الغربية التي تفرص الأدب عن المجتمع من نظرية تحدم الإستعمار والقريب إذا ابتاعها على علائها .

أحمد أمين^(١)

أول واجب على الأدب العربي في نظري أن يعترف الحياة الجديدة للامة العربية ويقومها . ويعد في إصلاح عيوبها ويرسم لها مثلاً الأعلى ويستحثها لتسير إليه . أن الأدب العربي إلى الآن تغلب عليه النزعة الفردية لا النزعة الاجتماعية . وأرى أن الأدب العربي يجب أن يتجه من جديد - بقوة ووفرة - إلى النزعة الاجتماعية حتى يروض مافاته منها ومستقبل الأمم القوية وحاضرها في أشد الاحتياج إلى الأدب الاجتماعي ينهض بها .

أطعم أن يكون لادب في الأدب العربي أمثال برناردشو في الأدب الإنجليزي وأنانولي فرانز في الأدب الفرنسي وتولستوي في الأدب الروسي

(١) العدد ٢٢٠٠ عه الثالثة - ١ أبريل ١٩٤٤ .

وأشغالهم عن وقتوا أديهم على خدمة المجتمع وإشعاره واستثارته إلى التماسي .
وهذا هو الأدب الأمريكي يجعل لزمه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية
في شتى شئونها - ثم لم يكتبوا أن خيال أو أوهام وأحلام - وإنما يكتبون
أكثر ما يكتبون في مشكلاتهم الحالية ومسائلهم اليومية وحياتهم الاجتماعية
وأكثر هؤلاء لا يستوحون أساطير اليونان وإنما يستوحون مجتمعاتهم وبلد
وما يصير إليه والأدب العربي أن يستوحى أمم القيس أو شهر زاد
ولكن يجب أن يكون ذلك نوعا من الأدب لا ككل نوع وهو النوع
للقالب ولا هو الأرق .

والذي أوقع الأدب العربي في هذا القفس أن الأدب ظل من ظلال
الحياة الاجتماعية والبيئة أثر كبير في تسكينة والأمم العربية قضت حينها
طويلا في دور قوي فيه الوعي التردى ولم يقوم فيه الوعي الاجتماعي شأن
الأمم كلها - ولكن الأمم الحديثة قطعت هذا الدور وتعلمت الوعي الاجتماعي
والأمم العربية لا يزال الوعي الاجتماعي فيها في حالة التفتت لم يتم ولم يتو
فالوعي الاجتماعي يكون حيث يكون شعور الأمة بماذا تفعلهم وخبرهم
ونجاه تسكينهم وإرادتهم تلعب المجتمع بجانب الشعور بالتسكين والإرادة
في أشتاتهم .

إن الأمم الشرقية في بدء عهدها بالوعي الاجتماعي يجب أن يكون لها
أدباء ينفذون هذا الوعي العام إلى الإمام حتى بكل وبفضج .

توفيق الحكيم^(١)

مع الأسف أرائي مغلظا أن أقول أن استوحا أساطير اليونان والرومان

(١) الرسالة - عدد ٦٢ - ١٠ أبريل ١٩٤٤ .

ولم يزل النفس و « شهر زاد » هو هو الفروع الأرق في الأدب ، في كل أدب ، لا في الماضي وحده ولا في الحاضر . بل في القند أيضاً وبعد آلاف السنين مادام الإنسان إنساناً . وما دام رغبة الأديب بغير لم يصبه نكاس . فالإنسان الأعلى هو الذي يصون « الجمال الفني » من الاستغلال في أي صورة من صورة . ويحفظ به الثمن الذهنية وثقافته الروحية . وأن اليوم الذي يرى فيه « الأدب » قد استخدم للدعايات الاجتماعية ، والتصوير استغل في معارض الاعلان عن السلع التجارية ، و « الشعر » جعل أداة لآثاره الجسدي في الانتعاشات السياسية ، لمو اليوم الذي نؤمن فيه بأن الإنسان قد كثر فذهب مقلداً يضح في منه تحف الذهن وطرف الفكر لأنه لا يدرك لها نفساً غير ذلك النفع الذي للبشر ، والأدب الأمريكي الذي يسحب به أحد أمين هو في أغلبية صناعاته واقعية أكثر مما هو أدب حقيقي . والأدب الحقيقي فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان ، أي مخلوقات الإنسانية التي أبدعتها أحلامها وخوايلها الرابع .

تختلف بين وبين الأستاذ أحمد أمين هو على معنى الرق فأنا لا أسلم أبداً بأن رقي الإنسان هو في تقدم أسباب معاشه المادية ، هذا هو الرقي بالمعنى الأريكي . ولكن الرقي بالمعنى الإنساني المثالي شيء . غير ذلك . أن الإنسان الأعلى ليس ذلك الذي يضع كل شيء في فمه . . . ولكنه ذلك الذي يشعر بحاجته إلى منع معقوبة وأغذية روحية وأطعمة ذهنية لا علاقة لها من قرب أو بعد بتطورات حياته المادية أو الجسدية .

إن مطامع الناس شابت أن نحدد أبعادها الفنية إلى هذا الجوهر السامي لتسخره في شئون الأرض فربما الشعر والأدب يتجهان إلى غايات غنية . . . فاستخدم الشعر أحياناً لدفع الملوك والأمراء من أجل المال والبراء . أو نشر الدعوة في المدين والسياسة من أجل الخواب أو الجزاء . ولكن كلمة الفن هي العليا دائماً .

(المماركة الأدبية)

وبذلك مالا يسلم به الأستاذ أحمد أمين فهو يعتقد الفن المعاصر خدمة
الضرورات اليومية في المجتمع هو الفن الأرقى، متأثراً ولارب بملك النظريات
الحديثة في السياسة والاقتصاد التي ترمى كلها إلى تخليق الجماهير ومداخلة الجماء
ومصانفه الجبايات والفتايات ومسايرة السكتل والسواد من الناس والشعوب .

أما إذا كان في الإسكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفتقد ذرة من
قيمتة الفنية العليا فإن أرحب به وأسلم من القور بأنه الأرقى .

ولكن هذا لا ينبغي إلا للأفئدة الذين لا يظهرون في كل زمان .

أحمد أمين^(١)

إنه — أي الأستاذ توفيق الحكيم — قلب غرضي رأساً على عقب ونسب
إلى ما لم أقل . أني دعوت إلى أن يكون من مصادر الأدب حياة الاجتماعية
التي نحياها فيكون لها روايات تحمل بؤس الشعب وإغلالها والإستبداد بها
وتدعو إلى حياة أسمى من حياتنا وإلى تسخير أغلالها والثورة على الظلم الذي
يتفانيها ، فاستفجع من هذا استفجاء عجيباً . أني أدعو إلى اللادبة وإلى تسخير
الأدب في خدمة العيش وأني أريد — على حد تعبيره — أن استخدم الأدب
للدعابات الاجتماعية .

لا يا أخي ؛ فرق كبير بين الدعوة إلى أن يكون من مصادر الأدب الحياة
الاجتماعية والوعي الاجتماعي وبين الدعوة إلى مادية الأدب وتسخير
للاغراض الوضعية ، فالأدب الاجتماعي قد يسكون في إحدى مراتب
الروحانية .

(١) مجلة الثقافة العدد ٢٢٧ — ١٨ أبريل ١٩٤١ .

الحق أن في الأدب الفردي ما هو مادي وما هو روحي ، وفي الأدب الاجتماعي ما هو مادي وروحي . فتميزك بأن الأدب الاجتماعي أدب مادي ، وأنه هو الذي أقصده دون سواه ، ظلم في الحكم لا ترضاه .

ولعل الخلاف الحقيقي بينك وبينى أنك تفضل الأدب الذي ينبع من الوعي الفردي على الأدب الذي ينبع من الوعي الاجتماعي ، وأنت تفضل الأدب الذي يستوحى الحياة الاجتماعية الحاضرة وتفضل الفن للفن على الفن للمجتمع .

أو من الحق أن تستلهم الأدب اليوناني والروماني وتترك استلهم قومك وهم أولى بالاستلهم ، ونحن أكبر تذوقاً لما يستلهمه ما واشد انتفاعاً به من غير أن ينقص الفن شيئاً .

أبعدبك أن تنصرف الأدباء كلهم إلى وصف لوحة الحب والاستمتاع بالذلة والتفزل في الخمر ، ولا يتعرضون لمسكياتين بالانحلال يجب أن يفكروا إلى غارقين في الجهل يجب أن يتعلموا ومعاين باظمول يجب أن يشطو لولاصتين بالأرض يجب أن يعلوا إلى السماء ثم تقول الفن فن وماذا يضير الفن لو نظر إلى المجتمع فرغمه كما فعل برناردشو ونولستوي وأمثالهما .

توفيق الحكيم^(١)

مناقشتنا تقوم في جوهرها على الرغبة المجردة في الوصول إلى غرض واحد . هو كيف نبلغ بأدبنا العربي قمة السكال !
الثنية واحدة لا ريب ولكن العنبل مختلفة فاجد أمين يرى أن أدبنا

(١) الرسالة العدد ٢٦٤ - ٢٤ أبريل ١٩٤٤ .

أن يصل إلى مرتبة الآداب الأدبية إلا إذا خاض مثلها في طريق الحياة
العلمية . فقد القاسد من أوضاع المجتمع وقوم العوج واقترح وسائل الإصلاح
وغادى بالواقع من العلاج والمستحدث من التعلم .

وهنا يجدر بنا أن نسأل : أعل من الحق أن الأدب الأدبي يقع ميله
بفضل نزوه مشترك الحركات الإصلاحية . أو بفضل قوته الفنية ومزاياه
الأدبية .

للذي أعله هو أن أناول فرانس أدب وأن برناردشو مؤلف مسرحي
وأن تولستوى قصص .

وتلك هي صفاتهم التي تؤخذ على سبيل الجدل أما ميول فرانس وشو
الاشتراكية ونزعات تولستوى الإصلاحية فهي تواقع ينظر إليها تارة بنفور
إحتفال وتارة أخرى على أنها تواقع أو غواهر ودلائل قد تفسر على ضوءها
بعض أهاليهم الأدبية أو آثارهم الفنية .

• • •

لقد تحدث الأستاذ أحمد أمين في أكثر من موضع عن الروايات الغرامية
وعرامة الحب بما يتم عن الإزدراء . كم من المؤلفات المسلوقة بالارشاد
والإصلاح .

قد نشرت وظهرت ولم تحفظ بها ذاكرة الزمان ولكنها احتفظت بقصة
غرامية أو قصيدة غزل أو رواية حب عارم . كلاً لا ينبغي علينا أن نغفل
على الفن انتصاهاً بيمينه ولا يجوز لنا أن نوصيه بالارتداء لباس الحسكة الزينة
أو رداء الإصلاح الزفور .

إن الآداب الأدبية لم تحترم يوماً فناناً أدبياً لأنه مصطلح . ولكنها قد
تحترم المصطلح إذا كان أدبياً أو فناناً .

ونحن للشرقيين تهر عيوننا دائماً كلمة «مصلح» يقدر ما نسبهم بكلمة
فنان. أن الفنان ليس مصلحاً ولكنه هو صانع المصلح. كل أولئك المصلحين
ما كونهم وعيائهم لرسالات الإصلاح غير ادباء، وشعر الشعراء ومن
الفنانين. وأن الفنان هو مصلح المصلح ولا شيء غير ذلك أما أن ينزل الفنان
بفنه إلى الميدان فيناقش ويدافع ويهاجم ويناقض - فهذا ما لم نره حتى الآن
في من استحق البقاء في أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات.

إما أن يخدم الفنان والمالم أتمته وقومه فهذا واقع بالبداعة والضرورة .
لأن آثار الفن والملم لا تبقى ولا يمكن أن تبقى إلا إذا رأى الناس في
بتأثيرها منفعة.

أحمد أمين

لاني أوافقك تمام للواقعة على أن الأدب أخذ من العلم ومن النظريات
السياسية والاجتماعية . والعلة في هذا أن الأدب متصل بالمعاشة والمواقف
بطبيعة الفنون . أما العقل في تغير مستمر ورقى مستمر ، فما يصلح له أمس
لا يصلح له اليوم ، وما يصلح له اليوم لا يصلح له غدا .

إن الأدب يجب أن يكون صورة للفرعات كلها : السامية منها والوضعية
إما أن يكون كله أو أكثره تصويراً للعلاقات الجنسية ففقر في الأدب ،
وضيق في الألفاظ .

إن أدب الأمة الحق ما صور الأمة وصور الحياة في مختلف نواحيها وكما
أن الحياة الخفية ما انسجبت فيها نواحيها ، فسك ذلك الادب الحق ما انسجم
إنتاجه ، فإذا كان أدب أمة واسعاً عريضاً في الحب والعلاقة والجنسية ضيقاً
كذلك أبعادها فهو صورة مشوهة لا تمثل الواقع . انسجم مقررود أن كل شيء مصلح

لأن يكون موضوع أدب إذا رددتم على من يطالبكم بفاحشة الأدب جديدة،
ولكن في موضوع واحد هو الحب والغرام .

وظيفة الأدب الخلق أن يفتح نواحي الإنسانية ويرقى مشاعرها ، ويبلى
من مداركها ويوسع أفقها .

لعل نقطة الخلاف الحثيثة بين الأستاذ توفيق الحكيم وبينى هو أنه يريد
أن يقدر الفن بماله فقط وأريد أن أقدره بمجاليه وأخلاقيته معاً . وقلت :
لا ينبغي لنا أن نخل على الفن ألباهاً يميته ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء
لباس الحكمة الرزينة . . . وهذا حق إلى حد ما ولم أرد فيما قلت أن أرسم
منهجاً للأدب أحمل الأدباء على السير فيه ولو أردت ما استطعت^(١) .

الباب السادس معارك النقد حول الكتب

١٩١٣ —	رسالة منصور فهمي للدكتوراه
١٩٢٥ —	المجلة وأصول الحكم علي عبد الرزق
١٩٢٦ —	النسب الجاهلي ماء حزين
١٩٣١ —	النثر الذي زكي مبارك
١٩٣٢ —	أوراق الورد مصطفى صادق الرافعي
١٩٣٣ —	نورة الأدب ميكل
١٩٣٧ —	مع زكي طه حنين
١٩٣٩ —	مظيل التاتلة طه حنين

.....

.....

الفصل الأول رسالة منصور فهمي الدكتوراه

كان الدكتور منصور فهمي من أوائل اليهوديين إلى المجلات الأوروبية - منذ سنة ١٩٠٥ إلى باريس - حيث أعد المراجعة الدكتوراه تحت إشراف (أبيل بريل) الإسرائيلي ووضوحها - حالة للراء في التعاليف الإسلامية والمنهجية لها - وقد طبعت هذه الرسالة في باريس ١٩١٢ ولم تعثر باللغة العربية وإنما أثارت نتيجة حبسية تلك بعض انصوسا إلى الصحف وقد اضلحت الجامعة المصرية - بعد أن راجعت انصوس الكتاب إلى الإستهانة من منصور فهمي وتداولت جريدة الأبد أمر هذا الكتاب بعدة من المجلات لغيرها خلال شهر يناير ومارس ١٩١٤ وكان أبرزها ما نشره محمد لطفي جنة (وهو أحد كتابنا القلائد) حاراً في أوروبا وفرنسا بالوقت (منذ أن أخطأ منصور فهمي وقد دأبت «المريضة» حاراً من منصور فهمي كما نشرت المراجعة نقلاً بعنوان حرية الفكر وأدب النقد لمبدع البروق ذكر فيه أنه تأثر من جهة الملكية للصوفيين بباريس يعني فيه على من هاجموا منصور فهمي وغالوا منه وسقطوا رأيه وقال أن الإنسان حر في معتقده .

ولكن الدكتور منصور فهمي لم يأت أن يصحح معتقده وألغى خطايا في الإعتقال بيد الهجرة (١٩١١ - ١٩١٥) تحدث فيه من الدعوة البطولية التضحية الزائفة (وقال أنها تمزجها وتطعم من جديد لإنسان سبع طليع يذكروا بروائع الجهاد الباطل من عمل رسول الله أماته خطياً والفتاوى إلى الناس كافة . وكان في خلال الرحلة التالية من حياته إلى أن توفي ١٩٥٧ مدعوة لحرية والإسلام وأعد أعقاب حية الدين المسلمين ومن والها يملأ أجداد الحرب في اعتدال رأي وحاسنة ماذقة .

وهذه هي النصوص التي هاجمها النقاد :

(ص ١٥) محمد يشرع لكل الناس ويستثنى نفسه ومع أنه « يعني محمد » كان للشرع الذي ينشئ أن ينزع لما يدعو إلى تطبيقه على الآخرين إلا أنه كان له ضعفه واختص نفسه ببعض الزايات .

(ص ١٦) وهكذا نجد أنه -- يعني محمداً -- بعد أن ينتمى نوعاً عميقاً يقوم ليؤدي صلواته دون أن يجد ما يورثه ووضوءه على حين أن المؤمنين

الآخرين كان عليهم الشروع في وضوء وطهور جديد ومن أجل أنه يبرر الاستثناء الذي عمل لصالحه أكتفى بأن قال : إن معنى تنام ولا ينام قلبى أبداً .

(ص ١٨) لقد حد النبي من نظام تعدد الزوجات إلا أنه تدى الفلسفة إلى نفسه ماوضعه من حدود للآخرين فمع أن بقية المؤمنين لم يكن في مقدورهم أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء فإن محمداً أجاز لنفسه أن يتزوج بأكثر من ذلك كما أنه استلزم لشرعية الزواج دفع مهر ووجود شهود إلا أنه في زواجه أهق نفسه من المهر والشهود .

محمد لطفي جمعة^(١)

عاد مقصور فهمي من أوروبا بعد دراسة الفلسفة حاملاً لقب دكتور جامعي وهي درجة في المالكية حديثة الوضع أنشأتها جامعة باريس لإكرام الطلاب النظم الأجانب الذين يمجزون أو يعزق وقدم عن تحصيل الدكتوراه الحقيقية التي اقتص بها الفرنسيون أنفسهم وقليل من الأجانب المحدثين .

إن أهل الألقاب العلمية وأشرف المناصب العلمية لا تبيع للرجل أن ينتهك حرمة دين قوم من الأقوام أو يهاجم أمة في معتقدها أو يقتل من يجد وكرامة تبي مرسل شهد له بالفضل أعداء دينه .

لا يظن مقصور فهمي أننا تناقشه في رسالته مناقشة من يمكنهم بالتمصّب وضيق الفكر من القشدين المتألمين في المحافظة على القديم إلى درجة الحسود ولكننا سلقناش الحساب مناقشة العلم الحديث الذي يهت بهره قشوره ولم يصل إلى بصيرته .

(١) للؤيد - ٢٨ يناير ١٩١٤ .

لن نجادله ديناً لأننا لو طرّفنا معه يابيه الدين فقد كثر مجرد قوله —
« أن محمداً شرع للناس واستثنى نفسه » ص ١٣ من رسالته .
فهو بهذا القول ينسكركم الوحي وينسكركم العصاة ويؤكد أن محمداً هو
واضح الشرع .

نحن نريد أن نتجهد عن صفتنا الدينية مؤقّتاً لنلتزم بالعالم القديم
والحديث وبالأدلة العقلية والمنطقية .. جهله وتمذبه حقوقيه وعينه بحرية القول
والفكر والاعتقاد .

يقرر مقصود فهمي في مائة رسالة أنه نشأ مسلماً في وسط إسلامي وأنه
قصد باريس ففتح عليه بإرشاد العلامة ليلى الإسرائيلى فظهرت فيه التأثيرات
الجميلة فدون هذه الرسالة التي بحث فيها في حالة المرأة في الإسلام .

ألا يعلم حضرة أن العالم الحقيقي إذا أراد البحث والاستقصاء عن أمور
من الأمور ذهب إلى مصدر الأمر واستقصى الحقيقة من فيها الأسلى حتى
أن دارون القائل يبدأ التطور والنشوء لما أراد التثبت من مبدئه طائف جزر
المحيط المسمى انحصار منها والمجرب ليتقف على طيات ما يوجد فيها من
أنواع المخلوقات .

كذلك علماء الاجتماع الذين جعلوا مهمهم درس شئون الأمم والشعوب
المختلفة لم يتولوا برأى من الآراء دون الذهاب إلى أوطانها ودرس أحوالها
من قرب .

تقريب جداً من مقصود فهمي للشرق المعاصر المسلم . أن يترك الوسط
الإسلامي ، وسط علماء الأزهر ووطن جلال الدين السيوطي وابن تيمية
والشافعي ويذهب إلى باريس متر الحاخام ليلى الإسرائيلى لبحث من حقائق

الدين الإسلامي والاحتفاء بنور هذا الأستاذ الوقوف على تاريخ محمد وحياته الخاصة والعامة .

إن كثيرين من المستشرقين الذين أخذ عنهم مفسور أقل بضائهم وأحقرها قبل أن يدونوا مادونوا أنهم حملوا الشدائد في تعلم اللغة الدينية وانتقلوا إلى وسط إسلامي وضاطروا بحياتهم في سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وصاحبها مفسور فهم قصد باريس مقر العلامة ليفي ليعود إلينا بالعنق في نيقا ومعتقداتنا المقدسة .

وحدا نقتل لحذرتة رأى العلامة قبلها وزن الألفي مؤلف كتاب تاريخ الدولة العربية إذ يقول ، إن كثيرين منا يذهبون إلى الشرق للبحث عن عيوب فيجدوا أسوأ قبل عقيدتهم وفضائل لم تسكن تختر على بالمهم فتغير آرائهم تمام التغيير .

ولم أن أذكر مفسوراً بمباراة لا بد منها من الأستاذ أدوار لتغيير وهي قوله : « إنني قبل أن أنصد مصر كان رأيي في الإسلام مما أنا رأيي بعد إقامتي بضمة شهيرة حتى إنني مضطر لتغيير ما جاء في كتبي عن الإسلام مما دونته قبل ذهابي إلى مصر » .

إننا نعرف المصادر التي استقى منها مفسور ، وبلمست تلك المصادر ، هي كتب بعض المصنفين من المستشرقين الذين يرمون بسكتاباتهم أغراضاً سياسية أكثر منها علمية .

إن حرية الانتقاد تتيح لشكل شخص أن يقتتل أي دين أو يقيم شعائر معتقده دون اضطهاد أو تعذيب وشعائر بين حاية المقتدين وبين الظمن في صاحب شريعة عظمى .

إن المائل الكبير النسي هو الذي رحل إلى الغرب مغلوب القلب
بالآمال الدالية ليعود إلى وطنه وقد ازداد حبه لقومه ودينه وقد رحل أحدنا
وهو ضيف المتينة ويهود إلهنا وهو شديد التعصب لثمة وقومه .

يقول منصور فهم في مقدمة كتابه^(١) .

« إن هذه الرسالة تعطينا فرصة لإظهار التأثيرات السموية التي أثرت على
تفكيرنا الدني قد ولدت مسبقاً وقضيت شبابي في وسط إسلامي ثم رحلت
إلى باريس وحصلت العلوم بإرشاد ورعاية العلامة ألبير بيريل » .

ومعنى هذا أن نشأته في وسط إسلامي كان حدثاً بينه وبين الدور
الإمبراطوري الذي أشرف عليه مجلس الأستاذ ألبير وهو فيما تعلم رجل حامل
الذكر لم نسمع عن مؤلف من مؤلفاته ورعا خدع منصور أفندي بما يقوله
بعض أديباء العلم في أوروبا من أن ألبير عليه الصلاة والسلام تزوج عدداً
عظيماً من النساء بلبن الثلاثة عشر هذا حيا منه في التمتع وأنه عليه السلام لم
يبيع لأمنه إلا أرميا هل أن منصور أفندي لو نظر إلى شخصيات زوجات
ألبير نظرة الفيلسوف العالم الباحث عن الحقيقة ، الأخذ باب الأمور للمرض
عن قشورها ليلم أن هناك أسباباً عليها دعت ألبير عمداً إلى التزوج من
نساء يزيد عددهن عن الأربع وتلك الأسباب أولها وأهمها رغبته في ربط
الأسر والعائلات السكيري ببيته الطاهر .

(١) نشرت جريدة الجريدة عدد ٢٩٩٧ مثلاً بعنوان حرية الفكر وأدب النقد
للمبدع البرقوقي ذكر أحد أن ألبير عن جبهة القادة المصيرين بباريس ينسب قوة من
وهوا على منصور فهم أنهم التواضع وسبقوا رأيه وتأولوه بالشب والشم وقالان الإنسان
حر في معتقده .

الفصل الثاني الخلافة وأصول الحكم

معركة حول كتاب علي بن عبد الرزاق

في أوائل عام ١١٢٥ كانت تركيا قد أدت الخلافة ودام في العالم الإسلامي مركز سياسي ضخم حول إعادة الخلافة . ولقد الشريف حين قدما لثقلته بالخلافة ، في مصر قام الأحرار بحملة كبرى دما بها ابن عمه مؤثر ليثبت الخلافة ورددت الصحف أن ذلك مؤيد أصح . فترك العالم الإسلامي على لواء الخلافة وفي هذه الفترة كان لذلك عبد العزيز آل سعود قد استولى على الحجاز وودعا إلى عقد مؤتمر إسلامي في مكة .

وفيما كانت هذه الحركة تشغل الصحف والمجلات الدارسة وتجد مداهما في الصحف الأجنبية المختلفة ، كان هناك تيارا شتيا يجري خلف واحدة حزب الأحرار الدستوريين يعمل لواء الدعوة إلى هجاة الخلافة والمطلوبة دون قيامها وممارسة رغبة ذلك مؤيد في أن يصبح خليفة للمسلمين .

وقد أخذ هذا التيار صورة حلبة عندما أقام الشيخ علي بن عبد الرزاق فاضى حركة التصورة الشرعية في يونيو ١٩٢٦ كتابه الذي أثار شجة كبيرة لذلك الإسلام وأصول الحكم والذي حاول فيه أن يثبت بالأدلة القاطنة أن الخلافة ليست أصلا من أصول الإسلام . وكان الشيخ عبد الرزاق ولعدداً من أسرته عبد الرزاق التي كانت دعابة من دعائم الحزب الأمة قبل الحرب العالمية الأولى تم حزب الأحرار الدستوريين من بعدهما .

وقد أثار كتابه (الإسلام وأصول الحكم) عدداً ضخمة شديدين حيث قامت هيئة كبار العلماء بالتحقيق مع المؤلف الذي هاجمه مكتب الوفد وحاجه علماء الأزهر والكنوزيين على بناء الخلافة كنظام من أسلحه الإسلام التي رايات تناوره على الطريق الطويل .

وقد انتهى التحقيق بأن أخرج علي بن عبد الرزاق من زمرة العلماء في أغسطس ١٩٢٥ ومصادره كتابه ووقفت من أجل هذا الكتاب أزمة أدت إلى استقالة الأحرار الدستوريين من الوزارة خلافاً لذلك .

واليس يتبادر هذا إلا جانب للمعركة الفكرية التي قامت حولها . أما أثره الفكري فذلك مكانه كتابيا (فتاوى الفكر وتيارات التيارات في الأدب العربي المعاصر) .

آراء على عبد الرزاق

(١) إن هذه المسألة (الخلافة) دينية وسياسية — أكثر من كونها مسألة دينية وأنها مع مصلحة الأمة نفسها مباشرة . لم يرد بيان صريح في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية في كيفية الخليفة وتعيينه وشروط الخلافة ما هي .

(٢) . إنه عجيب عجيب أن تأخذ بيدك كتاب الله القرآن الكريم وتراجع النظر فيما بين فاحته وسورة الناس ثم يقيه تحريف كل مثل وتفصيل كل شيء عن أمر هذا الدين « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ثم لا نجد فيه ذكرًا لتلك الإمامة العامة أو الخلافة . إن ذلك لخال للقتال . ليس القرآن وحدة هو الذي أعيد تلك العلامة ولم يتصد لها بل السنة كالقرآن أيضًا ، قد تركتها ، ولم تتعرض لها .

رأى هيئة كبار العلماء

١ — جعل المؤلف الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتفقه أمور الدنيا ، مع أن الدين الإسلامي على ما جاء به النبي [ص] من عقائد وعبادات ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة ، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله كلامهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور الدنيا وأحكام كثيرة من أمور الآخرة .

٢ — زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي [ص] كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لإبلاغ الدعوة إلى الفاتحين .

٣ — زعم أن نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع

(١) ص ٥ من كتاب الإسلام وأصول الحكم
(٢) ص ١٦ من نفس المصدر .

غرض وإيهام أو اضطراب أو تمس وموجبا قهرة .

٤ - زعم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بالاعتماد على الشريعة مجرداً من الحكم والتفويض .

٥ - أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لا بد لسلامة من يقوم بأمرها في الدين والدنيا .

٦ - أنكر أن القضاء وظيفة شرعية وقال إن الدين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جملوه متفرعا من الخلافة .

٧ - زعم أن حكومة أبي بكر وال خلفاء الراشدين من بعد - رضى الله عنهم - كانت لا يلية - وهذه جراءة لا دينية .

وقد حكمت الهيئة بإخراج علي عبد الرزاق من زمرة العلماء غير أن الهيئة عادت وغيّرت رأيها في علي عبد الرزاق عام ١٩٤٧ فطالت بالمعنى عن الأثر للترتب على الحكم السابق وعين وزيراً للأوقاف (مارس ١٩٤٧)

٩ - رشيد رضا :

صرح الدكتور منصور فهمي بأن مؤلف كتاب الإسلام وأصل الحكم وأنصاهو يتعبرون إلى أن الإسلام لا شأن له بمسائل الخلافة ولا بصورة خاصة من صور الحكم وصدته فيما يمكنه من المؤلف وأنصاهو وهو في مقدمتهم .

قال ولأنه فسر على أسلوب غير أسلوبهم وهذا خطأ محض فليس لا أنكر لأسلوب من أساليب التفكير ولا توجه من وجوه النظر في المسائل ، لقد كنت أول هؤلاء المفكرين رداً على الكتاب في بعض الصحف إنالم تذكر أسلوباً من أساليب التفكير ووجهها من وجوه النظر في مسألة من المسائل النظرية

في الإسلام وإنما أنكرنا على صاحب الكتاب أنه خرج في كتابه من عقائد جميع المسلمين في الخلافة وحكم الإسلام، وترد أن الحكومة يجب أن تكون (لادينية) في السياسة والقضاء بجميع أنواعه وفروعه لا شأن للدين في ذلك . وإنما ما أخذنا عدداً نتفج الدتول ونبدل عليه تجارب الأمم .

.. نعم أنه حاول الاستدلال على ذلك بأساليب كتابية لا يخرج عن السفطة والتفصيلات الشعرية ، وأنها أساليب باطلة وليستنا نجيبها إلى الآن البحث في ذلك الأساليب لئلا نشغلنا عن الحقيقة العريضة التي هي مخالفة دعوى المؤلف في أن الحكومة في الإسلام يجب أن تكون « لا دينية »

هذا ملخص ما تفكره على صاحب هذا الكتاب فهو قد صرح فيه بمخالفة جميع المسلمين سلمهم وخلافهم بموافقه خروج من مخالفة الإسلام والمسلمين .
عنه حسين (١)

سنعرف أي - أي مصر - جزء من أوروبا كآقال إسماعيل أم هي كلمة من الشرق المظلم كما يزعم المصريون وعرفنا وسنعرف أينما علم أن ينسكروا أحراراً وأن يكتسبوا أحراراً ويبينوا أحراراً أم هم ماخوذون بلون من التفكير والسكران والحياة بأمنون ما حرصوا عليه فإن عدوه وأعرضوا عنه فويل لهم من عذاب أليم .

لقد ألق رجال في الأزهر ، فالأزهر شيء ، والدين شيء آخر - على الرجل فأخرجوه من زمرةهم . أنليس هذا خليفاً بأن يهبطاً به « على » إلى ؟ وماذا يضر « عليا » أن يخرج من زمرة علماء الأزهر وماذا ينفع « عليا » أن يبقى في زمرة علماء الأزهر .

إليه أيها الطرود من الأزهر ؟ تعالى نتحدث ضاحكين عن هذه التهمة

(١) - السياسة اليومية - ١٤ أغسطس ١٩٢٥ لم يكتفوا بأشياء ، بل بادعوا .
(٢) - وكثفت السياسة في اليوم التالي من أوصل يقول أن طه هو الذي كتبها .
(٣) - المعارك الأدبية .

المضحكة قصة كتابك والحسبك عليه وطردك من الأزهر . ما بال رجال الأزهر لم ينفذوا على كتابك بالتحريق وقد كان يؤمن أن ترى نسخة تجمع في صحن الأزهر أو أمام باب المزينين .

أنت قد دخلت الأزهر واشتغلت إلى شيوخه وجلست فيه مجلس الأستاذ وقد أخرجوك منه لأنك لا تليق به فلهجوموا آثارك منه ليطهروه ، ليحرقوا كتابك من ناحية المحلة أو زاوية من زواياه .

وأنت ماذا يفتع بك ، بحمد أو تحمد الله على السلامة فلو أننا في تلك المصير التي يحكم فيها الاحياء والسكان طرقت مع كتابك .

دعنا نحدث في حرية ، ولا نسكن أزهرنا فقد أخرجت من الأزهر، وتم سننك منك ومن كتابك وسننك من الأزهر ومن الذين أخرجوك منه ، ماذا قلت في هذا الكتاب ؟ قلت أن الخلافة ليست أصلاً من أصول الإسلام فهذا أكلت البحث وأتممت النظرية ، فالخلافة ليست أصلاً من أصول الإسلام وإنما هي أصل من أصول الفقه الروماني .

سترى أن الخلافة عند المسلمين ليست إلا مناصب الإمبراطورية الرومانية وأن الخلافة ليس إلا إمبراطور وأن مناصب الحكم عند المسلمين ليست إلا مناصب الحكم عند الرومانيين .

تداني نصحك فقد كان كتابك مصدراً لتغير الارثوذكسية في الإسلام ولست أنت الذي غيرها أيها الطريد للسكين وإنما غيرها الذين طردوك وخجوك من الأزهر .

وقد كفا تعلم أن القاهرة مركز أهل السنة وموطن الأشاعرة ومستقر الارثوذكسية الإسلامية .

ثم ما هذه الهيئة التي أخرجتك من الأحرار وما سلطتها الدينية . هذا أثر من آثار الاستبداد أشبهها عباس يوم كان يريد أن يستهوى ويوم كان يريد أن يكيد وهي أثر من آثار الاستبداد لا يلبث بمصر فؤاد مصدر الدستور .

الذكرور هيسكل^(١)

لقد ذهبت الأمم العريقة في الحرية والندنية إلى إطلاق الرأي إطلاقاً لا يجد فيه قيد ولا تقف في سبيله عقبة وحولاً . هم السكتاب في فرنسا وإنجلترا يعلنون أرائهم الاشتراكية بل الشيوعية ولا يفتار أحد منهم بسبب رأيه ولا يقوم في وجهه قائم لمناقشته ونفيده أرائه .

أقل ما نطمح فيه أن تكون حرية البحث العلمي والاجتهاد الديني القائم على تصاميم الشريعة الفراء بحيث لا يضار أحد من ورائها ولا يترتب على مخالفة إيمان للبيرة في الرأي أن يصابه ياذى أو يمتدى على حقوقه .

إسحاقويل مظهر^(٢)

قد يكون الشيخ الأستاذ على عبد الرازق مخطئاً وقد يكون خطأ فاحشاً فأنا مثلاً لا توافق على القول بأن الخلافة ليست حكومة الاسلام .

كذلك تصرح بأن في نظام الخلافة مخالفة صريحة لنظام الديمقراطية المدونة في الحكومات الليبرالية الحديثة .

ولستكن هل يصح أن يجرّد عالم من ألقابه العلمية لجرد أنه دافع عن فكرة فيها شيء من روح الخلافة لما يعتقد به أصحاب المدرسة القديمة التي

(١) أغسطس ١٩٢٠ :

(٢) السياسة ٢٠ أغسطس ١٩٢٣ .

تفكر على ذات الأسلوب الذي فسر به أسلافنا منذ أزمان بعيدة . ذلك
ملا نفر عليه هيئة كبار العلماء .

على عبد الرزاق : رأيه في حكم هيئة كبار العلماء.

١ — كتاب^(١) وجيلين فمجب نقوم بدم مولنا في ديننا وبما نؤمن أن يستلوا
علينا فيه وما كنا نخلف منهم أن يتزحوا من قلبنا إيمانه ولا من أنفسنا
يتبيلها ولو أن يتزحوا بحق من ديننا الذي ندين الله به ولكن خفنا عليهم
عليهم أن يتورطوا حتى يزعموا أنهم حكم على القلوب حراس على العقائد
وأن يهدم مفاتيح هذا الدين يدخلون في حظيرة من يشارون ويخرجون من
بشارون .

٢ — أن^(٢) التقط السبع التي اعتصرها حضرات السادة من كتابها
أعتصاراً وحسبوا موضع مناقشة بيننا وبينهم واعتلوا حجة علينا لهم هي
خارجة عن موضوع الكتاب إلا نقطة واحدة منها .

وليس بشير الكتاب ولا يملن في موضوعه ولا يقدس من آية الباحث
الأساسية فيه أن تكون صديقة أو فاسدة .

والواقع أننا كوثنيين وأصحاب رأي معين ومذهب جديد في مسألة من
المسائل لا يهمنا أن تكون حضرات العلماء قد أصابوا أو أخطأوا في أكثر
تلك الملاحظات التي ناقشوا بها الكتاب خارج موضوعه الأصلي^(٣)

ولاشكاً لرافقتنا حضراتهم وقبلنا منهم تلك الملاحظات وأرضيتهم وأرجعنا
أنفسنا وحذفنا من الكتاب الجدل التي بنوا عليها القصور وأقاموا فوقها

الحيا كل والتلاع ثم وجدت الاستكشاف بعد ذلك سليما لم يتغير ولو جنت عقوباته
بأنها وصحيفا كما هو .

من الملاحظة الخامسة وحدها التي قد تنصل على فهو ما عو شوع الكتاب
فأما الملاحظات الست غيرها فالحق أنها خروج من الموضوع وتكتب عن
حدود البحث . وانواع في الجدل لا يرضى عنه كثير .

لقد قالوا أننا جعلنا الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها
بالحكم وأحكامنا وما زلنا نذكر أننا نعتقد أن الإسلام شريعة روحية محضة .

تفاصيل الحركة

بدأت السياسة في ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٥ أول حملاتها لتأييد على عبدالرزاق
ومهاجمة الأزهري وحيث كيار العلماء . وقالت أننا نريد صياغة الدستور في روحه
وفي كلماته وحماية حرية الرأي . وقال المحرر (لا يريد هو — أي الأزهري —
أن يضيئ الخلق على عقول فئة من الناس ونفسكهم بدعوى من الأدباء
والشيوخ بها مختصة القاس وساعة عليهم في وقت واحد .

وكتب المحرر في البلاغ فتناول المسألة من الناحية السياسية بعنوان
« روح الاستبداد في الآراء »^(١) ، قال « إن من البراءة الدشائمين من هذه
الضجة التي تارت حول كتاب الإسلام وأصول الحكم أن تعلم أن أكثر
القائمين بها مدعوين إليها بدواع لا علاقة لها بالقائد والآراء ، وأنها لم
تتمحور أن يروج الكتاب بين الخاصة والعامة وأن يقبل على قراءته الذين
حذروا من الإطلاق عليه ، أننا لا نعرف صاحب (الإسلام وأصول الحكم)
إذ رأيناه في الطريق ، وليس هو من شيعتنا السياسية أو غير السياسية فمن

(١) البلاغ ١٩٢ / ٧ / ١٩٢٥ .

لا تفلح عن شخصه ولا عن مذهبه السياسي حين تكتب هذه الكلمة ولكنا نود أن يعلم الذين لا يعلمون أن قد مضى الزمن الذي تنصدي فيه جماعة من الناس بأى صفة لا كراه الأملكو على التزول عند رأيها .

وقالت البورص اجيسيان : أن الدوائر العليا قد أبلغت عن الأستاذ أنه يعمل لصناعة حزب سياسي «مخين» وأن آراء الشيخ قد أهدت منذ الساعة الأولى لباس السياسة للفقوت . واصل السياسة قائلاً الله هي التي لميت كل هذه الأدوار الخزنة .

وقالت الصحف البرمطانية : أن الشيخ عبدالرازق هو الصالح العظيم الذي يشبه لوتر بين المسلمين .

وهاجت جريدة السياسة أعضاء اللجنة وأحدًا بعد واحد وفي مقدمتهم الشيخان : شاكر ومخيت .

وقالت^(١) : إن إنذام الشيخ بمخيت على ما أقدم عليه من اعتداء سريع على حرية الرأي لمواكب كبير عار يسجله على نفسه في حياته لم تسكن ككاهن تطعن إليه النفوس الدالية ودعا الشيخ بمخيت إلى مقاطعة جريدة السياسة . وقالت جريدة الأهرام : لقد أحدث الشيخ بمخيت حدثاً غاملاً أن تقايله الأمة بالعربوس والمخطط لا ياترماً .

وقالت السياسة : أن الشيخ بمخيت أخ ماسوني من إخوان محفل الشيخ حسن الطويل وأنه فارس الصليب الأحمر .

(١) السياسة ٢٣ سبتمبر ١٩٢٥ .

وقالت جريدة الأناضول : إن جمعية العلماء تأسست لحفاة الدين من اعتقاد
جريدة السياسة برئاسة الشيخ الدجوي .

وقال الشيخ (علي) ودأ على ماوجه إليه من حداث : أن فكرتالكتاب
الأساسية التي حكم عليه من أصلها هي أن الإسلام لم يقرر نظاما معينا
لحكومة ولم يفرض على المسلمين نظاما خاصا يجب أن يحسكوا بمقتضاه ، بل
ترك لنا مطلق الحرية في أن نظيم الدولة طبقا للأحوال الفكرية والاجتماعية
والاقتصادية التي توجد فيها مع مراعاة تعارفا الاجتماعي ومراعاة مقتضيات
الزمن .

وقال : إن الخلافة ليست نظاما دينيا والقرآن لم يأمر بها ولم يشر إليها .
وإن الإسلام يرى من نظام الخلافة وقد أثبت في كتابي أن النبي لم
يكن قط ملكا . وأنه لم يحاول قط أن يفي حكومة أو دولة ؟
ثم تسأل : هل أردت خدمة حزب معين .

وأجاب : لست عضوا في أي حزب ، إني رجل دين ورجل شريعة ولم
يصلني على وضع كتابي إلا غاية علمية وقد كتبه بعيدا عن أهواء السياسة .
بل ليست لموضوع الكتاب علاقة بالسياسة ، وأن كتيرين يرون رأيي
لا في مصر وحدها بل في العالم الإسلامي بأسره وأن الحكيم الذي صدر لم
يعدل طريقة تفكيرى .

أقد أخرجنى الحكيم من هيئة علماء الأهر وهي هيئة عامية أكثر منها
دينية ، ولم ينشئها الدين الإسلامي ، ولكن أنشأها شرع مدنى لم يكن له أية
صيفة دينية . ولن أكون في حسن الإيمان والإخلاص للإسلام بأقل من
أولئك العلماء الذين قضاوا بإخراجى .

وقد أشار محمد سيد كيلاقي مؤلف كتابه « نصول محتمة » إلى هذه الحركة فقال :

الحقيقة أن حزب الأحرار الدستوريين كان يضم بين رجاله كثيراً من المتأخرين المتعصبة عن الدين فتلقي السيد مثلاً كان التعصبي الوحيد الذي نشر في الجريدة دفاعاً عن منصور فهمي (إبان حادث كتابه الذي هاجم فيه الإسلام) وطه حسين مؤلف كتاب الشعر الجاهلي . وعبد المالح ثروت الذي تولى الدفاع عن طه حسين في مجلس النواب وأيضاً أن يفصله من وظيفته وعدد بالاستقالة كما أن عبد العزيز فهمي رفض فصل الشيخ علي عبد الرزاق من وظيفته بعد صدور حكم هيئة كبار العلماء . »

وقد أنهت الحركة السياسية للكتاب ولكن الحركة العسكرية ظلت حية في آراء مختلفة أثارت معارك فرعية بين علي عبد الرزاق وبعض الكتاب .

فقد كتب في أول رمضان (١٥ مارس ١٩٢٦) في السياسة مقالاً عنده الأمير شكيب أرسلان هجومياً خفياً على الدين فسكتب في كوكب الشرق بإمضاء (ش) تحت عنوان « أيها أم أنا لا أنهم العربية » قال فيه : قرأت في السياسة مقالاً للشيخ علي عبد الرزاق عن رمضان أعدت للنظر فيه كرتين فلم أقدر أن أنهم منه إلا أنه يهزأ بالدين ، وندم في معرض اللبس ويشير من طرف خفي إلى أن للقرآن حمل الفاس على الضرر بل على الحال . فهمت أن الدين يأمر الإنسان بأنور لو أردنا تعليمها لم نجد لها تعليلاً وأن أوامر الله قد تخالف العقل وتحمل المرء على ما فيه ضرره .

وإذا جرى التسليم بنظرية الشيخ علي عبد الرزاق هذه ؛ أي أن الدين

مناقض للعقل وأمر بما يضر الناس كان لا بد من اتهام النفل ، ومن أقول
بأن دينا يقول الحال ويأمر بالفسور لا يكون سواها .

وجرى سبيل بين السكانيين حتى قال شكيب ، أنا أصف وتسكن طاق
الصدر بكنايتك وأنت من واحدة إلى أخرى تتحكم بمواك تارة في التاريخ
وطورا في التوحيد وتوهم الناس أنك فهمت ، لا يفهم وليس الأمر كذلك .

معركة «الشعر الجمال»

أثار صدور كتاب (الشعر الجمال) عام ١٩٢٦ فتنة كبرى - هذه الفتنة اتصل بالشاعر الديلمي من ناحية وبالمصراع الخزي من ناحية أخرى - وكانت لحظة الحمار فيه أنه ألقى حل عليه الجامعة - والجامعة يومها حاضرة العهد - لم يمس عليها أكثر من عشرين مثق خدمتها المسكوبة إليها : كما كان صدرى كتاب « الملائكة وأصول النكاح الذي أصدره على عهد الخازن في بزل مائلا في الأسمان ».

والسكتان متصلان بعزب الأحرار المستورين وجريدة السياسة التي كانت وقتها تجمع الكتاب المجهدين الذين ياربون الماركس حول التبريد ويصنعون بداء الأحرار والسكتان الخائفين ، فكانت معركة أدبية كبرى حول الشعر الجمال ، وقد نشرت اصول في الصحف وسدرت مؤلفات في الرد على الكتاب بأقلام عبد البراد وجدي وعبد لطيف جده ومصطفى صادق الرافعي وعسكرب أرسلان وعبد أحمد التمرلاوي ويوسف الديوبى وعبد اللطال الصمدى وعبد عبد الطالب وعبد ربه مفاخر - وكان جلت جريدة السياسة - لواء الدفاع عن طه حسين جلت جريدة كوكب الشرق لواء الجلة التي بدأها شكيب أرسلان في مقال كتبه من (روبا) ١٩ مارس ١٩٢٦ تحت عنوان (التاريخ لا يسكون بالأفتراس ولا بالتعظيم) لم بدأت مقالات الرافعي في ٢٣ مارس ١٩٢٦ وأدعت وتدفعت حتى كانت بعد مادة كتابية تحت دابة القرآن : الرد على الشعر الجمال « واحتدت عتف الصحف في هذه الحركة فتشرت الأحرار في ٢٨ أبريل ١٩٢٦ مقالا لشيخ عبد الطالب وسدت جريدة الدراسة حتى ١٣ مايو ١٩٢٦ حينما نشرت كتاب طه حسين الذي ينس على أنه مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر ثم عادت إلى الصمت حتى ١٦ مايو حيث نشرت حديث طه حسين مع جريدة فراسية هي (الأنور والسيوف) - وكتب طه حسين مقالا في ١٦ يوليو ١٩٢٦ في السياسة يهاجم الأحرار وأقلام التلاميذ فيه -

ومن هذه المقالات التي نشرتها جريدة كوكب الشرق ما كتبه عبد اللطال الصمدى (١٢ مايو) واصحابه من وعبد أحمد الشوى ١٨ مايو و ٢٢ مايو و ٢٦ يونيو ويوسف الديوبى (٢١ مايو) وكانت هذه المقالات تحمل طعم الدأوين : جامعة للاحدة ، هيئة الجامعة للعربية ، من بعد الله فهو الهاد : طه حسين يدأوى التاريخ وتالم فوق عدوانه الذين دعوى

الذكور طه حسين : انسية شويبة . خموية على ديكارت وعشرات المئات بدون إنشاء .
ولي الأهرام كتب عليه مفتاح بعنوان (الآن وقد عصيت قبل) .
واستدلت الحركة في الصحف على شهر سبتمبر ١٩٢٦ حين تحولت إلى استجوابات في
البرلمان ومقدمات في النيابة .

وقادت في هذه الفترة مظاهرات توجت إلى مجلس الوزراء وخرج سيد زغلول يطالب
فيها ويقول (الأهرام — ٧ نوفمبر ١٩٢٦) . « إن مسألة كلبه لا يمكن أن تؤثر في
هذه الأمة المسلمة بدينها . جبراً أن رجلاً جنوناً يهوى في الطريق أول ينشر القلاء هي »
من ذلك . إن هذا الدين متين وليس الذي حله فيه زمياً ولا إماماً حتى نخش من على
هذه الأمة فليكن ما شاء . ماذا علينا إذا لم نأبهم البصر »

وقد كتب الدكتور طه مفاوحيماً في هذه الحركة حوالته التي حارب فيه نظيراً لأكرم
وكاب زكي مبارك مثلاً عن ديكارت ثم طلب الدكتور إلى بعض أصدقائه ومنهم زكي مبارك
أن يكتفوا عن الرد فقد كان المطلوب أن تمر الجامعة بسلام .
وصدوت جريدة الأهرام للوقوف على هذا النحو :

« من المسائل التي تارت حولها الإشاعات مسألة كقاب الشعر الجاهل
الذي أخرجه الدكتور طه حسين الأستاذ بالجامعة واستنكر العلماء وغير
العلماء بعض ما احتواه من المبادئ الماسة بالدين ، فحين كثيرون من النواب
يستنكرون بقاء الدكتور طه أستاذاً بالجامعة بعد أن اجتمعت كلمة العلماء
على خروجه على الدين وكان صاحب الفضيلة النائب المحترم الشيخ مصطفى
الغاباني قد أعلن عزمه على استجواب رئيس الوزراء في هذا الشأن ثم بذلت
مساع حثيثة لجله على العقول عن الاستجواب ثم إبدال الاستجواب بمسؤول
تشرناه منذ أيام على أن يكون الرد عليه كفاية . ولم يرد رئيس الوزارة

على السؤال وأشيع أن كثيرين من النواب سيعرضون مسألة الدكتور طه حسين على المجلس أثناء بحث للزيادة وقيل أن بعضهم سيطلب إلغاء وظيفة فيقبل أصدقاء الدكتور طه حسين مساعي حثيثة للوصول إلى إقناع الذين يعوون المطالبة بإلغاء الوظيفة بالمدول عن ذلك على أن يستقضى المجلس باستسكار حل الأستاذ طه .

وحدث أمس أن ثارت المناقشة في مجلس النواب في شأن كتب الشعر الجاهلي ومؤلفه والقيت الخطاب عما يراه القراء بهمه في محضر جلسة المجلس . وقدم النائب المحترم عبد الحيد البنان نائب الجالية اقتراحاً من ثلاثة أقسام .
(١) إبادة كتاب الشعر الجاهلي . (٢) إحالة الدكتور طه حسين إلى النيابة (٣) إلغاء وظيفة .

وقد سلم معالي وزير المعارف بالقسم الأول من الاقتراح وتسلم دولة عدلي باشا رئيس الوزراء عن القسم الثاني وجرى بينه وبين دولة الرئيس الجليل (سعد زغلول) مناقشة بإشراف فيها وزير المعارف والحفاوة انتهت بأن ذكر عدلي باشا أن قرار المجلس بإحالة المؤلف إلى النيابة يسكون بمثابة اعتراف على تصرفات الحكومة وذكر مسألة اللغة بالوزارة .

وكان جو المجلس محملاً كهرياء فاقترح النائب الدكتور أحمد ماهر وضع الجلسة عشر دقائق للاستراحة ولما رفعت ذهب الرئيس الجليل إلى مكتبه بمجلس النواب وترجم إليه عدلي باشا ورشدي باشا وبقيا معه عشر دقائق . وكان دولة الرئيس الجليل سعد باشا مقعياً فاستقل سيارته إلى داره . واتفق بعض النواب على تأجيل الجلسة إلى غد .

وعلى أثر انصراف دولة سعد باشا فهد دولة عدلي باشا ومعه دولة رشدي

باشا إلى بيت الأمة كما تقدم إليها صاحب المال فتح الله بركات باشا ومحمد محمود باشا وتكلم عدلى باشا عن ظروف الحادث وذكر أنه أقام على سوء نظام إزازه لم يقتصد بحدى المجلس فى سلطته وبعد انصرانها سألتها بعض الوزراء عن النتيجة فقالوا لنا أن المعتاد سوى وأصبح كأن لم يكن » .

وقالت الأهرام أنه فى جلسة يوم الثلاثاء ٢٢ عهذ الجهد البنان فى مجلس القواب « أنه قدم بلاغا إلى القوابة العمومية للتحقيق مع الدكتور طه حسين عما كتبه طمعا على الدين الإسلامى وبناء على ذلك لم يبق محل للقسم الثانى من القتراسى الذى قدمته أمس فى السألة . وبما أن مصادرة الكتاب لا يمكن أن تكون إلا بحكم وهذا تابع بلبينة المسال لقطبة العلوب تحقيقها فإنه لم يبق محل للقسم الأول من القتراسى » .

* * *

وتولى محمد نور « بك » رئيس نيابة مصر التحقيق مع الدكتور طه حسين وحضره فى أربعة أمور هي :

- أنه كذب القرآن فى أخباره عن إبراهيم وإسماعيل .
- أنه أسكر القراءات السبع الجميع عليها فزعم أنها ليست مفردة من الله تعالى .
- أنه طعن فى نسب النبى .
- أنه أنكر للإسلام أوليته فى بلاد العرب وأنه دين إبراهيم .

وقال القائب العام فى تقريره أن طه حسين أهل يردود وأهله على النقط الثلاث . وأجاب ردًا عما إذا كان قد استنتج هذا الكلام أم أنه [إن هذا

فرض فرضته دون أن أطلع عليه في كتاب آخر وقد انتشرت بعد أن ظهر الكتاب أن شيئاً مثل هذا الفرض يوجد في بعض كتبت المبشرين ولكن لم أفسر فيه حق بعد ظهور كتابي .

وقد قال أن كلامه ليس فيه طعن في نسب النبي وأن أوردته بشكل غير لائق ولم يكن في محله ما يدعو إلى إبراده بهذا الشكل .

وقال أنه لا ينكر أن الإسلام دين إبراهيم ولا أن له أولية في بلاد العرب وأن ما ذكره هو رأى القصاص فقد أثنأوا حوله كثيراً من الشرع والأخبار .

وقال عن التواترات ، أن القرآن نزل بلغة قريش ولكن القراء من القبائل لم يكادوا يفهمونه بل يجاهلونهم حتى أمالوا فيه حيث لم تغل قريش .

وأفسر المؤلف في التحقيق أنه يقصد الطعن على هذا الدين وذكر أنه ورد في كتابه على سبيل البحث العلمي من غير تعييد بشي . . وأنه كسلم لا يرتاب في وجود إبراهيم وإسماعيل ولا فيما جاء عنهم في القرآن ، ولكنه كالم مضطرب أن يذهن لمهاجج البحث فلا يسلم بالوجود العلمي التاريخي لإبراهيم وإسماعيل .

ورأى رئيس القباية أن العقاب على الخطأ في الرأى مكروه ومن ثم حفظ القضية .

* * *

وصور الدكتور طه حسين موته من المعركة فيما بعد قتال في كتابه (في الصيف) أنه سافر في ذلك المسام (على كره من قوم فواستطاعوا لأمسكون في مصر ، وأنا الآن أسافر رغم هذا الشيخ الذي نهض في مجلس

الشيوخ يستمعون للمعلمين ، ويستفيدون برئيس الوزراء على . لأنى — فيما زعم مسخروه — عرضت الدين للخطر .

نعم ، وزعم هؤلاء الشيوخ الأزهريين الذين أبقوا إلى رئيس الوزراء من أقصى الصعيد ، يستفيدون به لأن الصلح نقلت إلى عرضت الدين للخطر . وقال الدكتور طه أنه سافر « مقيظا محققا على هؤلاء العاس الذين يتخذون الدين والسياسة وسيلة للسكيد وبث الفساد في الأرض ليلطوا أن الذين أقيمت وأمكن من أن يعرضه للخطر رجل كافئا من كان . »

وذكر الدكتور طه ذلك الرجل الذى لم يكن يعرفه إلا بما كان بينهما من خصومة سياسية عتيقة . والذي وقف أمام البرلمان وهو يتألف من كثرته الجزئية رقة الحزم والروية والأباء والدفاع عن حرية الرأي « نعم إلى الجاهد منسكرا لتجميل أن سميت . وقف على ياشا الشمس أمام النواب وأمام الشيوخ وأمام أولئك هؤلاء من السعاة وأصحاب السكيد ، لا يضطرب ولا يتردد ولا يفرط .

« أذكر عدل وموقفه يوم ثارت النائرة ، كلا فاكمت أنتظر من عدلى غير هذا . أذكر ثروت وموقفه يوم استقلت فرقتى الاستقالة . ويوم سعى إليه الساعون وكاد عنده السكائدون فأبى إلا أن يكون وفيا شريفا .

أهداف الكتاب

استأمر الدكتور طه حين يفتة على هذا النحو : هذا تصور من البحث عن الرخ الجامعين والديم وأديم جديد ، لم ياتوه الناس عندنا من قبل ، وأكاد أتى بأن فرقتا منهم « رافقونه سانشطين عليه ، وبأن فرقتا آخر سينتوون عنه الزوراركا والسكى على سخط أولئك وإورار هؤلاء أريد أن أديم هذا البحث . وبعبارة أصح أريد أن أقدمه « فقد أدمته قبل اليوم حين تحدثت به إلى طلابي في الجامعة وليس سرا ما تحدثت به إلى أكثر من مائتين .

والله اعلم بنتاج هذا البحث المتابع ما أعرف أن سمعت يشبه في تلك المؤلفات المختلفة التي وفدتها من تاريخ الأدب العربي . وهذا الاندفاع القوي هو الذي يمدان على اقتيد هذا البحث وانغمس في هذه المصروف ، غير خال بسعة الساحة ولا تكرار بالزور والاعمال بل أن هذا البحث وإن أسخط قوماً وحق على آخرين ، فليس من هذه المصروف القيمة من المصنفين الذين هم في حارة الأمر هذه المتقبل والقوام القيمة المصنفين وغير الأدب الجدي .

* * *

وإن من بين الذين : إذا أن تقول من الأدب وتاريخه مائة الفساء لا يتناول ذلك من النقد إلا هذا النوع البصر الذي لا يخلو منه كل بحث وأقوى بائع لأن تقول : أعطى الأصميص أو أصاب وأما أن تقدم عام للمصنفين كله موضع البحث . لقد أسيبت . قلت أريد أن أقول البحث وإذا أريد أن أقول ذلك .

* لا ينبغي أن تحذرك هذه الأناط للمصنفين في الأدب ولا هذا النوع من المؤلفات التي يفسد التاريخ إلى مصروف ويحاول أن يدخل فيه شيئاً من الترتيب والتنظيم فذلك كله غاية بالتدور والأشكال لا يمس القالب ولا الموضوع .

وقال من حيث أنهم لم يتفردوا في الأدب شيئاً أما أنصار الجديف الذين أماسهم - موجبه مبنوية تقوم فيها عذاب لا يمس . ولم لا يطعنون إلى ما قال انضمام وإنما بالقرينة بالتحفظ والشك . وأن النتائج اللازمة لهذا المذهب الذي يلمحه المحدثون عظمها في المصنفين .

وقال من حين * أن أول من أنجز ذلك به في هذا المصنف هو أبي شمسكيت في قيمة الأدب الجديف وأما في ذلك * وأنهم إن شك إلى أن الكتلة الفلكية بما تسميه أدباً جاهلياً ليست من المصنفين في غيرهم وإنما هي منوعة بعد ظهور الإسلام فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين ومبادئهم وأعراسهم أثار ما كان حياة المصنفين .

وصور من حين نتائج البحث فقال أنه حسب ذلك إلى هذا البحث نتائج جديف التي يطالب الباحث بأن يجرده من كل شيء كان يفسد من قبل . وأنه يفسد عواطفه القومية والدينية وألا يلبس بشيء ولا يضمن لغيره . وقال أن علينا أن ندرس الأدب العربي غير حافلين بالجدد العرب أو الذين منهم ولا وجيلين حين ينشئ بنا هذا البحث إلى ما تأملنا القومية أو نفر منه الأعواء السياسية .

ثم صور طه حسين هذه في كتاب الشعر الجاهلي فقال :

إنه إنما يرمى إلى تحرير الأدب العربي من القيد الذي تربطه بالمفهوم العربية والمواظف الدينية وحتى يدرس الأدب نفسه دون أن يسكون وسيلة لفهم القرآن والحديث . وقال أنه يريد أن يدرس تاريخ الآداب في حرية وشرف كما يدرس العلم الطبيعي وعلم الحيوان والنبات وقال : من الذي يستطيع أن يكافئ أن أدرس الأدب لأكون مهتماً بالإسلام أو هادياً للإلحاد وأنا لا أريد أن أبشر ولا أريد أن أعقش للتحدين ..

التعويض موضع الاعتراض

١ — للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل . وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ولكن درود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكتفي لإثبات وجودهما التاريخي . فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة . ونشأة العرب المتمصرين فيها ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى فهي حديفة العهد ظهرت قبيل الإسلام واستغلها الإسلام بسبب ديني وسياسي أيضاً . فيستطيع التاريخ الأدبي والنقوي ألا يحفل بهما عندما تريد أن تتعرف أصل العربية ، وتستطيع أن تقول أن الصلة بين اللغة العربية القصص التي كانت تتسككها المدناية واللغة التي كانت تتسككها القبطانية في البن كاصلة بين اللغة العربية وأي لغة من اللغات السامية وأن قصة العاربة والمشرية وتسلم إسماعيل من (جرم) كل ذلك أحاديث أساطير لا خطر لها ولا هناك فيه (ص ٢٦ من كتاب الشعر الجاهلي) .

(المعارضة الأدبية)

٢ — ونوع آخر من تأثير الدين في انتقال الشعر وإضافته إلى الجاهليين وهو ما يتصل بشعرهم شأن النبي من ناحية أمرته ونسبه من قريش فلا مرعاً انتفع الناس بأن النبي يجب أن يكون صفوة بني هاشم وأن يكون بني هاشم صفوة بني عبد مناف وأن يكون بني مناف صفوة بني قصي . وأن تكون قصي صفوة قريش . وقريش صفوة مضر . ومضر صفوة عدنان . وعدنان صفوة العرب والعرب صفوة الإنسانية . (من الشعر الجاهلي)

٣ — وشاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وببذره ، فكرة أن الإسلام يحدد دين إبراهيم ، ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ثم امرضت عنه لما أضلها الضلون وانصرفوا إلى عبادة الأوثان . (من ٨١ من الكتاب)

دفاع الدكتور طه^(١) عن نفسه

حديث طه حدين مع جريدة (الأفتورمايون)

• إن الأستاذ الذي يأتي دروسه بأمانة كثيراً ما يمرض له في المادة التي يدرسها ملاحظات ومباحث شخصية كما تبرز له في بعض الأحيان نظريات أيضاً وطبيعية جداً أن يجمع هذه الملاحظات ويعرضها في قالب تحليل يرضه مع شيء من التفصيل على زملائه .

• طلبت مدفوعاً بسبب مهنتي إلى أولئك الذين لا يعرفون مناهج النقد الأدبية والبحث الحر إلا يقرأوا كتاباً لم يكتب لهم .

• خصوصي فريقان ، رجال الدين ومعلموا الآداب في مدارس الحكومة ،

(١) ٢٦ مايو ١٩٦٦ — السياسة اليومية .

رجال الدين يرموننى بالإلحاد على أن ٩٨ في المائة من يهتمونى لم يقرأوا كتابى ..

• إن الآداب تعتبر لدينا حتى اليوم إعلما تابعا للدين فأى بلد فى العالم يهتم فى القرن العشرين بالإلحاد أستأذا يريد أن يدرس الآداب ذاتها .

طه حسين : خطران

وكتب طه حسين مقاله الوحيد السياسة الذى حاجم فيه خصومه الأزهريين طالبا إلقاء الأزهر .

أولها^(١) الجهل وثانيهما الجمود وكلاهما علة كثرود فى سبيل الحياة المستورية الصالحة فى سبيل الحياة الصالحة من حيث هى .

أحب ألا يتعصب صاحب الفضيلة مولانا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومن حوله من الشيوخ . . وأنا أريد أن أصرح البرلمانيين والذين إليهم أمور مصر فى هذه الأيام بأن مصر شرأ عظيما هو وجود الشيوخ .

لأن واجبهم الوطنى يقتضى عليهم أن يتخذوا من الوسائل التشريعية والسياسية ما يحول بين الشيوخ وبين التسلط على الحياة العقابية والعلمية والسياسية .

والأمر الثانى ، هو استئصال هذا الجمود ووقاية الأجيال العاصرة والقبلة من شره .

وأؤكد للبرلمان أن الشر مستمر متضاعف مادام الأزهر قائما كما هو وأنا لا أريد أن أتدخل فى شئون الأزهر .

إن حياتنا العقابية والعلمية لن تصلح ولن تنجح إلى خير ما دام فى مصر نوعان من التعليم يقف كلاهما فى وجه صاحبه عدوا ميثقا وخصما هنيئا .

(١) ١٦ يوليو ١٩٢٦ (السياسة البوية) .

التعليم الذي في مدارس الحكومة وما إليها والتعليم الديني في الأزهر وملحقاته ؛ وهذا الدوعان من التعليم يخرجان لمصر في كل عام جيشين مستعدين للخصام : أحدهما جيش المعلمين الطامحين إلى المثل الأعلى الراغبين في الاتصال بحياة العالم الحديث ، والآخر جيش الجامدين المتعصبين الذين ركبت رؤوسهم مداراة إلى الوراء ، فهم يتفكرون إلى أمس بينما يفكر خصومهم إلى غد ، وسيظل هذا الجليشان في خصومة وحرب حتى ينظر أحدهما ، وليس من شك في أن جيش التعليم الذي هو للتفكير ، ولكن انتصاره سيكون بعيدا وسيكون عقيبا وسيكلف مصر ضروبا من الضحايا إذا تركت الأمور في مصر بحيث هي الآن .

نحن بين أمرين ، إما أن ندع الأزهر كما هو والمدارس المدنية كما هي وأن ندع مصر تهاوى هذه الخصومة للسكرية بين فئتين من أبنائها لسلط معيها عقلية خاصة وفهم للحياة خاص وأن يتحمل ما يستتبعه هذا الإهمال من النتائج وأما أن نخطط لحياة مصر من هذه النتائج .

ولنا إلى ذلك سبيلان : أحدهما إصلاح الأزهر (وليس إليه كما اعتقد سبيل) . ويجب أن نلاحظ أن طلاب الأزهر وملحقاته يبدون بالأخوف أو عشرات الأخوف فهم في حقيقة الأمر قوة لا يستهان بها في حياة الأمة فإذا نحن تركناهم كما هم أضمتنا على الأمة عددا ضحيا من أبنائها وأعددتنا في الوقت نفسه جيشا ضحيا يحارب العمل ومحارب الحسرية ومحارب للملم نفسه .

ينبغي أن نمد السبيل لطلاب الأزهر وملحقاته حتى يستطيعوا أن يتحولوا إلى التلاميذ الذي أو أن يجمعوا بينه وبين التعليم الديني وسبيل ذلك :

أن مجال بين مقاصب الدولة وبين الذين لا يحصلون على الشهادات الدينية
مهما تسكن هذا المقاصب بحيث لا يفتض الشريعة إلا من حصل على
الليسانس ولا يتناوب إلا من حصل على دبلوم المعلم العليا .

جريد السياسة وكتاب الشعر الجاهل^(١)

رجال الدين وحركاتهم السياسية

لما صدر كتاب الدكتور طه حسين « في الشعر الجاهل » وتناوله
حضرات مجال الدين بالهند لم ترد أن تدخل في جدل أو مناقشة لتؤيد حرية
الرأي أو البحث العلمي ولو كان صاحبه مخطئاً وآثرنا أن يتلاقى أولو الأمر
الطلائ بالحكمة والأناة .

فلما طالب بعض المشايخ بحركة الدكتور طه حسين وإخراجه من الجامعة
ومصادرة كتابه أنهم من يعدم الأمر أن ليس في الكتاب ما يحاكم عليه
وأعلن الدكتور طه للناس أنه يؤمن بالله وكتبه واليوم الآخر . واتفق على
أن تشتري الجامعة للكتاب فلا تتداوله أيدي الناس .

ولم يكن أحد يتوقع أن تنور مسألة الدكتور طه وكتابه من جديد ،
ولسكن حضرات العلماء تحركوا في المرة الأولى لم يدعوا الوزارة تطعن إلى
محامها في الحكم ثلاثة أيام حتى قدموا عرائض يطلبون فيها فصل الدكتور
طه من الجامعة ومصادرة كتابه وإحالة إلى المحاكمة .

وكذا ترد أن الوزارة قوية شابة القوة مزينة أشد التأييد وأن يحاولهم
إخراجها على هذه الصورة لن يصل بهم إلى أية نتيجة ، ولهم يتصدون

لغايات خاصة أو لأنداد الجو السيامي مما لم يستلموا الوصول إليه ، وإننا
لنود مخاضين أن يذر المشايخ هذه السياسة التي لا تقديم ولا تفيد أحداً والتي
تخرجهم ولا تخرج أحداً وأن يتصرفوا إلى التفكير في إصلاح حال المسلمين
الدينية .

من محضر جلسة مجلس النواب

سيد الخالق عطية^(١) :

حدث بإحضرات الأعضاء. حادث بالجامعة المصرية وقام من ناحيتها
صوت أقدما عطف الكثيرين قد أدى إلى فتنة أو كاد والأشد والأشد
أن البلاد لم يعلم حظا ولم تعلم مصالح ظاهرة من أثاره ذلك الموضوع .

أعلن أنكم نطعنكم إلى ما أريد وتبينتم أن الصوت المنص يقول هذا
هو كعب الشعر الجاهل الذي تضمن طعنا ذريا على الموسوية الكريمة
والميسوية الرحمة وعلى الإسلام دين الدولة بقص الدعوى .

أن تعرف هذا الشخص كان أيضاً مخالفاً للثوق فإنه مدرس بالجامعة
المصرية وهي معمد أميري يعيش من أموال الحكومة وهو يتقاضى مرتبه من
هذه الهيئة التي دينها الإسلام فلم يكن من الفهوم ولا من المعقول أن يقوم
هذا الشخص فيبهق في وجه الحكومة . .

أنا إذ نسلم أولادنا للحكومة ليعملوا في دورها نقل ذلك معتمدين
على أن بيننا وبينها شاكداً ضمنا على أن الديانات محترمة . .

وأعرب مالي هذا التصرف أن صح ما قلنى أن إدارة الجامعة أشرت

(١) آخر محضر جلسة المجلس في الأبرام ١٤ سبتمبر ١٩٢٩ .

من مؤلف هذا الكتاب كتابه « أشترته من أموال الأمة الموقورة بهذا العمل - فإن كان هذا الكتاب سيدرس في الجامعة فتلك ثلاثة الأكتاف

وزير المعارف : إننا لا نرى أن تكون كرامى الأستاذة منابر تلقى منها الطامع في أي دين من الأديان - وحادث كتاب الشعر الجاهلي وقع في عهد الوزارة السابقة - وقال أن مدير الجامعة أن الجامعة منعت انتشار الكتاب بشراء جميع النسخ من الكتاب وحصرتها في مخازنها -

الشيخ القبايلى : الحق أنه ما كان من الظنون أن يوجد بين المسلمين في مصر من يحرق على الدين إلى هذا الحد الذى يلته الشيخ طه حسين - فيائع متعددة ما بين تكذيب الصحيح التاريخ وتكذيب انصوص القرآن ونسبة الصحاب إلى الله وإلى النبي وإلى موسى -

ثم اقترح عبد الحميد اليفان : مصادرة الكتاب وتكليف النهاية برفع الدعوى على طه حسين وإلقاء وطيفته في الجامعة -

من تقرير النائب عن طريفة طه حسين في الكتابة

أن الذى^(١) تريد أن تشير إليه إنما هو الخطأ الذى اعتاد أن يرتكبه المؤلف من أبحاثه حيث يبدأ بافتراض يتخيله ثم ينتهى بأن يرتب عليه قواعد كانت حقائق ثابتة - كما فعل في أمر الاختلافات بين لغة حمير وبين لغة عدنان ثم في رسالة إبراهيم وإسماعيل وهجرتهما إلى مكة وبناء السكينة -

٢ - أما إذا رأى المؤلف في بحثه إنكار شئ - فيقول : لا دليل عليه

(١) المصحح - ١٢ مايو ١٩٣٧ العدد ٤٠

من الأدلة التي تطلبها الطرق الحديثة للبحث حسب الملاحظة التي رسمها في
منهج البحث .

[الشك في وجود إبراهيم واسماعيل] سئل الأستاذ في التحقيق عن أصل
هذه المسألة : فقال هذا فرض فرضته أنا دون أن أطلع عليه في أي كتاب
آخر ، وقد أخبرت بعد أن ظهر الكتاب أن شيئاً مثل هذا الفرض يوجد
في كتب المبشرين (هذا المبشر هو حاشم المري) .

وقد يسكون المبشر عفره في سلوك هذا السبيل لأن وظيفته التبشير
فدريه وهو غرضه الذي يتكلم فيه . ولكن ما هنر المؤلف في طرق هذا
الباب ، وما هي الضرورة التي أوجأتها أن يرى في هذه القصة نوعاً من
الحيلة .

(الافتراض في أول الأمر ثم الجزم كأنها هي حقيقة) .

عندما سألتها في التحقيق عن السبب الذي دعاه أخيراً لأن يقرر بطريقة
تقيد الجزم بأن القصة حديثة العهد ظهرت قبل الإسلام قال (هذه المباحثات
إذا كانت تقيد الجزم فهي إنما تقوله أن صح الترض الذي قامت عليه وربما
كان فيها شيء من الغلو ولكني اعتقد أن العلماء جميعاً عندما يفترضون
قروناً علفية يبيعون لأنفسهم مثل هذا القوم من التعبير .

— تورط المؤلف في هذا الوقت الذي لأصله بين وبين العلم لتبر
ضرورة يقتضيها بحته ولا فائدة يربوها .

— لا فهم كيف أباح المؤلف لنفسه أن يخلط بين الدين وبين العلم

وهو القائل بأن الدين يجب أن يكون بمنزلة عن هذا النوع من البحث الذي هو بطبيعته قابل للتفكير والنقص والشك والإنكار .

وأنا حين تفصل بين العلم والدين تضع الكتاب المناوية موضع القديس ونقصها من أنكار المفكرين وعلم الطاعين ولا تدري لم يقل غير مايقول في هذا الموضوع .

نماذج من حلقات المعركة

١ - مصطفي صادق الزاقي^(١)

ما رأيت مثله إلا على الدليل الواضحة لها جبراً كقولاء المجدون في العربية فوجدت أنهم كما نغرة التوقفة لأصحابها حطب الدنيا .

والقد كان من أشدهم مراراً وتكراراً وعفاً هو الدكتور محمد حسين أسد الأب المربية في الجامعة المصرية فكانت دروسه الأولى في الشعر المأهول كراياً وسخرية بالناس فكذب الأديان وسفه التاريخ وكثرة غلظه وجملة نظم السكان في الطبيعة قوة تبيته على حل كل ذلك والقيام به إلا السكابة والعبادة أدهر به في دروسه لاهو بيث الحقيقة المبالغة ولا يترك الحقيقة الثانية ، حل أن أسد الخامسة إنما يفتد القديسين من جوارحه النقول في أوروبا وأنه منهم - ولكن كما تكون هذه السكرة الجفرائية الدوسية التي تصور عالم الفلوات الخمس من كرة الأرض التي تحمل الثمرات الخمس :

والرجل مختلف القدم تصبهم عليه الأساليب الدقيقة وسادتها وأكبر ماسه أنه يصعد ويهبط ويذهب بالمسكرو ولكن في ثوب الرواية .

هو وأمثاله المجدون يسبون كباراً وعلماء وأدباء إلا كان لأيد لهم من نت وضة في طيات الآلة غير أنهم على التحقيق غلطات إنسانية يخرجها الأدب في شكل عام أو تشاوش بها صواباً كلاً يمهله الناس فيعش الناس أن يغيب القناعاً سوابهم أو يذهب به فيبتسكون بحيله ويعدون عليه .

— من أفتح ما في كتاب الدكتور طه حسين أنه ينان في مقدمته بجموده من دينه عند البحث ، يريد أن يأخذ الناس بذلك أتباعاً للذهب ديسكارت الفيلسوف الذي يقضي على الباحث بالتجود من كل شيء ، عندما يبحث عن الحقيقة .

(١) ك : تحت راية الزنك : الرد على الشعر المأهول .

قال الأستاذ : يجب حين استقبال البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ينسى قوميتنا وكل مشخصاتها « وأن ندعى ديننا وكل ما يتصل به » .

وهذا المعنى هو منتهى الجليل فإن هناك فرقاً بين البحث عن حقيقة فلسفية عقلية محددة وبين البحث عن حقيقة أدبية تاريخية قائمة على الفس ، وقول فلان وفلان ، وإذا هو نسي دينه (ونأمل هذه العبارة) فإذا يسكون من أثر هذا في التاريخ ما دامت المادة التاريخية لم تتجمع له كما أسلفنا وما دالم الأستاذ مبتلى من كل جهة .

— إن طه حسين مجموعة أخلاق مضطربة وأنسكار متناقضة وطوائع زائفة وما من عالم في الأرض إلا وأنت واجد آرائه قائمة بمجموع أخلاقه أكثر مما هي آتية من صفاته المثالية . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « إن أخوف ما أخاف على أمي كل منافق عليم اللسان » وطه رجل أرسلوا لسانه إلى أوروبا فرجع بلسانه وترك قلبه هناك في غرائب روما .. فيجب أن يكون ثقافته وفكره مفسورين على نفسه وإذا كان عبيد كلية الآداب لا يحسن من العربية شيئاً ولا يثق من هذه اللبائح شيئاً ولا هو من دين الأمة في شيء فإذا نقول في الأستاذ الأدب الذي البليغ مدير الجامعة الذي اسمه أحمد .

والأمر الذي تشناه من طه أنه « أداة » أوربية استعمارية تعمل على إفساد أخلاق الأمة وحل عرونها الوثقى من دينها في أدبه ولفظه وكفايه وتحتير كل من يتسم بشيء من ذلك عالماً أو مثقفاً أو مثورفاً ، فهو حائب على إزالة ما وفر في فنوس المسلمين من تعظيم نبيهم وكفايه وإيقار دينهم ونفيلتهم وإجلال علمائهم وسائهم مرة بالتكذيب ومرة بالتهيب ومرة

بالزيادة ومرة بإفساد التاريخ ومرة بنقل الأخلاق الفاضلة المشهورة من مدينة
الفرنسيين .

إن التاريخ الإسلامي إذا حل على غير طريقته وتولاه غير أهله لم يأت
منه إلا ما هو دنيئيل فيه ونقل الرواية ويسكنر التفسير ، ويحصل الخطأ
ويقع الخطأ لأن الأشياء بما كانت عليه لا بما تتوهم أنت أنها كانت عليه .
وذلك هو السر في خلط المستشرقين والمسيحيين والديكارتيين من أمثال طه
حسين إذا هم تاملوا الكلام في المصدر الأول أو ما يفصل به نوعاً من الاتصال
في الأدب في الشر أو نعوها . وإذا كثرت الشياطين تاريخ اللاشعور واتهمت
مذهب ديسكارت . . . تتجردت من قوميتها ودينها فهل تراها تسلب طبيعتها
وخبيثها وهل يدخل عليها خطأ إلا من ناحية هذه الطبيعة في تركيبها على
غرائز وأوصاف لا تتحول .

٢ — محمد فريد وبندي

رأيت منه أخطاء اجتماعية وسيكولوجية وفلسفية لا يصح السكوت عليها
والتي قد لا تذكور لاضطراره إلى تعديد الأسباب التي جعلت دو النفوس الربوة
على اختلاف الشر ونسبه إلى الجاهلين قد حول على كتب المستشرقين وهي
قراءة الأكايب ومشتقعات المفردات من كل نوع فجاء كتابه بما حل من
أوزار المفترين وبما غلا هو فيه من تقعي إغراءات المتناظرين وأسوددت
المتناقضين من القادة الأهلين طامسا لمعالم أكبر ثورة اجتماعية حديثة في العالم
ألا وهي ظهور الديانة الإسلامية وما استتبع انتشارها من سقوط دول
وقيام دول .

فبينما علماء القرب لا يتماثلون أنفسهم من الدهش من قوة هذه الحركة الاجتماعية التي انبثقت من بلاد العرب فجأة فرجت العالم كله رجة أذهلته عن كل شيء. يصعب علينا أن نرى واحداً منه يضع كتاباً بالفرض قليل الخطر وهو إثبات أن الشعر الجاهل مختلف يكون أثره على قارئه أن يحقر هذه الثورة الكبرى ويستخف برجالها الذين أخذوا خطاً من تخيلاتهم والاضطلاع بأعبائها.

٣ — محمد لطفي جمعة

هذا المؤلف لم يترك فضيلة للعرب في علومهم وتاريخهم وآدابهم وعقائدهم دون أن يحاول خدمها بشدة وتسكيم واستعزاز، لم يعد له مثيلاً في كتب العلماء فيخيل للقارئ أن المؤلف يادب ويلهو بأشرف الأشخاص وأسمى للبادي، التي خلقتها المدنية العربية الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً . وكنا نود أن نلقن بكتابه خيراً فلم نجد له في الأخير محلاً . وحاولنا أن نفتح بصرها أشبه بالبرص شيئاً في وسط هذه الظلمات المتسككة المظلمة من أول الكتاب إلى آخره لأنه للأسف طامع بالأوهام فهو سراب يحسبه الإنسان من بعيد ماء . والعقيقة أن كتاب (في الشعر الجاهل) عبارة عن بعض قصص صحيحة أو مزورة وبعض أكاذيب وأساطير وشيء من التهويل وشيء من السياسة وشيء من الخرق وكثير من الشعبية والتعصب ضد العرب وعقائدهم :

(١) سؤال : هل رجح أنه حين من كراته . كلا — والذليل أن الكتاب ما يزال يطبع الطبعة الخامسة والسادسة وذلك فهو يناقض نفسه في آرائه فيما كتب من الإسلام في الحقبة الكبرى وعامات السيرة .
(٢) كل الشباب الزاحق على الشعر الجاهل .

ولم يترك المؤلف نيبا أو ضدبقا أو عالما أو راوية أو شاعرا إلا يترك في عرضه ابتراكا ونال من شرته وسميته .

يقول للزائف أنه ليس لنا أن نتمسك بالقديم لمجرد قدمه وهو يعد أعظم مفاخر الدنية العربية في القوانين والأنظمة والعلوم والآداب قديما ، يجب تركه . ولا يؤيد أقواله بدليل أن مرجع صحيح أو إسناد يعول عليه . فيقول ليس لنا أن ننبذ القديم لمجرد قدمه فأكمل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ . والواجب على من رأى المصلحة في القديم أن لا يتركه ما لم تنم الأدلة على صحة الجديد . وهذا ما فعلته الأمم الأوروبية فلم تترك قديما بل خشت به وبمنته وأحييت العلوم والآداب التي كانت مفاخر اليونان واتخذتها أساسا متينا إلى الجديد في عهد إحياء العلوم على أن معظم قديمهم أساطير وخرافات وأخبار لم يستطع أحد من علمائهم تحقيقها بيد أن قديمنا معتله حقائق وشرائع وقوانين وآداب .

لقد طعنت في عدم العرب وتاريخهم وآدابهم قبل الاسلام ويبدو^(١) بثلاثة قرون ولم يترك فرصة إلا استغللت فيها غيرة ضد الدنية العربية وشرائعها وقوانينها وآدابها وتاريخها في عهد وأسرار كأنك تهتم بمول الحقد للسكينة بقاء شاده أعسده لك الهداء وطعنت قبل كل شيء في الرواية والتواتر والاسناد وهي وسائل العلم والدين والأدب عند العرب في جاهليتهم وأسلامهم ولم يسبق لأحد من الباحثين أن طعن في تلك الوسائل من علماء الشرقيات الأجانب .

(١) قال ص ١٠٦ « ولكن الذين نوى بعد الحج بالليل ولم يضع قاعدة للعلاقة ولا دستوراً لهذه الآلة .

٤ — شكيب أرسلان^(١)

« ليس طه حسين في هذا الرأي القائل والمنطق المتأرجح إلا مقفلاً لمغايوت أو لفهره من الأوربيين بسائق عقيدة سقيمة فاشية — سويلاً لأصف — في الشرق وهي أن الأوربي لا يغلط، أبداً . وأنه من حيث الخترع الأوربي سكة الحديد والنواصة والطيارة والسيارة وما أشبه ذلك فلا شك أنه صار يفهم أحسن مما يفهم سيبويه والظليل من أجدوايس في الدنيا خطأ أعظم من هذا ولا طيش بقوت هذا العيش فشكل علم له أربابه الذين هم أدرى به .

أنا لا ندعي كون الشرقيين أعلم من الغربيين وحاشا أن نقول هذا بل أولئك اليوم على وجه الإجمال أعلم منا بلا جدال . ولكن الحقيقة القائلة هي أن الشرق يفهم أخاه الشرق في ثقته وبسببه في ثقته ويعترف رأيه ولا يقبل له قولاً مجرداً أنه شرق حتى إذا أطلع على تأليف أوربي ولو محشواً بالخديبان تلقى ما فيه نازلاً من السبا . وعلى عليه بالفواجذ وأبى أن يرتاب فيه أو يحاكمه . ومن هنا نشأ ما نحن فيه من الأزمة الأدبية والاجتماعية والفنية والتعقيد الذي ترانا نتخبطه لأن حقائقنا انقلبت ضلالات بلا سؤال . وضلالات الأخرى نجت نطقت حقائق بلا جدال .

النظرية الجديدة غير الحقيقة العلمية .

الحقائق العلمية ما تزال يتجدد ويتنقض آخر منها أول .

الموس يقول الجديد .

(١) مقدمة — كتاب النقد العالي — القمراوي .

مخالفة رأى الجيور .

ليس كل شيء قديم مذبذباً وليس كل شيء جديد مرغوباً فيه .
أنى لا أنوم الذكور طه حسين الذى قصاده أن يسرق رأياً مستشرق
أوروى خالف به جيور المشرقين فضلاً عن علماء العرب وأن يتجمل هذا
الرأى لنفسه متبجحاً به .

هـ - محمد عبد العلاب^(١)

سجلت وازورت لأن أحد ضمتا في أسلوبه العربى وضعف تأليف
وغطاً في اللغة وقواعد الإملاء . وسجلت وازورت ثم تنظمت وأوردت
إذ رأيت أكبر أستاذ في أكبر معاهد مصر يتردد بين التناقض في الرأى
والخطأ القاتل في الفن .

فأما قصور اللفظ فأى وجدت الذكور يجمع في كل دعوى الشك
والتشكيك مجزأ عن الدليل القويم ولا ينتج من التلذذات في أدائه إلا التهميم
وما كان الشك والتشكيك يوماً عكازاً لأحد من العاجزين . أما التقصير في
الاجتهاد فإنك تراه لا يزجر نفسه ولا يسكنها شيئاً من الجهد فيستريح
الشكسل عن الصعيق في أقل الواطن كانه وأيسرها مثالا ويقتصر بالتمعية في
الأسلوب والراوعة في الجدال والخلل في الاستدلال ولو كلف نفسه قليلا
لهذا له العلم الصحيح .

أما ضعف الأسلوب فإنه يحوطك بالمعنى القليل الموزيل في اللفظ الكثير
والتركيب المملول .

على أنى -أى- في الحكمة التى يرمى إليها بالنتائج القول مغلطاً محققاً

(١) الأبرام — ٢٨ ربيع ١٩٢٦ .

بتصور المفهومة ولا خصومة ونحن في الثبوت وربما كان هو الخليم وبعد فانه
خرج من النهيد الطويل العريض الذي وضع أسلافنا فيه تحت الطريقة وأنهال
عليهم بلا حكمة ولا مهابة وتجرد في حقهم من أذاب المؤلفين .

٦ — عبد ربه مفتاح

تبرأ طه حسين بحواب أرسله إلى مدير الجامعة بعد أن قامت الأمة
وقدنت قضاة الشريعة ، تبرأ الآن من الكفر والإلحاد بعد أن سجله في مؤلفه
وأداعه بين الناس وأفسد به عقول الفايته . ولكن فأت دكتور أوربا أن
هذا سجل البراءة والطلاص . وإعاز السجيل أن يعلن رجوعه عن هذا الكفر
الصريح وأن ينص في غير مواربه ولا قلب ولا دوران أن مؤلفه باطل لا يقول
عليه . وبخاصة ما عس منه الدين .

خبري أنها الدكتور مافاً في كتابك وما الجديد الذي أحدثته فيه ،
أفكره التغير والتبدل في الشعر الخاصة وقد رادها قبلك الرواد

٧ — عبد التعال السعيد^(١)

بين يدي الآن كتاب (مقاله عن الأسلام) لجرجيس صال الإنجليزي
معربة عن الإنجليزية بقلم من يدعى هاشم العربي مطبوعه ١٨٩١ برى فيها
ما رأى الدكتور طه في قصة إبراهيم وإسماعيل وينسبه لنفسه على أنه ابتكار
من ابتكاراته ورأى من آراء الجديدة . وهو الذي أقام الدنيا وأفسدها
على الأستاذ علام سلامه إذ نقل على لسان العرب ما نقل مما كتبه عن الآداب
والأدياء في السينة الأسبوعية ولم ينسبه إلى صاحبه .

(١) ١٢ مايو ١٩٢٦ — الأهرام — ومبد التعال السعيد أول من كتب له
طه حسين من البهر الانجليزي .

(المشاركة الأدبية)

فلماذا السجل الدكتور طه هذه السرقة الفظيمة وهو العالم الذي لا يبارى ولا يليق أن يتهمهم على السكتب فيسرق منها وينسب القصة .

يقول طه حسين [ص ٣٩] أمر هذه القصة (قصة إبراهيم وإسماعيل) إذن وأوضح فهو حديثه العهد ظهرت قبل الإسلام واستغلها الإسلام لسبب ديني وسياسي ، وإن نستطلع التاريخ الأدبي والفنوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يعرف أصل اللغة العربية القصص .

ويقول (حاشم العربي) في كتابه مقالة في الإسلام :

« حقيقة الأمر في قصة إسماعيل أنها دسيسة لفتحها عندما اليهود العرب تزلوا إليهم وتذرعوا بهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس أو تأسيس مملكة جديدة لهم في بلاد العرب ببناءون إليها » .

هل يليق بالدكتور أن تقلب مباشرة تنقل إراء المبرزين التي يحملها عليهم حقدكم في جامعة علمية .

• • •

وقال عبد الفتاح الصمدي في كتابه (القضاء الكبرى في الإسلام) ص ٣٩١ أن الدكتور طه أجاب في التحقيق بأنه يقرر صدق هجرة إسماعيل عليه السلام إلى مكة ويؤمن بأنه بناء السكينة كما وردت في القرآن ويؤمن بتزييل القراءات بصنفة مسامدة مستفاداً ولكنه لا يقرأها بصنفة عالماً أدبياً وقال أن عدم إقرارها هو الطريق الوحيد العلمي للوصول إلى حقائق الشعر الجاهلي وتاريخه .

وقال أن الدكتور أشكر القراءات الصم للصم عليها فزعم أنها ليست

مغزله من الله تعالى . وأن العرب قرأوها كما استقامت لا كما أوحى الله بها إلى نبيه .

٨ — محمد أحمد النبراوي^(١)

ظهر كفاية (في الشعر الجاهلي) تحت اسم جديد بعد أن حذف منه وزيد فيه أما المحذوف فيه فهو أكثر تلك الأجزاء التي ثارت من أجلها ثائرة الناس في مصر على صاحب الكتاب فاستمدوا عليه القانون فماذا نحن في الكتاب من غير شك يرجع الفضل ببعض إلى صاحبه — أو إلى القياصة — ولكن القنود عاد فانبعث بعد أن غير زيه وأن لم ينير من حقيقته (الأدب الجاهلي بدلا من الشعر الجاهلي) فلم نجد بدا من أن نعيد ذلك النقد ونجعله بعد التعديل قوة نقد أوسع يتناسب مع التضخم في الكتاب القنود . لم يقتنع صاحب الكتاب بنقد الناقدين على تعدد تقديم وصوابه ، وفي رأينا أن أعراض صاحب الكتاب عن الانتفاع بذلك النقد الكثير الصائب أول على الروح الذي يحركه والفرض الذي يسعى إليه من كل مانع ويقتض من زخرف يزعم به التجرد من الغوى والجرى على أسلوب العلم الحديث .

إن عملية تنقية الكتاب بالحذف لم تنوى على تحايضه من كل ما يجافي الدين وأن خالصه فيها يظهر من كل ما يؤخذ عليه القانون . خلصته من الواضح المريب الذي يمكن أن يمتد التلم إليه بالحذف . أما الثبت في ثوابها جملة من التفسيرات التي قد لا يمكن أن يتناول بالحذف إلا أن يحذف أكثر الكتاب .

فالكتاب وإن خلاص من مثل هـ فتوراة أن تحدثنا أن إبراهيم وإسماعيل ولفترآن أن يحدثنا عنهما أيضا .

(١) النقد الجليل لكتاب في الأدب الجاهلي (١٩٢٩) .

ومن قوله : لأمر ما شعروا بالحاجة إلى إثبات أن القرآن كتاب عرقي مطابق في ألفاظه لغة العرب فإنه لم يتخلص من مثل :

« وفي القرآن سورة تسمى سورة الجن أثبات أن الجن استمعوا للهي »
ومن مثل قوله : « فلأمر ما اتفقت الناس بأن النبي يجب أن يكون من صفوة بني هاشم » وهذه التعللة التي وصفتها النبابة بسوء الأدب في حق النبي، وكان ينبغي أن تحذف ومن مثل قوله : لأمر ما شعروا بالحاجة إلى إثبات أن القرآن كتاب عرقي مطابق في ألفاظه لغة العرب « فإن التمسك المستتر على هذا الكلام وكذبر غيره من السكتاب أغنى من أن يستطاع إثباته بالبرهان المنطوق على ما يظهر ، على أن هناك على حذف المحذوف ملاحظة جديرة بالذكر هي أن صاحب السكتاب حذف من غير أن يذكر أسباب الحذف . وهذه نقطة لها خطرها فقد جرت سنة العلماء إذا نشروا بحثاً ألا يتبرأ منه من غير أن يتولوا التغيير بالفتوى إلى الأسباب التي دعت إليه خصوصاً إذا كان التغيير رجوعاً في الظاهر عن رأى كان الباحث قد اوثقه وأداعه باسم العلم كما وقع من صاحب السكتاب .

فقد أنه يدفع صاحبه من غير شك لأنه يغلبه من عار ذلك الخطأ ومن كل ما ينطوي تحته من دلالة على مبالغ صاحبه من العلم ولا في غير العلم ما يقع من التخطئ من مثل هذا العار ولكن بشرط واحد هو انتفاع الخطيء بأنه قد أخطأ واعترافه بذلك من غير مراوغة ولا غفمة وصاحب السكتاب لم يترف وليس هناك ما يدل على أنه انتفع

— إن التجديد في الأدب كالتجديد في العلم لا يمكن أن يقوم إلا على أساس تعاون المعاصر والمؤرخ . سيبنى العقل في حاضره على ما أسس العقل

في ماضيهِ فإن الحق وحدة قائمة لا يقوم جزء منها إلا على جزء . فإن يقوم حق جديد إلا على أساس من حق قديم .

— القاعدة البسيطة هي التي يمكن العلم بها من تجديد تراثه وتقدمه ، وهي القاعدة التي ينبغي أن يسير الشرق هايتها فيحفظ تراثه الكثير القيم فلا يغير منه إلا بقدر ما يجدده ويديمه .

ولا ننسى أن قد كان للشرق ماضٍ باهر في العلم والأدب والدين والاجتماع هو لما تراث يقضى تجديده ، وإن هذا التراث منه الحق اليقيني الذي نرى يتناول المهد وتجديد هذا يكون بالانقياد عنه واحيائه وفيه ما هو بين الاحتمال واليقين وتجديد هذا يكون باستعماله وارتقاء القوم في تحصيله والترك به شيئاً شبيهاً إلى مرتبة اليقين . ثم لا ننسى أن كل ما أسلفه إلينا أجيال العلماء من السلف إنما هو في مزية الرجوعان على أقل تقدير .

أرد على نقطة : (تبيان القومية والدين شرط أساسي من شروط البحث العلمي) .

إنه ذهب إلى أن تبيان القومية والدين شرط أساسي من شروط البحث العلمي ، فإن كان أراد بذلك على الباحث ألا يعنى بعض الحق أو يتراخى في استيفاء الدلائل العلمي بحاجبة قوميته أو أرضاء لماعظته فقد أصاب . أما إذا كان أراد أن الإنسان لا يستطيع أن يكون ذا عاطفة قومية أو دينية من غير أن يحاي أو يذاب في العلم فقد أخطأ ولم يصب ، إن الإنسان يستطيع أن يراعى الدقة العلمية التامة في البحث وهو متذكر دينه كل التذكر ومعتقد صحته كل الاعتقاد . غير يجوز على قرأته خطأ أو توراته . بل أن التدين

الصحيح يزيد الباحث الخافض إن أمكن إحكاماً على الحق واستعساكاً به إذا وصل إليه . أن الباحث للتدين بين محبين في الحق : دينه وعالمه ومبغضين في الباطل : دينه وعالمه ، كذلك . فهو يحب الحق موثين : مرة لدينه ومرة لعلمه . ويبغض الباطل موثين كذلك . ولا خوف عليه مطلقاً أن ينشئ بعض الحق أو يدلس في البحث بحايطة لدينه ، إذ ليس الحق يتخاف على دينه ولاسكفه الباطل . وهو يعلم أن دينه حق . يعلم ذلك عالم مستيقن . ويعلم أن العلم قائم على قاعدة استعانة القلب بين أجزاء الحق . فهو لا يعمى أبداً أن يكشف البحث الصحيح عن حقيقة توافي دينه وبذلك يعمى في أمثاله آتياً معلوماً متبهما أقوام الطرق في البحث والتفكير .

فالتدين الصحيح والعلم الصحيح ممكن اجتماعهما إذن وكثيراً ما اجتماعاً . كما أن العاطفة العلمية القوية والعاطفة الدينية القوية لا تتعارضان بل تتضافران في خدمة العلم .

تجدد معركة الشعر الجاهلي

تم تجديد معركة الشعر الجاهلي مرة أخرى ، ولم يكن هذه المرة على صفحات المراتب وإنما في قاعة مجلس النواب . كان ذلك عام ١٩٣٢ حيث وجهت إليه ثم عدم كفايته العلمية عدم كفايته الادارية . وعما يراه البعض الأستاذة الأنياب دعاية بئس اليهم . ومودر كتاب « الأدب الجاهلي » مرة أخرى ١٩٣٢/٣/١٩ وأنت « قمارات واضرابات وكان الدكتور طه قد عاد إلى بيت آرائه التبريرية واكتفت كراشات فيها لحاد . ولشروط أن تجدده التركي كان له صلة بالسياسة والحزبية ، وفالت جريدة الاتحاد (١٩٣٢ / ٣ / ١٩) التي كان الدكتور رئيس تحريرها قبل ذلك سنوات : إنا إذا وضنا الدكتور طه حين موضع التعديل فوجدنا أنه شخصية عادية لا يستحق كل هذا الضجيج ، إلا أن السكاب بالشهوة والشغب بالخروج مما عتبه الجماعة من شأنه أن يدعو الناس إلى الأخذ والعهد وهذا الشبهة .

تذكر كان طه حين متصلا بحزب الأحرار الدستوريين الذين أيدوا رئيس الحكومة إذ ذاك (اسماعيل صدقي) هذا أثناء حرب التبعها جوه والضموا إلى الوفد في جبهة القومية هناك بدأت الحق على طه حين واسائل فيها عنصري الانفاة اللابنية والتماعة السكونية واضارها في مصر حيث كانت الجماعة من « الزورة » التي يتجمع فيها المستقرون ودماء التبريد ، وأنهم طه حين بأنه كان إلى « الرئيسين منهم غير أن الرجل الذي من لواء » أنهم طه حين « لم يكن رجلا حزبيا وإنما كان رجلا ملتصقا بوطنه صادق الإيمان بالروية والإسلام : ذلك هو الدكتور عبد الحيد صديق : وهذا ملخص عمله .

لقد قضت^(١) على بلادنا موجة من التقليد الغربي . موجة انطروج عن الدين والآداب وقد قام بالقيشير بها جماعة لم يصل نور الإسلام إلى قلوبهم وقد اشتهر الدكتور طه حين في كتبه وبهاضراته بتلك النزعة اللادينية . وقال : أنا نشاهد الرجل عدوا للدين وتعاليمه يشوه كل ما هو منسوب إليه ومن يتقنع سلسلة حياته العلمية يجددها وحده . يذهب في كل مسألة تتعلق بالدين الإسلامي مذهبا أعداء الدين . وخصومة الألهاء . وهناك نقطة ضعف

(١) الأكرام - ١٩٣٢/٣/١٧ و ١٩٣٢/٣/١٩ .

في حياته أعلنا صدقته الأستاذ المازني في كتابه « قبض الريح » وتلك هي كونه صريحا قد أثر على آرائه وحسكه على الأشياء .

إن ضرر الدكتور طه يقول الناشئة لم يقف عند الجامعة أو مصر بل جاوزها إلى البلاد العربية المجاورة . وكيف كلف طلبته أن ينتقدوا القرآن ويسجلوا آراءهم في كراسة فيذكروا أن هذه آية ضئيلة ، وتلك ركيسة ، (وتلا نمولا من فقرة لأحد الطلاب استنساها من محاضرات الدكتور طه على الطلبة في القرآن وفيها بحث الدكتور الطلبة على نقد القرآن) ويذكروهم أن في القرآن أسلوبين مختلفين كل الاختلاف . أحدهما جاف وهو مستمد من البيئة التي نزل في مكة في هذا الأسلوب تهديد ووعد وجزأ . فلما هاجر النبي إلى المدينة تغير الأسلوب بحكم البيئة وأصبح ذلك الأسلوب ليغا . وحث الدكتور طه حسين الطلبة على أن ينظروا إلى القرآن كأي كتاب عادي يجري عليه من النقد العلمي ما يجري عليها وأن يغضوا النظر عن البحث فيه عن تسميته وعرض طه لقوائم السور وذكر عدة آراء فيها منها تعدد التسمية . ومنها أنها كانت في الأصل علامات مميزة لمصاحف الصحابة .

ثم قال : هل يبدحنا نقول أن طه حسين مسلم وموحد بالله .

وكان الدكتور قد أعلنا في خلال هذه الضجة كذا قال فيها

« انتهى أبعد الناس من التمس بكرامة تحرير الإسلام » نصف ١٩٣٢/٧

وقال : « لقد سمى الدكتور طه ابنه كارل وابنته مارجريت وهذا أبنائه على نحو ما يفعل المسيحيون .

هذا الدكتور مفرم بالشك والفكك واللبس على الدين والفسق والتجور والدعوة إليه ، وكتاباه في الأدب الجاهلي وحديث الأرباب عسوان

بالعلم في الدين، والذخيرة على السق والفجور، ثم أشار إلى تحقيق الفباة
مه سنة ١٩٣٩ وكيف أن البادى، التي ضمنها كتابه (في الأدب الماهاى)
ورد منها في كتب بعض المبشرين ، وكيف أنه تعرض لنشر المساوى.
والمورات عن عصور الإسلام الزاهرة وأقصى من نشر الفضائل والرجال
الأفذاذ الذين يتواجد الإسلام ، وقال إن الحكومات التي سككت عن هذا
الرجل وتركته يهشم الأخلاق والآداب ويمثل بالقضلة لى شريعة له في إلهه .

لقد شاع هذا في البلاد العربية أن هناك صلة بين الدكتور طه وبين دعاة
التقصير ، يثبت هذا التحقيق الذى أجراه الفباة وهو يفتى سمومه ومحتوى
بأسفلال الجائسة .

وأعيدت إناعة تقرير لجنة ٢٨ ديسمبر ١٩٣٧ الذى كتبه القمراوى
والموامرى ومحمد عبد المطلب حيث أحصى على بحث الدكتور طه حسين أنه
أضاع على العرب المسلمين (١) الوحدة القومية والمماقة الدينية (٢) الإيمان
بتواتر القرآن وقراءاته وأنها وحى من عند الله (٣) كرامة السلف من أمة
الدين والفة (٤) كرامة اللفة بسيرة النبي في كل ما كتب عنها (٥) اعتقاد
صدق القرآن ونزوجه عن السكذب (٦) الوحدة الإسلامية (٧) حرمة الصحابة
والتابعين (٨) نزوجه القرآن من التمسك والأزدراء (٩) نزوجه النبي عن مواطن
التمسك والاستغاف (١٠) صدق القرآن والنبي فيما أخبر به عن مكة إبراهيم
(١١) برادة القرآن مما رماه به المستشرقون من أعدائه (١٢) الأدب العام مع
الله ورسوله .

وقال عبد الحفيد سعيد ٦ مارس ١٩٣٣ — الأهرام — عرف هذا الرجل
بمصادمة آرائه لخصوص القرآن الكريم والمقاتد الدينية وقد ظهر عداوته
للإسلام في كثير من نعالیه وآثاره منها كتاب [الشعر الماهاى] الذى مازال

يدرس في الجامعة تحت اسم [الأدب الجاهل] واسكن تفوير العنوان لم يغير شيئاً من دوجه اللادينية فإن السموم التي أراد الدكتور أن ينفثها في كفايه لا تزال ماثلة في كثير من فصوله ومباحثه ، كما وأنه قد زين بشباب وسائل الجون والقيود في مؤلفه (حديث الأرياء) ولا يمكن للأمة أن تطلع إلى وعده للشكرورة بالمدول عن هذا السبيل الموجب فسوائقه لا تشجع على تصديقه . وهذه جماعة أميرية معصرية في أعمال دولة دينها الرضى الإسلام ، ولا تريد مطلقاً أن تغني حركة التعليم بين جدرانها أفرعاً شبيهة بتلك الأغراض الخفية التي بدت للأمة عياناً من بعض للذاهب الأجنبية التي تصعد العلم ستاراً للتضليل ، فكيف سكنت وزارة المعارف عن ذلك كله ولم تحرك ساكناً وكيف تسمح أن يكون ذلك الرجل عديداً لسكينة الأدب بالجامعة المصرية بعد أن انتفض أمره وتحت البلاد من خطر تداعيه وآرائه التي لا تقل عن خطر دعاة التنصير في البلاد .

الفصل الرابع ٣ - كتاب (النثر الفني)

بين زكي مبارك وفريد وجدي وأطلق اسمه

بري الدكتور زكي مبارك أن كتابه « النثر الفني » في القرن الرابع الهجري الذي أصدره سنة ١٩٣٤ والذي كان رسالته إلى الدكتوراه التي حصل عليها من جامعة السوربون سنة ١٩٣٢ هو دعابة مدعومة بالأدب وأشار في مقدمته أنه عدل فيه به سبع سائر « فإن رآه للشؤون خليفة بأن يدر قلب مؤلفه يتداعى من كثرة الاعتراف فهو معاصره اليهود عشرين عامًا فبشاعها في دراسة الأدب العربي والأدب الفرنسي وقال : «إن رأوه أصغر من أن يورث المؤلف شيئاً من لاجرو نظيره كروا أني أكنه في أعوام سود كثرت فيها من عتاك أيام مايقسم النابر ويصنف العبر : فاد كنت أضطر القام شعاريه « أفتش عظماء الأول في القامرة حيث أودى محي « وأجس رزقي « وأفتش شعاريه الثاني في باريس كالمعلم القريب أفتش اللهاء واستلهم المؤلفين إلى أن بلغت مالهفرتة أو يكاد « ثم صممت على أن أقطع إلى الدرس في جامعة باريس حتى انصهر أو أموت ... »

وقد ردد المؤلف عيوب كتابه فقال أن من أهمها : غلبة النزعة الوجدانية في الرسالة العلمية « واختلاف منهج المؤلف في الكتابة ومحا يرمح إلى أنه يؤلف في عابواحد ، وإنما كتبت قصوره في خلال سبع سائر تحول فيها أسلوب المؤلف وعقله وفوقه من حال إلى حال . وقد عرس الكتابة فقد مرصيه رأس « ياستفرافان الفرنسيين الذي خالقه زكي مبارك في آرائه عن النثر الفني خالقة صريحة . وقد نصب مرصيه لذلك وأمر بكتاب الفصائل بحجة أنها ثوب من الأساطير لا يؤتم الروح الفرنسي في البحث . وصمم مبارك على إلقاء الفصائل بحجة أنها العاد الذي تنهج عليه نظرية نثر النثر الفني .

كما تعرض لمراجعة الدكتوراه على حديث ونفس رأيه ومايجم فسكرته التي بدلت منها . وقد أبت آراء زكي مبارك مبارحة ونقدًا متجددين استمرت مباركة شعوراً متجددة « وقد نشر مبارك أصول كتابه في جريدة « البلاغ قبل أن ينشر كتابه .

وكانت أبرز آراء زكي مبارك التي أثارت النقد هي :

« أن العرب كانوا على قدر من الحضارة والعلم فلما جاء الإسلام وقدمهم إلى الأمام اندموا

- الفتر الفنى كان موجوداً عند العرب قبل الإسلام .
- أن العرب الجاهليين كانوا قد دخلوا في تطور نحو ثلاثة قرون قبل البعثة المحمدية .
- القرآن شاهد من ذواهد الشعر الجاهل .
- وهذه أهم معالم هذه الحركة :

محمد فريد وجدي^(١)

١ — أن استدلال الدكتور زكي مبارك على وجود ذلك الفتر الفنى عند العرب بالقرآن لا يزال نراه مغلولاً ولا يصح الأصرار عليه لأنه أن كان القرآن وحياً سارياً أو قبضاً وجدانياً من أية طريق روحانية فلا يجوز الاستدلال به على ما يظهر أن يرى الجاهليين من أثر لاقطاع الصلة بين ما هو إلهي وما هو بشري . وإن كان ليس بفتر ولا يافض وجداني من طريق روحانية فجزءه فلا يجوز الاستدلال به أيضاً في هذا الوطن . لأن هذا الكتاب اعتبرته أمة بأسرها كتاباً إلهياً مميزاً فلاس والتجن مجتمعين ولشيء لا يعتبر إلهياً ومميزاً إلى هذا الحد إذا كان فوق قدرة الذين يدينون بهذه العقيدة على الأقل .

كيف يفترض أن يكون انتقام الناس من الأئمين فتر فنى وهو نقبض الكتابة والقيز . أليس لو كان لهم شيء من ذلك لسكان كتاباً يعتبرونه أساساً لدياناتهم بقسوته ويختلفون به كمثل أمة متديبة في الأرض أن الأمة التي ليس لها كتاب مقدس لا يمثل أن يكون لها شيء مكتوب على الإطلاق

(١) البلاغ - ١٨ - أكتوبر ١٩٣٩ .

وإذا عدم المكتوب قد عدم اثر التقى ولا يجوز السؤال عنه ولا البحث فيه .

٣ - انى لمجيب بالأسلوب العلمى الدقيق وبمهارته فى نقل للباحث الأدبية من مجال الظنون والأوهام إلى مجال النظر المباشر المجرد عن اللابسات الدينية والتقاليد .

ولسنا ننكر أن سارك هذه الجادة على وضوحها واستقامتها لا تغلو من انفصال الذى تستدرج الباحثين إلى مالا يتفق والأسلوب الذى يبرصون على تطبيقه فيضربون فى مقاماتها بعزل عن الاعلام العلمية ويسكون مثلم فى تصرفهم فى تطبيق الأسلوب الأمثل كمثل : صوميم الذين يتضبطون فى بحثهم بغير دليل .

أنى أوافق الدكتور زكى مبارك^(١) على أن حقيقة الحياة الأدبية عند العرب الجاهلية لا يصح أن تؤخذ عن الذين كتبوا فيها من المؤلفين الذين تأثروا بالروح الدينية ونحوها فى وضعها نحوها يتفق وروايات رجال أوس مرمام تقرير الحقائق ولكن الأغراب والزلفى من الحاكين .

٤ - رأى زكى مبارك أن العرب الجاهلين كانوا قد دخلوا فى تطور نحو ثلاثة قرون قبل الهجرة عارضا فيه وأثبتنا أنه أن ثلاثة قرون تمضى فى التطور ولانشر لدويه توحيد كثرهم وأمين غابهم ولا تمت فيها داعيا بهيب بهم إلى الأخذ بالأسباب وهو شرط لا يهيس من وجوده ، أن مثل هذا التطور المجرد من جميع مميزاته المعروفة لا يصح القول به فى عرف علم الاجتماع فإن من شروط الافتراضات العلمية أن تكون مرجحات وأعلام وإلا انقلت إلى عالم الأوهام^(٢) .

(١) الإبلخ - ٢٠ سبتمبر ١٩٣١ .

(٢) المصدر السابق ٣٠ أكتوبر ١٩٣١ .

ودزكي مبارك على فريد وجدى^(١)

يرجع أصل الخلاف إلى زنديق في نقض ما أسير عليه فريق من المستشرقين وشايعهم عليه الدكتور طه من أن النثر الذي عند العرب لم يعرف إلا في أواخر العصر الأموي حين اتصل العرب بالفرس واليونان ، فهو من اكتسبه العرب بعد الإسلام ، ومن رأى لسيو مرسية أن العرب يدينون في نثرهم إلى الفرس وكان ذلك رأى الدكتور طه ثم عاد فقرر أن العرب يدينون في نثرهم إلى اليونان وحجة هؤلاء الباطنين أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم وجود أدبي ولا عقل وأنه يمكن فقط الاعتراف بأنه كان عندهم شعر . لأن الشعر فن ساذج يوجد عند الأمم المضيئة . ولا كذلك النثر فإنه لغة العقل والعلم والعرب في رأيهم كانوا قبل الإسلام يمشون عيشة أولية لا يعرف فيها كيف تكون طرائق البيان ، تلك حجبتهم وذلك أصل الخلاف .

أما أنا فقد تعطلت إلى تحقيق هذه المسألة منذ سنوات فقد نشر الدكتور طه حسين في مجلة التنوير سنة ١٩٢٦ مقالا عن النثر في القرنين سنة الماضية فقد تسكلم عن بداية النثر العربي وتسكلم عن اللغز وكيف كان بلحن ومجهر ، التسكلم عن مواضع لأنه في ظنه كان أول التأثرين ولا يخفى مبدئى من نثر واضطراب .

فلما ذهبت إلى باريس سنة ١٩٢٧ وجدت المستشرقين يدينون ويميدون في هذه المسألة وعرفت أن لسيو مرسية هو صاحب رأى القائل بأن العرب أخذوا مناهج النثر من الفرس لأن أول نثر عند العرب هو ابن المقفع وكان فارس الأصل وبعد تأملات طويلة اعتدلت إلى أن نثر العرب أصولا أخرى

(١) البالغ - ٢٩ - سبتمبر ١٩٢٦ .

غير الأصول الفارسية . وثلك الأصول من الفتر عند الجاهليين وبذلك يكون
الثر الأموى ثركاً متطور عند الثر الجاهلى ولم ينقل نقلاً عن نماذج الفتر
الفارسى ثم بحث من الشواهد قرأت القرآن أنصح شاذ وأصدق دليل .

ولما اطمأنت إلى نظريى أعانها الدكتور طه حسين سنة ١٩٣٨ على
أنها محاركة فراحه ذلك ورأى أن نظريته أو نظرية السيو مرسية أصبحت في
مهب الأماصير ثم قال في انفعال :

« أنت عاوز تسكفر » .

هناك انقسمت وقتل : لا بأس من أن يكثر زكى مباورك بسبب نظريته
عن الثر الجاهلى فقد كثر أستاذ له من قول بسبب نظريته عن الثر الجاهلى
وثلك ظاهرة طبيعية فإن الثر أقدم من الثر كما أن الأستاذ أئدم من التلميذ
والسكفر درجات بعضها مركب وبعضها بسيط .

وكانت بيننا محادثات طويلة حول هذا الموضوع ستشر بعد حين . وإن
كان الدكتور طه غير رابيه قليلاً لأن تلميذه أثر فيه أثرأ غير قليل . وهذا
كلام يشرف الأستاذ أضعاف ما يشرف التلميذ .

ثم رجعت إلى السيو مارسية فقارعتة في باريس مقارعة عفيفة انتهت
بإصراره على حذف الفصول التى كتبها عن نظرية الثر الجاهلى في الرسالة
التي قدمتها إلى السويديون ، وانتهت من جانبى إلى الإصرار على بقاء تلك
الفصول والدفاع عنها أمام هيئة الامتحان وكان لذلك يوم مشهود .

... وجه نظرية إيمان لاسلبية سوييف مؤرخو الآداب العربية منها
موقف التأمل والبحث كما بدأ هم أن يدرسوا أصول الثر القديم وأنا

مطمئن إلى صحة هذه النظرية والتو، بأنها ستجذب إليها كل خصوصها ولو بعد حين .

— يرى خصوم نظرية النثر الجاهل أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا أهل معارف ولا أهل تفكير ، وإنما كانوا يعيشون عيشة فطرية لا تساعد على إنشاء النثر الذي يحتاجه العقل ، وإن أمكن أن يكون لهم شعر وأن يكون لهم خطاب منيرة وأسجاع وأمثال فذلك لا يستلزم أن يكونوا عرّفوا وتخطّطوا به متراسين .

وعن نقض هذا الاعتراض وتعمان أن الإسلام كان ناجا النهضة أدبية وعقلية واجتماعية عند العرب ، وترى أن العرب أعدتهم الأيام لذلك والفصح في تطور طويل لا يقدر بأقل من ثلاثة قرون . وفي تلك اللذة نشأت عند العرب فنون أدبية منها الشعر والمخطّابة وهذا ليسا موضع جدال ومنها النثر وشاهده القرآن الذي نزل بلسان الجاهل ليهديهم إلى الصراط المستقيم .

— أرائيفنا لأنتسنا أن نخرج الدين من هذه المهبّاء . لفظال في حدود البحث العلمي الدقيق الذي يفرض علينا خفض النظر عن الأديان والتقاليد .

محمد لطفي جمعة^(١)

ألا فليعلم الدكتور زكي أن العرب في جاهليتهم كانوا أميين إلى درجة ذلك فسول : فلم ينفقوا عن طريق السكناية شيئا يستحق الذكر ويثبت من الحقيقة بعداً شديداً كل من يقول أن الإسلام كان ناجا نهضة علمية وأدبية وأسلامية وأخلاقية واجتماعية فقد التفتأ بين التاريخ والعلم أن العرب قبل

الإسلام لم يكونوا على شيء من مؤامرات الذنية والنهضة بل كانوا على العكس في حذري من المعصية الحقاء، ولذا مع الاشعية وحب الانتقام والتفريق بين القبائل والاستهزاء بروابط الألفة القومية .

ودر في مبارك على لطفي جعة^(١)

١ - قد جدت الحرب بينكم فجدوا .

همت أن أسوق إلى الأستاذ وأنا محسب جري به قلبه من التمسك والسخرة والاستغناء ولكني بعد لحظات تذكرت أن هذا كاتب سيقي إلى خدمة اللغة العربية بأكثر من عشرين عاما وليس من البر ولا الروعة أن تتالم على رجال كانوا أستاذة يوم كنا طلابا وتذكرت بعد ذلك أن في قراء كراما يراقبون مراقبة شديدة ومحاسن على صفات المفعولات .

٢ - أن كنت رجحا فقد لاثمت أعمارا^(٢) .

أنا لا نسبح لأنفسنا تحويل الخصومات العقابية إلى خصومات شخصية ولكن الأستاذ لطفي جعة عاد فلا مقالته بمباراة يعرف هو كيف صيغت وكيف بنيت على روح الندر وأنا عائد إليه وماض في مقارنته ليعلم أنني أصلب مودعا من أولئك الرجال الذين استلهمهم فصلا في تقدم وجمال وألف على حسابهم الأسفار الطوال (يقصد طه حسين) .

ولقد استمتع الأستاذ أن يباهي بأنه شغل بهذه الموضوعات قبل اليوم وله فيها أبحاث ودراسات فأني سأريه أن الأدب أصعب مرتقى وأعمز مثالا

(١) الفلاح - ٤ سبتمبر ١٩٣١

(٢) المصدر السابق - ١٩ صابور ١٩٣١ .

من أن يمتلك ناصيته من يقرونه في أوقات الفراغ . ولست بهذا أعرض من قيمة الأستاذ فهو رجل قانون ويعرف كأعرف أن الأدب يقتل من يفرغ له قتلا ذريعا ولا يبقى له من الوقت ومن الليل مايقفون به في القانون أو غير القانون . وقد تكون حرفة المحاماة قد علمت الأستاذ كيف ينقل مذاهب مهيمنة إلى الدراسات الأدبية التي يحاول أصحابها أن يصفوها بالصيغة العلمية وتبنيها عن مدارات التعاليم الذين يصورون الباطل بصورة الحق حين يشاؤون .

عبد المتعال الصعيدي^(١)

أن هذا الشك وتلك الشكوبة التي يجاري فيها زكي مبارك الأستاذ طه حسين قد فرغنا من أمرها معه سنة ستين وعقدنا مأهواهم منها بما لا تحسب أن تقطعه إلى إعادة الكلام فيها وأن إعجاز القرآن وأعجاب العرب كان يرجع إلى بلانته وإثباته كما يرجع إلى روح ومعناه .

— هل القرآن الكريم من شواهد النثر الجاهل ؟

إن عند زكي مبارك مقياس قريب من كلام البشر أنفسهم في عصر القرآن الكريم وعنده خطاب الرسول وخطب أصحابها فلماذا لا يأخذ منها شاهدا على النثر القوي وبمقدار الشابة بين كلام البشر في العصرين ويترك كلام الله تعالى .

رد زكي مبارك^(٢)

أما أنا فأمثل مدرسة ثانية ، هي المدرسة التي تحكم العقل في كل شيء .

(١) البلاغ - ١٠ و ١٦ أغسطس ١٩٣٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٨ أغسطس ١٩٣٩ .

وتعرض على الباحث أن يتقدأولا المصادر التي يعتمد عليها وتروحه على أدراك الفرقى بين الأدواق والأحاسيس فى مختلف العصور الأدبية . ولغنه المدرسة الأدبية أشباع عديدون . ولكنى أمتاز من بينهم بميزة ظاهرة هى أنى لا أعرف ماعو الخفقد وما عو الضفن ولا أنهم مطلقا كيف . تنقلب الخصومات العقلية إلى خصومات شخصية .

وفى يتبقى لى سأحول النقد الأدبى فى مصر تحويلا حدبا وخلاصة القول إلى لا اتفق مع الأستاذ على الأساس الذى بنى عليه ماينش . من النظريات والقروض . وأرى أن المدرسة التى يمثلها لا تناسب مع الجيل الجديد والمدرسة الحديثة أشباع عديبون . ولكن أمتاز من بينهم بميزة ظاهرة هى أنى لا أعرف ماعو الخفقد وما الضفن ولا أنهم مطلقا كيف . تحول الخصومات العقلية إلى خصومات شخصية يقال فيها هذا الله وهذا للشيطان .

القصص الخائصة كتاب (أوراق الورد)

بين مصطفى صادق الرافعي وإبراهيم المعري

هكذا أصدر (مصطفى صادق الرافعي) كتاب أوراق الورد، قال إنه لو لم يجد من أدب الحب في الأدب العربي لم يكتب من قبل، وعرفني، بعدة محوكة بين رسائل الحب في الأدب العربي خاص، أنها لم أنه اصعدت لنا جديدة في الأدب العربي بكتابه هذا .
وقد واجه الرافعي مشكلات متعددة بالنسبة لأسلوبه فكون كتاباته وكان هذا الكتاب فرصة جديدة لمشارك حول الأسلوب القديم والأسلوب الجديد في الأدب العربي للناشر .

١ - ألقى جمعه (١)

صاحب أوراق الورد : يريد التقوى، على أن يعتقد أن أوراق الورد تسكك على كتابي رسائل الأحرار والسحاب الأحرار ، وإن لم يسكن بين السكتب الثلاثة رابطة سوى كونها نوعاً من الأدب الذي أراد الرافعي أن يظهر به الأسلوب القديم قادر على مسايرة الأسلوب الجديد وأنه هو السكتب العربي القبح المسمى الذي لم يعرف من حياض الأدب الأوربية قادر على النوص في بلج المعاني والفكر يدرارى ولأى لا تقل ها يظهر به أهل الترفقة الجديدة من المحدثين .

إن كنا لا نزال نذكر أنه بجانب جمال أسلوبها ونقاء ديباجتها التي قد لا تجارى من حيث الفصاحة والبيان إلا أن المعاني كانت مبهمة وبها بعض الضوضاء ، لقد كان الأسلوب في تلك السكتب يشبه ثوباً ولمعاً جميلاً مزدكشاً ولكن لابسهُ مقل صبور ، وهذا هو الأثر الباقي في ذهننا وربما كان الأثر خاطئاً .

(١) لقاء - ١١ أبريل ١٩٣٩ .

غاية الرافض أن يظهر اللغة العربية بغير القادر على احتواء اللساني
وكسوتها بأجل شكل وأجس صورة ، إذ العبرة في نظره وفي نظر كل كبار
الأدباء ليس بفرادة المعنى ، ولكن الدبرة بمبال الشكل

موضوع الجدل بينه وبين خصومه هو أنه يقول أنه لا يوجد في العربية
قديم وجديد ولكن يوجد أساليب واحد فصيح من ذات حالاته ووصل
لقدرة على احتلال غامضه لا يساويه ولا يستطيع التخلي عنه مما أعطى
من المزايا .

قد وجدنا الأستاذ قد قطع شوطا بعيدا في التجديد من حيث لا يدري
ولعله بذلك أن يعجزهم بممارسة كافة أنواع الأدب بين دفتي هذا الكتاب
حق الشعر المفقور الذي ليس موزونا ولا متقن .

٢ - إبراهيم المصري^(١)

الأستاذ مصطفى صادق الرافضى دلوغ بالأدب العربى وطريقة التأليف
العربية تستهويه الجملة التأسكة والمباراة المصقولة واللفظ السليم فيشتغل بالعرض
عن الجوهر ويحب من بلاغة القول أضعاف ما يصيب من بلاغة الحياة .

وهو غنى بالألفاظ غنى بمسند عليه ، لا يتغفل بالقسكرة وتناسبها وحقها
قدر احتقاله بصياغة اللفظ وحالاته وحسن رتيبة

ومن هذه الناحية فهو فنان ، فنان منظم بالشكل الظاهري وتطريك
أهازيج أسلوبه ، ولكننا لا ننفذ إلى قرارة نفسك ولا نستطيع أن تؤثر في
مجرى تفكيرك . على أن الرجل يحاول أن يفكر وقد يصادفك في كتابه

الجديد «أوردان» الذي ورد في خواطر مبتكرة رائدة ولكن إنراطة في حب العبارة وتحتجها بسيرة إلى تضحية الفسكرة في سبيل اللفظ .

والاستاذ مصطفى صادق الرافعي هو دون شك أقرب أديبا، الثقافة العربية المحضة إلى روح العصر الحديث . ففي أسلوبه عذوبة وله نصوص وفيه لمحات من الشعر الوجداني الصادق وتولا عبادة اللفظ للشثومة اسكان شأنه غير هذا الشأن .

ولكن ماحيطة والثقافة التربوية لا تعمل إليه وإطلاعه لا يجاوز حدود الأدب العربي ويدهش الأعمال الأوربية للترجمة .

والواقع أن أسلوب الرجل يشتمل في الصراع الدائم بين النزعة الخيالية والنزعة الواقعية الأولى فيه تتغلب على الثانية وهذا سر ضعفه ولكنه لا يلبث أن يهجر الخيال الأجوف ويتوخى البساطة والمقابلة حتى يستبدل أسلوبه وينضج على القارىء بأروع العواطف وأتقن الأنغام .

٣ — رد مصطفى الرافعي

لنا أقرر أن البيان في اللغة أشق وأظرف من البيان في لغة باريس ولندن وبرلين وغيرها ، وليس هندفا عبادة لفظ ولا ألعوب ألقاظ ولا شيء يسمى استعارة أو مجازا فإن هذه كلمات اصطلاحوا عليها بعد الإسلام عند تدوين المأوم ولم يعرفها العرب ولا تمتد صناعتها رجال البيان .

لما البيان العربي فن دقيق يحقق في اللغة تاموس الجمال وطبيعة الوزن .

قال إبراهيم المصري : إن كتابته لا تسمو إلى طبقة القصيح وهو أمثاله يعميون هذه اللغة بما يجرهم منها كأنها اشتراكية لغوية .

إلى لأدعو كتابها وأدعوا أن يذوقوا التقدير بأراء كتاب أوروبا وأديانها
فهم قوم يسيبون ويضطنون - فإذا قالوا أن الفن في كتابة الحب (أن ترى
فيه قوة هائلة من قوى التفرقة الجائعة المعياء تشترك فيها المادة والروح
والمادة والشهوة) .

إن الفن عندنا في كتابه من إسلامي عرق يقوم على الضمير الطاهر
والنزعة الشريفة وعلى المطلق القوي الدال على اللوعة والشجاعة وضبط النفس
وعلى الإيمان بحق المرأة في الحياة وسوها . وإن كانت ضيقة فلا يتغلبها
الرجل ولا يطلب هزتها ولا يتفجع من ضعفها بل يحسبها من نفسه ولا يكون
مهما كالفرنس يشع من فريسته ويحيا من قتلها .

وقلنا لهم : أن الكتابة عندنا يجب أن يكون لتهديب النفس الناشئة
لا لإستقامتها وضبط النزعة الحيوانية لا لإثارتها .

وقلنا أن السكتب الإسلامي يضع في كتابه من الحب نفسه لا أغراضه
ويحسب بما هو الهى فيه لا بما هو حيواني منه ويسكون كالطبيعة نفسها تظهر
للأعين ما بدا من جمال الجسم وتستر عن الأعين ما في داخله .

أنا أعرف أن الأستاذ المعصرى مأخوذ بأراء ديستوفسكى فهو من أجل
ذلك ومن وجهة نظره نظر تقليد ينتقد الحب في أوراق الورد بأنه : مجرد
فكرة فلسفية أفلاطونية تنطلق في سموات الخيال .

« ولذلك أنت لا تسمع من خلال سطور هدير الحب الإنساني الهى »
نعم يا صاحبي أنت لا تسمع في أوراق الورد قلما مرسلًا بالرفث والفضاضة
والتمهيد ولا تجد فيه مثل قولك أنت في رواية سحرية الديول التي تقول فيها
على لسان بطالها [ألت الرجل الذي تمزق في حماة فسقه كتميس محمود]

كلًا يا هذا لا تيس ولا تخور ، النفس حسداً ونعوه عند صاحبك
ديستوفسكي الذي يريد أن يفارق أبطاله كل محرم وأن يتصرفوا في حياة
النفس كالقيوس المحمودة ليتألفوا من بعد ذلك . ثم يكون الألم آخر الأمور
سوداً وروحانية .

هذه رسائل دنيئة بعيدة عن الفن تتضم عن قدرة النفس الزمنية ويجب
أن لا يكتب فيها كاتب مسلم ولا كاتب شريف .

الفن هندي في الحب أن يبدأ في المرأة ولكنه لا ينتهي فيها .
فالمرأة طريقة لا غاية وهي وسيلة لفهم الجمال وإدراكه فها هو أجل
منها ، أي في الوجود نفسه بكل ما فيه ، كان الظلود الروحي في الإنسان يحاول
بالحب أن يحس معانيه السامية الخالدة .

أما أي أرى أن شيوع الكتابة في الحب المادي الفاسق ليس مدعاة إلا
تحويل نساء الأمة التي يشيع فيها ذلك إلى بذايا ..
وهذا هو رأيي وهذا هو الفن عندي .

٤ - رسائل الحب في اللغة العربية — زكي مبارك

كان الأستاذ محمد علي غريب استكثر على الأستاذ مصطفى الرامي أن
يسكر خلو اللغة العربية من رسائل الحب . وقال قد يكون هذا الرأي صائباً
فلم ينته إليها مؤلف كهذا إلا ما تفرق بين أسفار الأدب من بعض الرسائل
كما جرى بين الحبين .

وقرأت رد الأستاذ الرامي ونقشه هذه اللجنة إذ قال [تأين هذه الرسائل
التي تشقت في أسفار الأدب . إنها كلمة تسكتب في دقة ولكن برهانتها لا يجرى
إلا من عمر طويل يفرق على مكاتب الدنيا في مشارق الأرض ومغاربها .

وأنا أحب أن أقدم لقراء نخارج من رسائل الحب التي هشرت عليها في
كتب الأدب بدون أن أبذل عمرا جديدا في طلبها .

لقد قرأت كتاب أوراق الورد واستجده وفي رأيي أن المؤلف لا اعتراض
عليه في أن يتنازل عن الأولوية في كتابة رسائل الحب فقد كانت للعاس أقلام
وقلوب مغمدة بالسودان .

الفصل السادس

كتاب ثورة الأدب

بين فريد وجدي والدكتور هيكل

هذه الحركة توضح طيب ظنني في الأدب العربي الناصر ، فهي مسابقة خلت من كل عبارات السخرية أو الفرض أو الانتفاع وراء الأمومة ، تالفت بها محمد فريد وجدي كراه الدكتور هيكل في كتابه (ثورة الأدب) مناقشة موضوعية عادلة .

بحث^(١) في ثورة الأدب — من فريد وجدي

قال هيكل : الأدب فن جميل غاية فيبلغ الناس رسالة ما والحياة والوجود من حق وجميل بواسطة الكلام . والأدب هو الذي يؤدي هذه الرسالة .

فريد وجدي : في رأي أبا أن هذا التجديد على افتراض صحته ناقص : وكان حقه أن يقول : أن غاية الأدب تبليغ الناس ما في الحياة والوجود من حق وباطل وجميل وقبيح وخير وشر ، فإن في الحياة والوجود كلى ذلك بدليل أن كثيرا من القطع الأدبية اقراوشرا قديما وحديثا قد بالغت في الباطل والقبيح والشر إلى حد أن أنكرت منه الحق والجميل والتخير مديرة من مذهب اللشائمين من الفلاسفة وهذه القطع من السكثرة بحيث لا يمكن أن تعتبر من القادر الذي لا حكمه .

وهذا الانقصار من الدكتور فضلا عن أنه يغفل تعريف الأدب فإنه يدعجه في دائرة الفلسفة النفاذية فإن غرضها هي أيضا بيان ما في الوجود من حق

(١) الأهرام - ١٨ يولي ١٩٤٣ .

ثم قال : فمن هنا يلزأ، أديبن كبيرين يسكنان في موضوع واحد فيقول أحدهما : أن كل حركة في حياتنا الأدبية اليوم ثورة وأن المحافظين أنفسهم ياترون على ما يؤيدونه . والآخر يقول أن حركة مهما كبرت عندنا وعند غيرنا يصح أن تسمى ثورة « .

ولو سألت أديبا ثالثا ورابعيا وخامسا على أن يكتبوا لوجدوا وجوها أخرى من انقلاب والتلاصق بالألفاظ في تعاليل صحة اسمه وفي التذليل على عدم صحته فناقض هذين الرأيين^(١) .

- ٣ -

مرغبا في ذكره ميكل من أن الأدب في ثورة منذ الثورة العربية . ولك الإحتلال لك ثورة ١٩١٩ .

ثم قال : نحن نعالقنه في وجود ثورة أدبية أولا . ونقرر أن هناك نهضة لغوية لا أكثر ولا أقل .

وقال : إن أركان الثورة غير مستوفاة وقال إن الثورة كما عرفها العلم هي انقلاب يجاء يحدث في الأشياء ، والأراء ، أو الحكومة فندبنا بموجب هذا التعريف أركان ثلاثة : أولها الانقلاب والثاني التجديد والثالث العنف .

ونحن إذا بحثنا فيما نحن بصدده لم نجد واحدا منها فلم يحدث انقلاب في لغة فإن ما كان يكتب به الناس على عهد محمد علي هو ما تكتب به اليوم اللهم إلا تغييرات اقتضتها بعض الكتاب من اللغات الأوربية لا يزال يدق عنها كبار الكتاب ويعدونها بحافية لروح البلاغة العربية وكل ما حدث هو ميل هؤلاء الكتاب الكبار عن طريقة الترسل التي كان قد أقرى بها كتابها القرون

(١) الأهرام - ١٨ يونيو ١٩٢٣ .

الإسلامية الوسطى من الإطالة والتجذيق والتعطيل إلى الطريقة البدوية الصريحة الموجزة التي تهجم بالتأري على الغرض من أقرب الطرق وأوقمها في النفس.

ثم يحدث عن تطور اللغة في عهد عبد الله بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جابر هؤلاء العرب شوطاً بعيداً وعملوا على نشرها بين أحرار الشعب فزادوا في تذكير اللغة الصحيحة ونزع ذلك التحسين كثير في اللهجة العامية.

وبينما اللغة تسير سيراً طبعياً (بطبيئاً) في هذا التدريب إذا برأى إرادة بعضهم وعنده شرطاً أولياً في إنهاض الأمة من الفوضى الأدبية ، وذلك بإشراكها في كل ثمرات القول مؤداه توحيد لغة الكلام والكتابة بالاعتماد على اللغة العامية مستقداً في أبداً هذا الرأي على ما حدث لجميع أعم العالم من اتخاذ لغة الكلام في كل منها لغة الأدب والعلم والدين معاً ، وإعمال اللغات الرئيسية التي اشتقت تلك اللهجات منها فثار على هذا الرأي بعض السكاكين وعاونهم العامة أنفسهم بالتفوق منه ، وكان السائق إلى هذا الإجماع المحافظة على لغة القرآن ومحايتها من التدهور في حال بين الناس وبين كتابهم السماوي المعجز ، وما هي إلا بضعة عشر مقالة حتى قنع صاحب هذا الرأي في كمبر سكنته ولم يجرؤ على استئناف البحث فيه^(١).

ثم شرح الوسائل إلى تقرب الشقة بين لغة الكتابة ولغة الكلام وهي حروف الكتابة وحروف المطبعة على وجه يسكنل عدم النعم ، ووجوب التفات في إصلاحها بواسطة جماعة من كبار أهل البحر ، يستند إليهم بتصكار طريقة صالحة لأن يقرأ بها قراءة صحيحة بدون اللجأ إلى معاجم اللغة فإذا كتبت هذه اللغة بحروف تمثل النطق يسكنماتها .

... ثم قال : هذا إذا ، التاجر الذي فوكت باللغة العربية ومزقها شذر مفر

(١) يشير السكاك إلى مقالات لعل السيد في المريدة عام ١٩١٣ .

وجميل. وهذا الإدماج لو صح في بيئة لا تزال على حالة السذاجت الأولى فلا يصح في بيئة أخذت من الناضجة والمفهوم يحفظ كالبينة التي نمش فيها. وتعد أصبح تحديد منطقة الأدب من الضرورات العقلية لجهة التي ذكرتها.

هذه : الأدب من النضج ومن العلم كالأدب الجليل وكثيره الناضج وكثيره : الشجرة من الشجرة الشجرة الشجرة الناضجة ، فليس تكون حذيفة الأدب حيلة وليس يكشف الأدب للناس عما في الحياة من حق وجب يجب أن يتدنى ما استطاع من ورد الفلسفة وورد العلم .

(فريد وجدي) : وفي رأي أنه لو قال : الأدب من الفقه الصاعدة للمقالة ومن الخيال العالي المذهب كالأدب الجديدة والفكر الناضجة وليس يكون مادة الأدب اشهر للفتاوى وليس يكشف الأدب للناس عما في الحياة من حق وباطل وجميل وقبيح وغيره يجب أن يتدنى ما استطاع من آداب الفلسفة والعلم .

هذا التعريف أقرب إلى تعريف الأدب الناضج ، والأدب الصالح . واجمع لأدواتها من التعريف الأول . فمن اليوم لسنا بحاجة إلى التألفات الكتابية والاطلاعات الخيالية في وضع حدود لمناطق النشاط العقل ولكن بحاجة ماسة إلى تسمية كل شيء باسمه وقرنه بمرزاته ليقلب عند حده .

ثم عرض لما كتبه طه حسين عن الكتاب فقال عنه : « وهل حياة الأدب العربي في هذه الأيام إلا ثورة متصلة . كل انتاجه الأدبي ثورة حتى الذين يسمونه بأنفسهم محافظين ويلحون في المحافظة ، هؤلاء أنفسهم ثائرون بقرون من القديم الذين يحرصون عليه » .

وعرض لما قاله للزبي : « أو من يأن الثورات أكاذيباً أو أذوار يعنى فلا أرى ثورة متصلة ولا متقطعة لا في الأدب ولا في سواه . وإنما أرى خطوات بطيئة بطيئة » .

لا يزال يفت في عضدها إلى اليوم ويقطع عاجها سبيل الاتصال بالذم.

قال ميكائيل : وقد أحدثت معركة القديس والحديث هذه منذ سبعين طويلاً ونقل الفارسيون إليها في مبادئ مختلفة ، كانت هذه التباين قبل الحرب العالمية) تتناول أساليب الكتابة السكتانية وتتناول الانقاص الطيبة وطير السكتانية إلى يومئذ كانت التباين لأصناف كثيرة الألب القديم وكان السجع والأغراب في اختيار الانقاص بين ما يمتاز به كتاب العصر .

(فريد وجدي) : ونحن نرى أن إيراد تاريخ الأدب على هذه الصورة يتطمس معالمه . لم نستخدم معركة ما بين قديم وحديث في أساليب السكتانية ولا في نقل الانقاص الطيبة غير المتطوعة إلى العربية . ولا كان السجع والأغراب في الانقاص يميزين للإبلاغ العربية ما قبل الحرب العالمية . . .

والذي يعرفه كل مطلع على تاريخ هذه الفترة أن السكتاب كانوا أحراراً في تغيير أساليبهم . لم يجهز على كاتب أسلوباً يتميز به إلا ما كان من استحياس الناس أو استهجانهم له شأن أسلوب كتابنا إلى اليوم ، نعم أعتبر السجع وجهاً من وجوه المحسنات اللغوية ولم يقل أحد أنه الأسلوب المميز للإبلاغ العربية .

وكيف يقال أن تثبت أنصار القديم بالسجع والأغراب . وقد قال أنتمهم الأولون بأن السجعة لا بأس بها أن جاءت عقولهم يكن بها تسكف . وقد وعدوا الأغراب في الانقاص من الميوس التي تحط من قدر البلاغة ، أما الانقاص الطيبة فلم تثبت بسببها أدباً معركة ، وكل ما حدث حولها شكوى السكتانيين والترجيح من حيرتهم حيالها والتماسهم من كبار العارفين بالعربية العمل على تعريبها تمريباً لا يوافق أصول اللغة الصحيحة .

نعم ، رأى بعضهم أن تسكتب تلك المصطلحات على ما هي عليه ، ورأى

اخرى نعرية . ولكن لم يمتد هذا اطلاق مطلق الخوار إلى النزال والنصال
فكان الأول ن يقولون أنهم يمتدون بذلك الألفاظ أسنة واثقا بأنهم لم
يخرجوا أن يلقوا على كل علم أو أداة أو عتار أسم مستكشفية ، وكانت
حجة الاخرين أن العربية تسع جميع المصطلحات فيمكن أن يطلق عليها ألفاظ
عربية لم يصادف رأى أحد القريتين إجماعا وظل كبار الكتّاب يكتبون
ما يملو لهم غير متقدين بمذهب ، أما صور الأدب وما يصح أن يكون عليه
فلم يترك عليها قلان . ولم يقل أحد بوجود قصر تلك الصور على حال
لا يجوز تعديلها .

وتحيز الأسلوب يرجع إلى ثقافة الكتّاب العلمية وقدرته الفوقية فكل
ما شهدناه في هذا الباب أن شبانا من لم يتسع لهم الوقت لدراسة العربية
يريدون في نفس الوقت أن يكونوا كتّابا ونقداء أدب أكثر من الكتّابة
في وجوب التحلل من قيود العربية وفي الإشارة بسمو الأساليب العربية وجمالها
من اللفظ حول هذه المسألة مادة ليروها نازتهم بأنهم في ملقة أهل التجديد .
والواقع أنهم قاصرون في الهبات التي يدعون إلى تمدي أساليبها قصورهم في
العربية نفسها ولكن لأجل أن يفتخروا في الرعي الأول من المحدثين كان
لا بد لهم من كلام يلوكونه بالسنتهم ويعرفونه بالقلامهم كلما لاح لهم
السلام أو الكتابة فإذا طلبت إليهم أن يستنوا بالسنة التي يدهون إليها
أنوا بكل صبح مزدول من العبارات التي لا تمت إلى أحد الأسلوبين بصل .

أن اللغة العربية لم تبلغ إلى اليوم على أنلام كتّابها السمو الذي كان
الله في عهدها المذهب عند اسلافنا . وفي رأينا أنها كانت قد وصلت إلى
مفردة من الصقل والتهامة تستطيع معها أن تثقف جنبا إلى جنب مع أية لغة
من لغات التربين اليوم .

نعم ! أن الكبار كتابنا ليقصرون عن أن يهاقوا شأو فنون العربية في عصرنا القديم لا من ناحية تحرير الالفاظ والابداع في صوغها حسب ولكن في أسلوب الاداء. ودقة التركيب أيضاً.

الدكتور حيكل : إن شباننا الذين وفدوا إلى أوروبا كانوا قد غنوا بالأدب الكبير فيها فلما عادوا كان هذا الأدب الكبير قد حالت دولته وحل محله نوع من الأدب يصح أن يوصف بالصغير .

(فريد وجدي) : أن ما يسميه الدكتور بالأدب الكبير في أوروبا في العهد الذي كان شيابنا يدرسون الأدب فيها كان يعتبر في نظر أئمة الأدب في القرن السابق أدبا صغيراً قصد به الكتاب أرضاء شهوات النفوس وأمتاعها بذكر اللذات الجسدية . وكان علماء الاجتهاد يعدونه خروجاً بالأدب عن صراطه إلى ما لا يتفق ومصلحة الاجتهاد وشبابنا لما بازموا سميت الأدب الأوروبي الذي يصفه حيكل بالكبير والكثيرم يرون على سنة ما يذهبون بالأدب الصغير الذي يخدم شهوات النفوس ويثير فيها ما كن رهوناتها اليهيمة فشكل ما يكتبه فصاحتها وما تمثل مسارحها اليوم صورة صحيحة من هذا الأدب الصغير بل هو ترجمة جوفية له يصح أن توصف بشكل ما وصف به الدكتور هذا الأدب المنحط وكيف يتأتى أن يكون الأمر على غير ما يقول وقد تشبهنا بروح الفلسفة المادية وتدهورها في أخلاقنا وعاداتنا إلى حيث لم يصل إليه الأوروبيون بعد ، أن استطعنا نقد بصر أن يبين لي وجهاً من وجوه الغلظة والتهتك وضرباً من ضروب الاستغناء بالأدب والاختلاف عما يهادف في أوروبا لم تأخذ به ولم تسيق إليه فيه . . .

(يمكن من الحضارة) : إن الكثرة من الأدباء رأوا أن تكون تلك الحضارة حضارتنا الخاصة .

(فرد وجدي) . وهذا في نظرنا رأى غريب بل هو من المستحيلات العقلية فإن أدب أمة لا يمكن أن يكون إلا مظهرًا لحضارتها المرافقة إلى من عليها ، لا حضارة ماضية إلا لأن عبثا محضا .

كيف يمكن أن يكون مظهر الأدب حضارة قديمة قد لا يعرف القراء عنها أكثر مما قرأوه في الكتب المدرسية وكل من طالع ما كتبه كتابنا وما يكتبون لا يجد فيه غير مظاهر حضارتنا الحالية .

والأدب لا يكون إلا مظهر حضارة الأمة في الوقت الذي يكتب فيه . لأن الأدب معنى على وصف الزمان وما يمكن أن يقع .

فلذا قيل أن الأدب الأوربي قد حمل غير اللاتين اليونانية والرومانية أجيالا فلا يعني أن القطع الأدبية في أوربا كانت توضع في قالب حضارة يونانية أو رومانية ولكن معنى أنها حملت تقاليدها المادية والفلسفية والشرعية والنقوية .

وهذا الغير محكوم بهتائه على عائق أوربا ما قامت علومها وفلسفتها وشرائعها مستمدة من هاتين الأمتين .

ومن على هذا التباس محكوم علينا بحمل غير التقاليد النقوية والعلمية والفلسفية والقشرية لأسلافنا من طريق الخلق لا التمييز .

يقول الدكتور : ورأى لأفندي الأندلس الحضارة الأوربية في كل مظهرها كما فصل الأتراك .

ثم هنا على ذلك يقول : أن كلينا في هذه الجبل كقرصين رمان فإنا (الممارك الأدبية)

مدفوعون للأخذ بمحضارة الغرب في كل شيء — في لباسنا وأكلنا وعاداتنا وثقافتنا العقلية لا يفتار عنا الترك إلا في شيء واحد ، هو أنهم أشد تحوطا من القاء في جثمان الأمم الغربية معا لأنهم يأخذون بمظاهر مدينتهم مع الاحتفاظ بقوميتهم.

ولسكننا لا نحفظ بعميزات قوميتنا . وقد تركنا لعوامل التحلل تنشأها من كل جانب فكثير منا يتكلمون في بيوتهم واللغات الأجنبية والتكلم بغير اللغة التركية محظور في تركيا فمن لا نسكتي بالأخذ بمظاهر المدنية الأوروبية بحسب . ولسكننا نهدر قوميتنا في سبيلها والترك مع أخذهم بمظاهر هذه المدنية يقتسمون حوافظ قومياتها أيضا .

فإن كان عندنا أدب فليجمل همه التنبيه على هذه النقائص القومية فإن لدينا أثرى الثروات الفطرية وأرقها مطلقا وأدقها معاني فلا يحل لنا أن نغماها نهيا للمجبة تدهينا من جهم نواحيها . وأننا للأسف أن كتابنا قد وقفوا أدهم على الهوى .

تحدث من رأى الدكتور حرك من مهمة الأدب في « تجلية جانب الإيمان في النفس » . كيف يرجى من أديب كل همه معروف إلى تعاليل عاطفة الهوى ودرس تيارات الجوى أن يتناول بالبحث أعلى عواطف النفس وهي عاطفة المدين بمثل أسلوبه الذي مرن عليه واستولى على شعوره ، وهي تستدعي أسلوبا يحاكي ذلك الأسلوب . ولا يت إليه بصلة من درس النفس في حالة عزوفها من الشهوات الجسدانية .

أمن الحق أن يكلف الكاتب التبريز في تصوير التفاتين فيراد منذ

أن يبدله في الجمال الصوري ثم أن يعود فيضرب بهذا كله عرض الحائط
ويدرس عاطفة تحقره كل الاحتذار .

واحدنا قدس ما جره تدخل الأدباء فيها ليس من اختصاصهم في العشر
الستين الأخيرة في البياض الدينية فقد تناولوها على طريقة الماديين وأثاروا فيها
شكوكا لا محل لها في كانوا هنوا بدراستها دراسة علمية فتمكن من أثر ذلك
أن هاجوا الناس عليهم عيلا مشروعا فخرجوا من هذه المصمة على غير ما كفا
نرجوه لهم .

ولا ندري كيف ساء لككتور هيكل أن يقع في هذا الخطأ بعد ما رأى
من هذه التجربة المؤلمة ، وهو بكتابه يرمى إلى تأييد الدين لا إلى إنساده
عقائد الناس فيه وأثاره الشبهات عليه ولا إلى قطع صلة الماضي بالماضي معه .
ومن الأمثلة القريبة على ذلك أن إماما من أئمة الأدب في بلادنا انتدب
لألقاء خمس محاضرات في الجامعة الأمريكية عن الأدب في العصر الأموي
فتمكن مما قاله : أن الخليفة الوليد بن يزيد إنما قتل لأنه كان يود أن يمشي
على ما تقتضيه الحضارة فتمكن سكان جزأه أن لقي حقه .

فأراد التاريخ على هذه الوجه جنابة على التاريخ وعلى الحقائق الاجتماعية
ويشين الذين قدس إليهم الخليفة . فالذين لم يدرسوا تاريخ بني أمية
دراسة علمية ولم يقوموا على سيرة هذا الخليفة بصدقون هذا الحديث ويستفكرون
ما حدث له .

والحقيقة أن الوليد هذا كان متجردا ظهر والبطالة ، شغوبا بالقسوق
والإباحة مستغنا بالدين مجاهرا بالسكفر . فمثل هذه الصورة الموجبة من
إهمال الرعية والانتطاع للهو يعتبر من مقتضيات الحضارة .

الفصل السابع (كُتِبَ) مع المتنبي

بين محمود محمد شاكر وعطه حسين

هذه مسابقة من نوع آخر ؛ عرض فيها محمود محمد شاكر آراء الدكتور عطه حسين التي أوردتها في كتابه (مع المتنبي) .
وعنه للمركبة نموذجاً من مدارك كثيرة : من نوعها جرت (بين الباب والقبو) من ناحية وبين (مفرس الحافلة والتجديد) من الناحية الأخرى وبين (ليليات الترجمة) ودراسة (تاريخ الأعلام) : (إهداءها) التي أنزلت المصنف على أساس الفارة الفلكية واختارها الفرس والبرهان على أنها . والثانيا : التي نظرت في نمرة على أن عتف المواليد التي أثرت في تكوين الشخصية من غير تحيز أو خصوصية .

الفتني : بين عطه ومحمود شاكر^(١)

وصف شاكر كتاب عطه حسين [مع الفتني] بأنه [جيد النطق جميل الرواق . ثم حتى عالم عذب لائق في أمهته أن يكون له بمدادها وهـ يحملون عنه العلم من جيل إلى جيل] .

ثم قال أنه — أي شاكر — عاش مع الفتني زمناً وكتب عنه كتاباً متواضعا في ١٧٠ صفحة نشره المصنف (يناير ١٩٣٦) فن حق لفتني [على أن أقرأ ما كتب عنه الدكتور عطه وغير الدكتور عطه . كما أنه من حق نفسي على أن أضف التاريخ في موضعه الذي أرخته به عدة تلك .

فإن التاريخ لا يصلح معه الأدب الذي أدبنا به الله تعالى في قوله [يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ففسح الله لكم]
فولف أنا لنفسه الدكتور الجليل في مجالسنا حتى يبلغ العاية التي هو لها أهل

(١) تاريخ ١٣ فبراير ١٩٣٧ .

دعلى ودنا أن نفتح له فى التاريخ أيضاً .. لولا أن التاريخ « محتج بشدة » .
وكان أم ماركز عليه شاكر هو « ولد المتنبي » فقد سجل طه حسين فى
كتابه أن « ولد المتنبي كان شاذاً وأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى
« برته كلها » .

قال شاكر :

• إن الدكتور طه وجل عبرى ليس فى ذلك شك عندى فهو من
قبل شك فى نسب أبى الطيب قد استطاع يتويق الله أن يثلب على خصومه
والفاوتين له واستطاع أن يقوم كالجبل لا يعمل فيه السيف حمل السيف .
ويعمل هو فى السيف حمل الجبل فى ثقله وتكسره ورجع السيف عوده
على يده حديد لا يقطع ولا يقطع .

ولكن حل يستطيع الدكتور الجليل أو كتابه الأجل أن يبين لماذا
شك فى نسب أبى الطيب . وما هى الأسباب التى دفعت إلى هذا الشك . أما
الدكتور الجليل فأكبر الظن فيه أنه يترفع — على عادته — عن الإجابة فهو
رجل عبرى والعبرى لا يقل له لماذا ، فإذا قيل لماذا ، زوى وجهه وانصرف
وترك سائله لصخرة الأمتى التى ذكرها لاميته الشهيرة ، أما كتابه الأجل
فهو ألدع لسائله وأسرع إلى جوابه .

أن الدكتور يزعم « أنك إذا قرأت ديوان أبى الطيب مستأنفاً متعملاً
لأنه فيه ذكر لا يبيد وإنك تبده لم يبدى ولم يغير به ولم يرته ولم يظهر
الحزن عليه حين مات ، وهذا كاف فى تشكيك العلماء فى نسب أبى العلاء . . .
وهو كاف فى اليقين بأن المتنبي لم يعرف أباه ، هذه هى الأسباب التى وقفت
الدكتور طه .. إلى الشك فى نسب المتنبي فمن حق المتنبي علينا أن ننظر

فيها ، أهي عما يحمل على الشك في نسب رجل لم يشك في نفسه الذي رواه المؤرخون أحد . من يوم أن روى ذلك النسب إلى اليوم .

إلا فليحدثنا الدكتور طه : أيسكون لزاما على كل شاعر أن يمدح أبيه وأن يقهر به وأن يرفيه وأن يظهر الحزن عليه حين يموت ، فإن لم يفعل الشاعر ذلك فهو شاعر لا يعرف أبيه ! أتى أحد من الشعراء من نهر أبيه وقد كان ذلك في شعر كثير . . وأجد أنهم كثيرا لا يمدحون كثيرا لم يقهر بأبيه ولا ذكره في شعره ، أنشكروا هؤلاء . لم يسكن يعرف أباه . ولا ثبت نسبة لضعفه وخسسته .

ليحدثنا الدكتور البعلبعل عن هؤلاء الشعراء الذين أظهروا الحزن على أبياتهم حين ماتوا ، وليرجع الدكتور إلى ماشاء من كتب الشعر وكتب الأدب فيجمع لنا أسماء الشعراء الذين رثوا أبياتهم وحزنوا عليهم وأثبتت أن هؤلاء كانوا من الأشراف ذوي الأنساب وأن سائر الشعراء الذين لم يفعلوا مثل الذين فعلوا من السوق الطلوعين البطلان الذين لا يعرفون أباهم ولا يشعرون أنسابهم .

أن الدكتور طه رجل ذكي صاحب حيلة نقاذ . فربما رأى الرأي فأراد له بعضه رأيا فيختلف له الأسباب فيرى الأسباب لا تنفي في الرأي وأن الاعتراض يأكلها شيئا شيئا فيحتمل يحمل الاعتراض في سياق قوله ، ويأتي به على وجهه ليحمله ثم يراى به وهذا الذي نقوله ليس برغم من عدد أنفسنا بل هو مآثرى .

ورأى الدكتور طه أن يغفل الشاعر ذكر أبيه لا يدل على شيء . البتة وأن الشعراء الذين لم يقهروا بأبياتهم ليسوا أقل نسبيا ولا أحط مغرسا من الذين قهروا ونفروا بأبياتهم ، وأن التاريخ يحدثنا أن أبا جرير الشاعر لم

يكن شيئاً وأن جرير أضاف إليه من إندلال الضمالم والأخلاق ما لم يكن منه بسبب حق خلب به الشعراء وقهر الفحول ثم لم يمه ذلك من أن يظهر للناس كما هو ليثبت لهم أن شعراء كان أكبر من غروره .

لقد عرف الدكتور . . أن القنبي هو الشاعر الذي رى شعواء عصره فأصحاب قنابهم فذهب بأرزاقهم عند الأمراء ، كان يستطيع أن يفعل ما فعل جرير وأن يقهر بأبيه السقا على أبي فراس الحمداني وغيره من أشراف الشعراء في عصره ، وعرف أن كثيراً من الشعراء غير جرير قد غفروا بأبائهم على من كان أكرم أباً وأماً ، فإذا يفعل الدكتور بعد ذلك . أنها مشكلة تد مشاكلي ، إذن فما الذي يضيره أن يقول : أما القنبي فلم يستطع شعراء أن يطلب غروره ولم يستطع أن يضيف إلى أبيه ما ليس فيه .

حقاً أن الدكتور طه حسين رجل صاحب حيلة لا تفرغ ، وحقاً أن له فناً غلب به أهل القرون وسناً أنه تمقري ، هذا الدكتور الذي يقول أن شعراء جرير قد أمانته على أنه يخاف خلقاً جديداً . فإذا كان القنبي لا يعرف أباه كما يزعم فإن ذلك لا بأس به لأنه إذا أراد أن يصوره نحن نرجع إلى حقيقة لا يتزع منه الصورة كما أن جرير لم يرجع إليها وإنما المرجع هنا إلى شيطان الشعر فهو وحده الذي لا يخاف أباه خلقاً جديداً . . وجهد للقنبي في هذا أقل من جهد جرير .

فشيطان أبي الطيب كان أتين ضديف الفقه قليل الطير يكذب صاحبه في طلب الخيال التوى الألباء . وكان شيطان جرير ذكراً فحلاً فدا . امتلاً قوة لا يطلب خيالا إلا أدركه وظن به وغالب به الشعراء .

أى أشفق على الدكتور طه حسين من يدوات عبقريته (نهى تصور له

الأشياء، كما تريد، هي لا كما يجب أن يكون منتورم فيحتال فتكون
حياته كالسكينة البقاء لا تجد من يسترها .

لقد معنى كل زمن وأنا أجد الله في تتبع كتب النكاحه تسكن أعجب
ما يعجبني منها المحالات ، وهو الكلام الذي يأتي به الرجل تحديه مستقيما
وهو محال لا يكون ولا يهتم على وجه من الوجوه .

وأشيد الله أن من الدكتوراه في شرح هذا الشعر أعجب إلى الآن من
ذلك . كيف لا وهو عميد الأدب العربي بالجامعة المصرية وهو بعد ذلك
أمام الأدياء المجدون في هذا العصر . أي امرئ في القراء فهم شرح الدكتور
الذي تليها له عددا ثلاث نسخ من كتابها عن القنبي . .

أي شيء هذا الذي يقوله الدكتور و أنه ينسب نفسه إلى معجزيه بعضه
يحتاج من كله . أنا أنولي تقديم الدكتور معنى هذا الشعر فالمفني يقول : أنا
أين من ولده يفوق أيها الباحث ومعنى بذلك نفسه . هذا كل ما أراد القنبي
أن يقول والذي أوم الدكتور فأوقعه فمرغ كلامه في هذا (المعجزيه الذي
له بعض يحتاج عن كله) أهو قول أي الطيب (بعضه) في البيت . .

أن الدكتوراه عليه حسين (عميد الأدب العربي بالجامعة المصرية) رجل
قد أثبت التجارب والأدب ثم مؤلفاته أنه لا يعثر له بالشعر ولا بمعانيه .

الفصل الثامن

معركة مستقبل الثقافة

بين طه حسين وساطع المرصى وزي مبارك و م . محمد حسين

أثار كتاب (مستقبل الثقافة في مصر) الذي أصدره الدكتور طه حسين عام ١٩٣٨ خطة كبرى وسلوباً متعدد : فقد صدر هذا الكتاب باب أوقع بمادة ١٩٣٦ حيث أن الاستعمار يركز جهوده في حركة « التفریب » وخاصة الذو الثقافي الفرنسي الذي أراد أن يحوّل مائتة من الأرض باتجاه اللبازات الأجنبية وسيطرتها على الإرساليات التعليمية . ويحاول أن يفرس على دافع التربية والتعليم أمعاء من شأنها القضاء على كل عالم لغوية الإسلامية وذلك بالقضاء على (١) اللغة العربية في الأزهر (٢) الجامعات مصر العربية . (٣) مؤسسات السكبان العربي . (٤) أكر الدين والإسلام بالذات في ثقافتنا وتفاكيرها . فقد وقتت فرنسا خطة أوقع إنفاذها من سنة ١٩٣٧ لإلغاء اللبازات عالم تتأكد من أن حطتها في التفریب في مصر ساطع مرصى وفي هذه اللبازات المأصلة أهدى طه حسين وعاشاً تبعاً من جامعة قون التي تنم منها وعاد هو بمبى منه أصول هذا الكتاب . وبعد أن كانت هذه الحركة تدار من طريق آراء اللبازين أثنال جب وماسة ون والفرن وليمي أثنال والكوني ووزير وليمي ، أصبح هناك من الكتاب العرب من يحمل لواء « نه الأسكر ودمر إليها كبحولة ثابت دعائم البجولة وحقى دالامج مصطمة لها يسمى بالسكر المصري للنزل من الفسارى العربي . وقد رد ساطع المرصى رداً عليها على آراء طه حسين وقد ما فيها من اضطراب وشذاً وانحراب . وقال الدكتور م . محمد حسين أن معظم هذه الكراء متفولة من دعاة التفریب القرن يصفون وفي خطة شاملة إلى تفریب السكر العربي وكبرياء والقضاء على لغوياته وماله وأن طه حسين حاول أن يثبت أن مصر ليست جزءاً من الأمة العربية .

وهذا مجمل آراء طه حسين :

آراء طه حسين

إن سبيل النهضة راضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا انواء ، وهي أن تسير سيرة الأوربيين وتساك طريقتهم لتفكون لهم أنفاداً وتفكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها وحقها ومرها وما يجب منها وما يسكره

وما يعمد منها وما يباب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع
(نظرية الانصهار في حضارة النوب) .

٣ — العقل المصري منذ عصوره الأولى عتال إن تأثر بشئ . فإنما يتأثر
بالبحر الأبيض المتوسط . وأن تيسادل الدافع على اختلافها فإنما يتبادلا في
شعوب البحر الأبيض المتوسط .

٤ — إذا فالعقل المصري القديم ليس عقلا شرقيا ، وقد نشأ هذا العقل
المصري في مصر متأثرا بالظروف الطبيعية والإنسانية التي أحاطت بمصر
وعملت على تشكيلها . فإذا لم يكن أن تلتصق أسرة العقل المصري بقرم فيها
فهي أسرة الشعوب التي عاشت حول (نظرية البحر المتوسط) بحر الروم .

٥ — التاريخ يحدثنا بأن رضاعا « أي مصر » من السلطان العري بعد
الفتح لم يبرأ من السخط ولم يخلص من القنومة والثورة ، وبأنما لم تنهأ ولم
تطحن إلا حين أذننت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل ابن طولون فلما كان
فتح الاسكندرية لبلاد الشرقية واستقرار خلفائه في هذه البلاد اشتد اتصال
الشرقي بحضارة اليونان واشتد اتصال مصر بهذه الحضارة بنوع خاص .
وأصبحت مصر دولة يونانية « محاولة هدم صلة مصر بالأمة اليونانية » .

٥ — لقد التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبا في الحكم ، ونسير
سيرتها في الإدارة ونسلك طريقها في التشريع ، التزمنا هذا كله أمام أوروبا .
وحل كان امضا ، معاداة الاستقلال ومعاداة القاد . الامتيازات إلا التزمنا
صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوروبيين في الحكم
والإدارة والتشريع ، فلو همنا الآن أن نمود أدواجنا وأن نسي القلم العتيقة
لما وجدنا إلى ذلك سبيلا ولوجدنا أمامنا عقبات لا يحجز ولا تذلل .

٦ — شئ، آخر لا بد من التفكير فيه والطالب له . وهو أن التفكير الأزهرى القديم قد يعمل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر أساعة الوطنية القومية بمعناها الأوربي الحديث . أن التفكير الأزهرى القديم قد يعمل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر أساعة الوطنية والقومية بمعناها الأوربي الحديث .

(نظرية القومية الشريعة والجهل)

٧ — إن وحدة الدين ووحدة الأمة لا تصلحان أساساً للقومية السياسية ولا قواماً لتكوين الدول . إن السلفين قد أقاموا سياستهم على المنافع المادية وحدلوا عن أخلاقياتها على الوحدة الدينية والشريعة والجهل أيضاً ، وقد نطخوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة وهي أن السياسة شئ والدين شئ آخر .

٨ — يجب أن يصح أن الإسلام لم يغير العقل العصري أو لم يغير عقل الشعوب التي اعتنقته والتي كانت فيه متأثرة بهذا البحر الأبيض المتوسط . بل يجب أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقول مسلمين : أن انتشار الإسلام في الشرق البعيد ، وفي الشرق الأقصى قد مد سلطان العقل اليوناني وبسطه على بلاد لم يكن قد زارها إلا لاما .

(نظرية مهام الإسلام)

٩ — من الجهل وأخطأ الخطأ أن هذه الحضارة المادية قد صدرت عن المادية الخالصة أنها نتيجة العقل ، أنها نتيجة الخيال . أنها نتيجة الروح . أنها نتيجة الغضب الناتج . نتيجة الروح الخي الذي يتصل بالعقل فيعده . ويتبعه ويدفعه إلى التفكير ثم إلى الإنتاج .

١٠ — إن حديث « الشرق الروحي » هذا حديث لا غناء فيه ، وهو

مضحك إذا نظرنا إليه نظرة عامة ، ولكن هذا الحديث خطير لأنه يلقى في روح الشباب بعض المفارقة الأوربية التي يعرفونها فتشيطهمهم وتضعف عزائمهم .

(تهجد المفارقة الأوربية والتخربة بالثقافات الأوربية)

١ — سامطع المصري^(١)

إن المسألة التي يفتتح بها الدكتور علم أبحاث كتابه تلتخص في السؤال الآتي .

هل يوجد فرق جوهري بين العقل المصري والعقل الأوربي .

أما الحكم الذي يدل عليه فهو : « فشكل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربي يعاقل عن هذا العقل الشرقى الذي يعيش في مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب » (ص ٢٨) فهما تبحث ومهما تستقصى قلن نجد ما يحلها على أن تقول أن بين العقل المصري والعقل الأوربي ترفقا جوهريا (ص ٢٩) .

وإلى أشارك الدكتور علم في هذا الحكم الصريح مشاركة تامة .

وعسا يجدر بالملاحظة أن معادلة المؤلف في تشبيه المصريين بالأوربيين وإنكار وجود الفروق بينهما — لا تنحصر في هذه القضية وحدها بل تمتداعا إلى أمور أعرب منها : إذا أننا نراه يدعى عدم وجود فروق بينها من حيث الطبع والمزاج أيضا .

فهو عندما يصرح بأنه (لا يختلف على المصريين أن يغتوا في الأوربيين)

(١) الرسالة : ٢٤ يولية ١٩٣٩ .

يبرهن على ذلك بقوله « ليس بيننا وبين الأوربيين فرق في الجوهر ولا في الطبع ولا في الزواج » ص ٦٣ .

« ليس بين المصريين والأوربيين فرق لا في الطبع ولا في الزواج » لا أدري كيف يستطيع أحد أن يدعى ذلك بصورة جدية ! فإن الفروق بين الطبع والزواج من الأمور التي تشاهد على الدوام في الأمم الأوربية نفسها وهي تبدو لعيان بين الإنجليز والفرنسي والألماني والإيطالي .

حتى بين الشمالي والجنوبي من الفرنسيين ، والشرقي والغربي من الألمان وبين البرقي والمدني والثقافت والعامي .

فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوربيين ومزاجهم بوجه من الوجوه .

إنني أميل إلى الحكم بأن الدكتور طه لم يكتب هذه العبارة أيضاً عن تأمل واقتناع ، بل كتبها بدافع الاستعجال وتحت تأثير تولد السكالات . إنني لا أكون من الغالين إذا قلت إن « نزعة القصر في الحكم والإسراف في الكلام » من النزعات المسئولة على معظم مباحث كعقاب (مستقبل الثقافة في مصر) .

وهذه النزعة هي التي ورطت المؤلف في مآزق غريبة ، وأوقفته مواقف لا تحلو من التعاقص في بعض الأحيان .

الثلاثة والأزهر

٣ — يذكر الدكتور طه الأزهر في كتابه هذا ، أولاً عندما يبحث عن اتصال مصر بالخطابة الأوربية فهو وسع كثيراً في وصف هذا الاتصال . لأنه يديره دليلاً على عدم وجود فرق جوهرى بين العقلية المصرية والعقلية

الأوربية، وعن ما يطرق المؤلف إلى حالة الأزهر خلال هذا البحث بموضع لنا كمهد مسرف في التجديد .. [كل شيء يبدل، بل كل شيء يصبح بأن الأزهر مسرف في الإسراع نحو الحديث] غير أننا نراه في محل آخر من الكتاب يتراجع قليلاً عن تعبير (الإسراف) الذي استخدمه في هذا المقام، كما أننا نراه في محل آخر. ينال كل ذلك فيقول: «إن الأزهر بحكم تاريخه وتقاليدته بيئة محافظة تعقل المهد القديم»، ثم يقول أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يعمل من المعبر على الجليل الأزهرى الحاضر أسافة الوطنية والقومية بمناهاها الأوربي الجديد .. ثم لا يخرج المؤلف من إبداء رأى يناقض رأيه الأول مناقضة صريحة (يقضى أن يبدل الأزهر عدولاً تاماً لها دأب عليه من الانحياز على نفسه والمسكراف عليها والانقطاع من الحياة العامة».

أريد أن ألفت الأنظار إلى الاختلافات الموجودة بين هذه الآراء التي صدرت من قلم واحد في موضوع واحد في كتاب واحد.

مصر بين الشرق والغرب

٣ — لا يكتفى المؤلف بالبرهنة على عدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربي، بل يحاول أن يبرهن على أن مصر ليست جزءاً من الشرق ويسير بين سلسلة آراء وملاحظات يكتنفها الغموض والتضارب من كل الجهات، ويؤمن الأوربيين الذين يقولون أن مصر جزء من الشرق، وأن للعربيين فريق من الشرقيين ثم يقول [أن من سخف الذى ليس بمده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق] غير أنه لا يلبث أن يتألمى قوله هذا ويدخل العربيين في عداد الشرقيين في عشرات من المواضع في الكتاب.

ع - - وعقد ما يسأل المؤلف : أمصر من الشرق أم من الغرب ، بوضع قصده من هذا السؤال بقوله :

لأننا لا أريد بالطبع للشرق المجزأ والقرب المجزأ ، إنما أريد الشرق الثقافي والغرب الثقافي : فقد يظهر أن الأرض نوعين من الثقافة مختلفتين أشد الاختلاف : ويتصل بينهما صراع بغض : ولا يلقى كل منهما صاحبه إلا محاربا أو متحيا للحرب : أحد هذين النوعين الذي تجده في أوروبا معذ المصور القديمة ، والأخر هذا الذي تجده في أقصى الشرق معذ المصور القديمة أيضا .

• - - يصعب على جداً أن أوافق المؤلف في قوله [لا أدري ما هي الثقافة التي كانت موجودة في أوروبا منذ القرون القديمة ، ولا ما هو الصراع البغيض الذي اتصل بين هذه الثقافة وثقافة الشرق الأقصى الخالقة لها ! ومتى وكيف حدث هذا الصراع .

وكل ما أعرفه في هذا المنيار يعطى على القول بخلاف ذلك تماما ، كل ما أعرفه في هذا المنيار يعطى على القول بأن الصراع الذي حدث بين الثقافات والحضارات التي نشأت وترعرعت حول بحر الروم نفسه ، كانت أشد وأعنف وأطول من المصاعم الذي حدث بين هذه الثقافات ، والفتنات الهندية والصين بدرجات كبيرة .

ما شأن هذه القضية بترقية مصر أو غربيتها ، وهل من علاقة منطقية بين هذه القضية وبين حالة وجود أو عدم وجود فروق جوهرية بين العقل المصري والعقل الأوروبي :

وحدة الدين ووحدة اللغة

٦ - يشير المؤلف [تأثير وحدة الدين ووحدة اللغة في تكوين الدول] فيقول : من المضحك أن تطور الحياة الإنسانية قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصاحبان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدول .

فقد تفتت أوروبا من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمانية ، لا على الوحدة المسيحية لا على تقارب اللغات والأجناس .

٧ - يسوي المؤلف في كتاباته هذه - بين وحدة الدين ووحدة اللغة في وجهة التأثير السياسى ويدعى أن تأثيرهما في السياسة كان من خصائص القرون الوسطى ، أنه يعتقد أن كل ذلك مخالف لحقائق التاريخ وقوانين الاجتماع مخالفة صارخة ، فإن مهمل وحدة اللغة في الحياة الاجتماعية والحوادث التاريخية ، يختلف عن مهمل وحدة الدين اختلافاً كلياً .

أن وحدة اللغة لم تسبغ من القوى الفعالة في تكوين الدول وتوجيه السياسات إلا في القرن الأخير ، وإلا يد أن تفتت وحدة الدين قوتها وتأثيرها في هذا المضمار كما أن تأثير وحدة اللغة في السياسة لم ينفذ بانتهاء الفرق المذكور ، بل ازدهاد وحدة في القرن الذى نعيش فيه . وهو لا يزال مستمراً وشديداً .

لهذه الأسباب أقول أن قياس وحدة اللغة على وحدة الدين في هذا المضمار والادعاء بأنها تفتت تأثيرها السياسى وعملها العكسوى معذ همد بعيد لا يفتق مع حقائق التاريخ بوجه من الوجوه .

أننى أعتقد اعتقاداً جازماً أن اللغة يختلف عن الدين في وحدة الطبيعة

الإنسانية والتأثير النفس والعمل الاجتماعي . أن عدم ملاحظة هذا الفرق الجوهرى — الوجود بين اللغة والدين — فى هذه الوجوه المختلفة، قد عرض المؤلف لأخطاء كثيرة وأوقفه يخالف فيها أثبت وقائع التاريخ وأظهر حقائق الاجتماع مخالفة صريحة .

يحاول المؤلف أن يفسد على أقواله الأئمة بتاريخ الإسلام أيضاً ، غير أن محاولاته هذه لا تزيد إلا تفللاً فى الأخطاء وتباعداً عن حقائق التاريخ .

التحليل والمناقشة

أ — من المفهوم أن التفكير العلمى يتطلب تحليل المسائل وتجزئة الاشكال ، ليسهل معالجة كل جزء منها على حدة ، أما الخطة التى يسير عليها الدكتور طه حسين فى أبحاثه هذه فى أكثر الأحيان فمكسوة ذلك تماماً ، لأنه كثيراً ما يخلط المسائل بعضها ببعض ، ويدخل بعضها فى بعض ، فزيد بذلك تعقيداً وأشكالا .

لاشك أن الطريقة المثلى لدوس مثل هذه المسائل درساً علمياً وحلها حلاً منطقياً من طريقة الاستقراء والمقارنة : إجراء مقارنة مباشرة بين الشرق والغرب ، بين مصر وأوروبا — من حيث العقل والثقافة والطبع والزواج واستعراض الفروق والمساوئ التى تنجلي بينهما من هذه الوجوه المختلفة . ثم البحث عن جوهرية وعدم جوهرية الفروق المذكورة .

أن الدكتور طه يبقى بعيداً عن هذه الطريقة من أول أبحاثه هذه حتى آخرها ونجم من هذا الانحداد :

أن المؤلف : لم يأنف إلى أهم الفروق الموجودة بين الشرق والغرب ، (المعاملة الأدبية)

وهي التي تشاهد بينهما من وجه نظم الأسرة وأوضاع المرأة والأوضاع النفسية — الأخلاقية والعقائدية — التي تدفع تلك النظم والأوضاع .

• اللاتينية^(١) واليونانية :

يقول طه حسين : أنا مؤمن أشد الإيمان وأقواماً بآن مصر أن تنظر بالتعليم الجامعي الصحيح ، وأن تفلح في تدبير موانعها الثقافية الهامة إلا إذا عرفت بهاتين النقيضين لا في الجامعة وحدها بل في التعليم العام قبل كل شيء . لأن اللاتينية واليونانية أساس من أسس العلم والتفكير ، ولأن التعليم العالي الصحيح لا يستقيم في بلد من البلاد الرافية إلا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية على أنهما من الوسائل التي لا يمكن إهمالها والاستغناء عنها [:]
والسؤال الذي يجب أن نلقيه وأن نجيب عنه في صراحة وإخلاص وفي صريح وجلاء هو : أتريد أن تنشئ في مصر بيئة للعلم الجامعي تشبه أمثالها من البيئات العلمية في أي بلد من البلاد الأوروبية الرافية أو المتوسطة أم لا تريد . فإن كانت الثانية فقد خسرنا القضية ولو است ماهر في حاجة إلى الجامعة وإلى كلياتها بل حسبنا أن تعود إلى عهد أيام الاحتلال وأن تسير سيرة المستعمرات .

• يظهر من هذه العبارات أن الدكتور يعتبر هاتين النقيضتين من لوازم الجامعة الأساسية وبدون أن عدم العناية بهما لا يختلف كثيراً من طلب إلقاء الجامعة نفسها ، ويرى بأن ذلك لا يجوز إلا إذا طلب من ماهر أن تعود إلى عهد أيام الاحتلال وأن تسير سيرة المستعمرات .

• وإذا كانت المسألة بهذه الدرجة من الوضوح والجلاء فكيف

(١) الرسالة - أهداس ١٩٣٩ ،

وجدت هذه المقاومة وهذا الأورار في دوائر المعارف ومجائل المثقفين .
أن الدكتور طه يندى هذا الاستغراب فيقول « ومن أغرب الأعياء
في نفسى وأبدعها عن فهمى إلا يظن ولا يهتدى إليها الذين يتهمون
بشئون مصر ويؤمنون على تدبير الأمور فيها والذين يشرفون على التعليم
منها بدوع خاص »

ويبحث الدكتور أسباب هذه المقاومة عدة مراث غير أنه يمزجها إلى
عوامل أساسية تنطبع من حيث الأساس في نفس ثقافة القارئ بشئون
التعليم في مصر فيقول « وأكبر الظن أن مصدر هذا إغما هو الجيل الحاكم
والمرتقى إلى الحكم الذى لا يقن العلم بالشئون الثقافية في أوروبا ولا يستكاد
بمعرفة من أمرها إلا ظواهرها وظواهرها الغربية اليسيرة التي لا يحتاج فهمها
ولا التعلم بها إلى جهد وعناء . إذ أن منهم من تعلم في المدارس المصرية والتمس
إلى غاية التعليم العالي المصرى أبداً وقبوله يتجاوزها ، ومن أتمل بالجامعات
الأوروبية قبل أن يتم التعليم العالي في مصر أو بعد أن أنهى فدرس وظفر
ببعض أجازاتها ، ولكنه درس فيها عجلاً وظفر باليسير من أجازتها
وأهونها ولذلك عاد من أوروبا دون أن يعرف من الحياة المثالية الأوروبية
إلا ظواهرها وأشكالها ، وأن بين الذين ذهبوا إلى أوروبا وعادوا منها وبين
الذين أقاموا في مصر وانصافوا بأوروبا بعض الاتصال من أتم إلتما يسيراً بل
اللتما نافصاً مشوها بهذه المصومة التي قامت في أوروبا منذ أواخر القرن
للنصف بين الديمقراطيين والناظرين من جهة وبين المتدلين والحقائنين من
جهة أخرى حول تعليم اللاتينية واليونانية وأنهم فهموا هذه المصومة على
غير وجهها الصحيح ، وظنوا أن التجديد يقتضى بعض هذه الأشياء القديمة

ثم قال أن المقاومة التي تلقاها اللاتينية واليونانية في مصر نشأت من هذا النفس الأساسي .

ثم يقول : أنا أسمع في أثناء إملأني هذه السكبات صياح الصائحين وأحس عجاج الفاتحين وأشعر بما سيثور من صهط ولكي مع ذلك مقتنع بما أقول . مذهب بصواب ما أدعوا إليه ، ملج في هذه الدعوة . غير حائل بالرضا ولا بالسخط ولا معنى إلا بما اعتقد أنه يحقق النعمة الثقافية للعصرين .

(الرد) : من المعلوم أن اللغة اللاتينية كانت لغة روما في القرن الأول غير أنها صارت بعد ذلك لغة الطبقة الدورية والمثيرة في جميع أنحاء أوروبا الغربية عند ما دخلت تحت حكم روما . كما أصبحت لغة الدين والسلطة في تلك البلاد عندما اعتنقت الديانة المسيحية . وأخيرا صارت من دعائم الكنيسة الكاثوليكية عندما تكونت الكنيسة المذكورة وأخذت تسيطر سلاطنتها على جميع الدول والدويلات التي تدين بها .

أما اليونانية فقد حافظت على مكانتها في معظم البلاد التي انتشرت فيها بالرغم من استيلاء الرومان عليها . كما أنها أصبحت لغة الدولة بعد انفصال الشرق عن الغرب وتكون الإمبراطورية الشرقية مستقلة عن إمبراطورية روما الغربية كما أصبحت لغة الدين والسلطة في العالم الأرثوذكسي عندما اعتنقت الإمبراطورية المذكورة ، الديانة المسيحية .

بهذه الصورة تقاسمت اللغتان اللاتينية واليونانية السهولة على الحياة الدينية في أوروبا المسيحية . فأصبحت الطقوس والصلوات المسيحية تمت أحسنها لللاتينية في أوروبا الغربية في جميع البلاد التي اعتنقت المذهب الكاثوليكي . وتحت أحسنها اليونانية في أوروبا الشرقية . في جميع البلاد

التي اعتنقت المذهب الأرثوذكسي ، أما الحياة الأدبية والعلمية في القرون الوسطى ، فن المعلوم أنها لم تجد من يزاوئها ويهتم بها إلا من بين رجال الدين فاشتت وترعرعت تحت ظلال الكنائس وفي أروقة الأديرة .

٢ — الدكتور زكي مبارك

يا هكتور : قلت^(١) أن عقلية مصر عقلية يونانية وصرحت بأن الإسلام لم يغير تلك العقلية في حين أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرناً وهي مؤمنة بالمعتقدات الإسلامية ، والأمة التي تقضى ثلاثة عشر قرناً في ظل دين واحد لا يستطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين ، إن الإسلام رج للشرق وجة أقوى وأعنف من الوجة التي أثارها الفلسفة اليونانية .

أن الديانات تفرق ثم تجتمع وهي في وجهها تحدث الناس بأسلوب واحد في أوقات الضعف ، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك خصاصاً للعقلية الإسلامية والعقلية المسيحية .

كيف جاز عندك أن تدوم أن الإسلام لم يغير العقلية المصرية بغيره أو تبديل . أنا لا أنكر أن مصر ورثت ماورثت من علوم اليونان ولكني أنكر أن تكون مصر عاشت بعقلية واحدة منذ آلاف السنين إلى اليوم .

في الحق أن المصريين في حياتهم الإسلامية شغلوا أنفسهم بعلوم اليونان أكثر من عشرة قرون ، ولكنك وقد جلست على صحن الأضرحة جلست تعرف أن المصريين لم يذوقوا تلك العلوم ، والأضرحة لا يزال ياتيا .

أنا لا أنكر قيمة التراث الذي خلفه اليونان القدماء ولكن أرتاب في أنة وصل إلى القاف العقلية المصرية .

أنت تعرف فما تعرف أن الفقه الإسلامي نفسه كان يتغير بانتقال من أرض إلى أرض نكأن للشافعي مذهب في مصر ومذهب في العراق ومعنى ذلك أن العقليات تتغير من وقت إلى وقت باختلاف ظروف الزمان وظروف السكان .

والوجه الإسلامي التي طنت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة ومن دين إلى دين والتي قضت بأن تفرد مصر بحراسة المروية والإسلام بعد سقوط بغداد ، هذه الوجهة الصائبة لا يمكن أن يقال أنها لم تنتقل مصر من العقليّة اليوغانية إلى العقليّة الإسلامية .

والسكن ما هي تلك العقليّة الإسلامية ؟ هي لون آخر غير العقليّة اليوغانية بلا جدال .

أقول هذا وأنا أشعر بأنني لم أزعجك تماماً عن موقفك ، ولكنني موثق بأنني عرضت عليك إشبهات ستوجب عليك العذر حين تتسكلم في هذا الموضوع مرة ثانية وأنت تعرف ما أعني .

٢ - الدكتور م . محمد حسين

يمكن رد ما جواه هذا الكتاب إلى ثلاثة أصول وهي :

- الدعوة إلى حل مصر على الحضارة العربية وطبيعتها وأصل ما يرتبطها بتدعيمها وإسلامها .
- الدعوة إلى إقامة الوطنية وشئون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين ، أو بعبارة أوضح : دنع مصر إلى طريق يتقوس بها إلى أن تصبح حكومتها لا دينية .
- الدعوة إلى إحضار اللغة العربية لسنة التطور ودفعها إلى طريق يفتح

باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم إلى أن تصبح لغة دينية لحسب
كالعبرانية والتبعية واللاتينية واليونانية .

ويرد المؤلف على خصوم الحضارة الأوروبية ممن يشفقون على كيانها
الديني فيقول : إن الحياة الأوروبية ليست إنما كلها ، ففيها خير كثير ،
ويستدل على ذلك بأنها حققت اللأوروبيين وقيا لا شك فيه والإجم الغالض
لا يمكن من الرق .

والمؤلف لا يطالب بإلغاء المدارس الأجنبية في مصر بل هو يقرر أنه نافر
من ذلك أشد النفر (لا لأن التزاماتها الدرية تحول بيننا وبين ذلك ، بل
لأن حاجتنا الوطنية تدعو إلى الاحتفاظ بهذه المدارس والمعاهد) ، وهو
يدعو ألا تقتصر الدراسات الأدبية في مدارسنا على الأدب العربي بل يجب
أنه تدرس الآداب الأجنبية على أن يكون تدريسها باللغة العربية ، وكلام
المؤلف هنا يلبس ثوب الوطنية والتمسب لغة القومية ولكن مقصده العتيق
الذي يتفق مع مذهبه في الكتاب كله هو نشر آداب الغرب وثقافته على أوسع
نطاق . وذلك هو ساقطه الدول الاستعمارية الآن ، على أن الأولى بأن
يدعو إليه المؤلف هو أن يترجم كتب العلوم من طب وعقدسة وزراعة
وطبيرة وكيمياء إلى العربية وأن تدرس هذه العلوم في الجامعات المصرية
باللغة العربية .

وبعض المؤلف في سائر كتاب على اعتبار صلات مصر بالغرب أوفق
من صلاتها بالشرق حتى أنه ليجوز على التاريخ في بعض الأحيان كي يتم
به مذهبه الذي يزعمه ، وذلك في مثل تصويره الغرب بأنهم غزاة دخلاء
لا يبدون إليهم المصريون في الوقت الذي يصورهم فيه معطينين إلى الفصح
اليوناني لا ينسكونه ولا يتدرون عليه .

وتقرر المؤلف أن سبيل الحضارة العربية هو السبيل الذي لا بد من سلوكه والغنى فيه ، لا لأن تاريخنا يؤيد هذا المذهب في زعمه ، ولا لأن مصالحنا تقتضي ذلك على ما يدعي لأن التزاماتنا الدولية في المعاهدة التي يسميها معاهدة الاستقلال تجبرنا على ذلك .

ألم يسأل المؤلف نفسه : لماذا نحرص الدول الغربية كل هذا الحرص على أن نصلها على حضارتها ، ونذهب في حرصنا إلى حد لا تقع معه إلا بالمواثيق المكتوبة ، هل نقبل ذلك حرصا على رقيها أم نقبل حرصا على مصالحنا .

ويريد المؤلف أن يدعو إلى حكومة « لا دينية » ولكنه يرى أن الوقت المناسب للجهر بتعل هذه الدعوة لم يأت . يسد * وأول ما ينبغي أن يزال ويهدم عنده هو الأثر ، فهو يقدح هذه تصوره أثرًا من عبقريات العمود المتأخرة المتعسلة ، ومشكلة من المشاكل التي تتطلب حلا .

وينور المؤلف حول ما يسميه (مشكلة اللغة العربية) ومشكلة تأتي في نظره مما يضيق عليها رجال الدين من قداسة باعتبارها لغة دينية . وهو يريد أن يعتبرها لغة وطنية أو لا وقبل كل شيء ، فهو — في رأيه — معك لما تصرف فيها كيف تشاء ولا حق لرجال الدين أن يفرضوا وصاياهم عليها وفي أن يقوموا دونها للمحافظة عليها والمؤلف لا يرى بأسا من أن تتطور لغة الكتابة والأدب في العربية حتى يصبح الفرق بينها وبين عربية القرآن الكريم مثل الفرق بين الفرنسية والانجليزية . . وهذا فيما يبدو هو سبب آخر يضاف إلى الأسباب السابقة التي تدفع المؤلف إلى مهاجمة الأثر والمطالبة بمنزله من الرضاية على اللغة العربية .

الباب السابع

المعارك بين المجددين والمحافظين

أولاً : معارك الإيراني .

ثانياً : معركة فضل العرب على الحضارة .

ثالثاً : الدين والدنية .

رابعاً : التقريب .

خامساً : حقوق المرأة .

سادساً : حول التراث القديم .

سابعاً : الخلاف بين الدين والعلم .

ثامناً : جمال الدين الأفغاني وديفان .

تاسعاً : علم الفهم .

عاشراً : بين النقد والتعريف .

الفصل الأول

معارك الرافعي

مع العقاد وطه حسين وزكي مبارك وعبد الله عفيفي

ولعل مما لا جدال فيه أن أبرز رجال الفكر في هذه الفترة التي أفرزها مبارك أو سبيلها هم كتاب أرم : الرافعي والعقاد وزكي مبارك وطه حسين ، ولكن من جهة في هذه وآراء الأدبية غير أنه جميعهم ذلك الأسلوب . بالرغم من ذلك وقد كان الميل بين هؤلاء الصحابة أرمعا في مرونة التعبير في الصحافة ولكنه كان ، فضلا بها .

ولعل أبرز معارك الرافعي كانت مع العقاد وطه حسين وزكي مبارك وعبد الله عفيفي : كانت معركته مع العقاد ذات صلة ببعث زفول وساقون في معركته ، مع طه حسين بتصله بالفساد الجذبة للصبرية ورغبته في التدريس بها وخوضه مع عبد الله عفيفي ، اتصاله بتأليفه مدافع الملك مؤاد . ومعركته مع زكي مبارك تتعلق بكتابه أوراق الورد ورأي زكي مبارك في أنه ليس تناجيدا في الأقب العربي كما صورة الرافعي .

ولا شك أن الرافعي الذي كان بعيدا عن محيط الصحافة القاهري مقيما في مدينة « طنطا » رئيسا لكتاب الحكومة والذي تعهدى من وقت مبكر للتذرع عن اللغة العربية والاسلام قد أحس بحصوده المدرسة الجديدة ، هذه المدرسة التي يادته انغموسة حين أصدر كتابه « المذهب الآخر » فهاجمه سلامة موسى و « رسائل الأحرار » الذي هاجمه طه حسين في السياسة الأسبوعية ثم وقعت الواقعة بينه وبين العقاد حول ديوان « وحى الأرميين »^(١) ، بعد أن وقعت بينه وبين طه حسين حول كتابه في الشعر الجاهلي^(٢) .

وكان الرافعي في خصومته قوى المعارضة عفيفا ومتسكنا بما يقول « فامخ

(١) و٢٠١٠) راجع ندوس هذه المداخلات في هذا الكتاب .

الحجة ، تتصل معركته دائماً بأمرين هما : اللغة العربية الاسلام وقد بلغ قمة العطف في كتابه « على السفود » الذي هاجم به العقاد .

٦ — معارك الراجحي مع العقاد

وتبدأ معركة الراجحي مع العقاد منذ صدور « الديوان » للعقاد والسألي وقد تناول العقاد الراجحي وأدبه ، والفقد تم استؤنفت معركة الراجحي مع العقاد بعد صدور كتاب الراجحي « إعجاز القرآن » الذي أنشأ عليه سعد زغول ووصفه بأنه « كأنه تنزيل من التنزيل أو قيس من نور الذكر الحكيم » . ولما كان العقاد هو كاتب الوفد الاول فقد أزعجه هذا أيما ازعاج .

وقد صور سعيد المرزاني في كتابه « حياة الراجحي » الموقف بينهما كما رواه الراجحي قال : قال الراجحي :

سميت ناداً والتفتلف لأمر ، فوافقت العقاد هناك . ولكنه لفتني بوجه غير الوجه الذي كان يلقاني به ، فاعتذرت من ذلك إلى نفسي . عا الطهني نفسي وجلسنا نتحدث . وسأله الرأي في « إعجاز القرآن » فكأنما ألتيت حجراً في ماء آسن . ففني يتحدث في حاسة وغضب وانفعال . كان نأراً بينه وبين إعجاز القرآن . ولو كان طمأنه وتجريه في السكتاب نفسه لمان على . ولكن حديثه عن السكتاب حرة إلى حديث آخر عن القرآن نفسه وعن إعجازه وإيمانه بهذا الإعجاز .

وأخذت أنقشه الرأي وأباهل الحوار في هدوء وأن في صدري لمجلا يتهايب . إذ كنت أخادع نفسي مازعم لها أنه لم يتخذ لنفسه هذا الأسلوب في الهجوم على فكرة إعجاز القرآن إلا لأنه خريص على أن يعرف ما لا يعرف

وعلى أن يقتنع بما لم يكن متفقاً به ، تأخذت «مه» في الحديث على حدود
وثورة أعصابه ولم أنهم إلا من بعد ما كان يدعوهم إلى ما ذهب إليه .

يقول العريان : ولقد كان المقاد كاتباً من أكبر كتّاب الزند ، يتأنق عه
ويذهب إليه بقله ولسانه عشر سنين ، وأنه يرى له عهد « سعد » منزقة
لا يراها السكاتب من السكاتب أو أديب من الأدباء وأنه له على سعد حقاً ،
ولكن سعداً مع كل ذلك لم يسكّتب له من كتّابه من كتبه مثل ما كُتب
لقرائني » .

ومن هنا كانت ثورته : كانت ثورة الثورة

قلت له (قال الرائي للمقاد) وكان الحديث يدور بينهما بواسطة
أوراق يكتبها كل منهما نظراً لأن الرائي كان ضعيف السمع
— أنت تجد فصل كتّاب في قول تراث أحسن رأياً من سعد .

قال المقاد : وما سعد وما رأى سعد .

قال الرائي : وطوبى الورقة التي كان يكتب فيها حديثه . فقبضت عليها
بدي ثم قلت : افتراك تصرح برأيك هذا في سعد افرائك وأنت تأكل الخبز
في مدحه والتلحق بك كرام . قال : فما كتب إلى هذا السؤال في صحيفة من
الصنف تقرأ جوابي مما عرفته الآن . قال ذلك وأن ورقته في بدي أشد عليها
بأنامل — حتى تبيض وجهي وتنقست عضلاته ثم قال في خبط وحن : ومع
ذلك فإني أنت وأسعد . إن سعداً لم يكتب هذا الخطاب ولستك أنت كاتبه
ومزوره . ثم هتفه إباناً لتسدر به كتابك فيروج عند الشعب » .

وكان المقاد قد تناول كتاب إعجاز القرآن في (البلاغ الأسبوعي)

(١٠/١٢/١٩٣٦) فلما أرسل الرافعي رده عليه رفض البلاغ نشره . وقد أشار إلى ذلك في رسالته إلى الشيخ محمود أبو ربة في غير موضع مما يمهده قوله :
« إن المقاد سيكتب عن إعجاز القرآن و » أنا غير واثق منه لأن عقيدته زائفة » ثم قال : « إن المقاد خرج إلى الصحف في كفايته عن الإعجاز وأنه أرسل رداً فيه مغامر كثيرة » وأشار إلى أن لو رد عليه مرة أخرى « فسيكول له بالسكول فائدة مسكول » وقال « أخشى قلت لك أن الرجل مسرح في بانه لا يعتقد بالقرآن ولا بالنبوة ولا بالوحى » .

ثم أشار إلى أنه ترك السكافية في البلاغ لأنهم لم يفسروا رده على المقاد « وعلموا أنهم حق دعو إلى نحن المثالات فقد سرت خاضعاً لهم . ولذلك رفضت الكتابة ونمها . وقد كان الرجل يدفع جنهم على النقالة فرفضت هذه النائدة عاتقة على كرامتي » .

ولما أشار إلى ما أسماه « سقطة » المقاد في إعجاز القرآن مما أورده في مقاله وقال إن ذلك « دليل على أن المقاد لا يفهم ما يكتب » .

وكان ذلك مما دعا الرافعي إلى نقد المقاد ، وقال في رسالته إلى أبو ربة « أقترح وضع المقاد في السقود » ثم « وضع في ستود خلط بطاهر في أول يوليو ١٩٣٩ » .

رأى المقاد في الرافعي^(١)

مصطفى القنديل الرافعي رجل ضيق الفكر مدح الوجه يركب رأسه
مراكب يترهب دونهما المصفاة أحياناً وكثيراً ما يماثلون السواد بتربهم

وطول اناتهم ، وطالما نغمه للتطوح وابلته كل أديه أو جهه إذ يدعى الدماوى
المریضة على الأمة وعلى من لا يستطيع تكذيبه فتجاوز دعواته ويتفق الحفانه
عند من ليس بكرتهم أن يندموا به ، بيد أن الاعتصاف إذا كان رائده
الحق في الرأي وشيك أن يوقع صاحبه في الزلل إحدى الرات فيضيع عليه
ما هو علم أنه مضيه لقدام بكل ما في دماغه من هوش وما في لسانه من
كذب . وكذلك فعل ضيق الفكر وركوب الرأس بمغلي الرأس يلقى
عليها أن نفهمه - طور مركبة وأن قدميه أسلس مكانا من رأسه امه يدل
الطية ويصلح الشكامة .

عرض القدي إلى شديد شوق . - دون إشارة إلى الديوان ولا كلمة تصف
فيها أن أحدا يتدبر إلى هذا القدي بل لعله قصت إلى ادعائه عنوة فكاتب على
الرسالة أنها طبعت في نوفمبر سنة ١٩٧٠ ونسى القدي ددته أنه ضلها في
صفحة ٩٧ كتابا للاستاذ منصور أفندي عوض مؤرخا في ١١ ديسمبر -

فهذا المطلق البغيض ونظائر من جرثومته هي التي تملأ نفوسنا نفرا
ومزدهة من أدب الجيل الماضي وأدبائه ومن صناعة من ينسبون إليهم ولكن
ليس لها ما لا تحقر الصباغات من حرم برعي ودستور بقا ، إلى ما وازع يوقف
عند حده - أرجوهم عليها سيما أجمعهم فيها على استهزاء الجين وصفاقة
الإدعاء - وأوتهم فيها إسما أطمعهم على صفة الخيلة وصفوف الربا ، وشعارهم
جميعا تقيضان من شعور بالهيج وخيال ، وملق واستعلاء ، صناعة لا واجب
لها ولا حقوق لذويها ولا تعرف غيرها من صناعة بلا واجب ولا واجب
ولا حقوق - وما على القصدت بها بأس من الحاجة والاقتراء - وإنما اليأس
كل اليأس عليه من الرودة والحواء .

وهذا رجل لا يستحق أن يسم نفسه على غلاف رسالته وبقاعدة كتاب العربية وزهرة شمراتها و يمد إلى نقد مطبوع لم يفرغ الحديث فيه ولم يقطع صاحبه عن إتمامه قوة جهله ولا يقلت منه كبرة ولا صغرة حتى نسميها مشاهير المذهب المتيق والأصنام ثم لا يرى أن عليه بعد ذلك أن يرحى بقرد كلمة إليه ولو من بابها التاريخ لحادث هذه الأناشيد . كأنفا حين كتبنا نقاداً في مصر كان هو يكتب رسالته في أقاليم الصين أو أطراف السودان . ولا ندري وقد وثق من وجهة بهذه الصلاية من أين له الثقة بالتباين متها والضمية .

إليه يا خفايش الأدب : اغتريتم نفوسنا أغشى الله نفوسكم الضئيلة .
لا هوادة بعد اليوم . العوطق اليد ويؤودكم لقتل عددا العوطق خلقت .
وسنفرح لكم أيها الثقلان .

على السقود

نشر الرافعي هذه القالات عام ١٩٢٩ بمجلة النصور فقد فيها عدد لثه عفيى وعباس العقاد ، وقد أغفل اسمه في هذه القالات طناً ممة . أن (١)
إغفال الاسم هو عين الحسنة لا خوفا من العناد ولا مهالة به . والسكان عن هو قوة ثم نحن لا نريد لهاهاة بكتاب والسكان نريد إظهار الحقيقة وق إغفال الاسم قوة كبيرة هذه الحقيقة مادام السكتاب مثيقاً . وقد صور الرافعي رأى نؤاد صروف مبرد القنطاط السقود الأولى — في العقاد — بأنه متهامل وذلك عند ذكر أصل الرجل والتمريض بأبيه وصاحب النصور (السباحيل مظهر) يرى أن القالات هي غابة القبايات في نقد هذا الرجل .

(١) رسائل الرافعي إلى عموده أبو ربه .

وقد اجمع القواد حق تلاميذ الرافعي — سعيدالغرياني ومحمود أبورية — على أن مقالات « على السقوط » كانت غاية في العنف والازول عن مستوى النقد ولكن الرافعي دافع عن هذه المقالات فقال في رسالته إلى أبورية « إن الناس مختلفون فمنهم من يقول أن المقالات تحمل على صاحب مرحاضه (أي المقاد) وأن هذا التعامل سيغيده ويذهب أثر النقد ومنهم من يقول بل كل ما في المقالات هو صحيح وفي محله ، ولا ننسى أن المقاد الآن في رأى نفسه ورأى كثيرين هو جبار السكناية فمنهم من يريد أن تضع ألف هذا الجبار في الأرض مقدار ساعين على الأقل لأنه لم يتجرأ عليه أحد إلى الآن والذين كتبوا عنه لم يتأثروا منه نولا وطه حسين لم يكذب عنه مرة حتى حرب وأخذ يتناقض له ويتناقضه » .

وقد أشار الرافعي في أحاديث الغرياني عنه^(١) أن المقاد لم يكن يستطيع أن يقف وإياه أمام القضاء على ما اتهم به — بسبب أن اعترف بأن في السكنايات ما لم يكن ينبغي أن يقول وبأن خصمه عما قال فيه كان يظنك أن يسوقه إلى المحاكمة .

قال الغرياني لرافعي : لقد قلت في المقاد ما كان حريا أن يفتقه وإياك أمام القضاء !

قال الرافعي : ولكني كنت على يقين بأن المقاد لن يفعلها . (في كملت أحاجم المقاد بتل أسلوبية في النقد وإن منى لورقات بحملة لا يسره أن اجعلها دفاعي أمام المحكمة فيفسر أكثر مما يريح .

(١) كتاب حياة الرافعي ص ١٥٥ .

استهل الرافعي كتابه « على السقود » بقوله : أما بعد فانا نكشف في هذه القالات من غرور ملقق ودعوى مضطلة ونعتقد فيها الكتاب الشاعر الفيلسوف II (عباس محمود العقاد) وما إياه أردنا ولا بغاصته نمأ ولكن لن حولة نكشفه ونفائدة مؤلا . عرضنا له ، والرجل في الأدب كورقة البك المزورة هي في ذات نفسها ورقة كالورق . ولكن من يفتدع فيها لا يتم قيمتها بل قيمة الرقم الذي عليها .

وقد يكون العقاد استاذاً عظيماً وقائمة عبقرياً ، وجبار ذهن كما يصقون ولكننا نحن لا نعرف فيه شيئاً من هذا وما قلنا في الرجل إلا ما يقول فيه كلامه ، وإنما نرجعنا حكم هذا الكلام ونقتله من لغة الأغلط والسرقات والحافات إلى لغة النقد وبيناه كما هو لم نبد ولم نكتشف ولم نتوصل في شيء .

بما يتنا عليه النقد .

والعقاد وإن زور شأنه وادعى وتكذب واغتر ومضى أمراً في ضيقه . العاس بالانطباع والتطبيق والإيهام فإن حقيقة سرية لن تزور وعلمانية ظاهرة تدعى وسرقته مكشوفة لن نلق وما زدنا على أن قلنا عسلاً ، فإن ينضب الأسود على من يصف سواده فليغضب قبل ذلك على وجهه .

وأثار هذا المنور في الأدب تنظيمها كلها قضية واحدة من السرقات والالتصاف في غداوة ذكية . ذكية هذه الطبقة الفائرة من قراء جرائدنا وعهد أشباههم من ليست لهم موهبة التحقيق ولا وسائله ثم . . ثم غيبة فيما فوقها وأولئك طائفة لا ميزان لها ولا وزن فلا ترفع ولا تنضج . وسترى في أثناء ما تقرأه ما يثبت لك أن هذا الذي وصفوه بأنه جبار الذهن ليس في نادر [السقود] إلا أديبا من الرصاص المشهور المذاب .

يقول أننا في دور انتقال بالأدب العربي والحقيقة أننا من العقاد وامثاله
الغارين المفرورين بأرائهم الطائشة وبياناتهم المنحط ، في دور إصلاح ورجعة
مقلية والأعرج وبحكمهم هو دائماً في دور انتقال ، إنه ذهب بمضى ويتفلسف
في أسباب رجعة ، وما يمنعه أن أنه ليس بأعرج وإنما هذا فن جديد من
الخيلاء والتبهرع يتقلد به من الشئ خطوا إلى الشئ رقصا . »

ثم توقفت الحركة بين الرافض والعقاد ، حتى تجددت عند صدور ديوان
العقاد [وحى الأربعين^(١)] وقد انتهر العقاد فرصة هذه الحركة فانتقم من
الرافض والساميل مظهر صاحب المصير وطابع كتاب غلى السقود بالجللة .
وكان الباب الذى نذمه العقاد هو آلهام الرافض في وطنيته . والنول بأن
الرافض لما ينتقده لأنه العقاد السياسى الوندى [١٩٣٣] وعدو الحكومة
المتسلطة بالحديد والنار .

وكان الرافض قد نشر نقده في البلاغ الذى كانت تحارب الوفد ويسرها
أن تهجم كاتبة العقاد المحرر بالجهد إذ ذاك .
ثم تقلبت السياسة تقلباتها فاذا بالعقاد — كاتب الوفد الأول — يخرج
على الوفد « هناك ينتهز الرافض فرصة الحملة عليه فيسكتب بدون توقيع مغللا
في الجهاد عفراته » أحسق الدولة » .

٢ — معارك الرافض مع طلبة حسين

هاجم طه حسين كتاب الرافض « تاريخ الآداب العربية » وقال أنه لم
يشبه « كما هاجم كفايته : حديث القبر ورسائل الأحرار » .

(١) أوردناه نفاً في هذه الحركة في باب القصر .

وكانت السياسة الأسبوعية التي صدرت عام ١٩٤٢ تحمل نوايا الأدب الجديد وقد استهلت الحركة بين القديم والجديد : عندما أحاجم طه حسين كتاب الرافعي « رسائل الأحرار » فقال : نظم الأستاذ الرافعي إذا قلنا أنه لا يشق على نفسه في الكتابة والتأليف ؛ بل أنت تنصفه إذا قلت أنه يتسكف من اللثة في الكتابة والتأليف أكثر مما ينبغي . ولو كنت أريد أن أقول أنه ينحت كتبه من الصخر ولكني لا أجيد في هذه اللغة ما ينبغي لوصف هذه اللثة ، ومالي لا أتيسر منه بعض الشيء فأقول أن كل جثة من جمل هذا الكتاب تبث في نفس شعوراً قوياً مؤلماً بأن المكاتب يلدها ولادة . وهو يتناسى من هذه الولادة ما تناسيه الأم من آلام الوضع ، يجب أن أكون موصفا فأنت تستطيع أن تقطع كتاب الرافعي جعلاً جميلاً وأن تجد بين هذه الجمل طائفة غير قليلة فيها شيء من جمال اللفظ ، وبهجة تخيلك وتستهويك وفيها معان قيمة لا تعرف من نوع . ولكن اللثة كل اللثة في أن تصل هذه الجمل بعضها إلى بعض . وتستخرج منها شيئاً قوياً . لن ننظر من هذا بشيء . وأكبر على أن الأستاذ الرافعي نفسه لا يحاول أن يقول شيئاً حين يتسكف هذه الرسائل . وإنما هو يذهب في النظر مذهبا غريباً فيسكف المعاني واللثة في الفوس على المعاني الغريبة . ثم يتسكف المعاني والمشة في أن يسبح على هذه المعاني ألفاظاً عربية .

هجوم طه على الرافعي

وكان الرافعي قد أرسل خطاباً في العتب إلى طريف من أدباء الشام ، وقد نشرت السياسة الأسبوعية الرسالة التي نورد فيها هذه العبارات :
« كتبت إليك من أيام يشع لها قربك من نفسي فلا أقول أنها بعيدة ، ونحو قديمة ولكن ما في هذه النفس معها يحملها جديدة وكأنها تجري في إلى

النقاد فهم يطول إلى غير حد ، وتأخذ معنى اليأس من كل أمس ، فتضيق به معنى الأمل في كل غد وأرى الأيام تمد بالأرقام ، أما هي فقد جعلتها أمت تمد بأنّها لا تمد .

لقد همت أن اعائب القلم الذي كتبت به إليك فأحطم سنه واجعله من ناحيتي « خير كان » حتى لا يبقى من ناحيتك في خير « لأنه » وقلت كيف وبحبك ، سودت وجه صديقتي بما هو في سواد مداد مع اللاد ، وفي نفسه سواد غير السواد » .

ثم علق الدكتور طه حسين على الرسالة وقال : اعذر للكاتب الأدبي إذا أهملت مشطراً أن هذا الأسلوب الذي ربما راق أهل القرن الخامس والسادس للهجرة ، لا يستطيع أن يروقنا في هذا العصر الحديث الذي تغير فيه الذوق الأدبي — ولا سيما في مصر — تغيراً شديداً » .

وود الرافعي يقول :

إن الأسلوب الذي كتبت به الرسالة كان موضع الانفراد وكان العناية التي تنقاسر دوتها الأبحاث منذ القرن الرابع إلى القرن التاسع ، ولم يوحش منه تنوير الذوق الأدبي كما يقول الأستاذ ، بل ضف السكافية فيه وتقصيرم عن حده ، وانهم لا يوافقون به مواضعه ولا يعدلون بها إلى جهاته في ألقاظه ومما فيه .

رد طه حسين

« اتخذ هذه الأساليب نفس أدبي لأن السكالك الأدبي يستلزم أن تكون اللفظة ملائمة للحياة ، وهو نفس خافي ، لأنه كذب للكاتب على نفسه وعلى معاصريه وهو نفس من جهة أخرى ، لأنه لا يدل على أقل من أن الكاتب

يفسك شخصيته ولا يتعرف لها بالوجود، وأى المسكار للشخصية أشد من أن نحس ونشعر ثم نستعي أن نصف إحساسك وشعورك كما نجدها .

أعرف أن الأسلوب الذى اتخذ الأستاذ الراقى كان مستغنيا في عصر من العصور ، ولكنى أعرف أنه إنما كان مستغنيا لأنه كان يلائم هذا العصر فإذا انتفى هذا العصر وانتفى معه ما ألف الناس من ضروب الحياة فهو ، فيجب أن يقضى معه أيضا سوابق التعبير الذى كان الناس قد اتخذوه وسيلة لوصف ما يجدون في أنفسهم :

• * •

وهكذا بدأت الخصومة بين الراقى وطه حسين ، ولم ينتظر الراقى كثيرا فقد جاء عام ١٩٢٦ بحمل منه كتاب طه حسين (في الشعر الجاهلى) ووجد الراقى فرصة للانتقام من طه حسين بالحق فمكأن الصارخ الأول في هذه الحركة ، وحمل عليه في مقالات متعددة في جريدة كوكب الشرق مستغلا جريدة الوفد والوفد خصم الأحرار الذى كان طه من أبرز كتابه . وكانت عقدة الخصومة عند الراقى هي محاربة مذهب التجرد من الذين لتحقيق مسائل من مسائل العلم أو مناقشة رأى من آراء الفسك أو رواية من روايات التاريخ .

وكانت معركة الشعر الجاهلى^(١) :

وقد هاجم الراقى طه حسين في بضعة وعشرين مقالة نارية ، ولم يجب طه على واحدة منها ، فقد كان المثلق حلية أن يترك الذكور طه و العاصفة

(١) اقرأ جريدة السياسة اليومية - مايو ويونيه ١٩٢٣ :

(٢) اقرأ معركة الشعر الجاهلى في موضعها من هذا الكتاب .

نجره ولا شك أن المعركة بين الراقص وطلة خنجر من معركة خلاف في الرأي وأسلوب التفكير ومفهوم الآداب والدين والفن ، وأن الراقص كان بالقصة للمجادين سيفا مصليا بحسب له ألف حساب .

ويبرز سميد العريان (ص ١٤٣ من كتابه حياة الراقص) هذه المعركة إلى أن الراقص كان بطبع في أن يكون إليه تدريس الأدب في الجامعة وأنه كشف عن رغبته هذه في مقالاته بالجزيرة .

وقد صور الراقص خلافه مع طه حسين في عديد من رسائله إلى الشيخ محمود أبو رية التي جمعها في كتابه « رسائل الراقص » ولكنه كان متصفا غيو يقول :

« كانت محاضراته مجموعة متناقضات وإن كانت الجامعة حشدت لها حشدا عظيما من القاصيين والرجل مبسر وخطه مقبول . ويقول :
أما طه حسين فليس بالضعيف الذي تتوهمه وهو في أشياء كثيرة حقيق بالإعجاب كما هو في غيرها حقيق بالعمق^(١) .
وقد وصف كتاب هامش السيرة بأنه « تسكيم صريح »^(٢) .

٣ ... معارك الراقص مع زكي مبارك

وكان الخلاف بين الراقص وزكي مبارك حول « أوراق التورد » حيث أعلن الراقص أن كتابه فن جديد في الأدب العربي وأنه « سد السكان الخالي

(١) رسائل الراقص ص ١٤٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٠ .

في الأدب العربي من أول تاريخه إلى اليوم . وإعطاء العربية كتابا في رسائل الحب وفلسفته وأوصافه (٢) نقابل مائة الفئات الأخرى

« وأن زكي مبارك قد زعم أنه وقف على رسائل غرامية في الأدب العربي وأورد بعضها وهي رسائل كتبت في العراق ولا تعتمد من الرسائل الغرامية ، بل هي من الإخوانيات التي نبتت إليها في المقدمة . وقد غلط في مقالة غلطة حائلة فلما رددت عليه امتنع البلاء عن نشر الرد كما فعل مع العقاد وبقيت غلطت زكي مبارك لم تكشف لأنه يكتب للبلاغ بأجر وخمس جدا وهذا هو الذي يهم البلاغ فلا يريد إسقاطه .

وقال أن زكي مبارك بالغ في التحريف ولا بد من ضربه ضربة قوية في الصفود حتى زال هذا للرض .

« أما الغلطة التي غلطها — هذا المبرور — فهي أنه يزعم وقوفه على رسائل غرامية أورد فيها أشياء ، وكلها رسائل لتظان مما دبت عليه في المقدمة وفي تصحيحه زهر الآداب وقع في نحو مائة غلطة منها غلطات غاية في الجهل .

وقال « لو اطلعت على الغلطة زكي مبارك هذا في تصحيح زهر الآداب لأيقنت أنه .. كبير وهو مع ذلك « كثرور في الآداب .

وقد كتب الرافعي مقالة « أبو حنيفة وسكن من غير فقه » عن زكي مبارك ونهها يقول : هل يبدأ الأدب العربي في عصرنا أم ينتهي . وهل تراه يعلو أو ينزل وهل يستجسم أو يفتض .. وهذه معاني لو ذهبت أنفلسها لاقتصمت تاريخا ملو بلا أمر فيه بمظالم مبعثرة في ثيابها لا في قبورها حتى أصبح أمر الأدب على أقيعة وهم يروونه أحسنه حتى قيل في الأسلوب « أسلوب تلقوا » وفي النفاضة : فصاحة عامية ، وفي المنة لمة الجرائد .

(٢) صفحات ١٩٤ و ٢٠٤ و ٢٠٥ من رسائل الرافعي .

والرائي يختلف مع أدباء عصره في أوا. كثيرة فهو يمارض رأى هيكلي
في كتابه حياة محمد في « الأسراء » ويقول إنما جاء^(١) بعد صدور الكتاب
الفرنسي بقصد كتاب أميل درمنجم (ولولا هذا الكتاب ما كتب هيكلي
في حياة الرسول حرفاً . فلو أن قوم مستعمرون في عقولهم ورأيهم في الأسراء
لا قيمة له بل هو ألقاط فلسفية لا غير .

وقال من تلقى السيد آية نيلاسوف صوفسطاني (أورد ذلك) في مقالاته
من طه حسين (تحت راية القرآن) .

وقال أن أحد أمين كان عضواً في لجنة الأزهر عام ١٩٢٨ التي حاكمت
طه حسين وأنه الوحيد الذي كان يدافع عنه ويصيح ما في كتله وأن طه
حسين كان له حل ذلك بالعمل استناداً في الجامعة^(٢) ووصف عبد الله عفيفي
بأنه « شعور » .

وبما ذكره الرائي أن عنده نسخة من كتيبة ودقة « ايس مثلاً عند
أحد وما شئت من مثل هذا إلا وجدته فيها « وقد كتب فصولاً منها عن طه
حسين ومن المتأخر .

٤ - معركة مع عبد الله عفيفي

وقد دخل الرائي معركة مع عبد الله عفيفي عندما كتب في مقتطف
(نوفمبر ١٩٤٢) بنى شوقي ويقول « إن مصر أصبحت سيدة العالم العربي
في الشعر وهي التي لم تذكر قديماً في الأدب إلا بالسكفة والرقعة وصناعات
بديعية ملفقة ولم يستفيض لها ذكر بديهة أو عتري ، وقال الرائي أن شوقي

(١) ص ٢٢٣ رسائل الرائي .

(٢) ص ١٠١ نفس المصدر .

لو كان معرباً لما تنبأت له الأسباب القوية التي بلغت به مبلغه من الشعر لأن
الطبيعة المصرية لا تساعد على انتعاج الواهب الشعرية .

وقد رد عليه عبد الله عفيف وفتح باباً في النقد في البلاغ تحت عنوان
« معر الشاعرة » وحاول أن يثبت أن مصر لها تاريخ طويل في الشعر وكان
الرائي قد بدأ مقالاته على السقوط في مجلة المصور . يقال عن عبد الله عفيف
شاعر الفك الذي نازعه صوبانته بعد أن اختلف الرائي مع الأبراش ناظر
الخاصة للسكينة إذ ذاك .

وقد أراد الرائي أن يشرب العقاد وطه حسين في النقد ضربة واحدة ،
وآتته الفرصة عندما أعلن طه حسين ١٩٣٤ أن أمير الشعراء بعد شوقي هو
العقاد ، كذلك قال الرائي (مجلة الأسبوع) :

وليس لدى الآن نص كلام الدكتور ولا أنا أذكر القاطعة بمرونها ،
ولكن الذي أذكره أني حين قرأته لم أبحث بين أقالمه من يقين الناسكم
واقترانه وحبيبه وأداته بل بحثت فيه عن سخرية طالع العقاد وبالشعراء جميعاً
في أسلوب كأسلوب تلك المرأة العربية في قصتها المروعة حين قالت لرجال
قومها في أبيات مشهورة .

وأن انتموا لم تغضبوا بعد هذه

فكنونوا نساء لا تغيب عن السكحل

غير أن طه في سخريته كالذي يقول : فإن لم تنبشوا أن فيكم من
استطاع أن يحلف شوقي فاصبروا واصبروا حتى يسكون العقاد هو أميركم وبقي
أن تسامح لساداً لم تأت الشهادة يوم كان الدكتور طه هيداً لسكينة الأدباء

وكان يومئذ امرأاً لا يستزله الاكراه ، ولسادا جابت الشهادة وهو يحترف
الصدقة . أترى لو كان العقاد من الحزب الوطني أو من الأحرار الدستوريين
أو اتحاديا أو شعبيا أفتسكون قلوبهم يومئذ — وفي المصلحة والثاني والثالث
ونفديا — أفتسكون إلا ردا سياسيا على العقاد وشعره بفرد سياسية من هذا
الشعر وعقاده ...

حقيقة رأى الزاقي في طه والعقاد^(١)

غير أن أحمد حسن الزيات كان قد استطاع أن يستل من الزاقي
تصريحاً عن حقيقة رأيه في طه حسين والعقاد نشره بعد وفاته الزاقي .

قال الزاقي للعقاد : أما ما كتبه في « على السفود » فأكثره رجس من
عمل الشيطان وأما ما أخففته (تحت راية القرآن) فلكه إلهام من
روح الله .

ووصف طه حسين بقوله :

ذهنت لمساع الذكاء ، ولكنه لا يفقه . وقربته وادمة المحبة ولكنها
لا تخلي لذلك مجده معسول الكلام لا أثر فيه لروعة الفن ولا لبراعة الفكرة
ولكنه قوى الشخصية جيش الحركة عذب السباق جميل العرض ، وهو
أشبه الناس بمهندس العرض في بدو العبارة ، يمرض البضائع في التبرينات
منسقة على نظام تلك البحر ولكنها تنزل بعد التفسير كما كانت قبل التفسير
ملك غيره وأحسبه إذا تنفس به العمر على هذا الحال يعود رجلاً له رأى
مسموع في التأديب . ولكن ليس له أثر خالد في الأدب ويلوح لي أن طه

تموزه العقيدة التي تخلق المبدأ ومن هنا كان التناقض الظاهر في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل .

ووصف العقاد بقوله : اما العقاد فيأى الكرهة واحترمه : الكرهة لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الانصاف لغيره . ولله أعلم الناس بمكان في الأدب وللكه ينفس على قوة البيان فينتج أعلى حتى لا يجري معه في عدان .

الفصل الثاني

عمر كة فضل العرب على الحضارة

بين طه حسين وأحمد زكي باشا وشكيب أرسلان

أثار البحث حول مكانة الإسكندرية « وعلى طرفيها العرب » معركة حول فضل العرب على الحضارة . وذلك أن طه حسين « ترجم تقريراً كتبه السامري « بول كافونا » وأثيرة في السياسة اليومية (١ مايو ١٩٢٣) حول هذا الموضوع .
وقد عرض طه حسين لأحمد زكي باشا « شيخ العربية » وسطر من أناداع بأن العرب فشلوا في الحضارة وسبقاً فيها وأجاب زكي باشا بأنه لم يخلق هذا القول إلا خلافاً ، ودخل المعركة الأمير شكيب أرسلان حيث عرض قصود كتاب العرب .
ومعه ملحق المعركة :

١ - طه حسين

لست أدري لماذا نبهت من الظهور في الساعة الرابعة عشرة كما يقول القرفسيون ، فقد يجادل إلى أن من السهل أن نأتس لهذه القصة أصلاً تاريخياً لم يروه التاريخ . وما الذي يمنع أن تكون هناك خرافة مكسب تمزقت أثناء فتح الإسكندرية دون أن يكون عمر قسداً أمر بتعريقها ودون أن يكون عمر قد أحدث هذا التعريق . فإن أخذ المدن حقوة يستلج أموالاً كثيرة من التعريق والتدمير ، ذلك إلى أن هذا التأويل الذي افترضه سهل معقول في نفسه لا يأباه المنطق ولا ينكره التاريخ .

وأشار الدكتور طه إلى رأى المشرق كازانوفنا في قضية مكشبة الإسكندرية على النحو الذي أشار إليه ثم قال :

المشترقون إذن متعصبون العرب وقد لا يكونون أقل تعصباً للعرب من صاحب السيادة أحمد زكي باشا الذي ادّلع في الفاس منذ سنين فكرة أن العرب سبقوا إلى كل شيء ، ولا يوجد بين الشعوب شعب سبقهم إلى

إلى شيء ، وظاهر أن هذا التعصب وما ينشأ عنه من الآراء الكثيرة المختلفة ، هو أيد الأشياء من الشهور العلى والمنهج العلى فى البحث والتحقيق . فإذا قامت مناهج البحث من خزنة الاسكندرية وتمزيق العرب إليها على قاعدة التعصب للعرب والمسلمين أو على العرب والمسلمين فنحن واثقون بأمرين : الأول أن هذه المسألة لن تحل ، والثانى أن القرون ستعاقب قبل أن يفرض الباحثون من الكلام الكثير .

٢ - أحمد زكى باشا^(١)

إن الذى قلته وكروته وأبدته بالوقائع الثابتة ودعمته بالنصوص الصحيحة التاريخية المتقدمة هو :

- أن العرب سبقوا الأفرنج إلى اختراع كدابة الميكان .
- سبقوا الأفرنج إلى التفكير فى حل مسألة الطيران وإلى محاولة ذلك بالفعل وإلى نقله من حيز العلم إلى حيز العمل .
- إن العرب سبقوا الأفرنج إلى التفكير فى كشف أمريكا ، واتهم حاولوا الوصول إليها مرتين بالفعل ، وأولاهما من لشبونة عاصمة البرتغال وثانيهما من مدينة غانة بالسودان الغربى على ساحل المحيط الأطلسى .
- إن العرب سبقوا الأفرنج إلى معرفة مرض التوم .
- أن العرب سبقوا الأفرنج إلى اكتشاف منافع الفول ووصفها وصف شاحد البيان .
- إن العرب سبقوا الأفرنج إلى اعتلال أمريكا وانقراض وجودها ،

(١) إنرا غامبل البحث فى السياسة البوية ١٨ أبريل ١٩٢٣ و ٢ مايو ١٩٢٣ ١ / ٢ / ١٩٢٤ .

وكان ذلك بطريقة منطقية مقبولة هي أفضل من التي اتبناها كرسوف كولومب
فإنه لم يكتشفها إلا بطريق الصدفة والاتفاق فإن نظريته التي شرحها للملكة
إيزابلا الكاثوليكية بعد طرد العرب من غرناطة إنما كانت الإيمان في
السيرة غربياً حتى يصل إلى بلاد الهند. فلما وصل إلى أمريكا أسماها بلاد الهند
الغريبة وكان معه رجل من المسلمين الأندلسيين هو الرياش وقد وصفها لها
وسماها (الهند الغربية).

وإن كل أمة في الوجود لها فضل في الحضارة والعمران فهل يراد بنا أن
نستكت عن مفاخر أجدادنا ونترك اليقين لغيرنا مثل العلامة سيديو الإفريسي
الذي أثبت أن اكتشاف أبولونيا البوزجاني فيما يتعلق باختلافات القمر وأثبت
أن العلامة (تينور راجا) الدغركي إنما نقل أرقامه وحساباته بالخط والحرف.
واعترف علماء الأنرنج لذلك الفيلسوف الإسلامي بالسبق إلى هذا
الاكتشاف الديدع فضلاً عن اكتشافاته الأخرى.
أم تريد أن تترك لغيرنا إظهار مفاخر أجدادنا^(١).

٣ - شكيب أرسلان

لشكل عصر شعوبية وأن شعوبية هذا العصر نثر من أدياء مضر لا تحر
بهم فصر ينتقصون قهول فضل العرب وينقضون من منزلتهم في التاريخ
وينقضون من أئمة مدنفهم الشهيرة إلا نوردوها ميتهمين ، ولا يرون للعرب
هودة من الموراث إلا تنافقوا على إظهارها .

من هذه الطائفة من يظن في العرب جهاراً دون موارد مثل سلامة
موسى الذي يكتب في الهلال والذي زعم أن العرب يدو هجوموا على الدنيا

(١) السياسة اليومية - ٢٤ / ١ / ١٩٢١ -

الرومانية والإغريقية . وهذا النوع من الهداء أقل خطراً وأجدر بأن لا يبالى به
أحد لأنه كلام ساقط من نفسه ومن معادن العرب أن يكون أهدؤم —
مثل سلامة موسى — إباحية يدعون إلى اختلاط الأنساب ولا يرون بأساً
من أن يعرف الملوذ بأبيه وعلى الشناعة .

ومن هذه الطائفة من تراه يضيق صدره — كأنها يصعد إلى السماء —
إذا سمع كلمة غير في العرب أو قرأ عبارة تفر لهم قسطهم من المجد ، وقد
قامت قيامة طه حسين على أحمد زكي باشا يزعمه أن الأستاذ بالشار إليه قال
أن مدنية العرب فوق كل مدنية مع أنه لم يقل ذلك . وكيف كان يقول لو
قال أحمد زكي باشا : كلما كان الإنسان عربياً كان أقرب إلى البشرية ، كما
يقول الفرنسي — ولا يكبر ذلك طه حسين — كلما كان الإنسان إنسانياً
كان أقرب إلى البشرية ، أو كما يقول الأثنان « ألمانيا فوق كل شيء » ، وعلم
جراً ، فلا تتخرج صدور هؤلاء إلا إذا كان الإعجاب بالعرب ، وامرئ
لو قال أحمد زكي باشا أن مدنية العرب فوق كل مدنية بالنسبة إلى القرون
الوسطى — أي إلى الوقت الذي ظهرت فيه — لم يكن كاذباً لكان عليهم
التاريخ العام كما يعلم في مدارس أوربة .

ولا يعيب أنهم في القرون الوسطى لم تسكن مدنيهم أهل من مدنية
أوربة اليوم بعد القرون الوسطى بنحو تسعة مائة سنة وألف سنة فإن من اللبديس
أن الآخر بطبيعة الحال يعلم مالا يعلمه الأول . نعم ، لا يعيب السلف أن
يكون الخلف أعلم منهم وإنما يعيب السلف أن يكونوا قعدوا عن النهوض
بالواجب عليهم ولما كان طه حسين أذنه صماء عن النصحاء .

فلا يجب أن يسمع هذا القبح الذي هو مدح العرب وسبعان من جمع بين
هي البصائر وهي الأبيصار وأولها أشد وأدنى .

يعلم الله أننا كما نحب أن لا نستعمل لهذه الطائفة مثل هذه الألفاظ
ولكن وفاحشهم على الوطن والدين واللغة والإخلاص والعبادة والقومية ،
وما أشد ذلك تجاوزت حدها فأصبح من الواجب حل كتاب الوقت أن
بضموم حيث وضمو أنفسهم وأن يصبوا السخن على هذه الجرائم الفاسدة
للتخلص من سر عدوها .

ومنهم من لا تعال به الجماعة إلى هذا الحد ، ولكنه يفتق في السكتب
والآثار حتى إذا وجد كلمة يقدروا أن يتميز بها العرب ولو من طرف حتى وقع
عليها واخذ يستفتح ويتيسر ويذهب إلى يهود . وكان مرامهم الأصلي هو سلب
العرب محاسنهم التي حلا بها التاريخ . فإن لم يمكن حلهم بعضها وأى
شيء ، وجده في هذا المعنى عدوه رجلاً . فترى الواحد منهم يذكر فلاسفة
العرب وأطبائهم أو السكباويين منهم وهو يشير إلى أن هذا كان نصرانياً
وذلك يهودياً وذلك صابئاً أو حرانياً .. على أن هؤلاء العلماء كلهم بعد أن
كذبوا مؤلفاتهم بالعربية لم تعرفهم الدنيا إلا عرباً .

والتعامل كل التعامل هو قول بعضهم أن العرب كانت علومهم كلها
مبنية على الأسلوب النحوي وأنهم لم يعرفوا التجربة في العلم — كلمات يتلفونها
عن بعض المؤلفين الأوربيين الذين لا يريدون أن يعرفوا بفضل الشرقيين ،
أو بعض مؤلفهم الذين لم يقيموا تاريخ العرب حق القيمة . ومن الغريب أن
هذه الفئة إذا حاجها الإنسان بأقوال وشواهد من الناس من المشرقين
الأوربيين كان جوابهم أن المشرقين هؤلاء من فاجهم المباشرة وهم لتعلمهم
اللغة العربية الحيوها وصاروا يزيلون كل شيء عري .

(المعارضة الأدبية)

فإننا ما نقرأ على رواية تنقص من فضل العرب في كلام مستشرقين الأثر نجد
أسرعوا إلى قلبها وعدوها آية منكرة وبدوا بإيدها أحكاماً ملوثة عريضة، ونسوا
أن المستشرقين الذين يسكرون العرب وينشأون العالم الإسلامي هم أكثر
عدواً من المستشرقين المحبين، فهم يحرّمونه عاماً ويحلّونه عاماً.

وليس من عرق عاقل يجب أن يتعلل العرب ذمه بما لم يفعلوه - ولا أن
يخدعهم بالكذب، ولكن أبس من عرق عاقل يرضى بأن تنة مريضة من
أهل هذا الزمان تهجم على مدينة العرب التي اتفق على عائلتها المشرق
والغرب وتحاول أن تخط من قدارها وإن تطلق، من نورها بأفواهها.

أما أن علوم العرب كانت نظرية تخيلية ليس لها حظ من التجربة العملية
فهذا خلاف ما عليه الجمهور ممن اشتغلوا بتأريخ حضارة العرب، إرجع إلى
مقال الدكتور محمد شرف في السياسة الأسبوعية عن الحضارة الإسلامية
ونضلها على العلوم الطيبة *.

الفصل الثالث

الدين والمدنية

بين محمود عزيم وعلاء الأزهري

محمود عزيم — التشريب (١)

أشار « محمود عزيم » معركة فكرية بتناحية اعدام المساور المصري عام ١٩٢٢ حيث دعا إلى اختيار « القومية الصرا » وحدها أساسا للقرار بملوك المصريين وواجباتهم العامة والمطالبة بتوحيد التشريع والقضاء وجماعيا «مدارين في الأحوال الشخصية كما في المادلات وقد جرى هذا الجدل في جريدة الأهرام (يونيو ١٩٢٢) واشترك فيه كثيرون منهم : هرد حلال الأياري وعبد ربه مقلح . ولم تترك محمود عزيم عن آرائه ولكنه استنبطها بوجه ملوأل حياته الفكرية

نريد أن تكون القومية المصرية وحدها أساسا لحياتنا العامة . نريد أن تكون القومية المصرية بارزة ككفة واحدة .

نسمح التقاليد الدينية بتزويج المسلم من السكناية . نسمح بهذا بدخول المعصر المسلم إلى حظيرة الأسرة السكناية ، ولكن هذه التقاليد نفسها تأتي أن يتزوج مسلمة من كتابي فيجعل باب الأسرة السلطة بحكم الإغلاق في وجه السكنايين جميعا .

نحن أول من نقدم بكل قلبه مطالبنا بالظواهر المدنية للبحث لحياتنا العامة جميعا . في اسرافنا وفي تلويحنا وفي تذكيرنا وفي قضائنا .

لا نريد غير قواعد واحدة لزوج ولا نريد غير محاكم واحدة ففصل في كل أنواع الممارعات . ولا نريد أن يكون خاصة في مدارسنا مظهر غلظ بين التلاميذ في القيدة .

(١) الأهرام - ٣ يونيو ١٩٢٢

لا يريد غير الوحدة القومية أساسا للتشريع وغرضا للتشريع ولا يريد أن يكون في عصرنا العامة مظهر لغير القومية وغير الاعتزاز بالثقافة لجميع عناصر الوحدة العصرية .

فكروا عنا تلك الأغلال التي تريد أن تقيد فكركنا وعواطفنا وتقيد أعمالنا بدعوى أنها منزلة خالدة .

محمد هلال الأبهاري : مدنية القوانين جميعها^(١)

كيف يقال أن يكلف أهل الأديان عامة في قطر من الأقطار أن يدعوا عقائدهم وأديانهم حائيا وتلزمهم بالسقيدها بقوانين وضعية — يستنبطونها بقولهم والتمسك بهم مع ما يطفئ كل واحد منا من أن المثل البشرية لا يمكنها أن تستقل وحدها بعلم المسالمة والمفاسد التي يربط بها الشقاء والسعادة .

كان على الأستاذ أن لا يتعاطر بالأديان هذه المخاطرة وأن لا ينادي بها هذه المخاطرة حتى يدعو الناس إلى هذه التجربة الخطيرة فيدعهم إلى التخلص من دياناتهم ليجرد ظنه أنها قيود عتيقة تقيد المواقف والاعتكاف بدعوى أنها منزلة خالدة .

هذا هو ما يقوله في ترويج تلك التجربة الخطيرة مدعيها أن من وراء العمل بها إسماء الأئمة وحفظ الزينة وهو خيال إذ لو مجرد الناس عن أديانهم والتجأوا إلى ما توحى به إليهم عقولهم من العدل والوسائل في التشريع لأصبحت الأمة في فوضى خلقية .

وبين الأستاذ وبين من الأديان ويجعلها قنونا لتيلا ويطلب إلى الأمة التخلص منها ويقرر أن كونها منزلة خالدة دعوى من الدعاوى

(١) الامرام - ٧ يونيو ١٩٢٢ .

ميدويه متفاح : إلى عصبة الملاحدة^(١)

تندفع دين الإسلام أبوابه السكال في وجه القراء ، وأماط لها الستار
من سبل السعادة وقرر حقوق البشرية على وجه الشركة وأنى على تبين
الاستعداد من أساسه

فأبال هؤلاء الناس يريدون أن لا تكون كالأسم الحية والذبول لتأمة
بل ما يلهم يريدون أن لا يكونوا في دائرة البشرية بل كلما جذبناهم إلى
نوعنا استمعوا وأبوا ألا يشتركوا معنا في الجنس - أروني يا زعماء الزندقة
عقلية عند مشرعكم ونظما عند مقفيسكم ينطق بها اللسان وإنصاف يقرب
لا أن يساوى هذا الانصاف ، وروحا يدنو من هذا الروح -

بين زكي مبارك ومحمود عزمي

(كتاب زكي مبارك في كتابه (إلى الرقعة بالعراق) يناش آراء محمود عزمي)

لا ذهب^(٢) إلى بغداد قال إن الخلاف بين السنة والشيعة ينتمى في حلة
واحدة « هو الإسلام : ولو خرج العراقيون من دينهم ورجعوا إلى القطرة
والت لسباب هذا الخلاف » .

قال زكي مبارك « والحسابة غريبة . ولكن وقوعها من الأسقاء عزمي
غير مستحيل ، فلهذا الرجل حوار بين هذا النوع . وهو الكتاب الوحيد
الذي اعترض على أن ينس في الدستور على أن دين الدولة المصرية هو
« الإسلام » ، وكان يسميه النص المشهور في كلمات نشرها بجريدة الأهرام
وجريدة الاستقلال .

(١) الأهرام - ١٢ يونيو ١٩١٢ -

(٢) ١٩١٢ ج ١ ص ٢٠١

وهذاك سابقة ثالثة وقعت يوم كفا في باريس . فقد اتى عليه الدكتور
بشر فارس في أحد الجرائد وقال : أنه يريد أن يسكون الإسلام إسلاما .
فأعرض الأستاذ عزمي قائلا : أنا ما يهمنى أن يكون الإسلام إسلاما .

ولم يسكن عزمي أول من أشاد بالارتداد عن الإسلام لتفعية الفأرة من
أوهام المتهربين من اتباع الدين . فقد سبته إلى ذلك الأستاذ محمد فريد وجدي
ولسكن فريد وجدي يقبل مفع كل شيء لأنه قضى حياته في الدفاع عن الشريعة
الإسلامية . أما محمود عزمي فرجل يمان أن إيمانه مقصور على الحقائق التي
يؤيدها العلم الحديث . ومن أجل هذا يقيم هجومه على الإسلام موقفا غير
مقبول .

الفصل الرابع

التعريب

بين حسين فوزى وسعيد المريان

صدر الدكتور حسين فوزى كتابه (سدا باد نهىرى) بلفه العبارة :

« خرجت على حب العرب والأعجاب بمضارة الغرب . واشتيت أهم أوقار التفكير من
مهرى ن أوربا . فتكثرت أوامر جنى وتلوت دعائم أعجابه . فلما طغرت إلى الشرق ،
مدت إلى بلادى وقد استحال الحب والأعجاب إلحاثا بشكل ما هو غرقى . »

ورد سعيد المريان : به يقول :

« أن لا يبيع النفس وقد قرأت الكتاب وذهت صدامه في نفسى ، أن
انضم على قدس هذا الرأى في نفس الدكتور حسين فوزى ، فأزعم أنه مؤمن
بالشرق وما فيه إيمان الرأى والعقيدة والدم الموروث . وما هذا الرأى الذى
يجهر به إلا صدى مسكوس لبعض هذا الإيمان . انشاء فى نفسه إحساس
قوى بحبة هذا الشرق ، ورغبة غالية فى إنسانته . ولسف بالغ لما صار إليه .
ثم ثورة غائرة فى اعماقه على أكثر ما يرى ويحس من عادات الشرقيين
وتقاليدهم . فقام أن يصيح صيحته قائلا : يا بلى قومى ، ليست هذه روحانية
الشرق وليست هذه مفاخرة « عنه البيان فلم يجد إلا هذه العبارة التى صدر
بها كتابه يترجم عن ذات نفسه فى لغة من لغة الغرب الذى تعلم فيه . فتسكلم
بلسانه ، على أن هذا الشرق الذى رآه الدكتور حسين فوزى بيمينه ليس
هو الشرق الذى ندهو إلى أحواض مجده ونجدد حضارته . أن للشرق حضارة
أخرى لا يجتليها العين ولا تدركها المشاهدة . فقد درست معالم هذه الحضارة
فلم يبق منها فيما تراه العين إلا أرض وناس . وتاريخ يتحدث عن ماض

يخزي من ذكره -أخبره- وليس الشرق هو حدنا الهند الفارق في العبودية
والأسر والموان ولا هذه الجزر البعيدة بين شواطئ المحيط الهندي والبحر
الأحمر ، ولسكن الشرق متى عام أن لم يبد اليوم لعينيه فيما شاهد من
نوى وآثار وحجارة مراكمة ، فإنه حريا أن يشرق في نفسه معناه أنه
حاول أن ينفذ بعينيه إلى ماورا ما يرى من آثار وحجارة وناس .

الفصل الخامس

حقوق المرأة

مباحثة بين رشيد رضا ومحمود عزمي

هذه واحدة من مساجلات الجدد والمثاليين : «موضوعها» هل يجب مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات ؟ ومن عاصمة أكتادوا محمود عزمي ورواها ورد عليها الشيخ رشيد رضا وكان مارضاً الكثير مما أورده عزمي . قال عزمي : ما كنت أحسب وقد ملأت الدنيا أقياء القضايا من النساء اللاتي يصرن الآن بدمهم وأفرق خلف تراخي الشايط لا يشرى والواشي ، وفي تلك الدستوري التابعة ، وإدارة شؤون الدول — ولا يزال يطن في أختارنا حيناً دوى تلك المجهود لحالة التي قام بها النساء خلال الحرب العالمية وقد استعلن محال خشتين ، يبرزن على الرجال والمامل والمصالح الدينية فيها والسكريه

وقد تناول الشيخ رشيد رضا رواية المساجلة بقلمه :

خطاب^(١) الدكتور محمود عزمي ، كان مكتوباً بالأسلوب النبطاني الذي يقصد به التأثير بخلاية النول وما يربطها من المبادئ الشعبية . وامله ينشره في بعض الجرائد اليومية التي يثبت فيها دعائمه وآرائه وقد بدأه بقضايا ظن أنها كلييات لأشكال منطقية يلزم من تسليطها النتيجة المطلوبة . والحق أنها في عرف المنطق الصحيح إما شخصية وإما جزئية لا يصبح تأليف الأشكال النتيجة منها ، وأن ما قد يضاف إليها من الكليات لا يمكن أن تكون مسألة نهتج بغيرها ، وقد سماها منطقاً وهي تسمية مردودة عند من لا إلانها يعلم المنطق وما في باب الحاجة والقياس من الشروط في تأليف الأشكال النتيجة ليرمان .

ذلك أنه ذكر أسماء بعض النساء في أوروبا وفي الشرق من معاصرات

(١) كوكب الشرق - ١٢ يناير ١٩٣٠ .

وغايات كدلم كورى وملسكة هولندية وأميرة لوكسمبورج وخالدة أدب
والأجيرة نازلى وهدى ومى وسيزانيراوى .

القضايا التى تعركب من هذه الألباء تسمى فى اللغات قضايا شخصية
لا يصح أن يناقش عنها مفردة ولا مجمعة قياس برهاني على وجوب مساواة
النساء والرجال فى جميع الحقوق والواجبات ، وذكر أيضا بعض أعمال
النساء العامة فى أوروبا وما كان من جهودهن فى أبان الحرب المظلم .
وهؤلاء وإن كن كثيرات فإنه لا يصح الاستعجال بهن على الطلوع لأنها
جزئيات ثم تعال إلى حد الاستفراء التام الذى يقيد البرهان البقي .

وما زال يقول « وما كنت أحسب » ويذكر جملا حالية معروفة حتى
جاد بالتمام الجملة فقال . « ما كنت أحسب وكل هذه الظروف نستنفذ أن
وجود تسوية المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات يمكن أن يسكون محل
مناقشة » لأنها فى رأيه كانت يوم قال بها الأسفاذ لاند خوالا من الخيالات
ولأنها أصبحت اليوم بدعية من البدعيات . وحقيقة من الحقائق الطبية التى
لا يجارى فيها إنسان .

وبعد إلقاء الدكتور عزمى لهذه اللذذات القيمة شرع فى بيان الحقوق
فقال إن أولها : حق الوجود واستنشاق الهواء كالرجل لأنها كائن موجود
مثله سواء . وإن النتيجة اللطيفة لذلك تزيق الحجاب وعتك السفروالاختلاط
مع الرجال فى كل مجال فهو القاعدة الأولى لحق الوجود . والناس فى مدح
هذا الاختلاط وعدة من مبادئ الرجل ملهه وزينة وكلامه وتساكيره .

واستشهد على ذلك برحلة الأخيرة إلى فرنسا ذكر أنه كان يحاق دقته
كل مرة أو مرتين لأجل الاجتماع بالنساء ، وذكر أيضا من مزايا هذا الاجتماع

هذه ، التفكير الطاهر يرى ، وانتقل منه إلى حق الحياة في المجتمع ومنه أن يكون لها حق اختيار الزوج وحق الطلاق وانقاء ما يهدد حياتها من عواصف تمدد الزوجات وقلى عليه بمن الاشتراك مع الرجل في تربية الأولاد وتوزيع أنفسهم إلى الأعمال . وعطف على هذا حق الامتلاك بالإرث والمكسب فارتطم هذا في حمأة مصادمة الشرع ، إذ زعم أنه يجب مساواة الأثني لذكر في الإرث فكان كدأسفة على البحر اضطرب جمهور الوجوه من اضطراب الموج ، واصطهبوا اصطخابة عند ما عسكر على الصخر وأرادوا منه من الكلام .

ولما أمكن انعام القول التبعاً إلى التأويل نزعهم أن مسألة الإرث عند كثير من علماء الشرع ليست كمسائل العبادات التي تجب المحافظة عليها والجمود على نصوصها بل هي من مسائل الماملات المالية التي يجوز تعديلها وتغييرها بحسب تطور الزمان والمكان .

وقال : وإذا تمت بعداً أصعب الجمود على الآراء الدينية فلماذا لا يتغيثون في تعديل قواعد الحدود الشرعية كما كرمهم ، ونقطع يد السارق ، فإن الحدود قد عطلت وهم ما يكون فليستكتوا إذن على تغيير أحكام الميراث . والدليل على أن هذه الأحكام لا يمكن الاستمرار عليها أن المسلمين أنفسهم قد شعروا بذلك تراؤا الخروج من هذا الجمود بالوقف الذي هو عبارة عن حيلة يميزها الإسلام الصحيح للخروج من الشئ إلى ما هو أوسع منه وقد جزم بأن أبناءنا سيرون هذا التغيير أن لم نره نحن .

وحتم هذه الحقوق بالمحق السياسي وهو أنه : لما كانت المرأة عندنا كالأرجل من كل وجه وجب أن يكون لها الحق في جميع أعمال الحكومة ووظائفها والانتخاب لمجالسها وقد حال انقضاء مدة كلامه دون أنفاضة فيها

فصكت سكوتاً مسخوطاً عليه من الأكثرين . وصفق له الأظفون ، وقد علت بهد الفروج أن اكفرهم من غير للسلين وأقل من ملأحتهم .

٢ - قلت^(١) فما ذكره النظم من اللعنات من نائبات النساء أن المرأة إنسان فلا يستعكر أن يظهر في بعض النسوة عائلات فضلات ومهذبات نائبات . وأن وجود من ذكرهن دولا على مساواتهن للنايبتين من الرجال على قلة أولئك وكثرة هؤلاء ، وأن سوانسة الأميرة نزلت لا تسمر فحصل إلى سياسة سمد باشا وأن زعم أن اجتباها تقرر ها كانت هي العاملة في تسكييف ملكات التفكير العام هذه .

وإنما الفضل الأول لتسكويرين ملكات التفكير في عقل سمد هو الأستاذ الإمام — ثم قلت عنها ما سماه « حق الوجود واستفناء الهواء » أنه ثابت بنفسه في الواقع وخلق الخالق فالسلام فيه من تحصيل الحاصل فلا يحتاج وجود النساء إلى إثبات القطيب له باللائل . فالنساء موجودات بدون حاجة إليه ، إنما الباطل هو استدلاله به على وجوب تزويج المرأة للحجاب والستور الذي يعبر عنه بالسفور واختلاط النساء بالرجال الذي دققا مرارته ويجرعا غصصه . يخرجين كاسيات عاريات يسبحن مع الرجل على شواطئ البحار ويرقصن معه في مواخير القناد .

— أما حق المرأة في التعلم فقد قلت فيه أن الله تعالى فرض طاب التعلم على النساء كما فرضه على الرجال فهو واجب عليهن في الدين وحق لمن على الوالدين والأولياء . ومن العلم ما هو واجب عيني على الصغير وما هو واجب كفائي ومنه ما هو واجب عيني على أئمتها دون الآخر كالأحكام

(١) كوكب الشرق — ١٠ يناير ١٩٣٠ .

الخاصة بالنساء، فيما هو خاص بطبيعتين كـ بعض أحكام الطهارة للمرأة .

فشكل علم تخضع به المرأة في تهذيب نفسها وتربية أولادها وتدريب مفرطها فهو حق مشروع وقد جعل الشرع لها حق حضنة الأطفال دون الرجل .

— قلت وما علم النساء من علمهن من الرجال إلا بسبب إمتحان الأنوثة، غير المهذبن بتهذيب الدين بضمها . وذلك شأن كل قوى غير مهذب من ذكر وأنثى هو من هو أضعف منه حق الوالدين مع الأولاد ، والعلم قوة يحترم التصالح بها بالطبع فعلم النساء العلم الصحيح النافع بشر من احترام أزواجهن وغير أزواجهن .

— أما حق الحياة في المجتمع فقد بينت حكم الشرع فيما ذكره منه وهو حق اختيار الزوج وحق الطلاق كالرجل وحق صيانة نفسها من ضرر تعدد الزوجات .

قلت : أن الرضى بالزوج حق شرعى قررته السنة الصحيحة للمرأة وأن من قال من الفقهاء بجواز إجبار الأب لبقته البكر على الزواج فقد اشترطوا له شروطا له ونصحه شروطا معها السكينة وعدم العداوة الظاهرة بينه وبين الولي وعدم العداوة الظاهرة أو الباطنة بينها وبين الرجل الذى يراد تزوجها به .

— أما الطلاق فلو جعل حقا مطلقا للنساء كالرجال لفسدت البيوت وانقطع سلك نظام العائلات بالانحطاط فيه كاتعدنا الصحف عن أعظم أزم الترب مدنية أن للمرأة أن تشترط في عقد النكاح أن يسكنون أمراها بيدها وهذا الشرط يعطونها حق تطلق نفسها .

أما حق الاعتلاء للنساء كالرجال فالشرع الإسلامى فيه أوسع الثوائع

وأرجعها ومن رحمته وحكمته أحكام الإرث وقد تسكنت في ذلك حتى استكنى
الرئيس بآفتها. الوقت .

• • •

٣ — ومع^(١) أن بعض الجرائد الأثرية انتصرت للاستاذ محمود
عزى وطغت على الجديور الذي أبدى بما يعلن به الأثر الخ على كل مسلم
معتصم بدينه — مع هذا وذلك — لا أزال معبرا على ما كتبته من إعجابي
بحرية الرجل وسراحته وانصافه بما صرح به أمامي بما قلت من الرد عليه
ومنه قوله لي « أفذا فبالع فبا تطالب للنساء من الحقوق في مقابلة ما تعلم من
مبالغة رجال الدين في حضم حقوقهن الفصل إلى الاعتدال الذي يقول به
مشكك ، نعم لقد أكثرت من إنصافه في هذا المقال وراق عجي به معاملته من
أنه قال هذا في مجالس أخرى .

(١) كوكب الشرق - ٣١ يناير ١٩٣٠ .

الفضل السادس

معركة حول التراث القديم

بين زكي مبارك والسباعي بيومي

هذه معركة من أسس المبارك التي خاضها الدكتور زكي مبارك ، ولأول مرة صادقه
الفتنة إذ واجه لأول مرة له وأسس وعلا أخذ من متلفرة الأستاذ السباعي بيومي الذي
كان قوي الدارحة في مواجهة سجل زكي مبارك بما حمله على أن يفر سرياً من المعركة
ويجأ إلى الصالح.

زكي مبارك : المجهوم الآثم على الرضحي

إلى الأستاذ سباعي بيومي .

نشرت الرسالة كلة بأعضاء (محمد فؤاد عبيد) عن كلام وقع منك
وانت تعاض عن « البرد » بـ « المدرسة دار العلوم فقد تحدثت عن أخلاق الشيخ
سيد المرصفي بما لا يليق ، فإن كان ذلك الكلام لم يقع منك فافقه في العدد
القبل ، وإن كان وقع منك فسارع إلى الاعتذار ، إبقاء على ما بيني وبينك
من ودا ، فما استطعت السكوت عن دجل يتعرض لأخلاق الشيخ سيد المرصفي
يسوء ولو كان من أعز الأصدقاء .

وإلى أن يثبت أن الراوي اتري عليك ، أعلن غضبي على ما بدر منك ،
فقد كنت أعلن أنك تعرف الشيخ سيد المرصفي له تلاميذ يحفظون عهد
الوثوق وصتري كيف يجب ، إن كنت في المدون على ذلك الرجل العظيم
من الأبرياء . »

وفي نفس العدد من الرسالة نشر كلام الطلاب من دار العلوم يقولون فيه
« أن الأستاذ السباعي لم يقل عن الرضحي إلا أنه كان يملكه الغرور .
والرضحي ذاك يسجل ذلك على نفسه في كل ما كتب .

(١) الرسالة - ٦ يناير ١٩٤٦ .

ثم عاد زكي مبارك فكتب في الرسالة ٣ فبراير ١٩٤١ تحت عنوان (المجرم الأكم على الشيخ سيد الرصفي) يقول : كثرت الخطأيات التي ترد إلى تحقيق ما إدعاه الأستاذ السباعي بيومي في حق الشيخ الرصفي . وكفت أغفلت الموضوع عن هذا لأن الأستاذ السباعي له حقوق ، فقد كان دائما من انصاري ولم آخذ عليه ما يريب . ولأن مقام الشيخ الرصفي أقوى من أن يهدم بكلمة جارحة تنال إليه في إحدى المحاضرات .

ولكن سكوت الأزهريين عن الانتساف لشيخ الرصفي أزعجني وكفت أرجو أن يكونوا دروعا واقية لذلك الشيخ الجليل . وهو رجل لم ير مثله الأزهر منذ أجيال طوال .

فإذا اصنع : سأقل القصة من وضع إلى وضع فأصيرها قصة أدبية لا قضية شخصية . وأبين أن السباعي بيومي يسر جنايته على « البرود » بجنايته على « الرصفي » .

ولكن كيف ؟ - يرى صديقنا السباعي أن تهذيب الكلام لم يمكن إلا بجناية أدبية . وسيمرّف أن الطاول على مقام الشيخ الرصفي لا يذهب بلا عقاب .

[السباعي^(١) بيومي : خصومة أدبية]

استهل السباعي بيومي كلامه بقوله :

« ما أحبها إلى نفسي خصومة أدبية تقوم على مشقة الرسالة بين وبين صديقي الدكتور زكي مبارك ، فإن الخصومات الأدبية المتخصصين

الرسالة ١٠ يناير ١٩٤١ / ١٦ فبراير ١٩٤١ »

ما بدر منك (تسبعتك اللهم وتعالى) فما كان لأحد أن يقول (من يعجل عليه عني فقد هوى) إلا أذنت .

زكي مبارك^(١)

هذه طلائع الفزوة شريفة تقال عتق الأستاذ السباعي من وضع إلى وضع ، وذلك فضل عليه ، إن أن اصفح عنه أو يشتغل بحرراً متطوعاً بجلة الرسالة ثلاث سنين كما ظهرت أخطائه من قبل على أن يشتغل بحرراً متطوعاً بجريدة البلاغ ، هي حنة صبت من شاطئ على الأستاذ السباعي فليست حلاً صابراً وليوطن نفسه على أن النقصومة بين وبينه أن تنتهي قبل شهر مايو وهو الموعد الذي حددته الشيخ الأسدي على انتهاء الحرب بين الإنجليز والألمان .

وكيف يخفى تهديد الأستاذ السباعي وليس في ماضيه الأذن غير نقل نصوص كتابه السكامل من مسكان إلى مسكان وتلك مهمة يقوم بها أحد النساخين بدراهم ممدودات .

أمثل يحاف من مواعيد الجهر بسكامة الحق وقد قضيت دهرى معقفا بمدونات الرجال .

لقد تطلعت معه أكثر مما يجب ، ولم يحفظ همل ، فكيف براني أمتاف عابه وقد تردى بثوب العقوق .

السباعي بيوم^(٢)

جعلت كلمتك دالماً لاجرم^(٣) على الشيخ سيدالارضي وهذا أمر غيبت عنه ،

(١) الرسالة - ١٧ فبراير ١٩٩١ .

(٢) الرسالة - ٢٤ فبراير ١٩٩١ .

ولم تشهد فسكون أقدمت عليه قبل أن يدخل لك ، وإذا سوغك تطاراك
أن تسميه هيوما فسكون وصوته متسرعا بالإيم فسكنت الأثم بما وصفت .

وتزدم أن الخطابات قد كثرت عليك في تحقيق ما ادعيته على من حق
الشيخ الموصى وأنا اجزم قاطعاً — واحلف غير حاث — أنه لا خطابات ،
وتقول وكنت أى لولا تلك الخطابات — قد اغتلت هذا الموضوع عن همد ،
لكن الأستاذ السباعي له على حقوق « وما كنت أنهم إلا أن تلك الحقوق
هي حقوق الصداقة فإني لا زلت بها حثيا وعليها حربا » ، والسكتك جعلتها
باصديقي « إنني كنت دائماً من انتصارك » وليس لعل أن يتخادع بخدعة
الغبي هذه تسوقها إليه ، فالحقيقة المرة التي اسمعك إياها الآن بعد أن طغيت
زمننا ولم ترد ، إنك ما كنت في يوماً زعيماً في الأدب حتى يصح أن يكون
لك انتصار . وإنا زعامتك تسج عسكركوت حسانه من حولك وتركك
الناس تلهو به وتامب ، ثم زدت هذه الملة أخرى تقول فيها « ولأن مقام
الشيخ الموصى أقوى من أن يهدم بكلمة جارحة تنساق إليه في إحدى المحاضرات
وأني احذر كجربنا على تعذيبك إن كنت تريدنا خصومة أدبية بيني
وبينك أن تترك الآن الشيخ الموصى فإن التعصك به لن يفي عنك في الموضوع
شيئاً ، وإذا ما صفى الحساب بيننا عدت أبين لك أن مكانة الشيخ الموصى
لا تملو في القصد ، وأن الذي يصفه ببعض ما وصف به المبرد لا يكون قد عدا
الحقيقة ولا تمدى على السلف الصالح ، فإن المبرد على أى حال أعلم من
الموصى ، علماً وأدب منه أدها ، ثم هو ادخل في الساقية الصالحة ودخولاً .

[وأشار إلى ما ذكره زكي مبارك من سكوت الأزهريين عن الانتصار
للموصى] ثم قال . إن مباركت هذه من باب الاستغناء الذليل والمق
الرخيص الذي ينقص منك ولا يزيد فوق . وقد فالتك أن الأزهريين

يقدمون حرية البحث في دراساتهم أول ما يقدمون وأنهم يرمون الجرد قبل أن يرموا الرصيف .

• * •

وانني بهذه التلمذة جلد مسرور ، أندري ماذا ؟ لأنني سأعرضك فيها للجمهور على حقيقتك التي غشيتها ما غشيتها وتسامح القاص معك فيها ما تسامحوا وسيكون أول كشف لك فيما عملت وانما على كتاب « زهر الآداب » لأنه دون سائر أعمالك أشبه بما عملت في تهذيب السكامل الذي صدرته جناية أدبية .

أما توألك بأن « قول الحق لم يدع لي صديقاً » فإن الذي لم يدع لك صديقاً هو وأهلك على الباطل في كثير مما تبحث وبنيك على حق الصديق في جل ما تنقد حتى لقد أفلت وأفلت .

ذكرني مبارك^(١)

عرض ذكرني مبارك لأشياء كثيرة قد اتهم السباعي بأنه سرق منه نظرية من كتابه « الفن الثاني » من نشأة القناعات وقال انه كتب سرقته أربع سنوات « لأنني اشهر بالافتتاح كما ذكرت أن عندي ذخائر يتطاع إليها الداهيون من الفضلاء » .

وأشار إلى أن الدكتور مـ هـ - حين حاجم دار العلوم وقال أنها مدرسة عاقرة ومن الموجب أن يُنْفَق دون تسويق علم يتحرك الأستاذ السباعي ولم يغضب « وكيف يغضب والدكتور مـ هـ رجل يغمر وينفع . وهو يملك الحق

(١) الرسالة : ٢٤ فبراير ١٩١٢ .

والإثبات من أعضاء بعض اللجان بوزارة المعارف » وقال « أما الشيخ سيد المرصفي فهو اليوم جسد هامد لا يملك دفع الضرر عن سمعة » مات المرصفي ولكن تلاميذه أحياء والربيل كل الربيل لم يعرض لشيخنا العظيم بسكفة سو » .

ثم أشار إلى أن السباعي أخرج كتابا سماه « تهذيب السكامل » في جزأين أولها في المفقور والثاني في النظم ومعنى ذلك أنه قدم وآخر في قصص السكامل فهل يرى القراء أن هذا عمل مطلوب ، وهل يرون أن المبرد كان بمنزلة أن يصنف كتابا على هذا الوضع لو أراد .

المبرد راويع بين المفقور والنظم لحسكة تعليمية ، هي مثل الذهب من فن إلى فن ليبعد همة السامة والللال وقد أساع السباعي تلك الحسكة التعليمية بصيغة « الجليل » .

وقال أن السباعي طارده المرصفي وكتابه (شرح السكامل) من دخول دار العلوم ليجهل طلبة تلك الدار أسرار كتاب السكامل وليجهلوا مبالغ أستاذهم السباعي من العلم بما وقع في السكامل من تحريف وتصحيف ، ثم قال أنه سيصحح كتاب السباعي بيومي خدمة لأبناء دار العلوم وطلاب الأدب العربي .

« وعلى الأستاذ السباعي أن يناقشي أن استطاع وهو أن يستطيع ولو طاهره أوف من المعجبين بقدرته على الاستعانة بنصائيل التدقيق والتحقق . والأستاذ السباعي شتمني في مجلة الرسالة مرتين فليكشف عن شتمني — غير مأمور — فإن الأئمة والأفلام لم تبق في شتمني مزينة لستزيد ، ولو حاسب الله أعدائي وخصومي على ما اجتروا آخين في إيقاضي لعلل عليهم شأنيب

البلا. لا تشتمني ياسيد سباعي غصبي ما أعاتني من البلى بمحنة القدر
الأدبي. ألا ترائي أساور أناس لا أرضيهم نساخا للقالن ومؤلفاتي.

لقد لامتى الناصحون على ما افرقت من التنازل إلى مساجلة بعض
الناس. فهل تعرف كيف كان جوابي.

لقد أجبته بأن الأدب كالعلم، والعالم يشرح جسد الصفة كما يشرح
جسم الإنسان، فمن واجب الأديب أن يفهم أن لا عيب في أن يهتم بشرح
ما يضاف إلى الأدب لو صدر عن تكرات، لا تشتمني ياسيد سباعي فأنا
رجل « شقيم » وذلك حرف لا يعني هابك. لا تشتمني فأملك حمايتك
لو أردت الاعتصاف لنفسى، وماذا أقول في تجريحك ولست بشاعر ولا كاتب
ولا مؤلف ولا خطيب.

أن قلبي ليس كالعسل بالغبار الذي يثيره قلبي، فمن طالب له أن يلتقي في
ميدان النقد الأدبي فليومئط نفسه على مسكاره لا يصير على لأوائها غير
الطفايزيد.

السباعي يومي^(١)

تدعي أن صديقنا عزيزاً قال لك: لم يرضيني تحديك للاستاذ السباعي
فقد كان يتفق أحياناً كثيرة أن يعمل مقالاتك من موضوعات الدرس في
دار العلوم وذلك من شواهد الإعجاب « ويظهر يا دكتور أن هذا الدقيق
من الطيشاء الظرفاء الذين عرفوا نيك ما قرره أين التمتع من أن عجب المرء
بنفسه أرحب باب يدخل عليه منه الضاحك وعاليه والفضائل له، فهو قد أضلكت

(١) الرسالة ١٠ مارس ١٩٤١.

وضحك عليك بما تخيلت تنقذت ، وما كان لشيء من مقالائك أن يكون موضع الدروس في دار العلوم ، ولو حدث ما سميت دار العلوم .

ويقول أنك لن تصفح عني أو أشتغل عرراً متطوعاً بالرسالة ثلاث سنين وما هذا لي بالتهديد لما أنا من بشرهم التحرير ولا من تمودوا أخذ أجر على ما يكتبون لأنى أكتب للكتابة لا طمعا في مال .
ولذلك يصدر ما أكتب من غير كلفة ولا إكراه .

وسأعطفك بأن ماضى لم يكن قائماً على خدمة السكامل وهذه وأن تهذيب له لم يكن هملاً يقوم به أحد النساخين بدراهم معدودات ، وذلك أنما أفقت عليه من أنه كان خدمة يعرفه بالعارفون .

وتزعم أنك قضيت دهرك معجنا بعدوات الرجال ، ورجاؤى أن يكون رجلاً فيما أصبت به عدائى ، وأن لا تنال في عدم العطف على ذلك الذى أزممت تركه لأنى تردت لك ثوب العقوق ، والحقيقة بأدكتور أنه لا عطف منك على ولا عقوق منى إليك ، وإنما هو نقاش وحساب يقتضب منك أن تكون الجاد الصبور .

قلت : « فليواجهنى أن استطاع وأنا ماضى إليه بقلم أمضى من السيف وأعطف من القضاة » وستعرف أينما الذى سيكون قلم أمضى من السيف .
إما أن أفك أعطف من القضاة فمعاذ الله أن أشاركك هذا السكفران .

وإذا بك تقسم الدكتور طه حسين في الموضوع بأنه أنتب نفسه في الليل من دار العلوم ولم الغضب مع أبى أستاذها ، وهذا غير ما كان بأدكتور ، فقد كثرت في الصحف ولكذلك لم نقرأ ، كما لم نعرف ماضيه . وما زلت مستعداً لتضحيته في سبيل الدفاع عن دار العلوم ، ثم توغل في الأقدام فتدعى

أن طه سكوني أن الدكتور طه يشر وينفع وبك الجو والإثبات في أمعاء.
بعض الجبان ، وردى على هذه الأكلوبة على ومن الدكتور أني لم أسكت
ومع هذا كنت مضرا في الجبان ، وما ذنبى إذا كنت آدمى وترك ،
وأعرف وتفكر .

وأخيرا تسكر من الجملة « لا تشقى يا سيد سيابى » معقبا إياها
بتمائل من الأباطيل ، فالشام أفت وأنا من الشتم بعيد وإذا كنت تلحن
لى في ذلك بأنك « شقيم » فأنا ألحن لك بأنى « بشر بن عوانة » .

وتقول : « نأ أنت بشاهر ولا كاتب ولا مؤلف ولا خطيب » وأما
الشعر فهو رضى لى ما قلته كما رضى أنت ما قلت ، اسوية ديوانا كما
سويت ، ولوقت في الشوك كما وقت ، قد اغتررت في طبع ديوانك بضحك
من غرروا بك ، وخالفت قول من تصبوا لك وما ديوانك يشر شاعر
ولسكة لجميع ناظم ، أما الكتابة فما نحن في ميدانها وسيصدر الجمهور
حسكه .

أما التأليف فقد عرفت من عمل نهى (تهذيب السكامل) واستعرف
غيره من مؤلفانى متى انتهيت مدة ونقاشنا نية الآن فاقبت ولا نفر من الميدان .
أما الخطابة فأرى لك فيها يا دكتور أن تعلق في جلستها أمام جمع من
الأدباء وجهرة من السامعين ويقترح على كليبنا التسكلم بداعة في موضوع عام
من أدب أو إجتاع وهناك فقط — ولست مزكيا نعى — نجد بحر يغرك
وأموجا تظلمك وتبهرك . تقدم طالبا النجاة ولات حين مفاص .

زكى مبارك^(١)

أنى لم أكن أعرف أن اللغة العربية غنية بألفاظ المعجاء قبل أن أقرأ

(١) الرسالة ١٠ مارس ١٩٤٦ .

كلته القافية . وأما من الذين يدعون بوجود طلب العلم من الدم إلى القصد . فمن واجبي أن أرحب بمن يهتدى طرائق السباب ومن أجل هذا الرضى كل الرضى أن ينشئ ما بيني وبينه بالصلح . السبابي يهدد ويهدد بقصد مؤلفاتي وهو من تضايها يعيش قبل رأيت أقيع وأشنع من هذا السكران^(١) .

(١) الرسالة ٦٠ مارس ١٩٤٦ .

(٢) أتت هذه السجدة بأن أعلن الدكتوركي مبارك * أن بش كيارالفتن في وزارة المعارف وأرووف الجبال الذي أثرته في وجه الأستاذ الديان بيوس وجنيم ألهوصل لك إلى درجات من الصف تولى كرامة مالتلتلج بخدمة الله العلية . وقال : أي أجيب هذه الدعوة لأنها أول دعوة كريمة ليكتب الله بين وبين من أخاصهم بقل لا يفتي . ثم أسمع هذا الصوت يوم خاضت رجالاً أمراء لم يسكن يسكن أن يصم لهم ما بيني وبينهم من عبود وأصناف الناس أقول أنتي كذبت ما كذبت وأنا أبلغ * تأتي قد أخاصم وسكن لأعادي هذا استطاعت الدنيا بأعمالها اللواتك أن تنفي عن أرباب الفضائل والمفرد ، وأنا أتهم بالصورة والصف بغير حق . فما كان هم في كل ما أثبت من الجادلات إلا إعطاء الروح الأدبي والقلبي . أما إلقاء الأدياء فهو معنى لا يجر بهامري . وعلى سبب فطرب على ذلك فقال أنه إذا كان لدى الدكتور ما يقول بالأسلوب اللاتي فليست من الوساطة كانت متصلة على أسلوب الجدال لأعلى موضوعه ، وصمت زكي مبارك .

.....

.....

الفصل السابع

معركة الخلاف بين الدين والعلم

أثار الكتاب المجددون معركة الخلاف بين الدين والعلم ، ومن واحدة من الماركات التي ذكر عليها دعاء التقريب إلى الله الأديكار وأثارة جو من الشكوك والشبهات والانتقادات وقد اختار فيها الدكتور هيكل ومحمود عزمي وطه حسين وساجد سليم الشيخ رشيد رضا ، واتسم البحث لتدليل عليها من المصنف هم السياسة وكتبا كثيرين منهم ، مصطفى عبدالرازق وفريد وجدي . ومما جرت السياسة رشيد رضا وروى له ترجمة في مقالاتها « في المراتة » وانتهت به أنه كان سلبية للمدعى والأخبار وأنه جادل كرومر حين سب الإسلام وقال له أنت القصد اسلام اليوم ووجد في وثائق الشيخ محمد عبده ما يرضى المدعى التقريب به إليه . والى أنه حمل في الخريطة سلما لا يثق له خيار وان كان رشيد رضا إنقاذ جمعية تجديد الاغداد والازدة والاشاعة المظلمة ومشت سنوات في الصراع ثم حسم الدكتور هيكل للمعركة بأن أمطرها لالامعة التي بين التصديق والالحاد :

[معركة بين رشيد رضا والمجددين]

بدأت المعركة في يونيو ١٩٢٦ عندما كتب هيكل مقالة عن « الدين والعلم ورجال الدين ورجال العلم » . ولستكن الدكتور طه حسين أذاع أنه قد دخل المعركة عام ١٩٢٣ ونظف رأيه في أن الدين « حين بقيت وجود الله ونسوة الأنبياء ، ويأخذ الناس بالإيمان بهما بقيت أمرين لم يستطع العلم إلى الآن أن يثبتهما . فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله . وام يصل بعد إلى إثبات نسوة الأنبياء . وإذا تدبى العلم والدين خصوصاً في حدين الأمورين يثبتهما الدين ولا يعترف بهما العلم .

(السجاسة الأسبوعية — ١٧ يوليو ١٩٢٦)

وقالت الأهرام (١٩٢٦/١٢/٢٦) أن فريق المنصرين للعلم على الدين يؤيدون نظريتهم بالتدريج لا بالتصريح ، وأن التصود بالدين المعاطنة الدينية التي ترفع الخلاف إلى الخلق أيا كانت تفاصيل النقاش .

وقال (مصطفى عبد الرزاق) : إن الاتجاه العلمي الأخير إنما هو انتصار للدين « ولست من التائبين بأن العلم كان يوما من الأيام يناهض الدين . ومن الفاحية الأخرى لم يحض الدين على مغالبة العلم بل العكس » إن الإسلام يدعو إلى حرية البحث وحرارة التفكير والفساح الذهني » .

وقال (محمد فريد وجدي) : أن شدة الخلاف بين الدين والعلم — وهي حل ما هي عليه في حالتها الراهنة — بعيدة المدى وقائمة على أسباب غاية في التعقيد وما دلت هي محافظة على فعاليتها فلا يوجد في العالم ما يقرب بينها وبين العلم .

الدكتور هيكل : رجال الدين ورجال العلم

نحن^(١) لم نعرض للمسألة التي تخص الخصومة بين رجال الدين ورجال العلم ولكن لفني الخصومة بين الدين والعلم ولطبت أن ما يحسبه البعض خصومة بينهما ليس هو في الواقع إلا خصومة بين الرجال الذين يتقصبون شكل منهما وأنها خصومة غائبة القساط والحكم قبل أن يكون لها أية غاية أخرى . ونفي الخصومة بين الدين والعلم وقال : قد يحتاج إلى بعض إيضاح للمسائل التي ناقش بها بعضهم رأيا ، ونعتقد اعتقادا لا ريب فيه أن الذين ياحشون أو أرادوا مباحثتنا سيذهبون إلى الاتفاق معنا اتفاقا تاما وسيسلمون ، سواء كانوا من رجال الدين أو من رجال العلم بأن الخصومة بينهما مادية محضة ، العلم لذاته مادي يرى . والدين لذاته يرى .

« الدين والعلم حقيقتان وأصعبتان تاريخيتان في حياة الإنسانية ، على أننا نبادر من الآن لنقول أننا لم نقصد بالعلم مجرد المعرفة وإنما قصدنا به

(١) السياسة الأسبوعية ، ٣ يوليو ١٩٢٦ .

العلم الرصني أو الواقعي ولم تقدم الدين حياة خاصة بل تعدنا الأديان جميعاً من غير تقريب بينهما . ولو أنا تعدنا بالعلم مجرد المعرفة لسكان الدين علماً في رأي الواقعيين الذين ينظرون إليه كواقعة اجتماعية تاريخية . ولسكان للعلم بعض آثار الدين الذي أحاط بكل شيء علماً .

ثم تسأل هل الإسلام في هذا الموضوع على خلاف سائر الأديان فتعاده أمور الدين وأمور الدنيا لرجال الدين فيه هم لذات العلم . وهل يعد العلم أبداً حاجات البشر لأن أساس العلم والتطور والتجديد فلا يمكن أن يقتل فيه باب الاجتهاد ولا يمكن أن يحدد رجاله !

الدكتور هيكل : الدين والعلم

فأما^(١) الخصومة بين رجال الدين ورجال العلم فخصومة قديمة لأنها خصومة على الاستئثار بالسلطة وبمنظام الحكم ، أما الدين والعلم فلم يكن بينهما خصومة ولن تكون بينهما خصومة ، لأن الدين يقرر المثل الأعلى لقواعد الإيمان التي يجب أن يأخذ الناس بها في حياتهم ، والعلم يقرر الواقع في حياة الوجود ويرسم تطور الحياة في سبيل سيرها نحو ما يظنه السكالم ..

والسكالم الذي يدعو الدين إليه كمال مقرر القواعد والأركان لا يمكن أن يغير أو أن يعدل والسكالم الذي يظن أن الإنسانية تسير نحو كمال على لا يستطيع العلم رسم قواعده لأن العلم يعرف بأن الإنسانية وهي بعض قليل من الوجود ، خاضعة في تطورها ودورها لقوانين معروفة وأخرى ثابتة ولكنها ما تزال من معروفة .

إذا سمحت يوماً أن بين الدين والعلم خلافاً أو خصومة فاقطع يدي .

(١) السياسة الأسبوعية - ١٢ يوليو ١٩٢٦ .

الرأى بأن ائتلاف والنصومة ليس بين الدين والعلم ، ولسكنهما بين رجال الدين ورجال العلم وأن أساسها ليس في شيء من الدين لذاته ومن العلم لذاته ولسكنه في سمي هاتين الطائفتين سمياً أتاها مرة أو يكون يدها بالحكم والسلطان دون الأخرى .

إن ائتلاف بين رجال الدين ورجال العلم إذن ، وهي خصومة أساسها بعيد عن الدين والعلم . وقامتها حرم كل طائفة على الاستئثار بالسلطة وينظام بالحكم ، وكلتا تقاتلت طائفة من الطائفتين على الأخرى قام منها رجال الأمر في الدولة .

ولم يكن فوز رجال الدين بالحكم ولا كان فوز طائفة من رجال العلم بالحكم راجعاً إلى الدين ذاته أو العلم ذاته بل كان راجعاً أيداً إلى اعتقاد المحموم بصلاح واحدة من الطائفتين دون الأخرى لولاية شئون الدولة .

وقد أضحت المصور الحديثة منذ قرون ثلاثة في أوروبا أن يتقلب رجال العلم على رجال الدين شيئاً فشيئاً حتى كان ما كان من فصل الكنيسة عن الحكومة في فرنسا في العهد الأخير الذي سبق الحروب الكبرى ، وإنما تنافست طائفة رجال العلم عندما نشأ من بينها المخرجون والاقتصاديون وهذه تركيا مثل قوى من أمثلة انقضاء سلطة رجال الدين في أمور الحكم وذهابها إلى غير عودة ، ومصر من زمن بعيد تفقد سلطة رجال الدين فيما يخص بالحكم ونظامه في حدود ضيقة وإن بقي لهم مقامهم واحترامهم الديني .

وليس محتملاً أن تبقى السلطة أبداً لرجال العلم فقد يأتي زمن يكون العلم فيه قد أنتج كل ما يستطيع إنتاجه فأصبح العفا مجرد حفاظ لأمراث الذي خلقه أسلافه وعقبوا عن أن يبدعوا جديداً ..

عل أن هذا اليوم الذي يجد فيه العلم ما يزال في رأى الأكثرين
بمبدأ ..

الدكتور طه حسين : العلم والدين^(١)

من الحق أني فكرت في هذا الموضوع وكتبت فيه قبل صدقي هيككل
وهو : وفي الحق أن السياسة اليومية قد نشرت لي في ربيع سنة ١٩٢٣
فصلا غضب له مولانا الشيخ بنوت غضبا شديدا لأنه كان يحس مولانا الشيخ
بحيث حين أتت محاضرة في الرد على ريتان .

وفي الحق أيضا أني كتبت في العلم والدين وما يفهما من خلاف فصلا
آخر كتبت أريد أن أنشره في السياسة أيا كان تلك الضجة المتيفة التي أثرت
حول الشعر الجاهل ثم بدأ في فكرت هذا الفصل في زاوية من زوايا مكاتي .
وقد تكون الحالة جديدة في مصر ولكلها تدبجة في أوروبا .

أني أعلن في صراحة ووضوح أن العلم شيء ، والدين شيء آخر ومنفعة
العلم والدين في أن يتحقق بينهما هذا الاتصال حتى لا يعدوا أحدهما على
الأخر وحتى لا ينشأ من هذا العدوان في الشرق الإسلامي مثل ما نشأ في
الغرب المسيحي .

أن صدقي هيككل يرى أن ليس بين الدين والعلم من خلاف وأن هذا
الطلاق لا يمكن أن يكون . وإنما الخصومة بين رجال الدين ورجال العلم
وهي خصومة على الحكم والسلطان لا على الدين والعلم .

أحب أن ألفت صدقي هيككل إلى أمرين عقابى الخطأ : الأول أن

(١) السياسة الاسبوعية - ١٢ يوليو ١٩٢٦ .

الدين حين يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء . - يثبت أمرين لم يستطع العلم إلى الآن أن يثبتهما . فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله ولم يصل بعد إلى إثبات نبوة الأنبياء . وإذن فبين الدين والعلم خصومة في هذين الأمرين .

ثم أن العلم لا يثبتهما أو هو لا يعرض يثبتهما أو اثباتهما . وإنما ينصرف عدما انصرافا تاما إلى ما يمكن أن يتناوله بالبحث والتحصيل .

هذا أمر والأمر الثاني هو أن السكيب المساوية لم تنف عدد إثبات وجود الله ونبوة الأنبياء . وإنما عرضت لمساائل أخرى يعرض لها العلم ومحكم وجوده لا يستطيع أن ينصرف عنها . وهنا يظهر تناقض صريح بين نصوص هذه السكيب المساوية وما وصل إليه العلم من النظريات والتوانين ، وأمر ثالث هو أعظم من هذين الأمرين خطراً وأبعد منهما في تحقيق الخلاف ، وأمر ذلك أن العلم لم ينف عدد هذا اللون من ألوان الخلاف وإنما طمع في أن يمتنع الدين ليجته وفقده وتحليله . وهو لا يحفل الآن بأن القوراة تناقضة أو لا تناقضة وإنما يزعم أن له الحق في أن يمتنع الدين نفسه موضع البحث وقد فعل .

وسدبقنا همسكال لا يحول أن التالم ينظر إلى الدين كما ينظر إلى الفقة وكما ينظر إلى الفقة وكما ينظر إلى التباس من حيث أن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة وتتبع الجماعة في تطورها وتأثر بها بتأثر به الجماعة .

إذن فالدين في نظر العلم الحديث ظاهرة كثيرة من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها .

وصديقنا هيكال قد قرأنا أظن - كتاب (دوركم) في الدين وهو يعلم أن دوركم ينتمى من نمته الطويل الدقيق إلى نتائج مختلفة منها أن الحياة تعبد نفسها أو بعارة أدنى تؤله نفسها .

إن الدين في ناحية والعالم في ناحية أخرى وأن ليس إلى التقائهما حيل ومن زعم للناس غير هذا فهو إما خادع أو مخدوع . والحق أن المخدوعين كثيرون وهؤلاء المخدوعون هم الذين يمارفون دائماً التوفيق بين العلم والدين .

الدكتور محمود هزيمى : الدين والعالم^(١)

عرض صديق الدكتور هيكال لموضوع خطير لم يمرض له باحث جدى في مصر ، وقرر أن الخصومة إنما هي بين الرجال لا بين العلم والدين ، وأنها خصومة من أجل الحكم والسيطان كما قرر أنه قد باتى زمن يظهره من التعارض ما يكون موقفه من العلم موقف العلم أول أمره من الدين يتسبح معه ثم يستقل إذ يحس من نفسه القوة والشاغل .

وعندى أن هذا الافتراض غير محتمل الوقوع ولا يندى من القول بأنه مستحيل إلا أن التعبير بالاستحالة ليس من الأسلوب الدقيق فى شيء كثير .

غير محتمل وإذ قارى أن يعنى غير العلم على العلم ، وأن يصبح أهل العلم يمحى لا يسدق حاجات الحياة والأجواء بأكثر مما يسدها أهل غير العلم من الناس .

وقد محتمل أن باتى ذلك الزمن الذى يقول الدكتور هيكال أنه قد باتى يوم يكون العلم فيه قد أنتج كل ما يستطاع إنتاجه فصبح العلماء مجرد

(١) - دراسة الأستاذة - ١٩٩٠ - ١٩٩١ - ١٩٩٢

حفاظاً لذيخات الذي خلقة أسلافهم وعشوا من أن يدعوا جديداً .
ذلك بأن العلم الصحيح قائم على مشكلة (التطور للسكر من ناحية والخلق
باستمراره من ناحية أخرى) وما دام التطور قائماً فلن يعرف أحد ولن تعرف
قوة يكال للماني الفلسفية لهذا المسئلة — أن تحدد لهذا التطور مدى ..
وهكذا ترى عمل العلم قائماً محدداً منشوراً غير قابل للحد ولا لعل ..
إذن فإن العلم باق وإن العلم خالده وأن العلم ، يتطور تطوراً مستمرّاً
خالقاً ..

التجديد والإلحاد : رشيد رضا

نبهت^(١) في مصر نايبة من الزنافة للتعدين في آيات الله الصادقين عن
دين الله ، قد سلكوا في الدعوة إلى السكر والإلحاد وشماها جندا ولقتشكيت
في الدين طرائق قدما منها الطعن في اللغة العربية وآدابها والبداهة في بلاغتها
ومصاحفها ووجود ما روى عن باغاء الجاهلية من منظوم ومنثور وقذف
روايتها بخلق الأكاذيب وشهادة الزور ودعوة الفاطميين باللسان العربي للبين إلى
هجر أساليب الأولين وأتباع أساليب المعاصرين ومعلم الذين يدعون إلى
إستبدال اللغة العامة المصرية بلغة القرآن الفاصية المصرية والعرض من هذا
وذلك ضد السلفين من هدابة الإسلام وعن الإيمان بإعجاز القرآن فإن من
أولى خطا من بيان اللغة وفاز بسهم رابع من آدابها حتى استعصمت له مشكلة
الذوق فيها ، لا يملك أن يدفع عن نفسه عقوبة إيجاز القرآن ببلاغته
ومصاحفته وبأسلوبه في نظم عبارته ، قد صرح بهذا من أديب العصرانية الأستاذ
جبر ضومط مدرس علوم البلاغة بالجامعة الأميركية في كتابه العواطر

(١) مقدمة إيجاز القرآن قرأه

الحسان وصرح بذلك أديب هذه اللغة وبلغها الشيخ إبراهيم اليازجي الشهير وهو أبلغ كاتب أخرجته المسيحية وقد أشار إلى رأيه ذلك في مقدمة كتابه بحمة الرائد وكذلك سألتنا شاعر التاريخ المسيحي الأستاذ خليل مطران ولا نعرف من شعراء القوم من يماريه فأقر لنا بمثل ما أقر به أستاذ اليازجي - والأمر بهد إلى العقل والعقل ليس له دين إلا الحق والحق واحد لا يتغير .

وقد رأيت شيخنا الأستاذ الإمام يقرأ في كتاب إنزسى اللغة لحكمهم من حكمائها فسكان مما قرأه على منه بالترجمة العربية رد المؤلف على من قال من دعاة النصرانية أن محمد (ص) لم يأت بمثل آيات موسى وعيسى المسيح (ع . م) قال أن محمداً كان يقرأ القرآن مدحاً صادها متصدعاً فيقول في جذب التلويح إلى الإيمان به فوق ما كان يفعل جميع آيات الأنبياء من قبل .

الشيخ رشيد رضا في مائة السياسة^(١)

بقلم عبد الحميد حمدي

وددت لو أنني وقفت إلى معرفة تاريخ النهضة بل الساعة التي ولد فيها الشيخ رشيد رضا حتى أرصد الكواكب في تلك الليلة وأرى أي كواكب النجس اقترن به ذلك الرجل ، ورحم الله الشيخ محمد عبده لقد كان أول من أصيب بشؤم هذا الرجل الذي لم يوفق رجل إلى الشؤم توفيقه إليه .

وقد حدث أن طعن نورد كرومر في ثورة طاعاً جارحاً في الإسلام بهاك لآلك خواطر الناس ، فأبى المسلم الورع رشيد رضا إلا أن ينفذ الموقف ، فبث إلى كرومر بخطاب قال فيه إنك ولاشك تصدت بطمعك الإسلام اليوم

(١) السياسة الأسبوعية - ٢١ - مايو ١٩٢٢ .

لا الإسلام على حقيقته فما كان أسرع من كرومه أن يؤمن على الاعتقاد
ليهرب مما تورط .

والملك بعض نوادر الشيخ في غير مصر : اتصل بجمعية الاتحاد والفرق
التركية بعد إعلان الدستور فوقف منها موقف المداح الطيال يشيد بانها
وينقح بعدها ، حتى إذا أتى عليه زحاماؤها وطينة تركهم ، وانقلب عليهم
طعانا عجا ، ثم اتصل بالرجعيين من الأتراك فشدأ بهم وجرى عليهم من حكم
الزمن ما جرى .

ووقت الحرب السكبرى وأمر الملك فيصل على الشام فالتصّل به صاحب
الشار فتره الرجل إليه حتى أوصله إلى أكبر مقاصب دولته .

ثم اتصل بالملك حسين ملك الحجاز أي فوصل فزال به حتى عزل عن
العرش وشرّد إلى النفي . واتصل بمؤتمر الخلافة والناس يذكرون ما كان
من أمر مؤتمر الخلافة وهذا هو السر في حيلة الشيخ رضا على الأسفاد
على عبد الرزاق .

وبعد فيستطيع الشيخ رشيد رضا أن يكون مسلما أو نصرانيا أو يهوديا
أو يرديا أو ملحدًا ويستطيع أن يكون كل هؤلاء جميعا أو لا يكون شيئا
من هؤلاء جميعا ولكن شيئا واحدا لا يمكن الشيخ رشيد أن يكونه . بأن
يكون صادقا في أي من هذه المذاهب اعترف وفي أي منها يبد.

رشيد رضا : جمعية تجديد الإسلام والزندقة والإباحة المظلمة

ألف الدكتور طه حسين أسفا تجديد الاتحاد والإباحة بالجامعة المصرية
غير الرسمية والرسمية ككتاب كذب فيه آلهة العربيه ورواة آدابها فيها ردهه
من شوب العرب في عصر الجاهلية وزعم أنهم هم الذين وضعوا المثلقات السبع

واقتربها حل امرى، القس وعلمه ، وقد أتى هذا الكتاب دروساً للجامعة المصرية الرسمية وربما يصدق الكثيرون من طلابها هذا الأهمي الجسر البصري فيما يكذب به علماء الأمة الإسلامية وكتاب ربها وحديث قبيها المصوم فيما يريد به تعريض أمتهم من الدين واللغة والنسب والأدب والتاريخ ليجددهم فيجعلهم أمة أوربية . بل عامة لدول الأوربية كاجدد نسبه وبيته بتزويجه امرأة غير مسلمة وتسمية أولاده مقياً بأسماء الأفرنج رغبة من الأساء العربية القديمة والجديدة واحتقاراً لها .

ومن الغريب أن همدعاة الزندقة في عدم مقومات هذه الأمة ومشتخصاتها ووصفها بالقدعية وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه . ومن العلوم أن ما من قديم إلا وكان جديداً ولا جديد إلا وسيكون قديماً ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وإنا الأسم ناريخها .

ومن عجيب أمر هؤلاء أننا نرام يذمون إلى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالآداب الإغريقية والشعر الأفرنجي الذي هو دون الآداب والشعر العربي الجاهل والاسلامي كما نرام يذمون بتعقير آداب اللغة العربية ليجردوا الأمة من هذا الفضل المنطوق الذي ينفضها عن غيرها من الأمم ويثبت لها استقلالاً خاصاً بمقومات خاصة ومشتخصات خاصة .

بين رشيد رضا وهينكل^(١)

[الدكتور هينكل : لاصلة اللغة بين التجديد والإلحاد]

« إن مسائل الأزياء واللغة والمخاضة وما عمنع له من تطورات لا علاقة لها بالتمهدة على أن الانهام بالإلحاد - حتى في بعض مسائل تمس الدين يبدو

(١) السياسة والاسلامية - ٣ مارس ١٩١٩

هو الآخر وليس فيه أكثر من صيغة حرب يقصد بها الظهور بالطلب أمام الجماهير .

هذا على أن الإلحاد لا علاقة له بهذه الشئون التي يفتشها بها من يرمون به غيرهم يريدون أن يحاربهم باسم الدين والفروج منه . فسأ نعرف أن للإيمان والإلحاد علاقة بزي اليباس وألفاظ الله ونوع الحضارة التي تنبعثها أمة من الأمم .

ومن المؤمنين من ينادى بتجديد الأزياء والأساليب وصورة الحضارة ومن الملاحدين محافظين لا يريدون أن يتغير في الله حرف وأن تبقى الأشياء كما كانت من قرون .

بل أراي لا أنه إذا قلت أن التجديد أقرب إلى الإيمان منه إلى الإلحاد وهو كذلك في الإسلام بنوع خاص .

ولعل أشد الناس متانة بسوية الحرب ضد التجديد وقرن الإلحاد إلى صميمهم جماعة من إخواننا السكتاب يحسبون القصد موجهاً إلى أسلوبيهم السكتابي لأنهم ينجأون إلى استظهار أساليب الأقدمين لا في ألقاظها وتراكيبها وكفى بل في مجازاتها واستمرارها ووقوفها على الأمثال وبكائها وحداثتها للابل وذكرها الموادع والصناديق وكتبان الرمل في ألوان غزها ولونها ومجونها .

يوجه القند إلى هؤلاء ويرى الذين يفتقدونهم أن غير الأساليب ما يمارب مع الحياة المحيطة بالإنسان وما أدى الصور والمعاني التي يراها ويشعر بها ويتقبلها مما يرى ويشعر ويجول بخاطرهم .

فيريك ما شأن هذا القند بالمعقبة والإيمان !

ولم لا يكون الدعاء إلى الرفوف عدا. القديم من أساليب اللغة وألفاظها من هؤلاء. المحدثين. ولم لا يكونون أشد منهم في الإلحاد إلخاها.

ولقد تعجب حين تذكر أن رجلا كالشيخ رشيد رضا مثلا كان متصلا اتصال نفذة واتصال رزق بالفقير له الشيخ محمد عبده حين كان رحمه الله يرمي بالزندقة والسكر والإلحاد ولا يتدفق هو عن أن يرمي الناس بالإلحاد.

من الخطأ غير اللائق رجل يسك القلم ويدعي لنفسه التفسكير والتعجيل أن ياجأ كاتب إلى هذا النوع السقيم من الخطأ. لقد فهم أن يقول هؤلاء من أنصار الأساليب والأخلاق القديمة والعائشين ما يزالون بين كتابان الرول إن كل مسابقة المدينة الغربية فيه بالغة وبأساليبها أشرار السكيت وكيت من الأسباب التي يسردونها. لكن ذلك شيء. والإلحاد شيء آخر.

ولو أنهم استطاعوا أن يفتقروا من أنفسهم موقف العقاد وأن يعرفوا مواضع القوة ومواضع الضعف من كتاباتهم لهذا هم ذلك السبيل إلى السور فوق هذه المنازعات بين القديم والجديد.

لكن كثيرين لا يستطيعون هذا لأهم يريدون أن يروا حولهم جمهوراً يصدق لهم ويشكون في أن يمدوا هذا الجمهور المحجب الضعيف لايجاد الصالح مما يكتبون.

فهم لذلك يشنون العارة باسم الإلحاد ونارة باسم المحافظة على اللغة طورا.

مصطفى عبد الرزاق^(١)

إن الاتجاه العلى الأخير هو انتصار الدين. ولست من القائلين بأن العلم كان يوما من الأيام يناهض الدين. هذا من جهة، ومن الناحية الأخرى

لم يحض الذين على مقارفة العلم بل على العكس إن الإسلام يدعو إلى حرية البحث وصرخة الفسكير والقصاصح الذعفى .

لقد كانت المودة بين المتنئين فى القرن الماضى هى المصارحة بانسكار المتأائد والمتقن مودة فى كل جيل .

والعلم والدين اليوم بتأسان والفضل فى ذلك يرجع إلى تشكير العلماء على القسط القلبنى ، فأصبح العلم اليوم يسلم بوجود مالس قائما أمام المس. وذهب عصر البذبهات وتميز وضع القواعد العلمية ، وأصبح عصرنا هذا عصر يقن واعتقاد بالقوى الخفية . وقد أستطيع القول بأن العلم فى الأيام القبية سيعطو نحو الدين شلوات جربة لا يبد أن تثبت إمسكان ونوع المبرزة وفى الغتام أن العلم يعزز الدين .

محمد فرد وجدى

إن شقة الخلاف بين العلم والأديان وهى على مامى عليها فى حاشتها — بعيدة الذى وقائمة على أسباب غاية فى الخطورة — ومادامت هى محافظة على تالدها فلا يوجد فى العالم ما يقرب بينها وبين العلم مهابا تسكل فى تطوره فإن كل ما ينتظر من تسكلة هذا أن يصل إلى إثبات وجود الروح وغلوردها من طرق أسلوبه السلى المعروف . وهو إذا وصل إلى هذه الغاية هل على متابعة طريقه ليبلغ إلى أقصى ما يعرفه عن عازقات الوجود وعن خير الطرق لتزقيها واتصالها بالملأ الأعلى ، والقاس كما لا يخفى تمودوا ألا يتقادوا إلا إليه فيصبح العلم زعيما للمركة الروحية كما هو زعيم للمركة المادية .

ولسكن إذا انتهرت الأديان فرصة هذه الفترة الانتقالية ولقت من فوق أكفانها كل ماحتمه من آثار الأساطير وبقايا القوميات . وما أحيط به

الآراء والمذاهب والتأويلات ونجحت عاطفة قوية نزاعة إلى أقصى درجات التشكيل الأدبي غير مقيدة بأوهام بيئة ولا بأهواء قبيل ، وغير خاضعة لسلطان طائفة ، ولا نائمة بقيادة بشرية . قلصا إذا انتهزت الأدبان هذه الفرصة، وتجردت من كل أحيائها البشرية انفتحت والفرقة العلمية بل اندمجت فيها وتوحدتا وبطل الصراع بينهما .

ولزيادة البيان نقول أن الأدبان قد أخرجت من يساعتهما النظرية ، وأصبحت ممثلة لأرا. أهلها وحالاتهم خلال القرون وقائمة على حوادث محلية ولها وجهات نظر خاصة بها في العلوم والفنون ، ومنطق مطبوع بطايعها لتتطرق والتنبأ والمعرفة ولا يتقل في حال من الأحوال أن تتفق والتعلم ، بل المنتظر أن تزداد شدة الخلاف بينهما انساني . ويقضى أحدهما على صاحبه قضاء لا قيام له بعده ، وأنت خبير لمن يكون الشاب في هذا الصراع الذي طال أمده .

الفصل الثامن

جمال الدين الافغانى وريتان

ميركا بين رشيد رضا ومصطفى عبد الرزاق

كانت الجامعة المصرية في الثلاثينات قد وقعت تحت سيطرة البعثيين ودعاة القريب ولذا تمت دعوة معاهد العرب والمسلمين والمصريين احتلت مجرى حالة عام على بلاد القلوب المتعددة ارتدت ريتان صاحب نظرية (الأرية والسانية) والكتاب القوي استعاري الذي حارب التراث اشد هجوم واتهمهم بالشغب في التل والصور في التفكير ولدي حاسم الإسلام اعنف هجوم .

وقد كان من الصعب ان يسكرم ذكرى ريتان رجل مثل الشيخ مصطفى عبد الرزاق استاذ الفلاسفة بالجامعة وخريج الأزهر الشريف والمبرورين ابرم بتقنية جريئة ، كانت لها شجوة بيضاء الذي ، تلك هي نهاية جبال الدين الأتاني آله بعد وصوله إلى باريس ١٩٨١ واستأجرة بالبوليسوف ارتدت ريتان قد (تطور فكره) في أول من ثلاث سنين ، غير رأيه في (الدين) واعلم ان الإسلام كان مدواً للقل والهداية .

والشروط أن ريتان قد تحدث إلى جبال الدين في شأن الإسلام والعرب ، وانه القى على اثر ذلك محاضرة تعهدت في جريدة الجبلا الباريسية ، وان جبال الدين رد على هذه المحاضرة وعند آراء الفيلسوف الفرنسي مداهمته إلى أن يعلن تراجعه (طاعمة) من آرائه واعتذاره أنه سيغير النظر في مصادر هواسته .

ولما كان هذا الرأي جويثا على « جمال الدين الأفغانى » فقد تصدى

(رشيد رضا) لرد على مصطفى عبد الرزاق فكتب في الأهرام والناظر يعرض

للأراء التي وردت في المحاضرة عن ريتان وجمال الدين مقددا لها . وقالت

جريدة الأهرام^(١) معلقة على المحاضرة . (إن المحاضر أخذ بمحقق تنقيتها دقيقا

لبعض الدواير الخاطئة بديانات جمال الدين ثم أخذ يذكر لريتان رأيه في

(١) الأهرام - ٣٠ مارس ١٩٤٢ .

عديم قابلية الإسلام لعالم الحديث وذ كرت الردود التي رد بها الفلاسوف الشرقي جمال الدين مزاعم الفلاسوف الغربي . قالت الأهرام : لاحظنا أن المحاضر وضع نفسه موضع النزاع العلمية فذكر آراء الفلاسوف دون أن تميل به الماطنة إلى انتقاص ريتان فشكل النزاع التي طبع عليه حالت بينه وبين أي تأثير . وقد يخرج العلماء أحياناً عن حدود الملة . وقد لاحظنا أن الجمهور أصبح أوسع صدرًا من ذي قبل . وأصبحت الأمسكار أشد مرونة وأشد تقديراً للحرية الفكرية رغم أن المحاضر كان يلقى عن ريتان ما قد يستفز غضب أصحاب الهدور الضيقة فقد كان السامعون متصفين متفحين لسلك ما يلقى عليهم .

من محاضرة مصطفى عبد الرزاق

وقال مصطفى عبد الرزاق أنه مما ينبغي « بالبحث في أسباب التطور في تفكير السوء جمال على هذا الوجه في أقل من ثلاث سنوات يستدعي الإحاطة بما حث به من للمواصل وأظهر هذه العوامل سفره لأول مرة في أوروبا واتصاله بكبار الفلاسفة والعلماء ووجه الاستفهام بصدقتهم على خدمة مرابعه السامية واندماجه في سلك الحركة الفكرية الحديثة البعيدة عن الدين .

ونظم مصطفى عبد الرزاق رأى جمال الدين في قوله :

- إن الدين لم يكن عنه مفاص في سوق الأمم عند نشأتها إلى كمال .
- إن الدين الإسلامي كساتر الأديان يزدي العنم ولكن المسلمين لا يعقدهم مانع من الوصول إلى ماوصل إليه المسيحيون في الغرب .
- وإذا صح القول بأن الدين الإسلامي عقية في سبيل ترقية العلوم فهل يستطيع الرء أن يقول أن هذه العقية لا يمكن أن تزول يوماً . ثم بماذا

يختلف الدين الإسلامي في هذه النقطة عن بقية الأديان الأخرى . أن الأديان جميعها ضلالة الصدر . ولكن في ذلك أسلوب انقاص .

وقد كان الأمل كبيراً أن تصل الجامعة الإسلامية يوماً إلى تطعيم قيودها بالسيرة في طريق المدنية بمنزلة ثمانية عمدية مقال العالم الفقيه الذي لم يفت الدين للسيرة في طريقه - جبر عثرة

وقال ريتان : يوحى لي أن الشيخ جمال الدين قد زودني بطائفة من الآراء الهامة تبيّن على نظريتي الأساسية وهو أن الإسلام في النصف الأول من وجوده لم يحل دون استقرار الحركة العلمية في الأراضي الإسلامية ولكنه في النصف الثاني خلق الحركة العلمية وهي في حظه فستكون هذا من سوء حظه .

مناقشة رشيد رضا وآراء ريتان وعبد الوازي

كان من ^(١) مشار العجيب للناس أن الجامعة المصرية أقامت حفلة حافلة لذكرى ريتان بمناسبة انقضاء قرن على عهد ولادته وحاروا في استنباط الباعث لأستاذ الجامعة على اختيار هذا للتعد الطامع في دين الإسلام وفي المسيحية أيضاً للاشادة بذكوره وإعلاء قدره على عدم حفظ أي متقية له تقع بها البشر فأصابه هذه البلاد وهذه الأمة حفظ منها يستحق بها ذلك عليها .

وقد كان الدكتور طه حسين أحد مدربي الجامعة المصرية يشترق هذه الأيام التي وقع فيها الاحتفال بذكرى ريتان مقالات في جريدة السياسة يحاول فيها إثبات انتشار الارتباك في الدين الإسلامي والاحقاد والتساقط منه في أهل القرنين الثاني والثالث للهجرة الإسلامية في بلاد الحضارة العربية كالعراق

بل في الحجاز أيضاً . ويدخل على ذلك شبهات كشبهات ريتان .

ولما أعلن عن المحاضرة علمنا نحن وأمثالنا أنه يريد بهذه المحاضرة أن يحو سيرة ذلك الاحتفال بالاشادة بفضل فيلسوف الاسلام السيد الحمدي (جمال الدين الأفندي) . . الذي اشتهر عنه أنه رد على محاضرة ريتان في وقتها بما حدى بيانها وقوض أركانها .

وكذا نعلم أن الأستاذ^(١) (بقصد مصطفي عبد الرازقي) الذي درس العالم الاسلامي بالجامع الأزهر وبعض العالم الأوربي في باريس أراد بهذا الاحتفال الجامعة المصرية ريتان الذي لم يعرف في هذه البلاد إلا بما اشتهر من طمعه في الاسلام — إمام يقوم بما هو جدير به من تلخيص رأى ريتان في الاسلام وتلخيص رد السيد جمال الدين عليه .

٢ — كانت خلاصة المحاضرة أن السيد جمال الدين الذي اشتهر في العالم الاسلام كله بأنه حكيم الاسلام وموقف شعوبه والداعية إلى تجديد مجده وإعزاز دولته يهذى الدين وعدو الإلحاد وصاحب تلك الخلق القسورة على أهله في دفعه على الدهرين .

هذا ما كان من أمره في ذلك محسوراً في حياته قبل أن يذهب إلى أوربه — بل إلى باريس — وإما كان لغرض سياسي وأنه يمد وصوله إلى مدينة الكفر والإلحاد واجتباؤه ريتان وأمثاله في أوائل سنة ١٨٨٣ قد تطور فكرة في أقل من ثلاث سنين فرق من الدين واعتقد أنه عدو العلم والعقل والمذنية حتى أنه قبل بكل تنظيم وارتياح طعن ريتان في الاسلام وعظه وأتى عليه

(١) الامراء ٢٣ و ٢٠ مارس ١٩٢٢ .

من جرأته أطيب الناس ، مما هو ظاهر في بطلانه وصحته الذي لا يخفى على طالب علم به حكم الإسلام ومكمل تربية الأستاذ الإمام .

بهذا أجاب الأستاذ الشيخ مصطفى عن المقارنة بين رد السيد (جمال الدين) على ريتان سنة ١٨٨٣ وبين سائر عهدياته حتى رده على الدهرين الذي كتبه سنة ١٨٨٦ وهذا سر ذلك التناقض التاريخي الذي أشرنا إليه في قاتعة هذه السكابة . ولكن المعروف من تاريخ السيد الحكيم ومن عهدياته سنة ١٨٨٣ وما بعدها أنه لم يزد بعد إقامته في أوردية وباريس خاصة إلا استمساكا بضرورة الإسلام الوثني ودفاعاً عنه ودعوة إلى النهضة الإسلامية المدنية بهدايته العالمية وخلاصة الحضارة أن فيلسوف الشرق والغرب (جمال الدين وريتان) قد اتفقا على إثبات عداوة الدين لعلم والمقتل وحربة الفكر لا فرق بين الإسلام وغيره ومن يرى التعارض تماماً بين هذا الرد الذي استخرجه لنا صاحب هذه الحضارة من ترجمة ألمانية عن ترجمة فرنسية لم يرعها من أصل حرفي منقول وبين سيرة السيد ومكتوباته ومباروى الفتاوى عنه من أول عهده إلى آخره حيث كان في الاستقامة يختلف إليه العلماء والكتاتب فأين الأمرين ترجيح .

أننا نعد فيما نلخصه صاحب الحضارة (مصطفى عبد الرزاق) عن رد السيد جمال الدين على ريتان جيلاً أخرى تحول دون صحة النتيجة التي استنتجها من مجموع الرد وقد يؤيدها في ذلك جملة من تلخيص رد ريتان على السيد .

٣ - ثم فصل الشيخ رشيد رضا رأى مصطفى عبد الرزاق فقال :

أن الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرزاق قد استلحق مما فهم من كلام السيد

الذي خُلف بإثني من ثلاث ترجمات أنه بعد وصوله إلى مارس سنة ١٨٨٣ دخل في طور جديد تغير فيه اعتقاده ورأيه في الإسلام وكونه منشأ العلم والحكمة والحرمان .

• • أنشأت لو كان السيد جمال الدين دمج بهاديس سنة ١٨٨٣ من رأيه في كون الدين ولاسيما الإسلام لا يتفق مع العلم والحكمة ، أكان يبقى سياسته في إعادة عهد المسلمين على هذه الدعوة !

كلا ، أنه لو دخل في الطور الذي استقبطه صاحب تلك المحاضرة لجل دعوته فلسفية محضة مشوبة بفصل الدين عن السياسة وبالشكوك في الدين أو الصداقة كما فعل القصارى في أوروبا من قبل وكما يفعل مثليهم من متفرجة المصريين والترك والفرس .

ولكنه لم يفعل ذلك بل جعل دعوة الإصلاح كلها قائمة على إحياء هداية القرآن وصحيح السنة وسيرة السلف الصالحين من الأمة . وهذه حاجتنا الفاحضة على أن نأسلم به (رينان) من اضطهاد بعض المسلمين للعلم إنما هو بسوء فهمهم للإسلام . وإن الإسلام للشوب بالبدع والأفهام ، هو الذي يتأخر الحكم والعدل لا إسلام فترآن الذي كان المسلمون يهتمونه في إيمان سلطان الدولة العربية قبل تغلب النصارى عليها .

• — جميع رينان ماله من حول وقوة واستعداد بما يملك من جهد في نسوي سمة الإسلام والمط من قيمة تعاليمه وطعن المسلمين في عقليتهم ومالهم من علم وأدب وخلق وأنكر على المقصر للحاسم عموماً والعربي خصوصاً أن يكون لهم عقلية سائمة أو طبعية تسالم العلم والفلسفة أو تتفق مع حرية الفكر .

وامتد به نفس الساب والشتم إلى أن أنكر أن يكون لعرب عمل أو فكر

أو رأى في العلوم والفلسفة وإذاعتها لأن نقل تلك العلوم إلى العربية إنما كان من أولئك النفر الذين تنفوا العلم بدعوة حران ، ونقلوا الفلسفة من اليونان إلى اللسان العربي وأن ابن رشد هو الذي أشعل ذلك النيران العلمية الذي استضاءت به أوروبا .

وقر هذا في نفسي وقد رأيت رجلاً من علماء الدين بالأزهر الشريف يورد مطاعن ديفان في الإسلام من حيث هو دين وفي أهل الإسلام كافة باعتباره متديناً ، ويخرجهم في عقليتهم وأدابهم وأخلاقهم وعلمهم في ياد يدين أكثر أهل الإسلام .

وقد اجتمع جمهور السامعين ، وهم من المسلمين الذين سلمهم بأحد لسان وفيهم كثير من علماء الدين وجميعهم مصغ إلى تلك الآراء التي يقصد بها الخط من دينهم وعقليتهم ولا يستنزه ذلك إلى الغضب من ديفان الشاتم السالب ولا من مكرم (ديفان) للورد لأقواله .

أليس تسكرجه في ياد إسلامي بقم رجل من علماء الإسلام بالأزهر الشريف يورد طعنة في الإسلام والمسلمين .

ويستغرب كثير من الناس أن يقدم ديفان إلى الافتراء على دين يستنقه جس النوع الإنساني ، ويهجم في الحكم على عقليتهم وأدابهم وأخلاقهم دون حياء ، كما لم ينضجه البحث الصحيح أو الروية — ولستكني أخلاقيهم في عد ذلك الأمر غريباً منه بعد أن علمت وكل من سمع محاضرات ديفان قد علم أنه نشأ نشأة دينية وانتظم في سلك رجال السكهنوت ليد نفسه ليكون قسيساً فأني اعتقد أن الرجل لما فسدت دينه قد بقي عقده بما يثبت في قرارة نفسه من التعصب على الإسلام .

• — طعن ديفان في الإسلام بأنه عدو العلم والمثل وطعن في العرب بأنه

عقولهم قاصرة بطبيعتها غير مستعدة لفهم الفاسفة وما وراء الطبيعة وكل ما ذكر في المحاضرة من تأخيس كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الإسلام شيئاً إلى بعض كلام دعاء النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية فيها وناعميك بإخلاص الترفيق في التحقيق والصدق فن تحقيق الفريق الأول ما يعرفه قراء العربية من كتاب الإسلام للسكونت دي كاسترو الذي ترجمه بالعربية للرحوم أحمد نقي باشا وغول فإن نفسه من العقائد للنسوبة إلى الإسلام ما لم يخطر في بال أحد من البشر لم يعظم على مغترباته .

ومن تحقيق الفريق الآخر تفضيل البربر على العرب في العلم والذنية .

ودليلهم على ذلك أن أصلهم من برايرة الشمال الأوروبيين لا من هج الساميين وقد انحدر إلى تجهيلهم الفيلسوف الإجتماعي « مونتانيون » أحد أفراد علماء الفريق الذين انتصروا العرب حق الانصاف على علم صحيح بالتاريخ .

ومن هذا الباب ثناء رينان على جمال الدين وعلى قومه الأتقاني بأنهم من الأرومة الآرية ذات العقل الرافى المتعدد لفلسفه العليا التي تستعصي على عقول العرب وعلى بذلك مازحه من عدم استصساك هذا الشعب بالإسلام . والحق الواقع القاطن الدال على مبلغ جهل رينان هو أن السيد جمال وهو الفيلسوف الوحيد الذي خرج من الأتقاني هو من صميم العرب من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم .

وإن الشعب الأتقاني هو أشد الشعوب الإسلامية اعتصاماً بدين الإسلام وتعصباً له .

فإذا كان السيد جمال الدين غير متدين كما ترى . لعقل رينان فقد بلغت قاعدته في العرب . وفي الأتقاني جميعاً .

هل أننا لا نتفق مما نقل إلينا الأستاذ صاحب المحاضرة من كلام فيلسوف الغرب والشرق على رأيه فإن السيد جمال الدين كتب رده على وبنان بالعربية — كما قال — وترجم لجرادة الديبا بالفرنسية ونقل من الفرنسية إلى الألمانية ومنها إلى العربية فهل حفظ الأصل مع كثرة النقل من لغة إلى لغة أخرى .

• — ملخص ما ذكر في المحاضرة من رد السيد الأفغاني على القهابوف القرضي أنه وافقه على كون الإسلام هدو العلم والنقل كسائر الأديان وخالفه في أصله في الغرب ، ولكن المحاضر نقل عن السيد كلمة وجيزة مجله فيما عراه ريفان إلى الإسلام . هل هو من تأثير الدين نفسه أم هو تأثير فهم الناس له واختلاف الشعوب في فهمه ، خرجت هذه السكفة بصوت غير جهودي فلم تعها كل إذن ولا فسر فيها كل سامع . ولعل كل ما في الرد من التسليم باضطهاد الإسلام للعلم وهداونه للنقل مبنى على هذه السكفة .

ومن السكفات المأثورة عن السيد جمال الدين : إن الإسلام وحده كافٍ لرفع البشر إلى أرقى مقام من العلم والعرفان والفضائل والحضارة .

فلمن من هذا أن الذي يتفق مع ما كتبه السيد جمال الدين أو أملاه في حقبة الإسلام وكونه دين الحكم والنقل والدين .

ومحب الملحد أن يكون هؤلاء الرجال ملاحدة ، بله ، وإذا كان من منفعلي الفلسفة والعلوم والباحثين في الألفة يظن أن من عرف بالنقل لا يمكن أن يكون ذا دين وهذا ما كان يعمل بعض الناس على القول بأن جمال الدين ومحمد همد غير مدنيين .

أرى في هذا البلاد أفراداً يعفون في هذه الأيام بانساد^(١) عقائد المسلمين

(١) يشير إلى أساطير الأرباء التي كتبها مله حسين في السياسة .

ونجرتهم على السكندر .. حتى زعم بعضهم أن أكثر المسلمين كانوا كذلك في القرن الثاني للهجرة مرتابين في الدين وقاسقين عنه بدليل ما يوجد في بعض كتب الفلاحة والأخبار من حكاية ما يؤثر في ذلك عن بعض الأفراد من بعض الشراء والمنهن والمختين .

أما نحن فإنا لا نقبل إلا رواية الثقة المذول .

محمد البيلوي: ريفان وجمال الدين الأتقاني^(١)

يقول المسير ريفان أن الأمة العربية غير صالحة بطبيعتها للعلوم ما وراء الطبيعة والفلسفة ، وهو يعلم أنها الأمة التي أدخلت في العالم المدنية وأخرجتها من ظلمة الجهالة إلى نور العلوم والمعارف في قرن واحد من غرب أوروبا إلى حدود الصين ولا عيب لحسا عند المسير ريفان إلا أنها عرفت كيف تهديم الأبطال التي تؤدي إليها إلى القذسات الفاسدة مما يقوم بأذهان بعض الطبيعيين والفلاسفة فإنها عديمها بما ألجمتهم من الحجج والبراهين .

أما ما لحظه ريفان من الانحطاط الذي عليه المسلمون الآن فهذا منشؤه يدهم عن التمسك بدينهم القويم فلو أنهم رجعوا إليه لما دهمهم إلى أوج النجوم العقلية والكونية وهدام إلى خير مدنية والتاريخ شاهد عدل .

ويظن ريفان أن المسلمين يسلون أبنائهم كما ينصر الفصاري أبنائهم ويهود اليهود أولادهم وهو وهم فإنا هي للظفرة التي يولد المولود عليها .

ويصيب ريفان على الدين الإسلامي وبعد من أكبر عيوبه اعتقاد المسلم أن الله يهب الرزق والسلطان لمن يشاء وهو خطأ منشؤه جهالة بتعاليم الدين

الإسلام فإنه مع هذه العقيدة الصحيحة ربط الأسباب بالسيئات، ولم يأمر بالقوم امتناعاً هل ماخطه القدر، وزعم ربنا أن الإسلام لم يأت يعلم خاص فأين علم الميراث الذي مثل الدالة تحتها صحيحاً حتى رجعت إلى تعاليم الأمم الغربية وصار هو المعمول به في كثير منها . وأين علم الماديات الذي ضرب باعتداله للثل حتى أخذ منها القانون الفرنسي .

يجيب رينان على السلفين أنهم أقل الناس حظاً من الفلسفة وكان من أولى له أن يقول هم أقل الناس قبولاً لأباطيلها وترهاتها ، وإلا لنقل لنا في أي عصر عجز عالم من علماء السلفين عن رد مقترباتها أو قذف أباطيلها .

يرى رينان الدين الإسلامي بأنه أضطهد الفسك الحر . وكيف يضطهد الإسلام حرية فسك معتقة وهو الذي أطلق حرية الفسك لمخالفته .

يقول الفيلسوف رينان أن العلم لم ينف الأخرية وإنما أبعدنا دائماً من عالم الجزئيات الذي يعتقدون أنهم يشهدون آثارها فيه .

يوسف الدجوى (لو غيرك قالها)^(١)

لست أكنتم الشيخ أي لا أنهم معني لهذا الاختيار ولا مر لهذا المعاد الذي تحدث في البحث عنها ومن يرجعها من الفئة الألمانية فإن كان الفرض القوي به يذكر رينان لأجل أن نفى في الأمم الأجنبية أكثر مما نحن فيه فهذا لا يثبت لرينان علماً وفلسفة . ولا شيئاً يروق الناظر إلا ما هو شيء . ضعيف معاد سماعة من جهة الأوربيين بالدين الإسلامي البعيد عن الفلسفة الصحيحة وقد خالفه في ذلك المثات والأخوف من علماء أوروبا وأمريكا .

وأمامنا كتاب الفيلسوف (دراير الأمريكي) وكتاب السكت هنري الفرنسي وتاريخ المستر واز الألبيلهزي .

وإن كان النرض من المحاضرة التنويه بالسيد جمال الدين فقد انعقت
به يا أستاذ أكبر الغائب فإننا إذا لم نشك في شدة قلنا أنه رجل متقلب
لا ثبات له على شيء أو معانق يظهر خلاف ما يبطن .

وعندما ذكرتنا برسالة في الرد على الدهريين قلت أن الرجل سيئ
معاذ يقول غير ما في قلبه . وكان الأولى أن تراجع داية الغري إلى داية
الشرقي لا العكس .

ولا أقول أنك أردت أن تضع من شأن الإسلام فإن ذلك أوضح موضع
من شأن ذلك الفيلسوف لا من شأن الإسلام .

الفصل السابع

خم التوم

معركة ساخرة بين أحمد زكي باشا وزكي مبارك

هذه إحدى مبارك المحمدون والمخالفين تفرده بولتها الساخر ، هذا القون الذي عرف به زكي باشا شيخ المروية في عديد من مساجلاته التي لورد منها غودجا أكثر في معركة مع محمد محمود ، وأخى أن طريقة أحمد زكي باشا في السجال هي جزء من تاريخ النقد القرون العاشر فإن كتابنا القرن عرفوا بالند الساخر التي - بالقرينات - والعلاقات م متدا آتياع لمعركة أحمد زكي باشا والملاذ له لاسيما وإن طه حسين وزكي مبارك وغيرهم هم لقلوا عنه في الجامعة ونظروا إلى كتاباته ومساجلاته حول الحضارة الإسلامية في الصحف . وقد بدأت المساجلة بالعرض أحمد زكي باشا على ما ذكره زكي مبارك من أن نهج البردة التي حلت اسم الشيخ سليم البشري هي من كتابة إيه الفيلج عبد العزيز البشري وقد سخر زكي باشا من مبارك فوجده كتابه إله الفيلج ليسون نجل الدكتور زكي مبارك فذكر أن الإبن يكتب بإقتضاء أبيه ويخطئ ، وتطورت المساجلة لحد غلت في أساليب متعددة وسفريات بلفظة .

إلى الفيلج المومون فيل الدكتور زكي مبارك^(١)

أنت تكتب باسم أميك ففارة تخطئ وتارة تسبب .

فأنت تزعم بالأمس فيما كتبه أنت بإقتضاء أميك أن الأستاذ الأخ شيخ المحمدتين وشيخ الأزهر الودوم الشيخ سليم البشري قد رضى بالكتابة وبالزور وبالبيان بأن يوضع اسمه على شرح نهج البردة بأنه هو تاسع برده والتمال — كما تزعم أنت وحدك — إن هذا الشرح مكتوب بقلم والده نقر الكتاب وإمام المفتشين الكتاب الأربع الأجدد الأستاذ عبد العزيز البشري .

(١) البلاغ — ١٩ ديسمبر ١٩١٢ .

وفؤ أنك سألت أياك الدكتور زكي مبارك الصادق الصدوق ، فقال لك إنك جرىء على الحق وإنك مستهتر بالتاريخ .

فإن أدبك أبوك بالأدب الذي أخذه هو عن أشياحه (ولى معهم سهم ضئيل) أيام كانت العمامة البيضاء تفوح رأسه المبارك بالعلم وتزين مفرقه العالي بالأدب ثم رجعت تطلب معنى الالة بأن تجلس بين يدي كمثل الطالب المستفيد المتأدب في جلسته وفي عبارته فإنك تسكون في هذه الحالة — وهذه الحالة فقط — لأنهم عليهم بالجواب وإلا تغير من مجاورتك السكوت .

زكي مبارك^(١)

أنى أعرف أنى أسرفت في الثروة وملأت الدنيا كلاماً وضيقاً .
وكان لابد أن يقدم كاتب جرىء فيقول : أسكت فقد أسرفت .

وكان ذلك السكاتب الجريء هو العلامة الفضل (أحمد زكي باشا) الذي لم يعد الصواب حين قال : إن هناك إنسانين أولهما زكي مبارك وثانيهما نجل زكي مبارك . وأنا واثق أعرف هذا من نفسه . فقد يتفق في أحيان قليلة جداً أن أكتب فأجيد ثم أكرر من الهدر والذو والفضول حتى لأحب أن أزيل مقالتي بإمضاء أحمد أبقاى . ولستكني أشفق أن أحلهم تبعاً ما أكتب حين يتوتن أن أوفق إلى القول الفصل وفراى الحصيف .

(ثم أشار إلى نهج البردة ظهر منذ عشرين سنة) قال : وكنا نسمع في أندية الأدب أنه من وضع الأستاذ (عبد العزيز البشري) لا من وضع أبيه المرحوم الشيخ (سليم) ثم اتفق لي أن أكتب ربيع ١٩٢٥ في المقطم عن قصيدة نهج البردة وأشارت إلى كاتب ذلك الشرح فلم يعترض أحد على ذلك .

(١) البلاغ — ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ .

وقابلت شوقي ومله حسين ثم نشرته في كتاب الموازنة بين الشعراء فلم
يتر ذكرى باشا ولم يغضب أحد من مؤرخي الأدب الحديث .

ثم قال « لما ظهر خطاب ذكرى باشا رأيتُه عبقراً جذاً » وأشار ببعض
الأصدقاء بأن أتاهم بخطاب أخسى وأعنف ، ولكنني تذكرت أن ذكرى باشا
كان من أوائل الأساتذة الذين تولوا التدريس بالجامعة . وتذكرت أن ذكرى
باشا شيخ كبير ومن حقّه أن يلهو بالإساءة إلى أبنائه الأوفياء . ثم تذكرت
أخيراً أن الواجب يغضى بأن أشغل بتعقيق هذه الحالة تحقيقاً علمياً بعيداً عن
لغظ القيل والقال .

(ثم ذكر الدكتور مبارك أنه رجع إلى مله حسين) فقال له أنه لا موضع
لنشك في أن يكتب الرحوم الشيخ سليم ذلك الشرح لأنه كان متفوقاً جداً
في علم الحديث وكان يحفظ البخاري متناً وسنداً .

ثم اتصلت بميد الموزير البشري . فابتدري بكتاب أرقى من أدبه الرائع
وسألتني كيف استكثرت على أبيه أن يكون كاتباً مع أنه كان من كبار
المحدثين . وأحالني على مقالات كتبها والده في السفة الأولى من المؤيد في
الرد على العلويين . والشكيقلي وقال أن مقالاته تنعمه في الصف الأول من
الكتاب .

ثم قال مبارك : وتلك بيانات رأيتُ أن تقدمها في نزاهة إلى قراء الإبلع
وفيهما انتصار لأسعاذنا الفضال (أحمد ذكرى باشا) ولا يضيرنا أن ينصر حين
يكون الحق في جانب بل الشرف كل الشرف أن نصل لانتصار الحق ولو أدى
ذلك إلى الهزيمة في مناظرة أدبية .

ثم قال « ويد أن وصلت إلى هذه النقطة كتبت أدبياً أزرق الناب من
القرود الغناديز الذين شهدوا ذلك المهد فأكد أن ذكرى باشا لم يوفق في

إثارة هذه المسألة وإنه كانت هناك ظروف سياسية دقيقة قضت بتسكين
الشيخ (سليم البشري) بشرح نهج البردة وأن الشيخ سليم لم يكن منشراح
الصدق بذلك وأن الشرح الأول وضع في منزل شوقي بك بالطريقة بمبادرة
الأستاذ عبدالمعز وأن الشيخ سليم راجع الشرح وصادق عليه وتوجه باسمه .

ثم عاد زكي باشا معانقاً على قوله (لعلنا عارض الناس بوردة البوصيري
في القديم والحديث بمئات ومئات من الملاحظات) .

وقال : واستكثر هذا الإغراق في المبالغة ، والسلام التفاضل إن
مئات ومئات توجب على الأقل خمسين قصيدة والاصواب أنها توجب ستائة
لأن أقل الجمع ثلاثة وطابت من الباشا أن يدلنا على خمسين قصيدة لا خمسين
فراح الباشا براوغ مراوغة علفية اسمها في الفقه القصص (الحرف) واتمها
بالدم من قدره مع أننا من أعرف الناس بسمه إطلاعه .

وإن كما توافق خصومه في بعض ما يأخذون منه من سرعة الغضب
ونقل المناظرة من باب الجد إلى باب القنابذ الذي يسكره الطاء .

وكان زكي باشا قد سأله عن بعض أبيات من الشعر ومن قائلها فرفع عليه
وقال (فواسطجنا لأفندي أن نسأله مثل هذا السؤال لأعجزناه وأعجزنا معه
أولاً من القراء ثم وجه إليه ثلاث اتهامات :

١ - هل من الحق أن بردة البوصيري عورضت بمئات ومئات من
الملاحظات .

٢ - هل يليق بالعلم أن ينقل الجدل من ميدان إلى ميدان ليقر من
الجواب .

٣ — هل من الحق أن كل ما جاء في المذائع الذبوبة كان معارضا لبوصري وإن اختلف في الوزن والقافية ثم ختم مقاله بقوله .

« والنتيجة أن سعادة زكي باشا قد انهزم في هذه المعركة وإن لم يثر معها ثقل ولم تنأثر أشلائه ، فلسنا ببعيد الله ممن يسترون ضيقهم بالطمع والسباب وإنما بالحجة الساطعة التي تدفع رأي السكابرين .

أحمد زكي باشا : خم النوم — صح النوم

كان من حسن ظني بك أن أنخيل أن ابنك هو الذي كان في حاجة إلى تأديبك فإذا به أنت ، أو أنت إياه .

أحمد بك النوم في هذا الشتاء سيع لوالى إلى أن تمخضت أنت بعد السبوع بمقال الأوس في أريمة أحمدة ونصف هود في البلاغ .

وليس من الطريف سوى أنك وأنت نائم قد حملت بأنهم قنفوك مرارا وأنهم أمانوك تكررارا . ولكن القنبر كان يخرجك كما كان دانيك على التبريد عنك لتواظب الرجوع إلى الدنيا وإسعادنا بذلك الثغر البسام فالجد لله على السلامة يا دكتور مبارك .

ثم قال في الرد على ما ذكره زكي مبارك في مقالة سنة ١٩٢٥ :

هل تتصور أنني مو كل بادحاش كل بطولك تعذر هنا أم أن الوحي بأنني بما يظهر من التلافيق هناك ، يجهنا بالله لولا الدكتور أحمد بك عيسى لما كتبت قرأت كتابك الجافة الجاهجة عن أستاذك الذي ربك وأحسن تأديبك في الجامعة ، أيام كتبت أنت متوجها بالعمامة الجامعة البهاض . فبارحة الله

على تلك العمارة وما كان تحتها من أدب . وبأخيلة الأمل فيما آلت إليه في صورة البرنيطة المشرقة ثم الطربوش المبرقع .

أما الهلال يادكتور ، وأما النجني بامبارك ، فإن كان يوسف الجديد المقمص في ثياب الأستاذ الدكتور زكي مبارك ابن قرية سفريس قد سحر بهما بنات باريس فهذا السحر خيال باطل في نظر غواي الغاني بشارع هاد الدين .

ثم ذكر قصة تأديبية لأستاذة (منصور أحمد) الذي ذهب إلى باريس ، وكان زكي باشا طالباً بالدرسة التجهيزية بـ"درج الجياميز" وقد صادفته النهاية القنوية فذهب إلى باريس وعاد مثل ما قيل عن زميله الصبيدي (جانوسه طماوي تقرب بالفرنساوي) وكان يشفق باسم فلان ويشهد باسم فلان .

وفي أثناء دروسه على الأوكسجين وحسن السكربونيك بتخفيض بالسكلام عن غرام نساء باريس به وجماله ، وأحدة واحدة وسرباً سرباً وأنولجا أنولجا . فما كان من التلميذ المبهت (أحمد زكي) إلا أن قال له ذات يوم : « يادكتور ما عندكش مرابة » فأنهال عليه بالسب والشتم ، فهل في تلايمذ اليوم نفوة على تأديب أستاذهم « د . م . ابن سفريس القنوية » كما فعلنا نحن بالأمس ، أنهم يخدمون الأمة ويخدمون أنفسهم . ويبتد فقط يكون جديراً بالجلوس .

أما إذا سكر التلاميذ واستقرأ الأستاذ « د . م . » هذا النوع من النظرية السكاذبة والمعرفة الفارغة فإنهم يكونون مسيئين إلى أنفسهم وإلى أعينهم ويكون السكوت خيراً من الإجابة .

زكى مبارك : خم النوم باشا

كنا نظن أن الأدب البارع الذي يظهر في مقالات شيخ العروبة من جديد ومعه به أيام الشيوخه . ولكن يظهر أن هذا الأدب كان من صفاته لمهد الطفولة . قد حدثنا حفلة الله أنه استباح أن يقول لأستاذه في المدرسة التمهيزية « ممتاز كش مرابة » ولم يكتف الباشا بهذا في وصف أستاذه بل وصفه بأنه « جاموسة طباوى تضرب بالفرساي » وهذا الرجل الذي يكتب هذا القول هو نفسه الرجل الذي قضى وقتاً طويلاً يدعوني فيه إلى أدب القول ..

ومن كلماته يوم ذلك « لقد أفسدت السياسة أساليب النقد في الأدب فليكتب نحن الأدب بأدب ».

وقد همت بنصيحته وتأديت منه فاستأسدت وكشتر عن أغنيائه وكان في مقدوري أن أعامله بمثل ما عامله به الأستاذ محمد مسعود^(١) ولكنني رقت بشيوخته . وقد رث له ماضيه في خدمة الأمة العربية والله يشهد أنني عصيت جميع الناصحين . فإني أديب إلا حذرت عواقب ملايئته وقد دعاني إلى مهاجمة ناس كرام يعرفون طباعه فآثرت الرفق رعاية وإوجب واحتراماً لأنفي « خم النوم » حرسه الله .

« ثم أعاد زكى مبارك أسئلته إلى أحمد زكى باشا » وقال :

عنه هي الأسئلة التي فر منها الباشا للفضال ليكتب في شتمنا مقالين أطول من ليل الشتاء . ونحن لا نزال نحسن الظن به ونرجو أن يتقلع عن شحطه ونطحه .

(١) إنراً مساجلة زكى باشا مع محمد مسعود في هذا الأمر .

ليس بيننا وبين حضرة العلامة زكي باشا حقد شخصي، ولكنه مازحنا
فمازحناه فإن عاد هادئا وفي السكاس بقية كلنا هلقم وصاب .

أحمد زكي باشا : يادكتور زكي ! كلمة أخيرة^(١)

ما بالك تجعد فضل أساتذتي عليك وتماود فحش القول وجفاء الطبع .
وإذا ذبوني وجهك عند الأستاذين الطاهر والاسلامبولي بعد أن استغفرتني
في دار مجلة المعرفة قبل ردك الأخير .

أفأنت حينما تولجهم يتقلب عليك الأدباء ويقلب عليك الحماة ، وإذا ما خلوت
إلى نفسك جميع به القام ذلك الميموح الذي طالما حاربته نيك ..

(ثم قال بهمد أن تحدث عن معركته مع مسعود ومعركته مع
سرقس باشا) .

أعود للسقصر المبارك . كنت أظنه أدبيا . فإذا به لا يريد ألا أن
أكون (أدبانيا) وكان من تلميحي لماه أن يكون محققا فإذا به بيتي محترقا ،
أنه يزعم أنني صفت كتابا في القول الناشف (برضه بامبارك تموت في هذا
القول ، ولا تصدر عنه صمودا) بعد أن تطورت من السمانه إلى البرنيطة إلى
الطريوش ثم تنسب لي (الذهب الأبرز في محاسن ياريز) ونسي أن هو ابن
سفريس الذي عدهته أحاسن باريس) كما يقول وينسب لي (الصفقة البهوية
في السكينة المشوبة) يا كبدى عليك يا مبارك حينما كنت تجري ليللا في
حرب المش وراء يا حابر الذي يبيع السكينة وأنت لا تزال تعلم بها ، تنصوور
أنها أكل الفلوك .

ثم أشار إلى أن زكي مبارك وسط إليه حسن القاباني : وقال لأنني لم

أنشرف قط بأن أكون صديقاً لذكور مبارك وغاية الأمر أنني عرفته
نظيماً نجيهاً . ثم صار اليوم إلى ما صار إليه من الجموح فردت عليه . وبعد
أن أومئى بالسكوت أعاد الكرة فرجعت إليه ثم طغى في الثالثة فسكوت
له معنى هذه الكلمة وهي الأخيرة فإن التزم السكوت ورضى بحسبك الأستاذ
القائى وعاد إلى التأديب مع أستاذة الذى له عليه نعل التربية والتثقيف
فذلك ما كنت أعيد من كرم أخلاقه .

الفصل العاشر

بين النقد والتقريب

بين زكي مبارك وعبد الله هانيق^(١)

هذه الحركة من تلك النوع النائم في السخينة لا الأخطار ذات الأهداف جرت بين كاتبين برأت حياتهما في الأزهر ثم إجماعهما على أوروبا وعاد بتدوين الأسلوب القديم عند اللحن زكي مبارك التوفيق بين التام والتعريب والسكتانية من اللؤلآت . ثم دخلت الحركة في المارة رافدة بقاءها زكي مبارك ومبارك فيه وزير متعبد الله هانيق وجرت التناحس والتناهد بالبلاد والقرى وباب المرنين وسماع باريس .

نقد زكي مبارك

قال زكي مبارك في مقدمة مقاله أنه نصل إليه بين حين وحين مؤلفات يعلن أصحابها رغبهم الشديدة في نقدها لا تقربها « ففتح بذلك في حيرة لأن النقد القوي قد يمتلأ أحياناً سوق السكتاب . ولكنتنا من ناحية أخرى ترى من حق القراء أن نطلبهم على السكخذ التي تبدو لنا فيما تقدمه إليهم من اللؤلآت .

وقال أنه سيعرض السكتاب « وهو مفتوحة » بين النقد والتقريب « فعرض موضوع السكتاب ومنهجه عرضاً حسناً ثم نقب عليه بملاحظاتنا في رفق ولين حتى نجيب بين الحسنيين .

وقال « أن السكتاب في ١٩٢٢ صفحة وموضوعه النقد الأدبي . والأستاذ عبد الله هانيق كاتب متين الديباجة مشرق العبارة دقيق الملاحظة . وهو صديق عرفناه منذ سنين فلم نطلع منه إلا على صدق الخلق وكرم الوفاء .

(١) البلاغ ٣ فبراير ١٩٣٣ .

ثم تناول بعض موضوعات الكتاب وعرض لاهفوات التي وجدها وعددها ٢٧ حقوة .

وقال هذا ماقدناه ونحن أراجع الكتاب وفي هذه الملاحظات دليل على أننا رأينا صدقنا للاستاذ عفيفي ونحن حين تصادق الناس بالغ في محاسنهم على يسير الهفوات .

مراجعة المراجعة : عبد الله عفيفي^(١)

أهنتك على نجاحك فيما اعتبرت من حمل الأدياء على مساجلتك بشكل ما ملستك من حيلة وما يذلت من وسيلة حتى ولو كانت من تلك الوسائل التي يمتدحها بعض رجال الأدب بحمقها غير ساذغ . ونجاحك لا غير مقبول . ذلك ما أوّل به دعابتك الطريفة ومزاجك الرشيق في نقد كتابي .

ومن الظير لي ولك أن أهدك دازلا في كثير مما أنبت به ، لأنني لا أعتقد أن برخص النقد الأدبي في هذا الزمان حتى يكون تصحيحا مدرسيا محاسينا . فهو على حرف نافر أو شطحة طائفة

وأبيت إلا أن تنفذ من كتابي هذا إلى الأزهر وكلية الأزهر وأساتذة الأزهر وهي ألفتية مرجعه وإتباع سرود . وقد أوشك السامعون أن يملوا . وأوشك الخلل أن ينفذ . ولا أعلم إن كان نجيبك على الأزهر أصابني في طريقته أو نجيبك على ما أصاب الأزهر في طريق أو أنك أردت أن تشبها غيرة . فاقعة وأن انجلت عن غير جيد وغير قفا .

أما أن تتناول القلم وتبدأ الكتابة وأنت تنوي أن تصيب الأزهر بحق أو بباطل فذلك مالا أحله لك ولا أرضاه لأدبك .

(١) البلاغ - ٨ فبراير ١٩٣٣ .

ولا أحب لك أن تبعك « أبوة الأزهر » إلى الخلد الذي آواه منك . فقد
تقول أني أريد الجسد في الأمر وأنني أريد إصلاحاً لا هوادة فيه . فهل بهذا
المعنى وتلك الدعابة تسلم الأزهر .

الأزهر والنحو : زكي مبارك^(١)

قدمت لمدنيقة الأستاذ عبد الله عفيفي طائفة من الأغلاط التي وقعت في
كتابه وكانت الأغلاط تنقسم إلى قسمين : أغلاط بسيطة وأغلاط جوهرية ،
أما الأغلاط البسيطة فقد أشرت إليها وقعت من الطابع أما الأغلاط الجوهرية
فقد نهوت عليها في رفق وعطف . فها ، الأستاذ واجادل الأغلاط الجوهرية .
وكان من واجبه أن يقدم إلينا كلمة شفاء رعاية للجهل الذي بذلناه في تصحيح
كتابه .

لقد استحييت لنفسك أن تسلك معنا سبيل السخرية في جوابك فمارأيتك
لو استحيينا لأنفسنا ما استحييت لنفسك ، ولستفك أعز علينا من أن نروض
القلم في السخرية منك .

« أما بعد فمن كان يظن أننا سنلقى درسا في النحو على فضيلة الأستاذ
عبد الله عفيفي . تلك والله أعجوبة الأعاجيب . فالأستاذ لا يزال يحمل المعاملة
وهو فوق ذلك مدرس في الأزهر . والأزهر كما كنا نعهد معقل علوم العربية .
ومثل الأستاذ عبد الله عفيفي إذا دخل الأزهر وقفت لتقديمه قواعد النحو
مناصفا ، فسكانت المقصوبات في جانب . والرفوعات في جانب وقد تصدعه
المجرورات من شماله إذا دخل البهائم الباب الذي كان يسمى باب اللزنيين .

وأراد الأستاذ عبد الله عفيفي أن يتطرق — وهو والله طريف — فقص

(المعارف الأدبية)

علينا قصة (الزكي) الذي ذهبوا أنه حين تقدمت به السن وقوم بيته ووضع على مهبল عنده أكرابا بيضاء وحسراء فإذا شرب أحد بالسكوب الأحمر انتهره وقال (لا شرب بالأبيض) إلى آخر تلك القصة الشريفة ، فسا رأى القارىء في أن هذا المثل لا ينطبق إلا على الأستاذ عبد الله عفيفى ..

ضربى وبكى : عبد الله عفيفى

إلى الأزهر^(١) يادكتور زكى : فإن الهواء اطارك منه أخضر نجا لا تحسن مبادىء ما يدرس فيه .

إلى الأزهر يادكتور زكى : وأحذر أن تنوى عقد باب الزينين أو عند هذا الشيء الذى تنضح به مده ، فقد ذهب عهده كما ذهب عهدك مده - إلى الأزهر يادكتور زكى مبارك : لتعرف باب الاشتغال فقد طويت في دراسته أحد عشر ليلة تمخرجت مده أفزع مما دخلت فيه . تريد أن تملأى الدهور يادكتور زكى ، اسمع يا بابا ، اسمع يا مدلى ، اسمع يا شاطر ، وأعلم أن فلانميك حقا أن لم يكن عليك فعل الذى أتمنوك عليهم .

٢ - أنك أرخصت القند وأحولته لأنك تهتمه مراجعة مطبوعة وزعمته تصحيحا مدرسيا فلم تصنع إلى ما أقول وشاء أن يرد وجاء رده بمامل جديد زاد القند رخصا وهذا لا حق انتعذرت سوقة عن سوق القمح والفتن . والقول والشعر ، ذلك العامل : إنه انتخذ الشتم حجة والفتن سلاحا ، وشاء أيضا أن يكون طريقا خفيقا فقال أكرم الله وجهه (وقد تصدعت الجرورات من شماله إذا دخل من الباب الذى كان يسمى باب الزينين) أرأيت كيف كان طريقا.

وكان تليقا في نسكته ، وهذا الذي يلقى منه الشريف بهذه الجوريات
يرغم أنه ساسر حسان ياريس وساهر حسان ياريس . ولو أن ساسر حسان
السر مال أو حسان ما وراء خط الاستواء ، أو أي حسان بين أعطاف الأرض
وأطرافها ما عارف تلك الكلمة التي تسكدر الجور وتزعج الأنوف .

« وهذا الدكتور الذي يتخذ الشم حجة ، والفنو سلاحا يكتب في جريدة
البلاغ وصاحب البلاغ هو السكائب الذي تقرأه نتجده أطهر الناس من الشتم
وأبسدم عن الفنو . . وهو الذي تقرأه نراه ساطعا كالنجم ، نافذا
كالشم صائيا كالقزات وتراه أفتح ما يكون إذا خف وأقوى ما يكون
إذا لان ، ذلك رأيي فيه كاتبا أدبيا ، فما كانت لك به قدوة حسنة وأسوة
طيبة ، ولسكتك لا تمك أن تسكونه ولا أن تقع قريبا منه لأنك تنوم ولا
تنفوس ، وتحموم ولا تمن ، فإذا قبل لك خمس غرت . وإذا قبل لك أمن
حشت ، فأنت حين تظهر يدك من الشتم وقلبك من الفنو لا تجد شيئا تقوله .

نحن حين نجاهلك إذا على صنعة البلاغ إنما نجاهد في الله حق جهاده
لأننا نريد أن نفهمك كيف يسكون نقد الأدب وأدبه النقد ولأننا نريد أن
نعول بين الأدباء وبين طغيان الشتم وإزعاج الفنو .

أما بعد يا صديق الدكتور : لا بد من تعظيم تلك الذي القطة الأوداج
واعلم إننا حين نغلب لأطنانا الصغار ونهضل أمامهم ونفركهم بتمددون
أكتافنا فما ذلك إلا لأن لهم شقيا من غرارة العنوة وطهارة العنوة . أما
أنت فلماذا تسطو على أقدار الناس وإكراماتهم ومرواتهم ولماذا تضع
عليهم مما وراء باب الزينين وتطلب إليهم بمسد ذلك أنت بداروك
وبجاءمورك .

أريد أن تعرض الجزية وتضرب الأتوة على الأديان لمصروفوا أعراضهم
بالقدا . لا أن يكون ذلك .

ولقد حاول قوم من تبرك أن يفعلوا ما فعلته فسكانوا كالتقايع الطائفة
على الماء لانتكبت حين يدركها قليل من الهواء أن تزول وتتبدد . لتقل في
الأزهر ما شئت فإنك تريد أن تعرض قوما تظن أنهم يبيونك على حجاته .

أجل ، لتقل في الأزهر ما شئت فإنه لا يضوق ذرعا بأن يفتتح بهجته
والصخرة التي قاومت الخطوب وصمدت لها ألف عام لا يقوى زكي مبارك أن
يزحزحها عن مكانها . قل في الأزهر ما شئت ودع الأديان وشأنهم فهم قوم
يمن عليهم أن يأتي زكي مبارك فيسكدر عليهم صفاء الحياة .

لماذا دموك زكيا وأنت قروي من سنترس يومه ذلك في القرن التاسع
عشر وهذه الأسماء لم تكن مما يألوه القرويون في ذلك العهد .

زكي مبارك : قروي من سنترس^(١)

أدعي صديقنا الأستاذ عبد الله عفيفي أننا كننا نطوى مقالات خصومنا
من العلماء أو محرميها أو نهجزي منها بما لا غناء فيه ، وإننا كنا نقف على
أقدارهم الهضومة وأنواعهم للسكومة .

وحقيقة المسألة أن علماء الأزهر أتوا لجنة في العام الماضي (ليفتوطينيان
زكي مبارك لا عن المثل للقول) وصح رأيهم على نشر ردودهم في جريدة البلاغ
وهنا يعلم الله أني لم أطلع على سطر واحد مما أرسلوه للجريدة وقلم قنصر
هو الذي فصل في المسألة .

حرس الأستاذ على إتمام القراءة أنقى قروى من سنترين وكتب هذا
وأعاد ثلاث مرات . أتيت طبع أن يحدثنا في أى قصر ولد من قصور
المؤنصر . إن الأستاذ يشاطرنا شرف الانسحاب إلى القرية وتداول فضيلته
في قرية لطيفة بالقرب من سنترين . والفرق بيني وبينه أى أتحدث عن
بلدى في جميع المناسبات أما هو فلا يذكر بلده على الإطلاق . ولا يجرى
اسمها على قلبه ولا لسانه مع أن الأوطان الصغيرة هي حبات التند في الوطن
الكبير .

الباب الثامن

معارك بين المخاضين حول اللغة

بن أحمد زكي باشا ومحمد مسعود

كان العالم القوي (محمد مسعود) قد قدم عدداً من الأفكار الثرية الضرورية منقحة لهاذا الشعب بدلاً من الأفكار القوية والدارجة . ولا كان شرح البرورة أحمد زكي باشا له باع طويلاً في هذا الشأن . وسنلازمه منذ عهد يرد قد حاول (محمد مسعود) وقد نال منه أكثر من مرة . وأنه بأنة أخذ منه كثيراً من الأفكار . ويبدو أن زكي باشا قد مساجلته في إعجاب الاستيلاء وله عبارات جزئية وكلمات غريبة . وهنا نورد ثلاث معارك جرت بين أحمد زكي باشا ومحمد مسعود خلال عامي ١٩٣٢ / ١٩٣٣ .

أحمد زكي باشا : انتق الله يامسعود^(١)

انتق الله يامسعود ذلك مركز وطيد بين أهل العلم والتحقيق وإذا كان منك سكوت على هذه الأخطاء فإنه يكون خطيئة لا تنفتر لك .

« الشطارة » يا أخي أن يكون الإنسان مستمداً لإثبات مذهب إليه أو يبادر بالرجوع للعق من نهوه علمه . فهل عندك هذه الشجاعة ؟ أكبر الفطن أن الجواب سيكون بالإيجاب بلا مداورة ولا مواربة .

يامسعود : انتق الله في الأمانة التي في عنقك فأنت أخذت تتعاطف وتتخذلق وتغلب على هذا الاسم . والناس الذين تصورت أنت أنهم قد تجاوزوا به بالاسم التقارب له وهو « طلفسكة » .

فكأن عجبى شديد حينما قرأت هذه الحقائق الصحيحة التي ليس فيها سوى عيب واحد وأنه لعيب عظيم هو عيب الانتصاب الأدبي .

(١) النجم - ٢٢ / ٦ / ١٩٣٢

وأنا أرى بك عنه يا صاحب (الربا) ، بل لا أسمع لنفسى أن أشرك
بشيء لأناك صاحب (النهرة) ولا أدهو عليك ذائق الحب والفرى لأناك
الدائم إلى ثأنت القيان بغير حق ولكنى أنعم لك وقت أمام الرآة
فرايت شعرا أخذت تسخر معه ثم وجهت المغيرة إلى الناس بغير حق .

أنت أخذت منى ومعنى كل هذه المعلومات الصحيحة التى رويتها فى
الأهرام مع صياغتها بطلب الرشاقة الأدبية وبذلك الأسلوب الجذاب الذى
برعت فيه وقت الأقران ، فلماذا إذا خالفت واجب الأمانة ولم تنسب
القول لأهل .

أنت أنت كفت الغالب بين طليعة وطليئتك . أنت أنت كفت إلى
بضعة أيام تظن أنهما شئ واحد أو مديقة واحدة ، وأنا الذى عديت إلى
الصواب ، وشرحت لك الحقيقة . وذكرت لك التفاصيل .

لعلك نسيت يا سمود .

لعلك تقول أن الإنسان مبدع النسيان .

منها أن أذكرك بما حمل الرجوع إلى الحق وتنسب الفضل لغيره فهذه
سجيتك التى عهدتها لك وهذه شيتك التى عهدتها للناس عليك وفيها كل
مفخرة لك .

أذكر أنك فى كلامى معك قلت أنت لى أن سلفك هو الذى حربها
العرب وجعلوها طليئتك . انذكر أن جوابى لك كان « حاسب يا سمود
حاسب » .

ثم شرحت لك الفرق بين المديقون وذكرت لك مما بقى فى ذاكرتك
وجرى به قلبك دون أن تشير إلى المصدر الذى سقك هذه المعلومات .

محمد محمود : يا شيخ العروبة انتق الله

يدعوني شيخ العروبة إلى تقوى الله ليهمي، لي من أمري رشداً طاكراً
بهذه الدسيسة المألفة والتعذيب الحكيم من عالم فاضل يشار على الحق ويصل
لأبيه .

ولسكني أراى الأستاذ جماعة في مأزق حق يرأف بحال فيدعوني إلى
التزود بزاد التقوى لأقيل عثرى وأخامس من ووطى وهو الذى في مناظرته
عود مفاظ به أن يكون أمرهم معه يسرا لا عسرا .

وصف سيدى الأستاذ ما يفصل الأهرام بشاره لي بين الحقيقة والحقيقة من
تحقيق بعض الأسماء الأعلام أو تسمية بعض الأشياء باسمائها الصحيحة في اللغة
بأنها (ألقاظ مقمرة وحفظه وجلبلة وتحذلق وتفاصيح الخ) ما عرف الناس
طراً من الحائقين وما زالوا يعرفونه أنه شائفة مولاي الأستاذ وطرته التي
فطر عليها في مباحثاته وسلاحه الذى يخطر به خطرانا في خطرة وزهو كلاً
أقبل على ميدان أو نحضر للضرب والطمان .

وليس من ديدنى أن أفرغ هذا السلاح : فله أو آبه فذلك للنعوت بل
النوايل والأفاوية الزكية الذى اعتاد أستاذى الكريم أن يذكر ذروها على
ما يقدم إلى قرائه من صحائف دياناته ومناقشاته للسببة فإني ما ربيها سر
السكرام واطمأنا دبر أذن .

أن الحرب في سانيها الأول أزممت سواد الناس ملازمة بهوتهم وحرمتهم
استماع النفس بما اعتادوا أن يرضوها به خارجها في المزيج الأول من القيل
وكانت تطوف بخاطري دائماً في تلك الأيام وأنا في مزاج ذكرى المحاولات
للمعتذرة التي حاول بعضهم سنة ١٨٩٣ أن يفضوا عن اللغة العربية عاراً لثقافتها

من ألفاظه فصيح تزوي معنى الألفاظ العامية والدخيلة التي تسربت إليها وقتها استعمالها في النحويين السككانيين والسككلايين . وقد كنت اعتقد أن مدحهم الناقد لا يتأتى عن تصعيد الألفاظ المطلوبة من هذا . ثم كما كان يفعل ذلك البعض مسابقة للمصادقات والمساومات بل من مطالعة المعاجم مطالعة استقراء واستقصاء فتعجب ما يكون حالها لدى تلك النخبة القليلة التي علا من الناحية لها في القارى والمخاض فتوفرت على هذا العمل زمنا مدينا حتى اجتمع في هذه بضعة آلاف كلمة عشت . يرد ما يتصل منها بمختلف العلوم إلى ما عدا في البحث والتفتيش إليه من مقابلتها في النحويين الفرنسية والاطينية . وهذه الكلمات وتلك مرصورة معدى في أمام ميين أعاوده ينظرى كلما احتجت إلى تحقيق أو تصحيح .

فن العجب العجيب بعد هذا أن يردنى الأستاذ شيخ العروبة فما يتعلق بكلمة (النهرة) وهي من تلك الكلمات التي أحصوها ثم سمعتها بعد من كثيرين على أن يرتقى على بها إلى ما قبل حتى الحرب .

وأى حرج في استعمال كلمة النهرة الآن للدلالة على جمع السككاسات المغزاية وكتب القنة قاطبة لا يخصص ابن سيدة وحدة متفقة على أنها « الموضوع بين الدور لإلقاء السككاسات » .

بعد أن أفرغ سيدى الأستاذ جام غضبه وقته على كلمة النهرة توجه بهتفه اللاسع اللازم إلى كلمة « القليز » التي أثبت بالمراجع النوبة والشواهد الشرية تأنيها ثم قال « إني « ثائر على تأنيث كلمة القليز وقد يكون هذا التأنيث صحيحا ولكنى إن استعمالها إلا مذكرة » .

هذا ما قاله شيخ العروبة مبنى ومعنى . ولقد قرأت بعد ظهور نبذنى عن

كلمة التليق ست عشرة فبقة نشرها بعض أفاضل النورين تليقا وملاحظة على مذهب آلوه من تأنيها . ولكن سيدى إذا انزعج بمفه رأى عدهت فيه جذوره وأخذت منه للأخذ العميق فصار عسيرا عليك أن تقتله ، وما دام انه يحب التذكير ولا يرضى آلاه فادعه وشأنه . لنسرح الطرف قليلا في تفسير طريف فسكه جاء به لسكامة الميلاق : يقول أم التقة وشيخ العروبة لميعة التاكهد والاستيقان ما يأتى « أن فيلق إنا عى صفة أو نمت نطلق بعينها هذه على الذكر والثوات مثل خام وقبيل ومصورن الخ .

مرحى . ياسيدى الأستاذ . ماحذا التخطيط في التحقيق النورى الذى لم نعورع بعده من نهيدى بتركه إذ نقول « ان اسدمت لى أخرجت نفسك من ميدان البراز فائزا من الغنية بالأسباب .

أسألك بربك أن تجاوبنى ما هذا الخطب والخطب .

وأيت النفس القادة من الميولى النوبة لولاي الأستاذ إلا أن تلقف يكفى نقدها العميق كلمة مرءاء بالحيرة التى رأيت ومازلت أرى أنها أصليق لفظ وأدقة لأداء معنى للمصد أو الاستسور . ولكن الظاهر أن تلك النفس الميوفة تفرزت منه قتالت مستعجدة مستعرجة وأسألك بالله إلا تريدنا على استعمال كلمة مرءاة .. لا أحد يتقرر بما لا ينهمه القاس من مرءاتك .

إنى حين حدثت قرائى عن (نلراء) حدثتهم عن موجود فى القصة لا معدوم ويجعل بك ياسيدى النفس السكرة أن اذكرك أنك فى غير الزمان وسالف العصر والأوان كفت تصدبن لسا أنا متصد له الأمن خلق بعض الأسماء على ما يجب أن يسمى به مدلولها فاسميت للزوتوار بالأفريز ما الأفريز إلا ما برز من حائط البناء كالفليف واسميت الاوتوميل بالسهاره وكان حقا

أن تسميه بالجواقة وتنفل خطأ هاتين التسميتين في غضون الزمان حتى يجد
عليها الاصطلاح الآن .

أعلم يكن الأولى بك أن ترى انشئية في عينك من أن ترى القشة في
عين غيرك .

وألفت تفارك إلى أن ربي وربك أمرنا في محسب آباءنا بالحسنى في الجدل
وأنت أيتها النفس العالقة الحسيفة تفتش أسلوبك الجدلي بهجر القول وسقط
الكلام وحواشي القلق .

لكنني أهاب بك أن تكون تحية أول صديق من الكوام السكاتين
قائمه في صبيحة اليوم قوله في « ناله لو كنت طالبا ولو لم يكن غير زكي يا شا
أساذنا على وجه الأرض لا نرت البقاء جاهلا خاملا طول هجري على أن أكون
هالكا فيها إذا كان أسلوبه في « تعليم كأسلوبه في الجدل .

(٢) محمد مسعود : يا شيخ المروية اتق الله ^(١)

إن نغلة الأدب والسلام في حديقة شيخ المروية تأتي إلا أن يكون ثمرها
حجراً ومدركاً لا رطباً جنتها فهي ترمى بها الناس جميعاً لا ترحم كثيراً ولا
تعتطف هل صبير .

والقد أوسدت الدخلة للباركة على بدلا من ثمرها الشهي ورطبها الجني
أحجاراً غلاظاً أسعها « الأمانة » والشرارة والصبينة والحروب إلى آخر
ما في الجبهة الزكية .

تذكرين الأمانة تريدن بها ضدها . أيتها الفضلة الأمانة الأمانة وتذكرين

التي تارة تزعجهم في ميادينها إلى جانبها الصحيح ، وقد كان أبعد خطورا على
الرجال أن تلحق بها إلى وأنت لم تسكوني الأمانة حق على كلام الله القوي
لأنها الباطل من بين يديه ولا من خلفه فنشرت في آياته وأبدلت ونسخت
ومسخت وزدت أن أذهت هذا الخطأ في الصحف فبهت بذلك حقيقة الناس
عليك وكادت غشية مهربة من أهل العلم فبهوا لإصلاح ما أفسدت وجير
ما كسرت ، وكان منك يومئذ أن لجأت إلى مانعيتين إليهما الآن - إلى ذلك
الحسن الحصين : حسن الرجوع إلى الحق فحقيقة تسكررين الأمانة الأمانة ،
وأنت لم تقني الله فيها إذ رحمت تذهبن لنفسك الحق في طبع كتاب الأدب
الكبير لعبد الله بن القنق مع أنه من ألوف الكتب التي أصبحت يموت
مؤلفيها منذ مئات السنين مسلكا مشاءا للجميع فلا يأتى أن يطبعه فدا طبعه
للرصق طيبة مديونة عاج عاجك فأرسلت عليه كسفا من سماء غضبك إذا
انكسرت عليه ذلك الحق وأعطته وأبلا من مثل هذه العبارات « نال من
الرواج ما جعل بعض البلاد المتغفلين يقدّمه بلا خجل » إلى ذلك من الممارات
التي ينطبق عليها قول الفرنسيين .

« إن دعاية المرء انشاؤه » أي أن عبارة تفكيره التي يتضح بها فهم
كفيلة بأن تكشف لذاري ، والاسماع عن حقيقة مشاعره من كل نواحيها .

وترمى في أتعلة العلم والأدب نيا رمت من أحجار بالصيغة والسكرات
لأنه مروت يتألك (حاسب باسمه حاسب) من السكرام .

وأنت أنت باشيخ العروبة تسبح وحذك في الإغضاء والتغاضي وتابنة
زمانك في الانفلال من التيهات فاعبدك بيمينك بمقال « وقال العرب في أمريكا
التي نشرته في (الأهرام أوائل نوفمبر ١٩٣٠) فقد لبثت تنظير أسيوهين

كأولئك طالبت الياس بيدها يقاتلك الذي صيرته بما هو ديدك من التناقض والزهو إذ قلت :

« عني وعني وحدي شئو الدأ الصادق . وعندي وعندي وحدي الحجة الصريحة والبرهان الصادق » ومنبت فيه على كل شرق وعرب (هكذا) بأفك أول من نه العرب إلى كتاب زعمه الشقاق في اختراق الأناقي للادريسي ، إذ كتبت أول من عثر عليه سنة ١٨٩٢ في بعض خزانات القرب وزوت لأن معا على مصر شعبا وحكومة بتصورك إياه بالثوغرانيا لإحداثه إلى دار الكتب .

فما أتيريدا للقد هذه الدعوى ، وأثبتنا بالهليل التقم والحجة البالغة أن السكتاب طبع بالسريرة بماضرة روما عام ١٥٩٢ أى قبل عثورك عليه بثلاثمائة سنة رأيا فلك الذي قد ذيل عورده واقطع سبله وعدت لا تحير جوابا ..

فلست أدري لماذا لا يرى شوح المروية الظير والصواب إلا في ملاحظة كل كاتب باحث بدعوى التفوق وتعقبه بصوف المن والتعبير والتكدير والقحدير . بل لا أدري لماذا يظن أنه أن يلسق بغيره ماهر به ألسق ، فهل جوبل أو تجاهل أن من أمارات العلم الصحيح أن يكون زكي النفس قبل أن يكون عالما وأن يعمد بهله حذابة غيره في نواضع وإنسكار لذات .

المرحلة الثانية

كتب « محمد محمود » عن العالم الطوطوشى فقال^(١) :

« لأشاعيل طراكنة صرفتني في الأسبوعين الثابرين عن مطالعة المصحف

في مواعيد ما تأنى أن أمتع القارئ بتلاوة المقال القديم الذي دعيه في اليلاع
بإعادة أستاذي العلامة المحقق شيخ العروبة تحت عنوان « الأسواب أنها مدينة
لأريده » جرياً مع مخطوطها الفرنسي .

وقد استعطره البحث بشيخ العروبة في ذلك التصويب المكتنز بالقوائد
التاريخية والجغرافية إلى ذكر مدينة طرطوشة الأندلسية .

رد أحمد زكي باشا

أتقدم إلى الأستاذ مسعود برباء مبرح وقد أطلع في كرمه أن يقدم على
وعلى نفسه بحاجة خاصة . ولعله يفضل ببناء هذه الأركان الخمسة لمصلحة
الأدب والقائنة العلم ، فيحقق أمل القديم فيه بأن يعود (كما كان) مثالا
لشجيرة الجامعة وللسكانيين للمتهتمين في المحافظة على الكرامة وفي تأدية
واجب الأمانة .

أولاً : أن يرجع — كما فعل أس وأمس فاطم — إلى عفاف القول
واجتناب النكسة الباردة . أو غير الصادقة تأسداً لحجاب التسهل على ما طعن
به قلمه قبل اليوم بسبعة أشهر .

ثانياً — أن لا يكتفى في المستقبل بالرجوع إلى مصدر واحد أو إلى قول
واحد في كتاب واحد . بل يقارن ما يقتله ذو عن الأثرين بما تنقوه هم من
العرب فيما يتعلق بطور العرب وبلاد العرب أو البقاع التي كانت للعرب .
لأن يكون في أمان من الغلط ومن السقط في التسلط .

ثالثاً — أن يشاركني في فضيلة الرجوع إلى الملق (بلا موارد ولا
مداورة) ليكون قدوة حافلة للقائنة العلمية .

رابعاً - أن لا يحول السلام الذي يريد تقديمه أو نقله من مجراء ولا يرس به إلى غير معناه .
 هل يسمح لي الأستاذ مسمود بمقابلة الأمانى !

إنى أتوسل إلى الأستاذ مسمود باسم الرشاقة واللبانة والبقاة وبحق البطانة والطرائف والطرائف أن يرحمنا من الألفاظ الموبقة للفقرة الجعونا . فيسيل بنفسه إلى السلاسة في التعبير وهو عليها قدير . وإلى السكينة في نظم الكلام . وهو فيها أستاذ بل (إمام) فيعود بنا إلى ما نمودناه عنه مما نقله الأسماح ونرضاه الأدواق . نفى اللثة سمة وقى غمزون صدره كفاية وكفاية .

فليس كل القراء مثل الشنقيطى والزعترى وابن الزبيرى ، يا أستاذ ولا سيما قراءة الجريدة اليومية .

فأرحمنا برحمتك الله من براءة الانتفاخ الذى صدرت بها كلفتك أمس من الطرطوش وهو قولك :
 « لأشاقيل طرأة » .

يا ستار ! يا ستار ! لمن الله حسنه « الأشاقيل » التى شغلتك مشاغليها فأوقعتنا في صحراء الجيرة وأرجعتنا رغم أنوفنا إلى قعر القاموس .
 أنا لا أقول قطب أنها خطأ . بل هى عين الصواب وكل الصواب . ولكن القوفى شىء غير الذى فى الكتب .

يا ستار ! يا ستار ! من تلك الطرأة التى طرأت عليك نظرت أسامعنا بالمرؤية المفردة وكل مقامع الحديد .

يا ستار ! يا ستار ! من هذا التركيب الذى لا يفهمه أحد من ألف أومائة ألف . والخير كاتب هذه السطور داخل في غمار هذا (المليون) .

الأشاعيل طويانية .. أهل معروف بالسمود وأتركها لتقصيدة الطغترانية.

المعركة الثالثة

من محمد مسمود : إلى شيخ المروبة^(١)

ليس من المفات المبيعات ولا من تائه الأشاعيل أن يسوتك الحظ العائر
يوما إلى اللزول مع شيخ المروبة في ميدان خاطرة وبحت التقرير الحقيقة في
شأن علمي.

ذلك لأتلك إذا خضت معه هذا النهار استهدفت لسموات شق من سنان
قلعه الجارح . فن من عليك وتدير لك بأذك إنما من بحر علمه إغترفت إلى
تشيير بك وانحاء باليوم والتعريف عليك لأتلك لم تؤد إليه صاغرا انانوة لشكر
لقاء ما تحرك به من فيوض إحساناته المقيمة ومن تفاخر بأنه القايض وحده على
مناهب تنصيفات العلمية والفنوية ، ولذا لك للاحقة البحوث الأكاديمية ،
وللهم في دياجير الأخطاء والتوفيق لنور المصواب والحق ، إلى اتهام لك
بالجهل وانتعال علم مالا يعلم . فهو يرى إذا أن العلم وما يتصل به من تحقيق
وتعميم تراث أوصدت له به الحسك الأزلية وبمراث خلس له من غضون
الأجيال السابقة . ليس لأحد من مخلوقات الله أن يرمقه بعمه أن بشرتب إليه
بميتقه . وحده هي الغاية لا متجاوز بعددنا للصلف وتصغير الخلد . وحسب الأثمة
التي جاء في ذمها مالا يحمي من أساويت شريفة وحكم بالغة تطلق بها الفلاسفة
وأرياب الدراية بالتربية النفسية والثقيف العقل .

وإذا أنت في مناقشتك إياه أخذته بالموادة القائمة على أساس وعيد من
أدبك العالي وخلقتك ارضى السكرم فقلت له مغلأنت سيدي وأسفاني . وأنت
نسوج وحدك في العلم ومنقطع القرن في الفضل . وهذلت له في هذه السهيل

(١) البلاغ - ٦٦ فبراير ١٩٤٣ .

الأشاعيل . إن فيه مسحة من التفاتر الغفل ويهم على وجهه صائغاً صبيحة
الاستقامة والاستقامة إذ يقول : يا سعاد يا سعاد . لمن الله هذه الأشاعيل
ناسياً أو متفاسياً فيه مسحة التفاتر الغفل إنما كان حيناً بعض لعابن الشيخ
على يوسف في نوفمبر أو ديسمبر ١٩١٣ فوصف أمراً بأنه لا بحث تحت بعض
فاضحك الحاضرين يومئذ في وجوههم وحزتهم .

أما هو فقد مضى في تأييده راشداً ومعتدلاً أن تلك الترادفات خفيفة
على اللسان سهل النطق بها وأنها من الألفاظ التي لا يماريها في شرف جوهرها
وحسن رونقها .. وشدة طلاوتها وحلاوتها غير قول الشاعر :

وقبيل حرب في مكان قفر وليس قرب قبيل حرب قبيل

أحمد زكي باشا : بانتاج يا عليم

أعقذر ولا أعني الأستاذ مسعود بوجه خاص .. أما الاعتذار فلا ينبغي قد
كفت وسأكون بلا قصد سبياً في تصديرتهم بإرهاق إياه على القيام بالاطاعة
له به من عويز المباحث ولا صير عليه من غوامض الحقائق ، وهو يريد أن
يكتسب دون مبالاة بالصواب ولا يرضى أن يزيد على فضائله العديدة : فضيلة
الرجوع إلى الحق ..

من أجل ذلك قرأه بقاويل القلم بعد أن يفرض في قعر القاموس ثم يأتيها
بعبور الألفاظ الشبة وبجر التعابير الدائرة الفدرسة . وأما الحقائق وأما البراهين
فانه يهرب منها إلى هنا . وينقل عنها إلى هناك .. وله في ذلك راحة .. ولذا
من براعة .. في محافاة الحق الذي تقدم به إليه يصادق البرهان وساطع البيان .
ثم هو لا يفورج عن تأييد الباطل يصادق الخيال ولا يتخرج عن التثبت
بأدائين القول والاختراع . وسبعان الخلق الذي جملة تسجوا وجهه في هذا
(الممارسة الأدبية)

القياب . فهو أستاذ . بل إمام . وله تلاميذ ومريدون بهم يستعصر ويستسكن
وكل يقام بناء من هباء على هباء .

.. أما أنى لا أعنته اليوم — واليوم فقط — فلأنه لم يتفضل برعاية
الأمانة . أف هذه السكامة . إنها ثقيلة على قلبه . والويل كل الويل أن يذكرها
له أو يذكره بها .

أقول أنى لا أعنته اليوم لأنه لم يتفضل بمراجعة وجدانه عن الترقى بين
الغلطة الطبيعية (رغم كل تكاير ومداور) التي تعدته إلى التفتن لها . وبين
ماحقه له وجهه وخيل له وسواسه أنه (غلطة تاريخية) .

.. إن الغلطة الطبيعية هي التي تقع من صفات الحروف ولا يتشبه بهذه
الصنيرة من الصفات إلا النصف المتفت .

أما الغلطة التاريخية مثل أنلاط سيدى مسمود الكبير — فهي التي
تؤخذ بها الكتاب حتى يمتدح بطله فيها من تلقاء نفسه أو بعد تنبيهه
فتكون له ذنبه الرجوع إلى الحق (الحقى لك يا أستاذ) .

والسباط في دار المروبة بمسود لك ولأهل الفضل في كل يوم مرفق
عشرف أنت والأساذ دبابه ومن ترددان حل الرحب والسمة ولك الفضل وله
الحكم حل أحداثا حل الآخر . فيما يتعلق بالغلطة الطبيعية .

من أجد زكى باشا — إلى محمد مسمود

(الحديث موجه إلى زكى مبارك) .

الحق أنه — أى مسمود — برز في الخطاب وأنه فاز في ميدان الشتم
والسباب وما أنذا أعترف له بذلك وأشهد أنك — أى مبارك — لحقت
بناؤه بل أنك سبقته بأشواط .

ألا نعلم أني تمتعت عن مفاصلة الأستاذ مسعود في الترافيق بالقول
البراء ولا يجهل أن عجزى فيه لا يوازي سوى قيمة قلبي في تشديد الفكر
على أهل الهداية أو الذين أحسبهم مدبرين إذا ارتكبوا خطأ وأذاعوا ضلالاً .
ثم بعد إرشادى لهم .

أنت ترى في سلوكي عن الأستاذ مسعود وقد خلا له الجو مضيق الحق
العلم الصحيح . أم هل الحقائق التاريخية والجنرائية داخل تحت حكم الشريعة
السعة والتوانين الدينية والجنائية حتى سقط بالتفاد أو مضي للندى .

كلا . .

بل أن الأغلاط التي نهبت الأستاذ مسعود إليها نشئت من أجلها
لا تزال معلقة برقبته حتى يبررها بغير السباب أو حتى يرجع إلى الصواب
الذي دقته عليه ولا غشاضة في الرجوع إلى الحق ..

لقد جازف حين زعم بغير حق ولا تحقيق أني أنا الذي ابتدعت كلمة
أفرز لدمي للفظ المستعمل الآن في قولهم (أفرز النحلة) بل هو يعلم أو
يتجاهل أن للرحوم الشيخ على يوسف هو أول من استعملها بهذا المعنى
فكانت منى مقاومة ومعارضة ومكافحة ولكن صوت (المؤيد) كان
ولا يزال أعلى من صوتي فبقيت هذه الأغلاط شائعة بين أرباب الأقلام

ومن سوء حظ العربية أن ينطو الأستاذ مسعود في فته الوصف الذي
أعطاه الأديبي لأهنا . الدم الثمانية الذين جازفوا باقتحام المحيط المظلم .
فالأديبي نصف هؤلاء البرب السكارام به (المزورين) وعلماء المستشرقين

بتأيمونه على هذا التعبير الصواب ، أما الأستاذ مسعود فقد اتبس عليه الأمر وكسب تحت (المفرودن) بالقلم العريض ثم عاد في مقال ثانٍ وكرر هذا الخطأ (بزيادة الواو) .

أريد الناس برهانا علميا على شرف الطبايع ومبادئ الأخلاق وعلى ألا تنقاط تكرامة الأرب في الخذل .

إذن فيسمع الأستاذ مسعود .

بينما كان هو مبالغ في ثنص والوزارة بشأن على صفحات جريدة الأهرام طلب إلى أديب أن يكتب عن رواية ترجمها مسعود وظهر بها ٣٠٠ خطلة في رواية . ولكن رجوته رجاء شديداً وألمحت عليه لما في عنده من السكينة ألا يقل .

كلمة أخيرة

من محمد مسعود^(١) إلى شيخ المروية

لشيخ المروية في التعبير عن مراده أسلوب خاص لم يره فيه أحد حق الآن فقد جعل قراءه أدهاء السكالك لنفسه في العلم والنقل والوزارة بالناس والتفويض من أقدارهم . حق لقد رأيت السكتيرين يربأون بأنفسهم من مغالزته في ميدان البحث خيفة أن يعقلب بهم إلى ميدان تراثي بالشعائم قد يصابون من لوشها عمالا محبون .

وق (البلاغ) كلمة بقلية تعد مظهراً جالياً من مظاهر هذه النزعة التي أصبحت ديدناً له وشيعة يمتاز بها عن السكرام السكاذين . وقد حاول فيها

(١) «بلاغ ٣ يناير ١٩٢٣» .

أن يسمى برشاش ذلك الأذى لإذ راح يحصى على أغلاطا يقول إنها وقعت في مناظرات بيني وبينه انقضى عليها نصف عام إلى عامين وشهرين . وكان قديما به أن يتجرى التصحيح في إجاباتها كما جرت به عادة بين المتناظرين ولكنه صبر طول ذلك المدى كي ينسى القراء موضوع تلك المناظرات التي خرج منها مدحورا لا يستطيع لها ردأ ولا يجد عليها جوابا . انتهى أه الوسيلة لإيئامكم بأنه أخذ على مأخذ لا تمت إلى مناظرات سابقة بعلة ما توأمن عاقبة حكمهم عليه فيما لو كانت موضوعاتها بين أيديهم أو عاقلة بأذهانهم .

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

100

الباب التاسع

مغارك نقد الشعر

- ١ — بين شوقي وفقاده
المقاد ، المازني ، هيسكل ، مبارك طه حسين .
- ٢ — بين عبد الرحمن شكرى والملازني
شكرى ، المازني ، أبو شادي .
- ٣ — إمارة الشعر
الزحواوي ، المقاد ، معارن ، طه حسين ، الرافعي .
- ٤ — ديوان وحى الأربعين
الرافعي ، المقاد ، إسماعيل مظفر .

التمهيد الأول

بين شوقي ونقاد

لعل شاعراً لم تناول أدبه أعلام النقاد والباحثين مثل « شوقي » ، فقد كان صاحب ذمب وسبب ، وكان في ذمته حياته وسيط الخديو لله رجال العلم والمعاداة ، فضلاً عن أنه كان شاعر الأجيال حتى لي في أوائل الحرب العالمية الأولى قد عاد ثمر من ساحات النصر ولكن رأى خصوصية ظل فيه كما هو ، حاجة إرهابهم الأتري وعباس النقاد وثمة حين تم حاجة جليل يد أن كذب له مقدمة ديوانه وأصدرت السياسة الأسبوعية عدداً خاصاً عنه ثم غير الأتري وملة صوت رأيها في شوقي وأمر النقاد على وآيه ، وهذه صورة من آراء نقاد شوقي .

عباس محمود النقاد : شوقي في اليزان

كفا نسمع الضجة التي يثيرها شوقي حول اسمه في كل حين غمر بها سكوتنا كما نمر يثيرها من الضجرات في البلد لا استحضاراً لشهرته ولا لقيمة في أدبه عن النقد ، فإن أدب شوقي ورسائله من أنباء المذهب العتيق خدمه في اعتقادنا أهون الميئات . ولكن ثمة ثمة عن شهرة يزحف إليها زحف الكسح . ويمن عليها من قوله الحق ضد الشجع ، وتطوى دقائق أسرارها ودساتيرها على الشريع . ونحن من ذلك الفريق من الناس الذين إذا ازدادوا شيئاً بسبب بقمهم لم يبالوا أن يطبق لئلا الأعلى ولئلا الأسفل على تبيجه والتفويده به فلا ينعينها من شوقي ونجده أن يكون لها في كل رقة ، وعلى كل باب وقفة .

فإذا استطاع أن يقيم اسمه على الناس بالتبليغ والتكبير والطبول والرموز في مقاسية وغير مقاسية ويحق أو يثير حق نقس تبوا مقعد الجدد وتسم مقعد المفلود وعفا ، بعد ذلك على الإنعام والفضائل وسحقاً لمقدرة والإنصاف . وبعد للحقائق والظنون ، وثيا للجميل والحق . فإن الجدد سلعة تقنى ولديه التي في الخزانة وهل للناس حقول .

ومن كان في ريب من ذلك فليبحثه في كتاب المذبح لشوقي من لا يجدح الناس إلا مأجورا فقد علم الخفاصة والدامة شأن تلك الفرق، الفتنة تسمى بها بعض الصحف الأسبوعية . وعرف من لم يعرف أنها ما خلقت إلا لسلب الأعراض والتسول والمذبح والدم . وأن ليس لتبشرات الأدمية التي تصدرها مرتزق غير فضلات الجيها، وذوى الكرب والمزاولات . خبز مسوم تستمره تلك الحقيقة التي تحركها الحياة لحسكة كما تحرك الحوام وششاش الأرض في بلد لو لم يكن فيه من هو شر منه لما نوا جوعا أو تواروا عن الديون . هذه الصحف الأسبوعية وهذا شأنها وتلك أرزاق أصحابها تشكيل المذبح جزافا لشوقي في كل عدد من أعدادها وهي لا تنتظر حتى يظهر للناس بقصيدة تؤثر ، أو إثرا يذكر . بل تجهد نفسها في تحمل الأسياب وانتصار القرص ، فإذا ظهرت له قصيدة جديدة وإلا فالقصائد القديمة في بطون الصحف وإن لم يكن شعر حديث ولا قديم فالسكرم والأربعة والأفضل والأودعية .

• • • ولقد استعطف شوقي بمجهوده واستعطف واستعطف حتى لا مزيد عليه ، ما كفاه أن تسخر الصحف سرا لسوقه إليه واختلاف حواسه واختلاف ثقته حتى يسخرها جهده ، وحتى يكون الجمهور هو الذي يؤدي بسببه أجرة سوقه واختلاسه .

أن امرأ تبلغ به محنة الخوف على الصيت هذا المبلغ ، لا يدري مع يستكشف في سبيل بنيه وأي باب لا يطره تقريبا إلى طلبته والمحق أن تهالك شوقي على الطنطة الجوفاء قديم عريق ورد به كلى مورد وأذهله عما ليس يذهل عنه بصير أريب ، وليس المجال منبسط للتفصيل ولا القرصة سانحة بجلاء التوامض .

إبراهيم عبد القادر المازني : رأيه في شوقي^(١)

ليس شوقي عتيق بالشاعر ولا شبيه ، وأنه قطعة قديمة متفككة من زمن غابر لا خير فيه . ينفي عنه كل قدم ولا يضيف هو إلى قدم أو حديث وما أمرني قرأت له شيئا إلا أحسست أن أغلب جنة ملئت حديثا وشاع فيها الفناء علوا وسفلا . وعسى من تستفزع هذا ويرى فيه علوا .

ولهذا يقول أن مقياسا كان ولا زال . أن الجيد في لغة جيد في سواها والأدب شيء . لا يختص بلغة ولا زمان ولا مكان لأن سرده إلى أصول الحياة العامة لا إلى الظاهر والأحوال الخاصة المارضة . فمن كان يكابر بالتحلف في أن شعر شوقي كما نصف ، فما عليه إلا أن يتناول غير ما يذكر له وأبرمه في رأي أنصاره ثم قليقه إلى لغة أخرى وليتظر بمسد ذلك . ميلقه من الفساد والاضطراب والاعتساف والشطط والسفه والفقر والخلو من الصدق والعجز عن صحة النظر .

ولمت شوقي أنه لا يسمو عن الطروق والتأليف والبقول ، إذن لمكانت له على الأقل مزينة القليلة إلى ما كانت له في زمنه طلوة الجدة فإن الطروق اليوم كان ميتسكرا بالأسوأ وأنا لثبط شفاعتي الآن إذ غري كاتبها أو شاعرا يشبه وجه الحبيب بالقر أو غيبته بالهجوم .

والله . أما أن يكون شاعرا أو لا يكون ولا وسط هناك ، أنا أن كان شوقي عنسك شاعرا تهسوه إلى شعراء الدنيا من مثل شكبير وجوته وملعون وهاردي ودانتي فإن لم يقف به مكانته بينهم فهو ما زعمتم ، وإلا

(١) الدراسة الأسبوعية (كتب في العدد الخامس بشكرهم شوقي) ٣٠ إبريل ١٩٢٤ .

فاعلموا أن الشعر ليس الوزن والقافية وأن من أول خصائصه قدرته على النقل. ولذا تعدى القدرة على التصوير بالألوان بل تناول الأشياء بحيث يوظف هذا التداول في نفس القارىء، إحساساً تاماً قويا بالشئ، وبذلك به .

لا سيدي عيسى بك : هذه معانيه لا مطابقة فيها تقيمون كل هذه الضجيجات والضوضاء حول شوقي ومحفوفه بالزمر والطبل في أرجاء السمورة كلها ثم تمدون إلى رجل خفيض الصوت مثل تدعونه إلى أن ينهض وسط هذه الزخات المجلجلة ليتنفض إليكم برأيه الصريح .

٣ — شوقي مرة أخرى في رأى المقاد^(١)

شوقي شاعر الخلقين — بالبعث إليه من لا تعرفه إلى قراءة الشعر عاطفة مشجوبة ولا بدنية يقتل ومن قصارى رأيه في الشعر أنه معان شائعة في صياغة مقبولة ولم لا يؤخذ صاحبه على خطأ ولا يحاسب على ضلال .

فأنت لا تقرأ في كل ما نظم شوقي شيئا يتم عن خلقه بحمال الطبيعة أو استعراج بحمايتها الفايضة في الأرض والسماء، وبحالها الحية في الرياض والبحار والنفائم والأهواء . سحرها الذى يجلب اللذوة ويسرى في بعض النفوس مسرى الميام الغالب والفرام الغالب . وليس في كل ما نظم شوقي شئ يتم عن تلك السليقة المتفائلة لبدائع الألوان والأشكال الماكفة على تصوير ما تلج من تلك البدائع والأسرار .

وليس في شوقي ذلك التصوف الذى يتعلم إلى المجهول ويتف بين يديه موقف الكشف والإلهام وليس فيه ذلك الألم الذى يشق عن فرط

الإحساس ولا ذلك الطرب الذي يتغنى بفرح الحياة . وليس في ذلك الخيال
الخالق الذي ينشئ الصور والأشياء ويلبس المعاني الخفية ألحواب المنظور
والحسوس .

ولسكن أليس شوقي شاعر الرثاء . « ونقول نحن » هو كذلك إن كان
الترض من ذلك القول أنه أكثر الشعراء شعرا في بسكاء الأموات وأنه قد
نظم أربعين أو خمسين قصيدة أو أكثر أو أقل رثاء جماعته من أبناء
الماضين .

غير أنك تقرأ هذه المراثي فلا تجد فيها فرقا بين الرجل والصفات ولا
يعجزك أن تضع رثاءه لاسماعيل أباطة موضع رثائه لرياض أو رثائه لقريد
موضع رثائه لعمر لطفي اللهم إلا اختلاف الأسماء والوظائف والألقاب .

أحلى شاعر الألقاب : الدكتور هسكل

بعد أن أسمر هسكل العدد الخامس من السياسة لشكرم هولي وكتب مقدمة العرفيات
تحول إلى الهجوم على شوقي .

قلت أن شوقي يكلفني بعض أخبار عن السياسة وعمرها وانطلق
وأطلق جماعة من صبيانه يذبحونها في الهاوي وفي الطرقات فأصغرت ذلك
معه وأعرضت عنه وأبيت أن أحده فيه تسكيلا أخرجة بأن أصارحه بهذا
العدلى إلى حضيض الخلق .

ولسكنه لم يقف عند رواية أخباره اللقطة وإرسالها على ألسن صبيانه ،
بل جرت السفاضة على صفحات « أشرة » يفتق عليها للتحقق . ويدير
تحريرها باسم مستعار القتال من أعراف من يحسبهم خصومة . جرت بالظلم

في أعضاء اللجنة التي كرمته بأنهم أعضائها جميعاً بأنهم « أرادوا أن يتخذوا من تكريمه أداة للنصب والظهور ، ويتخذوا مدماً لإعلاناً عن أنفسهم وعن سلمهم البائسة وسحقهم الخاملة » لم يستثن منهم أحداً كلاً كثرة عددهم كما جرت بالأسف على أن لم يتول العمل أشخاص معينون ذكر إسمي من بينهم .

أنا لا أستطيع أن أجعل لهذا التطور العجيب مبرراً من روية أو تفكير وإنما هو إسلام النفس للبطانة من العصبية فبعد ما كان شوقي يقدر بنفسه ما في إصدار جريدة كالمسألة الأسبوعية لعدد خاص من التكرير وسوس إليه العصبية للطنون أنهم لا يرضون عن أن ينتقد ، وينتقدون أي نقد في حضور رجال الأدب من مختلف بلاد الشرق العربي جناية على مجده تسكاد تلك فتزع ثم اضطرب ثم اتفق ثم جاء إلى الاسم المستعار .

مقدمة الشوقيات : ركي مبارك

كانت الصلة^(١) قويت بيني وبين شوقي سنة ١٩٣٥ وكان شرع في طبع الشوقيات فشا، لعلته وكرمه أن يدعوني لسكناية المقدمة بمهارة لأزال أذكر نعيها بالحرف : « سيكتب الدكتور هيسكل مقدمة تاريخية وستكتب أنت مقدمة أدبية » .

وبعد أيام تلطف فأهدى ما طبع من الجزء الأول مصححاً بخطه الجليل لأكتب في تقديمه ما أريد ورجعت إلى نفسي فتذكرت أن المقدمات بالترجم فيها الترفق وذلك مالا يجمل بكتاب مشغول بالفتد الأدنى مع شاعر لا يزال في اليبان وأسرت فيكتب إليّ خطاباً قلب فيه : أني لا أستطيع كتابة

(١) (البلاغ) ديسمبر ١٩٤١ .

للمقدمة التي يتلقاها أمير الشعراء لأني أخشى أن أقول فيها كلاما يعذني عن نقده أن رأيت في أشعاره للقهة ما يوجب الانتقاد وفي همزية اليوم نقدي كتبت فيه ذلك الخطاب قايات الدكتور طه حسين وأخبرته بما وقع فغضب أشد الغضب وقال : « لبدك استشرتني قبل أن تصدع ما صعدت » إلا تعرف أنك اضمت على نفسك فرصة من فرص التشريف ؟ لو طالب شوقي معنى ما طلب منك — وأنا خصمه — لاستجبت بلا تردد ، فمشوق في رأيي « هو أعظم شاعر عرفته اللغة العربية بعد المتنبي ... »

ثم أقيم الحفل بدار الأوبرا سنة ١٩٢٧ لتسكريم شوقي وأصدر هيسكل عددا خاصا من السياسة الأسبوعية ودعى للاشتراك في تحريره رجال مفهم وركى مبارك وقيل أن شوقي أشار بحذف مقالات كان من بينها مقاله « ولم يرتج شوقي إلى هذا العدد الخاص فقد ظهرت فيه عبارات تنقض من مقام أمير الشعراء . »

قال زكي مبارك « ثم غضب شوقي على هذا العدد من السياسة الأسبوعية وكان شوقي إذا غضب منه ألف مرتزق من أدعياء الأدب . قضى أولئك المرتزقة يقولون في الدكتور هيسكل كل ما تسمع بفشره الورقات القصصة زورا بوسم الجرائد والمجلات فكاتب الدكتور هيسكل في السياسة الأسبوعية مقاله للأثوري « أخلاق شاعر الأخلاق » وهو مقال فصل فيه ما كان بينه وبين شوقي وتوعده بوعدا ألما . فقد نص على أن شوقي لن يتغير مرة ثانية ، بل ذلك الاحتفال .

ورأيت أن أرجع إلى الدكتور طه استغفريه فابتسم وقال : « كان مهيرك سيكون أنظم من مهير هيسكل لو كتبت مقدمة الشوقيات . »

فما جاء طائور إلى مصر دعا شوق أساتذة الجامعة المصرية لقائه في داره ولم يزع ذلك مبارك فعرضه لبعض الصحفيين على إنشاء شوق بيت أو مقالين « وزعموا أن مال شوق لا يقال بغير الحياء » .

٦ - بين هيسكل وبين شوق

صور الدكتور هيسكل موقفه من شوق في ذكريات كتبها في أخبار اليوم سنة ١٩٥٢ (قال) .

كان شوق يضيئ بالثقة بل كان لا يطيقه . أما حافظ فكان يضيئ بالثقة ولكنه يطيقه . أذكر يوماً من أربعين سنة خلت كنت في « منزل عبد الرازق خلف قصر عابدين . وكان في المجلس الرحوم مصطفى عبدالرازق وأخوه علي عبد الرازق وحافظ .

وقد كان بيني وبين شوق مودة دامت عشر سنوات . وكان شوق يضيئ بالثقة ولا يطيقه والله كان يحسبه عيباً في ذات أمير الشعراء كالمعيب في القذات الملكية . وكان الدكتور كله يقد شوق في جريدة السياسة وأنا رئيس تحريرها وكففت القفي بشوق كل مساء وكثيراً ما كنا نصلح في سيارته إلى منزلي وأنها هي إحدى الليالي إذا قال لي : ما الذي يقصد إليه صديقك له من توجيه النقد إلى في كل مناسبة . أظن نفسه قد رآني على أن يخدمني . قل له أني بعد تسكون ومن المستحيل عدم بعد تسكون وأنه يتطلع بقدرة صغيرة لا تستجيب له .

ولم أعجب لهذا الكلام . إنما كان عجباً لأن شوق كان يسرع إلى مقاطعة من يتقدمه . ثم كان يسرع إلى استرضائهم بشكل وسيلة مستطاعة .

رأى طه حسين في شوقي^(١)

تعبى أن يمدح شوقي بلا حساب. أما أنا فلا أريد أن أمدح ولا أريد أن أؤد. **وقد أريد أن أؤثر** القصد في هذا النقد ، وأظن أن شوقي يؤثر النقد النصف على الحد المصروف ، وأظن أن أجل شوقي وأكبره بالنقد أكثر من إجلالي إياه بالتقريب والتناء. وقد شبع شوقي ثناء وتقريظا. وأحسبه لم يشبع نقدا بعد . وليس شوقي فيها علم مده شرمنا إلى حسن الحديث وطيب القالة ، وهو لم ينش شعره ذلك وإنما هو شاعر يحب الشعر لشعره . قرأت مقدمة هيكل وكنت أظن أنني سأطرق فيها بمذهب شوقي في الشعر ولكنني لم أكد أظفر بشيء صريح من العقيدة الشعرية لشوقي فيها كعب هيكل ، أنرى أن يصدر ذلك أن ليس لشوقي عقيدة شعرية يستطيع هيكل أن يبرضاها أم ترى أن مصدر ذلك أن هيكل لم يكن بشعر شوقي عنانيته بفقر أناطول فرائس .

والواقع أنني لا أعرف لأثير الشعراء عقيدة صريحة في الشعر ، وما أرى أنه قد حاول أن يكون لنفسه هذه العقيدة وما أرى أنه تسكر في الشعر إلا حين يقواه ، إنما هو كما يقول هيكل في شيء من الدهاء — يجدد حيناً ومثله حيناً آخر ، وهو في تجديده وتقليده لا يصدر عن عقيدة فنية واضحة ، وإنما

(١) كتاب حافظ وشوقي طه حسين .

(٢) تحول طه حسين والمآزى من رأيه في شوقي . أما القادة فإنه لم يغير رأيه الأول وكان القادة قد عابوا شوقي في شعره كما عابوا مسرحياته وله في شعر رواية شبيب كتابا مطبوعا هو (شبيب والمآزى) .

ولاشك أن هناك خلافا حقيقيا بين مذهب شوقي ومذهب المدرسة المرمية التي يتلها القادة والمآزى ، غير أن السياسة وسراهمها كان لها دخل كبير في خصوصية الأدباء لشوقي وما يذكر أن القادة عابوا شوقي في صنف القوم يوم تسكريه في نفس الوقت الذي كان يهضمون زغولون رئيسا للاحتفال .

يقاثر والمادة التي يهبط فيها القول الشعر ، وبالعطف الذي يفرض فيه الشعر ليس غير .

إنما الحق أن شعر شوقي لم يستطع أن يلهم هيكله ما استطاع أن يلهمه
فقر السكاتب الفرنسيين وشعر الشاعر الإنجليزي وشعر أئمة شخصيتهم مصفوعة
وهم لا يسلكون طريقة من طرق الشعر ، ولا يتماثلون فنا من فنون الشعر
الامتدادين متقليدين فهم يصنعون شخصياتهم التي تراها في شعرهم ، هم يحتنون
بها شخصيتهم الأولى التي فطرها الله ، وهم بهذا التمسك يمحون بينك وبين
الوصول إليهم وفهمهم كما هم في حياتهم المادية .

الفصل الثاني

بين عبد الرحمن شكرى والملازنى

هذه أشجع مذكرات أدبية في ميدان الشعر المعاصر بدأت ١٩١٧ واستمرت سبعة عشر عاماً قديماً القديراً الثلاثة (شكرى - الملازنى - العقاد) حياتهم الفكرية بما تم اختلاف الشعار والملازنى مع شكرى الذى أصر على وطيدة التعليم بينما عمل الملازنى والطاق في الصحافة ثم كان من نصيب شكرى أن يواجم على أول عمل فنى لدى المدرسة الحديثة وهو (الديوان) قد حل الملازنى لواء الحجة على شكرى بموارعة العقاد على شوق والرأى وكان مقالاً صريحاً اللاهيب) من أدنى ما كاد الملازنى ثم عاد الملازنى فصح بوقته من شكرى عام ١٩٣٠ فاعلن وأيه في شكرى صريح موقفه وعاد إلى الكتابة مرات في هذا الأمر حتى أثار الشاعراً حتى دخل للبركان صاعداً وهم ثم صدر كتاب رسائل القديس القديس رمزي مفتاح حول هذه القضية

١ - شكرى يتهم بالسيرة الملازنى

قال عبد الرحمن شكرى في مقدمة ديوانه (الجزء الخامس) :

« لقد لفتنى أديب إلى قصيدة الملازنى التى عنوانها (الشاعر المحضر) البائية التى نشرت في عكاظ وانضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أودنى لشاعر شيلى الإنجليزى كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة الملازنى التى عنوانها (غير الشعر) وهى منقولة عن حيدى الشاعر الألمانى ولفتنى آخر إلى قصيدة الملازنى (فق في سبات الموت) وهى لشاعر هود الإنجليزى ولفتنى أيضاً أديب إلى قصيدة الملازنى التى عنوانها الوردة الرسول وهى لشاعر ولى الإنجليزى وأشياء أخرى ليس هذا مكان أظهارها . وقرأت له في مجلة البيان مقالة تناسخ الأرواح وهى من أولها إلى آخرها من مجلة الديكتاتور لأدسون الكاتب الإنجليزى ومن مقالاته في ابن الرومى التى نشرت في البيان قطع طويلة من العظام وهى مأخوذة من كتاب شكسبير والعظام . تأليف هيكفور هيجو ومن مقالات كارليل الأدبية وقد ذاعت هذه الأشياء . ولو كنت أعلم

أن للآزى نمد أخذها ، فقلت أنه خان أصحابه بهذه الأهمال ، ولكنى لا أصدق نمد أخذها ولو انى رأيت الآن هنريفا لما عرفت من الخيرة والدعشة قدر ما عرفت لروية هذه الأشياء ولا أظن انى أبرأ من دعشق طول عمرى . وفى أقل من ذلك مبرراً لروجى الإشاعات ولتتهم ، ولا أظن أن احداً يحيل مدعى الآزى وإيتارى إياه وإعدائى الجزء الثالث من ديوانى إليه وسدائقى له ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومما تبقه فى عملي لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه حتى يداوى ما فعل وبرد كل شئ إلى أحده وليس الإطلاح قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمن للوم ظهور هذه الأشياء ولست فى قرية من قرى القمل حتى تخفى .

٣ - شكرى : انتحال المعاني الشعرية^(١)

لقد كان بعد الإطلاح على آداب الغرب جرعة وتمة فى أمين الأدباء إذ أنه مظنة السرقة وذلك لأن بعض الشبان لا يدين يدين للكسبية فى الآداب والواقع أن المقول مثل التذبة يحتاج إلى أن تهمد بما يظهر خصمها .

ولو كانت المسألة التى انبثقت فيها تافهة لما تعرضت لها ، ولكننا تشمل قصائد ومقالات كثيرة نسمى ظن الناس بأهل العلم والابتداع وتبعث على الفوضى فى العلوم والآداب . وقد شاعت حتى لم يمكن كتابتها . على أن كل أديب حارس من حراس الأدب ومن واجبه ألا يغفل عن حرارته .

وهناك واقع آخر دفعنى إلى الكتابة أو إظهار هذه اللأخذ وهو الرغبة فى انخلاص من مظان الريب . فقد اعتاد بعض الناس أن يقرن اسمى إلى اسم الآزى والمقاد للعودة التى ينفقا . ولكننا ، ودة لاتعدل كل واحد منا محبوب

(١) عبة للتغلب : يناير ١٩١٧ م ٧٨ وقد واصل شكرى أشباهه الآزى .

أخيه غيب الروء مما أن يحمل عيوب نفسه ولكن الجمهور لا يستفهم اللطيف في كل رأى يراه .

أن للردة التي بيني وبين المازني قديمة ، ومن أجل ذلك لم أعرف كيف يسوغ لي أن أكتب هذا للقال . ولكنني شرحت الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة . وقد شاع بين الأدباء أن المازني قد أخذ بعض قصائد كاملة من شعراء الغرب وأفسكار متفرقة غير أني لم ألقه إلى هذه التهمة . وأهديت إليه الجزء الثالث من ديواني علامة على تقى ومودتى . ولكن أحد الأدباء لفتني إلى قصيدة (نقي في سياق الموت) في ديوان المازني وهي مأخوذة من قصيدة لنوماس حود الشاعر الإنجليزي ثم لفتني آخر إلى قصيدة (قبر الشعر) في ديوانه فإذا هي لشاعر هينى الألمانى . وقد كنت أقرأ عروضا في تينسون الشاعر الإنجليزي فראيت فيه قصيدة الذكرى التي قال المازني أنها له ، ثم أرسل إلى المازني بعد ذلك قصيدة (الوردة الرسول) فإذا هي لشاعر فرنس الإنجليزي . ونشر في جريدة مكناظ قصيدة (الراعى المود) فإذا هي للشاعر لويل الأمريكى . وبينما كنت أحادث أحد الأدباء في شعر المازني وهو الأديب أمين القندى مرسى لفتني إلى قصيدته البائية التي سبهاها الشاعر المحقق فإذا هي من قصيدة أودرى لى الشاعر الإنجليزي . وهي التي قالها في رثاء كيتسى ورأيت بعد ذلك قصيدة (شوكة الحسن) فإذا هي لحينى الألمانى .

وقد ثبت للمازني إلى هذه القصائد فاعترف أنها ليست له ولكنه قال أنه نظمها وهو يظن أنها له . ذلك لأنه حفظ المائى ونسى أنها لغيره . فثبت له أن الأبيات والمائى مقسمة والترجمة دقيقة جيدا . فأصر على فكرته السيكلوجية وقال أن ذلك جائز في عالم السيكلوجيا ولكنه وعد أن يتجنب مثال هذه المأخذ في المستقبل . ولم يف ، إذ أنه بعد ذلك أنشدنى قصيدة

إلى تحليل الشوك والفرال الأعمى وهي أيضا من هذه الأخذ . ويبتدا كذبت
أقلب مجلة البيان وجدت مقالا طويلا عنوانه (تناسخ الأرواح) منسوبا إلى
المازني فإذا هو مأخوذ من أوله إلى أخرى من مقالات أوسون السكتاب
الإنجليزى الشهير فى مجلة السيكتاتور .

ثم اطلعت على مقالات المازني فى ابن الروي والجزء الأكبر منها ليس
فى ابن الروي بل فى الميقرية والفظاء فإذا أجزاء كبيرة منها مأخوذة بعضها
من كتاب عنوانه شكسبير تأليف فكتور هيجو الشاعر الفرنسى . وبمضها
من مقالات كارليل الأدبية ، فذهبت المازني إلى ذلك فقال ، ماذا أصنع إذا
كنت أكذب الشئ . ولا أعرف أنه ليس لى ، هل الخوف على الناس أسألم
هل رأوه من قبل . (هذه كلمة من رسالة بعث بها إلى) .

وليس الأمر مقصوراً على ما ذكر فإن أحد أدباء مصر هو مصطفى أفندى
ملوه كان قد جمع كتابا ذكر فيه مأخذ كثيرة زعم أن المازني أخذها من
كتاب واحد فقط وهو كتاب (الذخيرة الذهبية) فى الشعر الإنجليزى .

وقد جمعا مجلس فأخذ أحد الأدباء الأفاضل وهو عبد الحميد أفندى
المبادئ ديوان المازني وكتاب الذخيرة الذهبية الإنجليزى وجعل يقارن بين
أبيات المازني وأبيات الذخيرة حتى ادعش الحاضرين . وقد أرسل إلى المازني
قصيدة عنوانها الأقدار فإذا جزء منها مأخوذ من قصة (قابيل) لشاعر
الإنجليزى ويرون . . الخ .

ولا أريد أن أذكر مأخذ الداعى المفردة والأبيات المنقردة . ولكننى
اكتفيت عن القال بذكر ما قدرت أن احصيه من المقالات والقصائد التى
أخذت كاملة .

هذا وأؤكد لصديقي المازني أني أحبه وأودعه بالرفق من ذلك وأدع
لقاري، أن يحكم أمصيب أو يخطئ، أنا في إظهار ما ظهرت . وليس لي أن
أفكك هذه الآخذ أو أنهم المازني بأنه تميد انخداع.

٣ - أبو شادى - اتصال المعاني الشعرية

قرأت ملتقى رسالة الأستاذ عبد الرحمن شكرى في موضوع اتصال المعاني
الشعرية وانقضاء شعر المازني فأكبرت شعوره بالواجب نحو الأدب دون تميز
بحكم صدقة أو قراة في الذمب الشعرى . وهذه صفة تسكاد تسكون معدومة
في مصر لأنها فوق الشهادة الأدبية ناتجا لثقى تعتبر عن ندرتها يفتا من
تقائس الأخلاق المصرية .

ويلوح لي أن بين الأسباب التي دفعت شكرى أفندى إلى الجهر بذلك
الملاحظات غيرته على حسن سمة صديقه المازني الذي أبدع إيماءا لإبداع في
ديوانه بأكورة نماره الشبهة . وظهر بين أعطاب الشعر الحديث الذى تنكسر
فوق درعهم غيال الجاهدين . وقد كان هؤلاء الجاهدين الأبطال يبنون
الوقفة كما غنمها من قبل شوق ومطران وغيرها ممن حرروا الشعر العربى بعد
احتفاله الطويل .

الشعر العربى آخذ في تدرج راق سريع ، شكرى وأمثاله مئة كهرة عالية
للووح الجديدة العالية التي تقصوها فيه وهو يفسد إذا خشفه أن تعبت
المواصف محبوباته ومجودات أفرائه فقال كلمة نصيح وتحذير ، ولكن
اقتدار المازني المشهور به ضيقه بفوزة مهيا حدث له الثرات ، وما الايهكار
يعزى على خاطره القهاس بالآيات البينات . ومهما نشأته فباته مع انقام

شمره ففضله في النفل عظيم ونفعه في الاعتناء بالخلق عند تربيته اعظم وهو إذا احقرس في المستقبل من أغالوط تمودها أضاف إلى حسناته حسنات خالصة وأنصف نفسه وأهل حوزته والأدب والعلم .

« ولم يرد المآزى إلا بعد مرور أربع سنوات » وكان رده حقيقاً .

إبراهيم هيد القادر المآزى — « صدم الألاعيب »^(١)

شكوى صدم ولا كالأصنام . التفت به يد التندر العائنة في ركن خرب على ساحل ألجم . صدم تعشلت فيه سفيرة الله المرة وتهكم (استغافير السماء) مبدع الكائنات المضحكة ورزقها القدرة على جعل مصائبها فسكاعة الناس وسفوانهم ولم — لا يخلق الله المضحكات وقد آتى النفوس الإحساس بها وأشعرها الحاجة إليها . ولم يلتزم في الإنسان مالا يتوخى في سواه من وزن واحد وقافية مضطردة . هنالك إذا عند ساحل البعشرات الفسكاعة الإلهية أن ترى بهذا الصدم . ليس في كل مقان العالوية ما يحرك هذا الصدم لأن باطنه شاعت فيه لعة السماء فعاد أشق الناس بنفسه وصار لا يفقه منها ومما منته به من صفوف البلاء إلا أن تهذمه مؤوس الككاشي طبقات التراب عنه ، ولبت تراب الجول لم يرفع عنه فقد وقد مهبطاً ولم يجلده نور الحياة وحرها ولا أغنيا عنه من جيمود طلبة شبتا .

وهل قدر ابتعاد الكتابة عن مجال التنسكير البارد ودونها من ميدان الاذن المشبوب والمواطف الذكية تكون الحاجة إلى ضرورة فن الأسلوب ولعل هذا أكبر الأسباب التي افضت إلى غول شكوى ونشله في كل ما عالج من فنون الأدب لأنه لا أسلوب له إلا إذا كان بقصد كل شاعر ويقتبس بشكل

(١) فبراير — العدد الأول ١٩٢٢ .

كاتب ويصنع على كل منوال وحسب المرء أن يعمل نظيره في كلامه ليدرك ذلك إذا كان على شيء من الإطلاع فإذا لم يسكن فهو لا يهتبه أن يرى أنه يستعمل اللغة جزافاً

ولعله من أساليبهم هذه المديونة أنه يقرأ حتى كتب المطايرت وقصص السحرة والمردة والجان لما وقع في نفسه أن هذا حقيق أن يقوى خياله ويجعل له أجنحة يحلق بها في سماء الشعر .

وقد ركب شكري هذا الجمل مشككاً مالا يحسن وأراد أن يسكون شامراً وكاتباً من الطراز الأول ولئن أن الاجتهاد ينشئ من الاستعداد ملاحاً بلغ إلى درجة مما طمع فيه ولا هو أبقي على خلقه الواقع وقناعة بميسور العيش . لا يقول أن شكري مجنون ، فمن أرفق من أن تعدمه بذلك وأعرف بحاله ، ويأمر ارض العقل من أن نهجه إلى الغيالي بالإبحار . والتذكير والإلحاح . ولسكننا نقول أن ذهنه متجه إلى هذا الخطأ — خاطر المجنون — وأن فسكرة مائة لجو حياته والظروف منه منفص عليه كل لئانه .

وقلنا أن ذهن شكري متجه إلى هذا اللغى وقد يسكون هذا غير راجع إلى علة أصيلة فيه إلى ما يجسم نفسه من التلاعب ويجعل عليها ويرحقها به كأنه يكتب جزءاً من ديوانه في شهر واحد حتى كأنها هو . أجود على ذلك مشروط بما به أن يتم في وقت محدود . وقد كانت تلهية ما أصابه من السكلال أن حدثه نفسه بإحراقه يمد طبعه .

إن لشكري كتابين غير ديوانه^(١) أحدهما اسمه الاعترافات وليس فيه ما يستحق الذكر إلا أنه وصفه بأنه أحلام مجنون والآخر رواية أسماها الخلاق المجنون وهي كذلك تافهة لا قيمة لها .

(١) ملخص من ١٥ من الجزء الأول (الحيوان) من ص ٤٨ إلى ص ٦٢ .

وقد سبق لنا أن نهينا شكري إلى ما في شعره من دلائل الاضطراب في جهازه العصبي وأشرنا عليه بالانصراف عن كل تأليف أو نظم ليفوز بالراحة اللازمة له أولاً .

٢ — صدم الأعصاب : (الجزء الثاني من الديوان من ص ٨٥ إلى ٩٥)
(١) الرسالة ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٨ .

في هذا الجزء أخذ للزنى بقتل -طوراً- من كتاب الاعترافات الذي ألقاه شكري يريد أن يدلل بها على أن شكري كان يقيم نفسه بالجنون (قال) .
« لا يمكن أن يقال في الرد علينا وفي تبرئة شكري عما قذف به نفسه أن الاعترافات صاحبها رجل آخر اسمه (م . ن) وأن شكري ليس إلا ناشرًا لما ظن هذه الاعترافات ليست إلا طائفة من اللغات لا يربطها شيء . إلا ضمير القسطنطينية ، وقد نشر شكري أكثرها في المراجعة سنة ١٩٠٩ / ١٩١٣ بتوقيعه على أنها له ثم عاد فجمعها في كتاب طبعه ١٩١٦ .

وما هو خلو أن يبعث القاري على الزكون إلى هذه الاعترافات وتصدبها أنه يجد مصداقها في شعره فسكنا أنه قال في الاعترافات أن في نفس القديس جرثومة الإجرام كذلك قال في شعره (قد أغرم الإنسان بالشر والأذى) .

• — المازني : إنسان لنفسه ولشكري^(١)

أنجحت لي اليوم فرصة للتفكير عن بعض ما اجتهدت من الاتهام وارتميت من الذنوب ، وأني لغير بهذا لمن لا يعرف بل لمن تحدى نفسي

(١) المراجع ٢٠ مايو ١٩٣٤ .

أه شمس لا وجود له . فإن لسان سلاطة مفكرة ولقد لمن أباني وأجدادى
لما أظنه أزعجهم في قبورهم .

قلت لنفسي لا بد أن في الأمر سرًا وأقبلت على الكتاب انصفحه فإ
راعى إلا أن مؤلفه هو الدكتور رمزي مفتاح بيهقى بالمعوق والفسدر
والطهانة وو . . إلى آخر ما يمكن أن يحظر بالبال من أمثال هذه المعاني
وهو يشرك معي في الذممة الشنيعة صديقى الأستاذ العقاد بلا سبب ثم يورد له
نسخة أعشار الكتاب وللعقاد لسان حال وبيان قوى ، وإن كنت أحسبه
لن يعنى بهذا الطعن السخيف وسبب هذه الحجة أفى كنت فندت الأستاذ
عبد الرحمن شكرى الشاعر في كتاب الديوان الذى أصدرناه - العقاد وأنا -
في سنة ١٩٢٢ وأن ما بهنى وبين شكرى قد يد ذلك وقوله .

وأحب أن انصف شكرى وأبطل القراء فعنى مع لا لأن الدكتور
رمزي مفتاح رماني بالفدر والطهانة بل لأن كتابه مناسبة صالحة .

كأنت علاقتى بشكرى كأوتق ما يمكن أن تكون علاقة صديقين ثم
حدث سنة ١٩١٥ أن كنت أنا في الإسكندرية نبلغنى أنه وضع كتابا عن
أدباء هذا العصر وأن فيه فصلا عنى يجب أن يقرأ على قول طبعه وأنه
قادم لحفا .

ولما سرنا في بيتى أدهشنى بقوله أنه يريد أن يشترى معى رسائل كان
قد كتبها إلى فذهلت ، وقلت له ، وذلك الدرج فعقد معى رسائلك جميعا إذا
شئت ولم أر أن اسأله بعد هذا عن كتابه الذى يزعم أنه كتبه عنى فقد حو
هذا الطلب في نفسى ووقع عندى أسوأ وقع وآله .

وكان مما قاله لى في ذلك اليوم أن الجزء الأول من ديوانى أهيأنا سهل

أن أرى فيها بالسرقة نكتة ه إذا كنت قد وقعت على هذه الأبيات في حالك إلا أن تدلي عليها وإنك تعلم إلى لا اتعد ذلك . وإلى استعد أن أراجعها معك فإذا القوت فاست أتردد في كتابة مقال انشره في الأهرام وأنس فيه على هذه الأبيات مهما بانث عدتها وأعلن نزولي عنها وودعا إلى من يمدون على لأهم أسبق . فاصح ألا أنقل وقال أن الناس لا يقدرين هذه الصراحة .

وإذا به بعد الجزء الخامس من ديوانه يحمل على مقدمته حقة يتهمني فيها بالسرقة .

ولم ينقل على نفسي إتهامه لي بالسرقة لأنى اعرف من نفسي إلى لم اتعد سطوا ولم أفر على شاعر وإعاء عقلت الماني بخاطري أفساء للطالمة وجرى بها القلم وأنا غافل لأنى ضعيف النذاكرة سريع النسيان ، وإنما الذى اثارنى أنه لم يأتمنى على بعض رسائله وشك في مروثى ، وثانياً أنه ضحك على وروثى أنى لميط عن شكوى لؤنة السرقة ليقضى له هو أن يرمين بها وليسكون وقع التهمة الحق وأرها أبلغ .

ولا أكرم القارى ، انى انتقدت لنفسي شر انتقام وأى لسات إلى شكوى أعظم إساءة وما كنت استطيع أن انقل غير ذلك لأنى لا أومن بإدارة انقد الأيسر لمن يفرين على خدى الأيمن وبعد أن شفيت نفسي مما وجدت استرحت ونسيت الحسابة .

ومضت سنون أخرى وجاء شهر مارس ١٩٣٥ تطلبت من إحدى الجمعيات أن ألقى عدداً محاضرة في التجهيز في الأدب العربى فوجدت موضوعها عبد الرحمن شكوى وقد نشرت هذه المحاضرة في الخامس من أبريل ١٩٣٥ في المياسة الأسبوعية .

قلت هذا من شكرى وأنا لم اضع يدي في يده منذ سنة ١٩١٩ إلى اليوم
لأنى لا أحل له ضيقاً أو انطوى له هل حقيقة إذا أحل له أو لشيرة شيئاً من
هذا التنبيل بل لأنه هو شاء أن يتأذى ويبتعد ولست أستطيع أن اطارد أحداً
بصدقة لا يريدها وأنا امرؤ بدس الحركة بعد انتهائها يستوى في ذلك أن
أكون غالباً أو مغلوباً .

فإذا كنت غالباً لم أزه أو كنت مغلوباً لم أتحسر ولم أحتد . وبجس
أن أكون قد بذلت جهده كله ولم أذكر منه شيئاً .
ولو كان شكرى يذهب مذهبي في الحياة لما منعه شيء من أن يصانحني
بعد أن وضع السلاح وانقطاع الكفاح ولماذا يظل الناس متقاتلين طول
العمر .

.. وإنما كذبت هذا الكلام الكثير لأنى أحب شكرى وأجله ولأنى
تادم على ما صنعت به تائب من ذنبي إلى الله ومعه وله أن يصدق أو يرتاب
فإنى فيه مطيع ولقد حاولت أن أكفر عما أسأت به إليه وأن أجره إلى الدنيا
مرة ثانية وقال أتركى ولا تفش قبرى وحسبى ما لقيت منك فأنصرت
ونفضت يدي يائساً .

ولله تسخير من الله كدور رمزي مفتاح أن يخوض فيها لا يعلم وأن
يكتب عن القاد وعنى وما كذب ولست أظن القاد مبالغاً .

ومعنى أن الله إلى أن الأستاذ القاد لا ذنب له فيها وقع بيني وبين
شكرى ولم يكذب عرفاً واحداً بسوء شكرى ولقد كان فضله علينا أن
أصلح ما أفسدناه .

٦ — المازني : شكري وكذاب رواد الشمر الحديث (١)

كيف أذا صديقين حميمين ثم وقعت الجفوة بينهما وحالت التوبة وتعادينا وأساء كل منا إلى صاحبه ومعنى خير عبرتنا إلى قطيعة سقيمة . ولعل ما قدمت على شئ في حياتي ككذبى على ما فرط منى في حقه . ذلك انى احببته ولا أستطيع أن أجعد فضله على ، نعم كنا زميلين في المدرسة ولكن كان ناضجا وكنت نبيما ، وكان أدبيا شاعرا واسم الإطلاع وكنت جاهلا ضعيفا التعميل قليل العقل فتداول يدى وشد عليها وأبنت مروءته أن يتركنى ضالا حائرا انطق العمر سدى وأبهر فى اللعب ما هو كائن في نفسى من الاستعداد وكنت اقرأ ابن الفارض والبيها زهير وأتروانى شعر الحماسة والشريف الرضى والبيهزرى والمبرى وابن المقز .

وكأنت مطالعا فى الإنجليزى قاصرة على أمثال ماري كورداى ومن نسبت غيرها فتفتح عيني على شكسبير وبيرون وورث وشكلى وبيرونز وملتون وهزلريت وكارليل ولى هجت وما كولى وشول وراين وروسو ومثالث وغيرهم وصرفت عن التلدين فى ادب كل امة وانغرائى بأصحاب المواهب والابشكار وصحح لى للتاييس وانام للوازين الدقة فتفتح عيني على الدنيا ومن فيها وكنت عميا لا أنظر وإذا نظرت لا أرى ، وكان لفرط ادبه يتوجى منى سلوك الله ولا يتعالى تعالى الأسفاذ على التلميذ وكنت نقرأ فكان يعبرنى السكيب او يهينها . وكنت غيبا فساكن يشرح وينسر .

ولما تشغى واعدائى قتلت الشمر كان يصرفنى عن اللعب وترجى عن التقليد ولا يرضى لى اللعب ، ولو اردت انا انتنى لسا فرغت وانما مدين لة

يسكن ما أعان على ماصرت إليه . أقول ذلك مباهجاً شاكرًا فضل الله على أنه لم الضمى وإن كتب لي نعمة الاتصال بشكوى ، وإلى لأرجع البصر في جهاني وأنسابل ماذا عساي كنت أكون فؤاد . فلا أجد عندي لهذا جواباً وأدبر هوى في نفسي وأبحث عن نزهة لم يسكن هو غاوس بذونها إذا لم يسكن هو اللوحى بها فلا أجدى .

ومن طول ما عرنته وفرط ماملات نفسي به صرت على الجهد والقطيعة أستطيع أن أستوحية فسكاً بنا ما تهاهدنا ولا تهايننا . ولتد تدمرت له وغدرت به ولنسكني والله ما كرهته قط ولا انطوت له في أحلك ساعات النعمة إلا هل الحب والاكار .

وشكوى وحده هو الظلوم للظهور ولا تسكران أنه هو الذي حجب نفسه عن العيون وطوى آثاره وكيف من نشرها وأصر على ذلك سبع عشر عاماً حتى نسيه الناس .

ولسكن من له مثل فضله ومزاياه إنه يجب اكراهه على الظهور رضى أم سخط .

٧ — المقاد : اعترافات للزنى (١)

من اعترافات الأستاذ للزنى الأخير قوله وهو يذكر الأستاذ عبدالرحمن شكوى « نعم كفا زميلين في المدرسة ولكنه كان ضجعا وكنت نبيها وكان أدبياً شاعراً واسع الإطلاع وكنت جاهلاً ضعيف الشخصية قليل المتل فتناول يدي وشد عليها وأيت له مروءته أن يتركنى ضالاً حائراً أنفق العمر سدى وأبقر من العيب ما لعله كان في نفسي من الاستعداد وكنت أقرأ ابن الفارض

واللهيا، زهير فائق، شعر الحفاصة والشريف الرضي والبحتري واللمري وابن
للعز وأبي نواس وغيرهما من أضرابها فتفتح عيني على شكسبير وبيرون
دورن دورث وشيل وماتو وهازلتي وكارليل ولي هنت وما كولي وجوتيه
وشيفر ولديج وسوليفر ورأسين وروسو ومئات غيرهم من أعلام الأدب
الغربي وصرغني من اللادين في كل أمة وأغرائي بأصحاب اللواعب والافتكار
وصحجني لي للتأبيس وأقام للوازين الدقية ونفع عيني على الدنيا وما فيها
وكنت عميا لا أنظر وإذا نظرت لا أرى . . .

لاخير عليه في حياتها إذا كانت هي الحقيقة ولاخير على أنا في إثبات
مطلها إذا لمشي منها ما يلزمه وسرى على ما يسرى عليه ولكلنا هنا فترق
كما يعلم الأستاذ :

وعظمي من يقن لنا شأننا وأسدأ في تاريخ هذه الفترة التي تحدث عنها .

إن الأستاذ شكرى والأستاذ اللأزني كانا طالبين في مدرسة المعلمين قبل
فجاعتنا وزادنا قبل لقائهما ببعض صفوات .

أما أنا فزألت الأستاذ عبد الرحمن إلأني سنة ١٩١٣ بعد عودته من البلاد
الانجليزية . ولم ألق الأستاذ اللأزني إلأ قبل ذلك ببضعة شهور ولم يخرج
منهجي في القراءة بعد أن لقيتهما هما اخترقته لنفسه منذ بداية الإطلاع .

فتدل إن لقيت الأستاذين كنت أشترك في تحرير مجلة البيان وأترجم
فيها ما كس نورد ونيتشه وأمرسون وحافظ الشيرازي وغيرهم .

وقبل الشراكي في تحرير البيان أصدرت خلاصة اليومية وفيها آثار
الإطلاع على فخر جبرالد وتلقوى ودانيد هيوم وبيرك ونيتشه وغيرهم مقبضة
من مراجع لم تترجم إلى اللغة العربية .

وقبل صدور خلاصة اليومية بأربع سنوات أو خمس اشتركت في تحرير الدستور ونشرت فيه نصوصا متعاقبة عن شعراء القوس المخرجين إلى القنة الإنجليزية .

بل لقد كتبت الأستاذ شكري وهو يعلم رأيا مكتوبا في الأدب وحكا مستقلا في القنة تطلب إلى أن أقدم ديوانه الثاني الذي طبعه على أثر عودته من المهلة الإنجليزية فقدمه .

تدريس الأدب الأوربي ومطالعتي في تاريخها ومذاهبها سابتلغوا في الأستاذ شكري وللزنى ، إنني لم أغير منابع قرائتي بعد سنة ١٩١٣ أقل تنوير . ولكن الأستاذين شكري والنازني هما اللذين غيرا مني في القراءة . فالتفتا إلى النقد العلمي الفلسفي بعد أن كانت القراءة عندهما شائعة كلها . في هذه الناحية - إلى النقد الأدبي المحض على أسلوب ما كولي ومن إليه ، وظهرت في كتابتهما أسماء ما كس توردو وليرود لسفغ ونيتشه بدان كانت خلوا منها وهم القاد الذين عانيت بهم منذ البداية .

الواقع أنني بدأت بقراءة الأدب الإنجليزي قبل سنة ١٩٠٣ . وأنا بعد تلميذا بالدراسة الابتدائية في بلدي أسوان وساهدني على ذلك أسباب لعلها خاصة بمدينة أسوان بين المدن المصرية .

ولقد كانت أسوان تزدهم بالثلاث من عليا الأوربيين الذين ينفذون إليها من أقطار أوروبا في الشتاء . فكانوا يحادثهم وتسمع منهم وتتبع بالمرأة التي تستفيد بها بمحادثتهم والاستماع إليهم .

وإذا أقبل الشتاء فتفتح السككيات في أسوان وفيها ذخيرة سالحة من المصنفات الإنجليزية التي كانت تشبع بين القراء في تلك الأيام .

(المصنفات الأجنبية)

وهناك لفظ فارغ يقطن به بعض الناس حول شكري والملازم والعتاد
لأنهم فيه الحقيقة ، بل هو نقض الحقيقة في أكثر الأمور ، وليسكني لأعرض
لها - أي الحقيقة - بالتوضيح إلا إذا كان المشوول بين أيدي القراء رجال
كالملازم أو كشكري أو من يروي عنهم رواية يقوم عليها الدليل لدى ،
أما من هذا هؤلاء فليسوا عندى في حساب .

٨ - الملازم : حول اعترافاتي^{١٥}

- أنا وشكري كنا طالبين في مدرسة الامامين وتزاملنا منذ عام ١٩٠٩
أما الاستاذ العقاد فلم ألقه إلا في سنة ١٩١٢ أو في آخرات سنة ١٩١١
لناسبة ظهور مجلة البيان .

وكان الأستاذ العقاد كاتباً معروفنا في ذلك الوقت بل من قبل ذلك
بمفوعات وله كتب مطبوعة ورسائل منشورة .

- ما يمكن أن يفهمه أحداً أن مايسرى هل يسرى على الأستاذ العقاد
أو أن حطى وحظه مشعر كان في عالم الأدب بلا انقطاع أو اختلاف .

- كان اسكل معاشاته وطريقته ومنهجه على الرغم من صلاتنا الوثيقة
كل هذه الأعوام المديدة وصداقتنا التي لم توهنها الأزمات من سياسية
وغير سياسية.

- أنى لا أزال أقيس قدرى إلى أمل فلا أرانى صنعت شيئاً أو بلغت
حيث أريد . إن خير شئرى هو الذى لم ألقه وهو الذى يدور في نفسى
ويضطرب به جنانى ولا يجرى به لسانى - فليسمع لى أن أقول أن ليس لى
بالاعتراف وإنما هو إثبات للحقيقة وأقفة من المسكارة .

٩ - مقدمة رسائل النقد للدكتور رمزي مفتاح

يوجد القارئ في هذا السكناات رجلين هما : عبد الرحمن شكري وعباس العقاد وسيكون بلا ريب من الميسر على نفسه أن يحمل كل منهما في القفزة التي يجدها فيها في هذا السكناات إلا إذا كان مستوعبا للحركة الأدبية منذ عشرين سنة حينما صدر ديوان شكري الأول سنة ١٩٠٦ وكانت في ضجة كبيرة في الشرق العربي .

وأسم العقاد الآن مذكور لاشتغاله بالصحافة أكثر من عشرة أعوام وأسم شكري مقبور لمزوجة عن طاب الشهرة وعدم طبعه دواوينه بعد أن نفذت طبعتهما من أزمان ، ولقد كان تلميذا العقاد والملازمي بلازمنة وبأخذان من أدبه ويؤمنان بطلعه حتى أن الملازمي كتب في المقام عن ديوانه الأول قرابة عشرين مقالا متعالية . ولما اشتغلا بالصحافة اصطحبا عليه وراحا يتناحرا منه ويقعان فيه ليضموا ذكره ويملوا على شغفه المأكول فأصدرا معا كتاب « الديوان في النقد » فرمياه بالنقد الذي لا يمت إلى النقد الأدبي ولكنه مفرق إلى مقتل بطلانه في الرجل وطبيعة استحيائه ونسكوه أمام المهاجرة الخراف فسكران كل قدما أنه ذكر لقطة الجوان في أبيات متفرقة من شعره فلا بد أن يكون مجونا !

٩٠ - رد عبد الرحمن شكري^(١)

ذكر الأستاذ خلدون أنه إذا صح ما في السكناات (كتاب الدكتور مفتاح) تكون منزلته من الأستاذ العقاد والأستاذ الملازمي كدرجة عريف القرية من تلاميذه الذين يبيرونه فضلا وعلميا ويقوتونه دواية وحكمة ، وكفت أودان

(١) الامرام ١٣/٩/١٩٣٤ وقد نشرها ردا على مقال عنه .

أكون حبيب القربة للفضول الذي علم هذه الأستاذين كما أكتسب شيئا من المثلد بسبب خلود اسميهما ولكن لم يكن حتى هذا الفضل . وأعدائي إلى صديق الزاني المكتوب أو إمارتي إياه بعضها لا يعد تعليما ، أما الأستاذ المقاد لم أعره إلا بعد أن أتم دراسته للأدب ولم أكن أقابله كثيرا لأنني كنت في الأسكندرية وكان هو في القاهرة وكانت المكتابة حينئذ نادرة .

وإذا كان في دواوينه الأخيرة والحق قبلها ما يشبه بعض قولني فسيب الشابه من القولين تشابه الثانة وأسلوب التعبير والشعور في موضوعات خاصة .

وقد تنجيت عن الاشتغال بالأدب نحو سبعة عشر عاما من غير طهر بغيري وإنما تنجيت وهذا في أن أكيد أو أكاد فليس من المعقول أن آتي بعد أن فرت غيرة الشباب فأعزى الكتاب بالأستاذ المقاد والأستاذ للزاني وأنا لا أكتسب المكتابة ولم أحترف الأدب والصحافة ولا أعد نفسي المحترمون . أديرا إذا عدا الأستاذان

المفصل الثالث

أمازة الشعر

بين الزهاوي والعتاد ومطران

« كانت إبان الشعر حدثاً من أهم أحداث الأدب العربي المعاصر وهو النقاش في ١٩٣٧ حدد بعده القول فيها وأصدر الدكتور طه تالاة أحكاماً مختلفة : في عام ١٩٣٧ بإيم (العراق) بأمازة الشعر ولم يحدد من هو الزهاوي أم الزهاوي في ١٩٣٤ بإيم طه حسين (العتاد) بأمازة الشعر في حفل تكريمه في عام ١٩٣٧ بإيم طه حسين (مطران) بهذه الأمازة ونظر القاصي لمباينة نظرية سائفة .

ثم عاد طه حسين فأذكر أنه بالعم القعاد وقد تلتها نس كلامه الذي لديه الناس يوم قال قلت أن الشعراء يستطيعون أن يدنووا الشعر إلى القعاد بيد أن مات حافظ وعشوى فهو يستطيع أن يحلل هذه التواء مدفوعاً منقولاً وأن يحتفظ شعر بصلاتها من الشعر المعيش

١ - مباينة طه حسين للعراق بأمازة الشعر^(١)

(صور أحمد حسن الزيات حقه لمباينة طه حقا الشعر)

خلا ميدان الشعر من فجة من قائله المظلمين لحدث في صفوف الشعراء اضطراب وفوضى وقام في السقيفة للقدون والمجددون يقولون منا أمير ومعتكم أمير . وهذاك أرسل ذلك كنور طه حسين حركه للمروف فزاد انخلاف حدة والجدال حدة . قضى للعراق بأمازة الشعر التقليدي فغضبت معمر . وكان الأستاذ المراءوي أشد المصريين حنقا وأعنفهم خصومة .

وسورية . . . لقد هبت العاصفة تدافع رأى الدكتور في حدة وعنف وتنول مع السيد الفجار ، ما لذك كنور يرسل الزعامة إلى العراق في طهارة وكان يتقيه أن يرسلها إلى صاحبه مطران في سيارة .

(١) الرسالة ١٥١ يناير ١٩٣٣ .

والعراق ... هل انقلب بهذه الزعامة . أما الرضا فيرجوا أن يكون خليفة الشوق وحافظ . أما الزهاوي فأنا أعلم أنه يؤثر بكونه في ساحة المحدثين على أن يكون في طليعة التقليدين .

٢ — مباحة طه حسين بإمارة الشعر للمقاد^(١)

(بن خطاب طه حسين في حفل تكريم المقاد)

تستطيعون أيها السادة أن تحبوا المقاد ، وسعكم الحب كل من توفوه عنه . ذلك لأن المقاد من الصورة الناعمة والاحسان الفاد والرائة العارفة المجلوة التي حفلت صورة معمر الناعمة وأبنتها ذخراً للأجيال المقبلة .

أما أنا أيها السادة فـ... يد جداً بهذه الفرصة التي أنعمت لي ومكنتني أن أقول بالرغم من الذين سخطوا والذين يستخطون إلى لا أومن في هذا العمر الحديث بشاعر عربي كما أومن بالمقاد . تسألوني لماذا أومن بالمقاد في الشعر الحديث . وأومن به وحده وجوابي يسير جداً . لماذا ؟ لأنني أجد عند المقاد ما لا أجد عند غيره من الشعراء ، لأنني حين أسمع شعر المقاد أو حين أخلف إلى شعر المقاد فإنني أسمع نفسي أو أخلف إلى نفسي ، إنما أرى صورة قلبي ، وصورة قلب الجيل الذي تعيش فيه لأن المقاد ليس مثلكم ولا يستطيع أن يكون مثلكم . ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته وشخصية المقاد فوق الفساد .

بمجيئ المقاد لأنه يلتمس موضوعاته حيث لم يستطع شعراء العرب أن يلتمسوا موضوعاتهم لأننا نحن الأساندة اعلم بالمقاد من المقاد .

اعترف إلى عندما قرأت القصيدة (ترجمة شيطان) وقرأتها وقرأتها

فسكرت في شعراء آخرين ليسوا عندنا ولا هم بين شعرائنا . واسكتهم بميشون في أوروبا ، فسكرت في جيوت . فسكرت في بول فاليري . فسكرت في مالفون . كنا أيها السادة نشفق على الشعر العربي وكنا نخاف عليه أن يرذل سلطاناه عن مصر ، وكنا نتحدث حين مات الشاعران العظيمان شوقي وحافظ ، كنا نتحدث عن علم الشعر العربي المعري ، أين يكون ومن يرفعه فشعراء والأدياء ليستظفون به .

كنا نسأل هذا السؤال ، وكنت أنا أسأل هذا السؤال . لماذا ؟ لأنني كنت أرى هذه السكينة العقلية التي اكتسبها شوقي وحافظ رحمهما الله ، وكنت أرى شعراء القاد على علم مسكانته وجلال خطره شعراً خاصاً مقصوراً على التفتين والمترنين في الأدب ، وكنت أسأل هل آن لشعر القديم المحافظ المصروف في المحافظة أن يستقر وأن يحتفظ بجمده ، وهل آن لشعر الجديد الذي يصور مجد العرب وأمل المصريين أن ينشط ويقوى ، انتظرت فلم أجد القائلين حركة أو نشاطاً فإذا المدرسة القديمة قد ماتت ، موت شوقي وحافظ وإذا المدرسة الجديدة قد أخذت تؤدى حتمها . ونهضت بواجبها فترضى المصريين والعرب جميعاً ، وإذا الشعر الجديد يقرض نفسه على العرب فترضى ، وإذا الشعور المصري والتقليد المصري والمواظف المصرية أصبحت لا ترضى أن تصور كما يصورها حافظ .

وإنما تريد ونأبي إلا أن تصور تصويراً جديداً ، وهذا التصور الذي ترونه في المقاد الذي حمل هؤلاء الملايين على إكبار المقاد كما قال أحد الخطباء ، إذن لا بأس على الشعر العربي والأدب العربي وعلى مسكينة مصر في الشعر والأدب .

ضموا لواء الشعر في يد المقاد وثولوا الأدباء والشعراء : أسرعوا واستظفوا بهذا اللواء فتدرفعه لكم صاحبه .

٢ - مصطلح صادق الرافعي^(١)

« ليس لدى الآن نص كلام الدكتور طه ولا أنا أذكر ألقابه بحرفها
ولكن الذي أذكره أن حين قرأته لم أبحث بين ألقابه عن يقين الحكم
والقتامة وحججه وأدلة، بحثت فيه عن سخرية طه بالمقاد وبالشراء جميعا
في أسلوب كألطوب تلك المرأة العربية في قصتها المروعة حين قالت لرجال
قومها في أبيات مشهورة :

وإن اقتنوا لم تغضبوا بمسد حننه

فكأنوا نساء لا تليق عن الكحل

غير أن طه في سخريته كالذي يقول : بأن لم تغضبوا أن يغيبكم من استطاع
أن يحذف شوقي فاصبروا واصبروا حتى يكون المقاد هو أميركم .

ثم قال : بقي أن نساأل لماذا لم تأت الشهادة يوم كان الدكتور طه عبودا
لشكله الأدبية وكان يومئذ حراً لا يستزله الإكراه ولماذا جاءت الشهادة
وهو محترف الصعابة ، وترى لو كان المقاد من الحزب الوطني أو من الأحرار
الاستوريين أو اتحاديا أو شعبيا — انفسكون قولة طه يومئذ وهو في انصلاحه
الثاني والثلاثه وغدا — انفسكون إلا ردا سياسيا على المقاد وشعره وفرة
سياسية من هذا الشعر وعقاده .

٣ - مياومة طه حسين بإدارة الشعر لطوان

(من خطاب من طه حسين إلى مطران بمناسبة بلوغه الستين)

تحية ذكية إليك أيها الصديق الكريم من صديق تعرف مكانك في قلبه
ومثل لك في نفسه وتعرف إعجابه بخلقك العظيم وإكباره لأدبك الرفيع

وإعلان في كل قطر زاره من أقطار الأرض في الشرق والغرب وإلى كل
معهدت إليه من الشرقيين والشرقيين أنك زعيم الشعر العربي الدائم ،
وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين . لا يستحق منهم واحداً ولا يفرق بينهم
بين المتقدمين والمتأخرين ، وإنما يسميهم جميعاً بأسمائهم غير متعطف ولا متردد
ولا ملتبس ولا مبهج . وإنما هو القفص العريض يرسله وأضعا جلياً لا إلتواء
فيه ولا غموض ، فأنت قد علمت المتقدمين كيف يرتدون بتقليدكم عن إتياء
النفس فيما يتقدمون ، وأنت قد علمت المتقدمين كيف ينزعون أنفسهم عن
التلو الذي يعمل بتقدمهم هينا وإيفكارهم هباء . أنت حيث حافظنا من أن
يسرف في الملاحظة حتى يصبح شعره كحديث الفانجين . وأنت حيث شوقى
من أن يسرف في التعبد حتى يصبح كحديث الجيومين .

وأنت رست للمعاصرين هذه العارضة الوسطى التي تمسك على الأدب
العربي شخصيته الظاهرة وتتيح له أن يسلك سبيله إلى الترقى والتكامل ، وقد
حاولوا أن يتبعوك في هذا الطريق فطار بعضهم بجناح واستسلم بعضهم
قارناح^(١) .

الفصل الرابع

ديوان وحى الأربعين

بين مصطفى صادق الرافى وهاس محمود العقاد

هذه إحدى ماركات الصراع بين المدرسة النثرية والمدرسة الحديثة ، بين كنهين من أكبر أعلامها ، بين الرافى ، والعقاد ، كانت المصومة بينهما قديمة ، لها حضور بيعة لدى حقد المصير ككتاب ، أعجاز المركان وفرطة سعد زغلول وقتب العقاد واتهم الرافى بأنه هو كاتب الترديد واتهم سعد زغلول ، وكانت المصومة كما تم تحدث .

١ - من الرافى إلى العقاد^(١)

ولم أرقى كل ما قرأت من شعر أدبائنا ما يستوفى جميع أوصاف الشعر الوسط كمنظم صاحب وحى . . الأريهين هاس محمود العقاد له فلسفة وفكر وطريقة وله منزع بعيد ومرمى قسى وله إطلاع على شعر الأمم وآدابها، وقوة رغبة شديدة إلى أن يكون مبدعاً مجدداً . وقد ارتحن نفسه بعلامه صناعة الأدب وفرغ لها فراغ من يعيش لها يعيش به وانتمس معها أنفاس الصمكة في بحرها أو مستفتتها ، ولكنه أعطى هذا كله ولم يعط أسباب التمسك فيه وتكلفت نظامه القدرة المالية ولم يبه الله خصائص هذه القدرة وجاوز عدد نفسه حدود الديمقراطية القوي وهو يهتدى من وراثتها بطبعه الضمير وأغرق في المحاولة ليعثر مثل ذلك في الخلية موجاء بالسكثير ليرد عليه السكثير أيضاً . وقدم لنا شعره على أنه التجديد والديمقراطية وأنه والله ، وليمد ما أشاد من الأوصاف ولكن ماذا ينفع ماسكة جمال أن يكون فيها كل شرائط الجمال وحى عوراء .

وقبل أن تناول شعر الوحى نريد أن نذل العقاد على سر سقوطه في الشعر

(١) البلاغ ١٨ مارس ١٩٢٣ .

وأنه ان يفلح ولا ينجى به الأنفولا مكرها أن يسكون شعرا . ولعله لا يدري
أن أكثر ما يحرص عليه من نظمه يتفق أحسن منه لكثير من كبار الشعراء
فيقفونه ويهذبون شعرهم منه ، ذلك أن النكرو بأني بمادة التصيد ثم بصورها
الطبع وبصوغها ثم بأني اللذوق فيمليها كما يجذب صانع التمثال تماثيله ، ولقد
كثرت إقرأ (وحى الأربعين) وما ينظر لي إلا أن أكثره أبوات كان المقاد
أسقطها من قصائد قديمة ثم فتحة المحرص فيجمعها ديوانا وفو هو سمي الحقيقة
باسمها السكان إسم ديوانه (الخاتمة) .

ذلك السر الذي أومأنا إليه هو أن المقاد يحترف الصحافة السياسية من أول
نشأته وهو رجل الساعة ورائة الجمهور وأساليبها في نقل الأخبار بعضها من بعض
معروفة . وأساس كل بيان فيها قيام على الخلف الدلالة التي يحصلها لا للسمو
بها . وفي أساليب صناعة المسكابة لا في أساليب صناعة البلاغة وعلى سياسة
الواقع لا على سياسة الارتضاع بالواقع ، وما زعم أحد أن الصحافة السياسية
أنشئت للشعر ولغته وبيانه ، وفلسفته ، فهي في خاص معناها وأمية بما وجدت له
وهي الحق كل الحق في غايتها وسبيلها إلى هذه الغاية ، ولكن شر ما في
الباطن وأبعد ما في السطح إذ أريدت على أن يتبع باحترامها الشاعر المبتدئ
مبدع الفنة في مادة فننها البياني وحسبك النفس القائم على سياستها الداخلية
والخارجية وذلك الطبعية الذي قول له من الأزل أن قوة للفوك السلاح لفنك
وللوت وفنوك أنت السكلة الجديدة التأثير والمهاة .

إن ما وراء شعر المقاد من أثر كل ذلك ، ما من ملهه وقصائد هي مقالات
فصدت فصدت نظما وصناعة من القلم الما كينة لا تنسك أن يكون الذي تحصل
الخاص أو يكون من اللماي التي لا توجد حضري ولا حمي إلا عرفنا من
هذا الأصول التي بينها ترى أكثر شعر المقاد أو كل شعره بعثه ما يعثر .

الفتالات المصغية من النقص والرد . فانت تستطيع أن تقصده كله بأبسط الكلام لأنه موضوع على قاعدة تقبل ذلك ونقرأ فلا نهملش . منه كأنه رأى ألقى من الأحزاب السياسية ليرده أحدها على الآخر ، ويتلىك شعور عجيب في أكثر ماقرأنا ننتك أن وراء هذه المادى (مقصدا) قصبا من كتب ودواوين ورسائل وأن صاحب (للنفس) جالس في ديوانة مجلسه في جريدته يقابل أخبار للسكر الإنسانى وهذه أخرى . . . هي أن في المقاد تنصا كبيرا في البيان المويس وهو ضعيف القهم جدا لأسرار هذا البيان . وقد قرعنا نفسه كما قال في مرتان البيان هو ما يكتب به في العصف .

وهذا مذهب إذا صار إلى الشعر كان فيه كمدل من يستعطر العطر من أى أوداق النيات أصابها ولو كرانة وبصلة . . ومن هذا جاء شعره وإن ليقاها في أيامنا هذه ما كان عندنا نقدنا من شعر المقتما . . ولا يراد به دقة اللط إلى النفس ولا انكف للأخذ من اللغة ولا إصابة النضل في المعنى ولا حكاية الطبيعة في صناعة فسكرية جميلة ولا ث إشراف النفس الروحانية في تركيب المادة ، وإنما هو نظم بحت مستجلب متكلف يقع منه أقيح اللقاوت كما ترى في ألقاظ المعاد وبدل في سياقه عن طبيعة الشعر إلى طبيعة الجدل والسرد وحكاية الآراء والمذاهب .

وما يميل إلى في شعر المقاد إلا أنه مستلقم الخضر صفاء . فهذا الجبال القليل منه لا يكشف عن سر ورواق وامتاع وإنما يزيد في القبح وما في هذا المستقن إلا البموض والملازيا والطعبل والنوغم والمغن ولو أنك

كفت دقيق الحس مصفى الذوق على البيان ثم قرأت شعر المقاد رأيت
من شعره ما يوسع الذوق لسع اليموض وفي شعره أيماناً تهوى تهيق الضادع
في الماء ومع هذا كله لا تفك من منظر نضرها وهناك من ضفاف .
المعاني الحسة التي يرضها عما ينقصه من غيره من شعراء العرب
والأوربيين .

والمقاد^(١) لا يشبه في طيبة من الفاسفة كالذي يجهأ في طبع الشعراء
اللهمين إذ لا يجد في استطاعته أن يقتصر الإلهام وليس بضاعة ولا جيلة له فإ
يقوت ذرعه ويقطع قوته وما لا يحمله الله لا يحمله الله الإنجليزية والظاهر
اللهم يستعج له المعنى من فسكر أو نظر أو قراءة فإذا هو كأنه نقطة من جبال
الحياة تريد أن تنفذ إلى حياة الفاس ليندوا بها حساً وذوقاً ومنفعة ، فإذا
المعنى في صورته نجمله وحيا إلى هذا المبتدى بخاصته وإن كان قد وقع من
قبل ذلك لسلك شعراء الدنيا ويحيى كما يحيى من الفاس قد امتلأت بهم
الأرض ، ولما يشابهه اثنان شيهاً تاماً إلا في القدرة ولكن غير اللهم يستعج
للمعنى من فسكر أو نظر أو اختلاس فإذا هو قد جاء بضاعة عقلية على قدر
خاصته لا على قدر المعنى فسكانه لم يزد على أن تابة له دون أن ينفذ إلى حقه
إلى طيبة الشعر فيه .

ونحن نعرف المقاد رجلاً ذكياً متفكراً مطعماً ولكن هذه الخصال على

أنها الطبقات العليا في صناعة الكتابة الصيفية هي الطبقات السفلى في صناعة
الشعر العالي ، فإن الإلهام من فوقها يبدأ وكأنها الجاذبية الأرضية لا تنقطع
سدودها من كانت طبيعتها من الأرض وإن علا في طيارة أبعد ما يملو وإلى
إن يستغرق .

فما يصنع الرجل شيئا أكثر من أن يضع يده على المعنى ثم يجهد في
تقليبه وتقليبه ونهشيه وكثيراً ما تنصر عبارته لضعفه في البيان واللغة فيرى
أن ما كان في نفسه لا يزال في نفسه مع أنه قد غلبه وتعب فيه فيجهد إلى
الشرح يستعين به كأنه في طريق مقالة يترجمها أو يحصلها . . ويأتى الشرح
دليلاً على أن هذه الفلسفة الشهيرة لم يعمد من فيلسوف أبدعها ولا شاعر
ألمها وإنما غير معروفة على ساقها بل هي مقلقة لتلقيق المتن ينظم اعتاداً على
أنه لا يقوم بنفسه ولا بد منه من شرح ولا بد من إجماع من تفسير .

٢ — رد المقاد : صياغة الأدب (١)

نأخذ هؤلاء رجل مكتوب يسمى اسماعيل أفندي مظهر كان يطبع في
القاهرة مجله تسمى المصور ، علم هذا المكتوب الأول أنه يشبه المقاد وحجة
الثاني أن يزول المقاد من صناعة الدنيا فلا يرى له شخص ولا يسمع له بغيره ؛
! كتب عن ابن الرومي فيكتب عن ابن الرومي وأكتب عن بشار والقيس
والمرى فيكتب عن بشار والقيس والمرى ولما حار في أمره ولم تفن عنه هذه
الحكاية الزائلة خطر له أن المقاد إنما اشتهر لأنه يكتب في صحيفة وفدية
تطوع هو الكتابة في زميلنا كوكب الشرق مدة أشهر بشهر جدوى فما شأن
المقاد في نفس هذا المكتوب . هو بلا ريب كل شيء .

وزميل آخر لهذا المنكوب الأول هو المنكوب الثاني مصطفى صادق الرافعي . زاده الله من كل عافية .

ما كتب هذا الرجل حرفاً حتى إلا ليقول أفتى لست بكتائب ولست أحسن فهم الشعر والبلاغة . وما كتبت حرفاً في النقد والبلاغة إلا سعى إليه يقرأه ويحتله ليسرق منه ما يصل إليه عقله السكايل ، فبعد أشهر كتب من شوقي مقالة يتسكّر فيه «سمر على الصبرين» كما يصفهم بالمقيم وخود القريحة فلما غضب القراء والمقادون على هذه السببة الغليظة وثبت السرقة على لسانه وقال إنه إنما يروي ما كتبه المقاد .

فهو يحتفل كلامي ويتجاهله ولا يترف به إلا حين تسوء نيته ويحسب أن سيديه إلى غشاضة على فهو خاطئ التهم من . النية كاذب اللسان ولولا ذلك لم أكن أقول من حقائق الرقيق في كتابي ساعات بين الكتف أنه (من شهد تلك المخلقات أو سمع ذلك الأنباء ومن لمس ذلك الخذل المحزون في قلوب أعيان الأفعالهم صعب عليه أن يستأيل إلى الدلائل التي تنسكّر الشاعرية على سليقة الصبرين وهذا هو الكلام الذي فهم منه المعلم بأسرار البلاغة أفتى أنكر الشعر على سليقة الصبرين .

وهو يزعم في كلام نشره في التتطفل الأغفر أنه يهمل كتبي ولا يلتفت إليهما ولا سيما كتاب الديوان مع أنه قد سرق ضللاً كاملاً من ذلك الكتاب وإلى القراء شواهد السرقة منقولة عن جزء الديوان الذي أمله على طريقته البديعة في الإجمال

انتقدنا حامى القرآن حتى الله معه القرآن ولغة القرآن . .

وهذا المنكوب لا يعرف كلمة في الإنجليزية ولكن يعرف المقتد على

العقاد فشكل ما يوجب العقاد فهو صحيح ولو غلطت به القيل واليل والخلفاء .
وقد روى في إحدى الحالات أننى سرقت قصيدة غزل فلسفى من قصيدة
شلى « ايسكندريون » وسرقت قصائد ألكاتار من فهو فول جوتيه ؟ روى عقا
وصدقه مع أنه لا يعرف الإنجليزى ومع أن الزاعمين لم يجرؤا على تروجه
بيت واحد من تلك القصائد التى زعموا أنى سرقت منها ولكنها بعدد على
العقاد ضحفاً لأن للا دولة والبراهين ومرحبا بشكل شهمة بقرئها للفنون
جوافا بغير دليل .

إن كان فى ذرات تلك ودمك يا حاسدى السكين ذرة واحدة لم يهرأها
المقصد على فاعلم إننى أننى لست أقبل ذلك لأننى لست أحب أن أياقل على
وجوتيه أو شاعراً أكبر أو أصغر بما أقول .

٢ - فإنا (١٩) أكتب وأنظم لأعبر عما فى نفسى لا لأفعل ما عبر به
الفلس . إننى لا أعدل غير أن أكتب فقرأ الناس : ما أمثلت قط على
الشهرة بعيلة ولا توصات إليها بغير حذر . وسيلة ، فإن بالغ جفون الضعفة
ببعض الموتورين أن يطلبوا منى كفى الفاس عن قرأتى شفاء لضمهم وقتنا .
لوترم الطالب يجنون وليس المستمع يجنون .

لقد مضى زمن الفس . لقد مضى زمن المعرة . لقد مضى زمن الشهرة
بأمثال هذه الأساليب . لقد نشأ فى العالم العربى قراء لا يأخذون بالأوهام
ولا يدينون بعبادة الأصنام ، فإن كان الرافى وأضرابه يحسبون أنهم
مناووا من كانى هذه السطور مثالا فى العالم العربى بما لوثوا به صفحات

الرسائل والمجازت فلتصمموا كلمة الأستاذ محمد الططوي في صحيفة الزمان إذ
يرد على سقاعة الرافعي فيقول :

أما العقاد فحسبك أن أبعثك في الأدب ومقاييسه في النقد قد وجهت
الأدب العربي بحق إلى وجهة جديدة وأما ملت الإنعام عن أصداف من خشب
وجبال من طين وحررت القول من عبودية أمساخ القبور وأحلاس القديم
الذين قيدوا حركة الأدب وقتلوا فيه كل روح .

فليكتب الرافعي ما يضيح به لناؤه وإناؤه مقاله ففقد عرف أدبا . تونس وغير
تونس مكانه من عريات المجالس البلدية قبل أن يعرف هو مكانه من تلك
العريات وسيزداد الناس علما بهوي كلما ازداد .

٣ - من الرافعي إلى العقاد^(١)

قرأت اليوم في الجهاد رد صاحب وحي الأديبين على ما كتبتك عنه في
البلاغ وهو رد طير فيه العقاد طائرا بالكلام على وجهه مثيرا . حوله هجاجة
من السب كما ينفل العامة إذا طار بها الرعب في عرض البئد وخفق بها الفزع
خفقة البرق وحاولت أن تنسب الساء بتهار الأرض فذكر لي فزعه هذا أو
غيظه مع أشاعة في الدعوى وتريفة إياها إلى ما بقوت عرض الفزور وطوله
مما وانخداع بعض الفاشين في الأدب بوجهه وشهوذته وظنهم أن من وراء
هذا التفتيح وهذه الصولة وهذا التفتي والتفتن أغيا يا فيها السم فاقع وما دروا
أن من الحيات أفاعي كل سلاحها أن تنفخ فظفها وتصول صولتها وتفسر
مقاتلها . . . وهما وغدا عاكرا وأرحابا للبحشرات الضميمة وسحرا لبقا الطير ثم
ليس ممها بعد ذلك شر ولا خير .

(١) البلاغ ٢٣ مارس ١٩٢٤ .

ذكرني نزع العقاد بمثل ما كنت قرأته في النسخة التي عهدي من كتاب
كثيرة ودعة ويعرف الأدباء الذين قرأوا كتابي تحت راية القرآن أنه ليس
في العالم كله نسخة أخرى مثله .

يعرف العقاد معرفته الشرق والغرب والشمال والجنوب أننا لائتمياً به
ولانتمده أدبياً ولا نشيم وزناً في المربية ولا نخش سقامه ولو جعل الجهاد
جهاداً قنيا نحن وهذا كله ما قلناه له في وجبة وندتد بقيدنا أننا قلناه له
في قلبه .

ورأينا في العقاد أنه لو صح فية مذهب التفاسخ وتفاسخ في هذه الأرض
ألف مرة لما كان في واحدة منها عف الجسان ولا كريم النفس ولا وتيا لأحد
ولاشا كراً للعة ولا مشرة بحقيقة وليس من العقاد إلا العقاد .

ولمعه يسره أن يعلم أنه أضحكنا بسقامه ضحكاً لا عهد لنا بمثل إلا
أن نرى شارلي شابلن في السينما .

قال الأستاذ (بنظرفه وحفاؤه) وهو بماينا : ما كعب هذا الرجل حرقا
حتى إلا ليقول أنني لست يسكاتب ولست أحسن فهم الشعر والبلاغة .

وقال : وما كتبت حرقا في النقد والبلاغة إلا سى إليه بقروء ومحفظه
ليسرق منه ما يصل إلى عقله السكليل .

قلنا كذب والله أنه ليهلك في صفحة واحدة لو أراد أن يمارض صفحة مما
نسكتبه . وليحتكم إلى من يحسنون السكتاية ليري في قرأتهم كيف خلق الله
وجه البياى كآاته (بروفة) مطبعية ملقاة بدون تصحيح .

إن العقاد إنما يريد بهذا التزم أن يشرف نفسه كما أراد من قبل حين

كعب في الجزء الثاني من الديوان يزعم أننا أخذنا من نقده لنشيد شوقي وقد نشرنا هذا في سنة ١٩٢٩ ومع ذلك عاد إليه اليوم فنقله في الجهاد ويظهر برهانا جديداً ونصرة نحن إنفاذاً جديداً ، فإن هذا للفرور يعلم في صوره الذي يحاول أن يخبأه حق من الله جل جلاله — يعلم أنه هو نفسه كان قد وقف طبع كتابه (الديوان) حين علم أننا سننقد تشيد شوقي ، وأشاعت جريدة الأخبار نبأ هذا النقد وذلك ليقلل ما نكتبه ويخضع به شأن كتابه ويستعين بها على عدوه شوقي ، فلما أبطأنا في طبع النقد كتب هو تلك الرقعة التي سماها نقداً ونشرها . حدثنا بذلك صديقنا الأستاذ المازني وكان شريكه في كتاب الديوان وغير هذا الحديث ألى كتبت معه في جريدة الأخبار فرايت في يده جزء الديوان الذي زعم فيه المقاد . واهم الشخصية فبعد أن قرأت ما كتب علي قلت له : كنت أظن المقاد عاقلاً فإذا فعلوه معنى . . فقال : إن شاء الله لا يجد بقصر معنى . ثم سأله : كيف أتى المقاد أن يزعم هذا الزعم وهل ذلك رأيه في إعتقاده . أم رأيه في إدعائه ، فقال : إننا كنا نرغب ظهور نقده لندفعه . ونسكتني به . فلما تأخر كتب المقاد كتابه ثم أطلع علي نقده بعد ظهوره فرأى فيه كتاباً من الأستاذ منصور موضح مؤرخاً في ١١ ديسمبر وهو بعد ظهور الديوان فظن بعد ذلك أنك نقلت منه . فقلت لهذا الصديق أنك تعلم أني شرحت في الطبع قبل أن يخط المقاد حرفاً ولهذا انتظر كما يقول . ثم تعلم أن فلان باشا سمى عدد أمين بك الرافعي رحمة الله ليحسمي به فينتق على أمر من الأمور لأكف عن نشر هذا النقد وقد كتبت تراءياً رجائي واني من أجل ذلك وقفت طبع النقد مدة . وفي أثناء هذه المرة جاءني كتاب الأستاذ منصور موضح ثم تم سي . وأخفق سي . فضيت في إنعام الطبع . وكان هذا سبباً في خروج كتابي متأخراً

فأقرني المصدق على ذلك . وقال إن المقاد لم يسكن يعلم هذا ولم تبق قائمة
في أن يعلم .

قلت : ولا كانت على مضرة في أن يجمله .

هذا هو حديث الإنلاس الجديد الذي استخرجه المقاد من دفتاره القديمة
فإن كان أحلا لمجمل فليضجل . وكل ما كتبه هنا أشدته بين جميع اسدقائي
من يومئذ .

٤ - من اجماعيل مظهر إلى المقاد^(١)

هاجس اعتباطا واستغنى فيه ارتجالا ، كان ما طبع عليه المقاد يأبى عليه
إلا أن يقول الشعر وأن يرى أقدار الناس يتعدو ويغير قصد وأن يسكن عليهم
السياب والشتائم توجه الشر وحده ولوجه النار الآكلة التي تنلى موجها في
صدية وحقيقته على كل من نيه في الأدب قدره أو رجعت في العلم كفته .

أما إذا كان هذا من أثر السفايف التي شوك فيها الأسفاد الرافى شيئا
على صفحات المصور وطبعها في كتاب وزعت منه على ما أعرف آلاف
النسخ في العالم العربي كله . فسكن على يقين من أن تهجمك هذا ليس
بمخيلك عما في هذه السفايف فهي باقية منك طول حياتك . . وسنظل باقية
بعد مماتك .

وكانى ينك تريد أن تعسكر الأدب وتاريخ الأدب لنفسك فتعنى على
لأنى كتبت في بشار وابن الرومي والنتهى واللى لأنك كتبت عنهم وإبنى
أريد أن أكون المقاد في كل شيء . . وما يدل على مقاعة احلامك أنك
تسكذب في هذا كذبا صراحا وإن كنت كذوبا فسكن ذكورا فاني لم

(١) البلاغ ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣ .

أكتب في ابن الرومي حرفاً واحداً . ولم أكتب حرفاً واحداً في المتنبي . .
أما ما كتبت في المرعي فمقال تناولت فيه فاحصة واحدة من عقيدته
في الخالق . .

ولكن هل تمدك السكذب البين بمدد أيضاً أن تكون منافقاً
فإنك لم تذكر أي كتب من مهبّار الديلمي وإلى تعلّمت في ذلك المقال
برأى نيا تمدته الوراثية الأتولوجية من أثر في الاتجاه الشعري . وكنت
أول من قال بنسبة أن الدم الأري الذي يجري في عروق مهبّار وابن الرومي
أثراً جيل النخعة إلى الخفافق وإلى اللاديات آيين في شعرها .

أما إلى لم أقد ديوانك الجديد أو شيئاً من شعره فإن ذلك ليس من
تصور بل من عقيدة وعقيدتي فيك أنك شاعر لا يرجى . فيك أن تبلغ من
الشعر أكثر من قولك :

أرى في جلال الموت إن كان صادقاً جلاله حق لا جلاله باطل
وفيه من القواء الفكر ما يبغى بمسند ألف بيت من الشعر الجيد .
أما قوتك بأبي حاولت أن أكتب مقطوعاً في جريدة وفدية . .
لأنبال الشهرة بمثل ما قلها . . فحق إلى اعتقد أن الشهرة التي تأتي من
دراء الصياح في الجرائد ومن نشر النفاوين بحروف بارزة كبيرة . . شهرة
حقيرة في نظري وهي إلى النفاوين أغرب منها إلى أن يكون فيها دلاله على
شيء . جدير بالاحترام ودليل انطاع على هذا أنك قتلت جريدة مصر فلم
يتخذها من الموت أدبك ولا اغناها عن السقوط أنك استاذ بحروف الطبعة
وقلت بعد ذلك كوكب الشرق فلم يتخذها من الموت أدبك ولا اغناها
عن السقوط أنك استاذ بحروف الطبعة .

• — من الرافض إلى العقاد^(١)

أما بعد فقد سبها العقاد أفحش السب في كلمته . التي ظهرت بها جريده
اليوم كحرقه للطبخ .

وما ندري والله كيف يفهم هذا الرجل ولا كيف يستعير الناس يقرأونه
ولا ماهي فلسفته في السب والشتم . وهل هذا جهل منه أم تغافل . وهل هو
تطاول أم تطارف . . . وهل تلك فتنة أم حيز .

لقد درستنا جب العقاد في رده الأول ورده الآخر فخرج لنا من ذلك
إلا أنه جلف مدخول الطبيعة كان قد وقعت فيه مبعثرة غريبة فوضع الله في
جسمه طبيعة أسوان من قدمه إلى عنقه ثم وضع في وجهه طبيعة القطب الشمالي
فالرجل قائد الحس وبحسب ذلك همقا في الأحساس يتسع به لقائس الدنيا من
الجمال إلى الجيف إلى اللزاهض ويتسع جبينه (لسكل موجود وموجود
تؤام) ومادام إحساسه بهذا العمق فسكل شيء كأنه جزء منه وإذا كان كل
شيء جزءا منه فالترشح والفساد من بعض مافيه . .

ومادام له هذا التوج وهذا الفساد فلا قبح في غلظه ولا نساد في ذوقه ولا
فساد في ذوقه ولا يمت ماهو طبيعي لأنه طبيعي .

ومكارة المنقذ وباهانة ونفوره وبطشه وكبرياؤه على مافيه من الضعف
والقلة والقلة . كل ذلك من الأدلة القاطعة على ذهن مختل قد انغرد بنفسه في
إختلاله إنفراد ذوق صاحبه في أحو جاجة ولا يسكون القانون لئلا هذا الذهن
إلا خطاه وغروره . .

لقد كذا على يقين من أن العقاد الجبار سينهزم عنا أقبح هزيمة وأنه

(١) البلاغ في ٣ مارس ١٩٢٣ .

ليست له الأجر له ثم يصريح بأنه هو يعرف ذات نفسه أنه لا يملكه معناه يملكه مع غيرنا وهذا سبب آخر في شقمة أمانا لأن صبيحة من تأخذه من حلقة لا يجيء كصبيحة من أخذته من يده أو رجله . وما عايناه يدخل العقاد ولا ملحقا بشموز ولا معنا يستطعم المستطام .

من البراهين عند العقاد قول ذلك الذي هو أركى وأبلغ رجل في الشرق هو المقهور له سعد باشا وظفول في وصف سياسة مصطفى صادق الرافعي في كتابه إحياء القرآن كأنه تمزييل من التمزييل أو قيس من نور الذكر الحكيم .

أمن يراهم العقاد عند العقاد قول العقاد نفسه وقد كتب عفا قديما في التوحيد وهو يعتقد ككتاب إحياء القرآن (ولقد انتقت للرافعي في هذا الكتاب جميل عبارات لم يفتق مثلهما للعرب منذ أن تكلموا وخطبوا إلى أن القوا كحموا) .

مدبرة أيها القراء فإن المجلد لا يوضع على وجه من لا ينجل كهذا العقاد وليس لشجبل هوا يستعمل من الظاهر . وأنا أعرف الكلام الذي يتحول في دم العقاد إلى سم يشغل في روحه إشتمالا وما قرطبي سعد باشا يسكفه السابورة التي لا يدورها أبلغ ما في الحقيقة ولا يبلغ ما في اللياقة بل قرطبي وقتل العقاد بداء الخلد في وقت مما .

ولو حدثتكم أن هذا العقاد قال لي مرة في مجلس رئيس تحرير مجلة شهيرة (هي للتصطف) أنه أبلغ من سعد باشا وأدنى من سعد باشا حين لم يجد له مخرجا من كلمة سعد إلا بهذا الإدعاء الساقط وإلى أشهدت على كلفه هذه صاحبها رئيس التحرير . فو أنا حدثتكم في ذلك واقتضت القصة حل نسبها لأدرككم أي معنوه هو بل أي أحق ولعزكم أن عندنا في مصر جبار

ذهن أى غيولا كثيرون الذى صاح وهو يسوق نفسه على فراش الموت أى
فنان سيهلك بهلاكى ...

٦ — المقاد : التكتوب للطبوس^(١)

مصطفى صادق الرافعى رجل عاين أن للناثق: هي أن تطلب وأن علامة
الطلب أن يظل يتكلم ويتكلم فإذا أخذته يكتفب النجاة جميعها قال لك :
وما كانت النجاة جميعا ، إلى أخطئهم واشتبههم في وجوههم ولو كان
هذا يعقل ما يقول لما شغل حياته كلها بنا وعزفنا قريبا ونمردا وكثابة
وحديثا ليقول أنه لم يقرأ كتب المقاد ولا يبالى ما كتب المقاد .
وأهذا ؟ هندی ما يشغلى من ضنونة نفسك المنيرة فاذهب إلى عالم
الأشباح الذى ألقيت بك فيه منذ سنوات د وعدا لما هو أفضل من صفائك
وأولى بنا وبقرائنا فإن تظهر منا بعد اليوم بمواب .

(١) التكتوب للطبوس

(١) الجهاد ٢٨ مارس ١٩٣٣ .

الباب العاشر

معارك النقد بين المجددين

- أولاً : بين التفريب والتجديد .
- ثانياً : معركة السكرامة .
- ثالثاً : معركة الصفا بين الأدباء .
- رابعاً : معارك النقد (بين العقاد وطله حسين) .
- خامساً : بين زكي مبارك وخصومه .
- سادساً : زكي مبارك ينقد كفايه .
- سابعاً : بين العقاد وخصومه .
- ثامناً : بين سلامة موسى وخصومه .
- تاسعاً : بين اللاتفي وخصومه .
- عاشراً : بين هيسكل وطله حسين .
- حادى عشر : معركة لمة العيش بين مبارك وطله حسين .
- ثانى عشر : المعارك بين شباب الأدب وشيوخه .

الفصل الأول

بين التغريب والتجديد

مصادقة بين توفيق الحكيم ومطه حسين^(١)

١ - من توفيق الحكيم

أنا الأمر الذي يحتاج إلى كلام هو معرفة مميزات الفكر المصري . معرفة أنفسنا حتى نتمكن من إيجاد مبدعنا . هذه هي المسألة . ما هي مميزات العقلية المصرية في الماضي والحاضر والمستقبل . - ما روح مصر . ما مصر . أن إختلاطها بالروح الغربية بهذا الإختلاط العجيب كاد يفسدنا أن لنا روحا خاصة ليس نبضات شبيهة تنال تحت ثقل تلك الروح الأخرى الغالبة وأن أورو واجب عليكم أن إستهفاج أحد المصريين من الآخر . حتى إلتصافهم بغير الروحين أحدهما من الأخرى كان لأن تأخذ أحسن ما عندهما . لا بد لنا أن نعرف : ما المصري . وما الغربي . هذا السؤال القوي في نفس من صحت سنوات إذ كنت أدرس الفتن للمصري والأفريقي : وكانت المسئلة عندي وشكلا : ما المصري وما الأفريقي .

وأذكر أنني ظلمت الفرق بين التلطينين يمثل أحد في فن التبعث سائلا ، ما بال تآكل الأدميين عند المصريين ، مستفوزة الأجساد وعند الإفريقي عارية الأجساد ، هذه اللاحظة الضخمة تطوى تحتها الفرق كله . نعم كل شيء مستتر حتى عند المصريين ، عار جلي عند الإفريقي . كل شيء في مصر حتى كالروح . وكل شيء من الإفريقي عار كاللادة . كل شيء عند المصريين كالنفس . وكل شيء عند الإفريقي جلي كالمنطق . في مصر الروح والنفس وفي اليونان اللادة والعقل

لا أكاد أفتح كتابا في الفن الإفريقي حتى أجد كلمة العسرة نعتا من نموت هذا الفن . ولا أفتح كتابا في الفن الإثريشي إلا وجدت كلمة الحياة وكلمة الإنسانية من نموت هذا الفن .

حظ الإفريقي في كل هذا هو حظ العرب . العرب أيضا أمة نشأت في

(١) الرسالة - أول يونيو ١٩٣٣ .

مقر لم تدره أمة غيرها . صحراء قفراء ، قليل من الماء يغير الحرب والدماء .
جهاد وكفاح لا يلقطمان في سبيل العيش والحياة ، أمة لاقت الحرمان وجها
لوجه . وما عرفت طيب النار وجرى الأنهار وردغ العيش ومعنى الئمة إلا
في السير والأخبار ، كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس واللذة .
لذة سريعة منهومة مختطفة اختطافا لأن كل شيء . عند العرب سرعة ونهب
واختطاف . وعند الإغريق الحركة ، أي الحياة ، وعند العرب السرعة ، أي
الئمة ، لم تنفع أمة العالم بالسرع من العرب ، ومن العرب بمضاربات مختطفة
فاختطفوا من أطايبها اختطافا راكضا على ظهور الجياد . كل شيء قد يحسونه
إلا عاملنة الاستمرار وكيف يعرفون الاستمرار وليس لهم أرض ولا ماض
ولا هوان لهذا السبب لم يعرف العرب البناء ، سواء في العمارة أو في الأدب
أو في الفقه ، الأسلوب العربي في العمارة من أوجه أساليب العمارة التي عرفها
تاريخ الفن . وإذا عاش اليوم فإنه يعيش بالخرف . فن الخرف العربي
أشد العمارة العربية .

أما فن الخرف العربي فهو في الملق أجمل وأعجب فن الخرف سلكه
التاريخ ، والخرف عند الغرب ولید ذلك العلم بالئمة والخرف . كل شيء
عند العرب خرف . الأدب نثر وشعر لا يقوم على البناء ، فلا ملاحم ولا
ولا قصص ولا تمثيل . إنما هو شيء مرصع جميل بلذ الحس . فسيما ، النافذ
والتي وأرأسك الديارات والجمال ، كل مقامة للعرى كأنها باب الجامع
الأيدي . تنطبع عندى يدع . وتطلمع بالذهب والقضة ، لا يسكاد الإنسان
يقف عليه حتى يرنح مأخوذا بالبهرج الغلاب .

قد يكون العاين حقل في تأخر الفنت والتصوير عند العرب ، غير أنى
اعتقد براءة الدين ، أن العرب كانوا دائما ضد الدين كلما وقف الدين دون

رغبات طبائثهم ، لقد حرم الدين والشراب ، فأحلوا هم الشراب في قصور
الغلفاء ، وما وصلت الخمر ولا مجالس الخمر في أدب أمة بأحسن مما وصفت في
الأدب العربي ، أما النحت والتصوير الكبير فليس في طبيعتهم لأن نحت
فنون تتطلب فنيين يزاولها إحساساً عميقاً بالفن والفنانيك المدام مبداء التأمل الطويل
والوعي الداخلي للشيء في الجزء والجزء في الكل ، وليس هذا عند العرب
فهم لا يرون إلا الجزء المنفصل وهم يمشتمعون بكل جزء على إنفراد ، لا حاجة
لهم بالبناء الشامل للفن في الأدب ، لأنهم لا يحتاجون إلا هذه الجزء
والاحطة ، قليل من الكتب العربية في الأدب تقوم على موضوع واحد
متصل ، إنما أكثر الكتب كشاكيل في شتى الموضوعات تأخذ من كل
شيء بطرف سريع ، من حكمة وأخلاق ودين وعلوم وشعر ونثر وما كل
ومشرب بدفوائد طيبة وثقة جديدة .

وحق إذ يترجمون عن غيرهم يستقلون كل أدب قائم على البناء فلم
يقلوا ملحة واحدة ولا ترجيداً واحدة ولا قصة واحدة .

الكتابة العربية لا تشتهر بالوحدة الفنية في العمل إلا في الكبير ، لأنها
تتميل إلى ، بكتبتها بيت شعر واحد أو حكمة واحدة أو لفظ واحد أو
زخرف واحد أو قول طرياً وإعجاباً لهذا قصر العرب وطبيعة الفن على ما نرى
من الترف الدنيوي وإشباع لذات الحس ، حق الحكمة وشعراء الحكمة .
كانوا يؤدون عين الوطنية ، إشباع لذة المبطن . واللطف جمال دنيوي .

من المستحيل إذن أن نرى في الحضارة العربية كلها أي ميل لشئون
الروح والفكر بالشيء الذي نفهمه موهب والمهند من كل شيء الروح والفكر .

إن العرب أمة هجيبة ، تحقن حلقها في هذه الحياة ، ففتشت به تشي

المحروم ، وأبت إلا أن تروى طلباً لها في الحياة ، وأن تمب من لذاتها عبا قبل
قبل أن يزول الحلم وتمود إلى شقاء الصعراء .

ولا ريب عندى أن مصر والعرب طرنا نقبض ، مصر هي الروح ، هي
السكون ، هي الاستقرار ، هي البناء ، والعرب هي القوة ، هي السرعة ، هي
الظلم ، هي الزخرف .

مقابلة مجيبة : مصر والعرب وجهان النور ، وعصو الوجود ، أى أدب
عظيم يخرج من هذا التقلع ؟ إني أتمنى للأدب المصرى الحديث هذا المصير :
زواج الروح بإبلادة ، والسكون بالحركة ، والاستقرار بالقلق ، والبناء
بالزخرف .

٣ - من طه حسين إلى توفيق الحكيم^(١)

أنا معجب بأرائك في الفن المصرى وفي الفن الإغريقى ولكن لا أحب
لك هذا الإسراع إلى استخلاص الأحكام العامة وإقامة القواعد التى لا تثبت
للقدر والتجسس .

ها أنت ذا تقيم من الفن المصرى ما تفهم ، ويشاركك فيه كثير من
المتقنين ثقافة أدبية ، ولكن أوافقك أنت حقاً بأن قدماء المصريين كانوا يرون
عالمهم وعمايتهم كما تراها ، ويقيمونها كما تفهمها ، ويستلمونها كما
تستلمها ، وأرايتك لو سألت مصرباً معاصراً لمسيس عن رأيه في تمثال من
التماثيل أو عبارة من العبارات ، أيقول فيها مثل ما تقول .

ومثل هذا يقال في الفن اليونانى ، وفي كل هذه الفنون الصامتة فليس

(١) الرسالة ١٥ يونيو ١٩٢٢ .

من الظير أن نعتقد عالمها وحدها في تشخيص عقلية الأمم وروحيتها ، كل هذه عقدي أحكام يتجمل بها أصعبها ، ورساوتها على غير تحقيق ، وإذا فقد يكون الإسراف أن نقتطع هذه الروحية المصرية النامضة التي يسرع إليها الشك والتي تميز عن أن تثبت فيبحث ، والتي نؤكد أن تكون خيالا تميلته أنت وتعليه أصعبك من الأدياء ورجال الفن أساسا لأدينا المصري الحديث . فن يدري لعل البحث عن آثار مصر أن يكشف لنا بعد زمن طويل أو قصير عن حياة مصرية قديمة تفاير كل النابرة هذا الخيال الذي تعبونه وتطشون إليه .

نحن إذا أمام أمرين : أحدهما عرضة لشك الشديد لا نؤكد تعرف منه شيئا ، والآخر لا سبيل إلى الشك فيه : أحدهما حياة مصر القديمة وحضارتها العقلية — إن صح هذا التعبير — والآخر حياة العرب وحضارتهم ، وإلى أي الأمرين نلزم لنقيم عليه بناء أدينا الجديد ؟ إلى الشك أم إلى اليقين .

وهنا يظهر الخلاف بينك وبينى شديدا حقا .

.. ولكن رأيك في العرب وآثارهم في حاجة شديدة جدا إلى التفرغ ! فقد كنا نرى أن ابن خلدون جار على العرب فإذا أتت أشد منه جورا وأقل منه عذرا ، يسر الله لك من أسباب العلم لمختلف الأمم والشعوب ما لم يسره لابن خلدون . فإذا قبل من هذه للزريع الفيلسوف أن يتورط في الخطأ لأن عقله الواسع لم يحط من أمور اليونان والرومان والمهند والفارس والعربيين القدماء بما تستطيع نحن الآن أن نعطيه به أو نضمن فيه . فليس يقبل منك أنت هذا الخطأ ، وليس يقبل من الماصرين بوجه عام ، وقد ذهبت إلى مثل ما ذهبت إليه جماعة من اللغشترقيين منهم دوزي وريتان ، وأحسبكم جميعا تظلمون العرب ظلما شديدا وتغضون في أمرهم بغير الحق .

فلو أنسكتم ذهبهم تقارنون بين العرب وبين الهند والفرس والعربيين القدماء لما كان من حقكم أن تقدموا هذه الأمم في الأدب على الأمة العربية بحال من الأحوال ، لأننا لا نسكاد نعرف من آداب هذه الأمم في تاريخها القديم شيئا يقاس إلى ما بين أيدينا من الأدب العربي .

فإذا أردت أن تقارن بين العرب والرومان فأطعك توافق على أن الأدب العربي الخالص أرقى جداً من الأدب الروماني الخالص ، أي أن الأدب الروماني إنما ارتقى حقاً حين أثر فيه الأدب اليوناني ، فالرومان تلامذة اليونان في الأدب والفن والفلسفة والعرب يشبهونهم في ذلك . ولكن العرب كان لهم أدب ممتاز قبل أن يتأثروا بالمضارة اليونانية ولم يكن للرومان من هذا الأدب الروماني الممتاز حظ يذكر .

وقد تفوق الرومان في الفقه ولسكنهم لم يسبقوا العرب في هذه الناحية من نواحي الإنتاج ، ولعل الأمة الوحيدة التي يمكن أن تشبه الرومان في الفقه إنما هي الأمة العربية .

لم يبق إذاً إلا لأدب اليونان هو الذي يمكن أن يقال فيه أنه متفوق على الأدب العربي حقاً ، ولكن من الذي يقيس رقي الأدب في أمة من الأمم برقي الأدب في أمة أخرى .

وليس من شك أن الأدب العربي قد صور حياة العرب تصويراً صادقا ، فأدى واجبه أحسن الأداء ، وكل ما يؤخذ به الأدب العربي القديم هو أنه لا يصور حياتنا نحن الآن .

وأنت تميز اليونان بالحركة ونهضة العرب بالسرعة وتسليط من هذه السرعة ظلاً كثيراً لعرب . كما فعل ابن خلدون من قبل ، وليس من شك

أن العرب يشاركون اليونان في الحركة . ولكن ليس من شك أيضا في أنك تنقلو غلوأ شديدا في وصفهم بالسرعة ، إغا أسرع العرب في الخروج من بلادهم ، ولكنهم حين يلقوا الأعداء استقروا فيها وعال بهم المقام .

وأريد أن أودع هذه الملاحظات . أن اخلص إلى جوهر الموضوع الذي تريد أن تعرف رأي فيه : عناصر ثلاثة تتكون منها الروح الأدبي المصري منذ استعربت : أولها المقصر المصري النخالص الذي ورثناه من المصريين القدماء على اتصال الأزمان بهم وعلى تأثيرهم بالوثرات المختلفة التي خضعت لها حياتهم والذي يستمد دائما من أرض مصر وسماها ، ومن قبل مصر وصحرائها، هذا المقصر موجود دائما في الأدب المصري النخالص، فيه شيء من العصور ، وفيه شيء من الحزن وفيه شيء من السباحة وفيه شيء من السخرية

والمعصر الآخر هو المعصر الغربي الذي يأتيها من اللغة ومن الدين ومن الحضارة ، والذي ربما يقل فإن نستطيع أن نخلص منه ولا أن نضفنه ولأن تنكشف تأثيره في حياتنا ، لأنه قد امتزج بهذه الحياة امتزاجا مكوتا لها مقوما لشخصيتها فشكل إفساد له إنسان هذه الحياة وهو لهذه الشخصية ، لا تقل أنه عنصر أجنبي ، فليس أجديا هذا المعصر الذي تمصر منذ قرون وتزود فليست اللغة العربية فيها لغة أجنبية ، إنما هي لتفتأ وهي أقرب إلينا ألف مرة من لغة المصريين القدماء ، وقل مثل ذلك في الدين ، وقل مثله في الأدب .

أما المقصر الثالث : فهو المقصر الأجنبي الذي أثر في الحياة المصرية دائما والذي سيؤثر فيها دائما : والذي لا سبيل لمصر إلى أن تخلص منه ، ولا خير لها في أن تخلص منه لأن طبيعتها الجغرافية تقتضيه ، وهو الذي يأتيها من اتصالها بالأسم المتحضرة في الشرق والغرب ، يجاءها من اليونان والرومان (المعارك الأدبية)

واليهود والقيصريين في العصر القديم ، وجاءها من العرب والترك والفرنجية في القرون الوسطى ومجبتها من أوروبا وأمريكا في العصر الحديث .

وأخوف ما أخلف على هذا الروح المسمى شيطان : أحدهما أن تلجأ الثقافة الأوروبية عن الثقافة المصرية والعربية ، وكل شيء يفرقها ويؤذيها بما فهمت من ضرورة الحياة فن الحق علينا ألا نضيع حفظنا منها ولكن من الحق علينا ألا نفقد أنفسنا فيها

« تحول طه حسين عن هذا الرأي في كتاب مستقبل الثقافة » .

الفصل الثاني

معركة الكرامة

بين توفيق الحكيم وطه حسين

وقعت بين توفيق الحكيم وطه حسين معركة أدبية تحولت بها الصداقة إلى خصومة والودع والثناء إلى خلاف وعراك ، كأي توفيق الحكيم تاليا في الريف الله صديقه الدكتور حسين فوزي إلى طه حسين وقد نشر الله (أهل الكهف) فكتب عنها عيكل وصطفى عبد الرازق وطعها وبعدها هناك أمالي رأيه في توفيق الحكيم وقال عنه الله : أنت في الأدب فتا بديما ثم صدرت (شهر زاد) فتقدم طه حسين ولم يلبث الوقت أن تحول بين الكاتبين على الصورة التي سجلها طه في قصة الأديب المائل وتبكر الصداقة عاد مرة أخرى بين الأديبين وقد صور توفيق الحكيم موقعة من يمد في معركة (الصفاين الأباة) .

وقد صور سيد قطب في كتابه (شخصيات وكتب) أسرار الوقف بين الكاتبين فقال عجيبا على سؤال : لماذا قالت (أهل الكهف) إعجاب طه حسين ولماذا وقعت الجفوة بينهما حين صدور (شهر زاد) فقال :

هناك دلائل شفهية أشاطت بالموضوع — ولكن يبقى وراء هذه الملاحظات شيء ثابت .. هو طبيعة الدكتور طه وطبيعة توفيق الحكيم فالدكتور أوفر حظا من الحياة الواقعية وتوفيق أوفر حظا من التأمل والتجريد والقدكتور معنى بالفقوس البشرية كما هي ، يتبع خطواتها ويقف خطواتها ويتبع همساتها .. وتوفيق معنى بالذهن الإنساني المجرد ، يوغل في تأملاته ويسبح في فروضه .

ومن هنا أعجب الدكتور طه بأهل الكهف لأن مخلوقاتها من صنع

الطبيعة . وهذا وقت الجفوة بين الدكتور وشهر زاد — شهر زاد هي قصة توفيق الحكيم السكاف — على طريقته — هي قصة الزمن الإنساني المجرى من أوشاح البشرية ، هي قصة التلق الفكري والشك الذعبي .

رأى طه حسين في أهل الكهف

« أهل الكهف » حادث ذو خطر — لا أقول في الأدب المعصر وحده ، بل أقول في الأدب العربي كله . وأقول هذا في غير محظوظ ولا احتياط وأقول هذا متنبهاً به ميتهاً له . وأي محب للأدب لا يفتيط ولا يتبع حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن ثمة جديداً قد نشأ فيه وأضيف عليه . وأن باباً جديداً قد فتح للكاتب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه ويتقنوا منه إلى آحاد بعيدة وقيمة ما كتبوا تسدر أنهم يستطيعون أن ينكروا فيها الآن .

.. ولكن في القصة عهبان : أحدهما يسودني حقاً . ومهما أزم فيه السكاتب قلن أؤدى إليه حقه من اليوم وهو هذا الخطأ للكفر في اللغة ، وهذا الخطأ الذي لا ينبغي أن يتورم فيه كاتب فضاء عن كاتب كالاستاذ توفيق الحكيم ولا يراد في أن أكون قاسياً علينا ، وفي أن أطلب إلى الأستاذ في شدة أن يلقي طبعه هذه الجملة وأن يعود طبع القصة مرة أخرى بعد أن يصالح ما فيها من الأغلاط .

أما العيب الثاني فله خطره ولكنه مع ذلك يسير . هذا العيب يفصل بالمثل نفسه فقد غلبت التلقية وغلب الشعر على السكاتب حتى نسي أن للظفارة حقاً يجب أن تراعى فأطال في بعض المواضع وكان يجب أن يتوخى ، وفصل في بعض المواضع وكان يجب أن يبدل .

من توفيق الحكيم إلى طه حسين

استاذنا الكبير الدكتور طه :

إني أشكر أهل الكهف الذين قادوني إليك ، وإن كان هذا هو الغرض من يشتم في كتابي فقد حق البحث نبيح ، الحقيقة أن رعاية الدكتور طه هو آمن ما عصفى القديسون الثلاثة من كفوز ، وأن صداقته التي أطمح إليها يوم أكون خاليًا بها هي مفتاح على الأدب في المستقبل . إنه ليشتق على أن يعضى الأسبوع ولا ألقى الدكتور ، قلند وجنت في حديثه زاداً روحياً لا غنى لي عنه .

رأى طه حسين في قصة (شهر زاد)

.. شمس الله ما آثرت صاحب أهل الكهف ولا خصصته بثناء ، ولا رأيته ولا تحدث إليه ولا سمعت منه قبل أن أقدم قصة أهل الكهف إلى القراء ، وإنما قرأته فأحببته وأعجبت به ورأيت أن الحق يجب أن يعلن . وأن الكتاب المجيد يجب لهم حقلوم من الإعادة ليزدادوا رغبة فيها .

ولأعود إلى هذه القصة ، قصة شهر زاد فأعترف بأنها قصة أهل الكهف من جديد من الإنتاج في أدبنا الحديث لم يسبق توفيق إلى مثله ولا إلى قريب منه ، ولست أزعج أنها للتل الأعلى في القصص الثقيلة . بل لست أزعج أنها شيء يقرب من التل الأعلى ، ولكنني أزعج أنها أثرت في مقن مسع ، دقيق الصنع ، بأربع الصودة ، خلق بالبقاء والبقاء الطويل .

.. ليقال المناهضون على توفيق والحاسدون له ما يقولون فالأدب العربي الحديث لم يعرف مثل هذا الفن من الإبداع . بل مالي أقصدا فالأدب العربي

الحديث لم يعرف مثل هذا الفن . وأنا أرجو ألا يفتر توفيق بهذا الشأن ، الذي أهديه إليه سادةً غامداً وأود توذنه هذا الكتاب ، إلى العناية بفعه والتسكيل لما يقتضيه من الأدوات ، فهو في حاجة إلى كثير من الجرد والمنا ، ومن الدرس والتحصيل ، فهو في حاجة إلى أن يستكثر من قراءة الفلسفة ليقول عن علم ويذكر على حدى . وهو في حاجة إلى أن يعنى بالثقة ويتقنها ليستقيم التعبير عما يمرض له من الفواعل والآراء .

طه حسين : الأدب الحاضر

قصة تمثيلية للأستاذ توفيق الحكيم

الناس جميعاً يطمحون أن يحب الأستاذ توفيق الحكيم معجب بقله وأقل ما يوجب على الحب والإعجاب أن أكون رفيقاً شقيقاً ، حين يشتد القبط ويخشى من شره على الروس والنفوس والأفلام ، وهذا العنوان الذى وصفت به هذه النصه لا يبدو أن يكون اقتراحاً قد يمدل عنه الأستاذ توفيق الحكيم إن خطر له أن يكتب قصة ، فإ يقضى لثلاث ولا لثقل ، بل ما يقضى بغير ذلك ولا خير منى ، أن يقترح على الأستاذ أن ينصح له فالأستاذ اكبر من أن يقترح عليه مقترح أو ينصح (ناصح) مهما يكن مخلصاً أميناً .

أما الفصل الأول من هذه القصة كما كانت متوقع فى الامام للامنى فى أوائل الترويج فى حجرة من حجرات البيت الذى كفت أسكنه فى هليوبوليس إذ يقول على صديقان يجهان الأدب لأنهما أدريان وبمجهان . بالأستاذ توفيق الحكيم لأنه أديب . وهما يصعدان إلى من هذا الأستاذ الذى لم اعرفه ولا سمعت من حديثه شيئاً ، فهذان عليه بما هو اهله ، أو بما هو اهل لأكثر منه ، ثم يدغان إلى كفاها وضعه الأستاذ توفيق الحكيم ، وكان يود أن يهديه إلى

فولاً أنه لا يبرئني ولا يريد أن يلغاني حتى اقرأ كتابه وأكون لنفس رأيا فيه ثم يقصن على الكثير من الطرارة الغربية حتى يثيرا في نفس الشوق إلى لقائه وإلى النظر في كتابه ، فإذا انصرفنا قبل صديق ثالث ، فلا أكاد أحدثه بما كان من أسس السديتين حتى ينشئ على الكتاب وينشئ على الكتاب ويضع لي انه قرأ الكتاب مخطوطا قبل أن ينشر .

٢ - فإذا كان الفصل الثاني قد أخذت اقرأ في الكتاب فأرضى عنه ثم أعجب به ، ثم أكتب عنه عملا في الرسالة أسجل فيه هذا الإعجاب وذلك الرضى ، وملاحظات يسيرة لا بأس فيها على الكتاب ولا على الكتاب ، وما يسكاد يلقى السكار على هذا الفصل ويستريح النظارة في وقت الراحة بين الفصول حتى انتفى رسالة بركة ماؤها الشكر وعرفان الجميل ومصدرها الأستاذ توفيق الحكيم .

٣ - ثم يكون فصل ثالث ، وإذا بالأستاذ توفيق الحكيم قد سمى إلى من إنطبه الذي كان يعمل فيه ، وهو يشكر لي تشجيعي له وينظر في هذا الشكر ثم يلقى أموره الأدبية كلها إلى . ويطلب مني أن أكون مرشدا وحاميا لأزلي منه هذا كله سميدا به مبهجا له ، وأحدث إلى الأستاذ حديث الصديق المحب العجيب .

ويشكور هذا المنظر مرات .

ثم يسكون منظر آخر ، مجتمع معه مع أصدقاء ، لنا برفهم الأستاذ ، ونشاور في أمره هو لا في أمرنا نحن ، فهو يريد أن ينتقل من الأقاليم إلى القاهرة لأنه ضيق بمحاة الريف . وفي وزارة المعارف عمل قد يلائمه وهو يميل إلى هذا العمل ، ولكنني أنا لا أميل إليه .

والأستاذ وأصدقائه يلحون في العرض وأنا أبلغ في الرضا .

ثم بقي الستار ويتم إنتقال الأستاذ من الرف إلى القاهرة في حقله
الراحة التي تكون بين القبول .

ثم يكون منظر آخر أو مناظر أخرى مجتمعة فيها لقرأ بعض الكتب
التي يريد الأستاذ إخراجها للناس رسماً (شبرا زاد) فالأستاذ شديد التشكيك
تسبه عشيل الثقة بانه لا يظهر آثاره إلا إذا قرأته وأذنت بنشره ، وهو لا يدري أنه
قادر على أن يحتمل وعدم تيمة الإذاعة والنشر ، ثم تقوم من هذه الكتب
مناظر ، وأرجىء منها ما تروى ، وتحدث عن أهل الكهف وعن مبعثه الثانية
تذاع بين الناس فأقترح أنا أن أقدمها إلى الجمهور ، ويظهر الأستاذ وأصدقائه
الرضى بذلك والإذاعة له ، ثم بقي الستار ورفع وقادت الطلعة الثانية من
أهل الكهف وأبعثت أنا بالمقدسة السبعين أو نحو سبعين ، فينشر
الكتابات بغير مقدمة وبغير أن يتحدث إلى أحد في ذلك ، فيسرى ذلك
بعض الشئ ، فيسمى إلى الأستاذ في مقفلة جديد ويقتدر إلى بحضور من بعض
الأصدقاء ، فاسمع منه وأبديسم وأنماؤد عن إستيعابه وينصرف رائدا فإذا
أصبحت تلتفت منه هذا الكتاب باللغة الفرنسية وأنا أترجمه فيها بأنى .

ثم يكون منظر آخر يراني الله فيه حزينا آسفا ومشققا حزنا لأنى صدقت
هذا الكلام ، وخفت أن يكون صاحبه جاد فيه ، فانسكرت من نفسي
ما أظهرت من غيب ، وما إذا أسرع إلى التليفون فالتقى صاحبي في مظاته

أنا عزون حقا بعد فركت ذلما غلطى بدمية فقد كان يجب على الألف أن ساعيرة قبل
أن أخرج كتي مائة ترمي في مواني منك وتزدهى حرقا لطفه حين تجوزت في سبيله تكرم
من كل هذا . أتمنا أنت حقا تدين كبير ، فإن هذا وإن لا اعترف بأنى أنتج هذه النفس ولست
أنا خليفة بالحق ولا بك ، والله الآن ما كنت حزينا عذرا . إننا احتفظت بفتيك على - ١ - عرض
من كل حياة آتية وتقبل . ث الحكيمة .

كلها ، حتى يصلني به التليفون فأدأه به وألعبه وأرضاه وتلفظه له وأقبل منه وأهدى إليه حتى يرضى وتلشش نفسه التأثير أو التي كنت أحسبها نائفة وبهذا قلبه المضطرب أو الذي كنت أظنه مضطربا .

ثم تكون مناظر أخرى تجري الحياة فيها بينما كما تجري بين الأصدقاء . ثم تكون مناظر أخرى ، أسمع في بعضها اليوم لأنى أحب توفيق الحكيم وأقرأ في بعضها لشمس لأنى أكبر توفيق الحكيم وأن اسم يوم الاثنين وأصحبك لشمس الاثنين ، لأنى لم أحب هذا الكاتب إلا لأنه الحقى الحب ، ولم أعجب بهذا الكاتب إلا لأنه الحقى الإعجاب .

ثم أكتب إلى الصور فصلا عن الأدب التتيلي في مصر فلا يكاد يشر حتى يتحدث إلى من يتحدث بأن الكاتب الأدب منضوب من هذا القتل لأنى لم أنصفه فيه ، ولأنى زعمت أن قصصه التتيلية على حالها وروعتها قد لا تلائم اللعب للمصرى فلا أقبل بمحدث الحديثين وأقرأ في الصور بعد ذلك ردا من توفيق فيه عوج كثير فأقوم هذا الموج مداعبا لاسميه ملاحظا له . ثم يلفتني أنه قد سعى إلى يبقى مساء الاثنين الماضى فلم يجدنى فيه وتركلى بحبته ومودته وانصرف ثم أكتب عن (شهر زاد) فلا يكاد يظهر حديثى عن (شهر زاد) حتى ألقى من صديقى توفيق هذا الكتاب صباح الخميس ، لا يحمل إلى البريد وإنما يحمله ساع خاص ، ولا يكتبه توفيق بخطه وإنما يفرسه على الآلة الكاتبة ضربا ويقتل الصديق فيمضيه بخطه وأنا انشر هذا الكتاب لأنه سيكون باقيا على الدهر ولأنه سيقع من الكتاب والناقدين في هذا العصر موقع الوصية التي زعموا أن عبد الحميد قد أداها في الكتاب القدام . آخر أيام بنى أمية .

يظهر أي شيء الخط بذلك ، أو أنك ستري الخط من هذا الأسبوع - فاقدر قرأت ذلك من شهر زاد وما أحسبنا للافتنا فيه منذ رأيت ، فأما قولك أن أدخلت في الأدب العربي فما جدودنا وأنت لم يسمي لآية أحد ، فلهذا أسراف سبني لأن أعرفت لآية في خطابي حتى لايتك من أدب الجاهل ذكرت فيه ، يودون أن الجاهل ما سكت في إلقاء الحوار فتذكرنا بعض كتاب المسرح من الغربيين - فما أنا إلا أن يندفع ، وذلك أنا أحد السالرين في طريق حقة الشرق من قبل .

وأما تعجب البعض من اللفظ قلت أعتقد أن اللاد معاصر حتى الجزم ، وما يلتفت من البساطة حتى يصدرني فاقدر يتكلم في هذا - فإن الزمن وحده هو السكتيل بالمسك للامعالي بالتمام فأنا كما ترى لاأستطيع نفس يقول مثل هذا الكلام ، كذلك كنت أسمع لأحد أن يطالب بلسان الفصح فما أنا في حاجة إلى ذلك فاني كنت أريد أعرف ماذا أصنع ، ولقد أفقت الأمور أراهم ما أكتب قبل أن أفكر وأفصح - كما أني كنت في حاجة إلى أن يتل في فائد قراءة بيننا فاني منذ زمن طويل أعرف ماذا أفكر - وما أشك فيهم أن قرأت في القطعة القديمة والقيمة وحدها ، لا يتل مما قرأت أنت - وما أشك كذلك فيهم أني أعرف الناس بما عندي من نفس - وأعلم الناس بما احتاج إليه من أدوات ، فأرجو منك أن تصحح ما في أمام الناس ولا تضطرنني إلى أن أتولى ذلك بنفس .

وأؤكد لصديق توفيق أني لم أنشر كتابه هذا إلا تصحيحا لموافقة أمام رؤسائه وأمام نفسه . فبعل رؤسائه منذ اليوم أنه قد أساء إلى هذا وفي غير ما يبيع الإنسانية - وأنه قد قطع ما بينه وبين من صالة - وأنه قد سجل هذه القطعة في كتب - وإنني قد سجلت هذه القطعة في صحيفة سيارة ليشيع أمرها بين الناس ، والظن أن رؤسائه منذ اليوم سيقرون به - ويهتفون به ويحسون الرأي فيه - والظن أنه سيحس منهم ذلك فيطعن على منصبه ويستريح إلى رضا رؤسائه عنه ويتقدم له الأمل في المستقبل القريب والبعيد .

فأما قول توفيق إنني قد أسرفت حين زعمت أنه أحدث في الأدب العربي

حدث لم يسيقه أحد على اسمه له وإن كنت أعرف أن هذا الكلام كان
برضيه وأنه كان يجب أن يسمعه وأن يقرأه .

وأما أن توفيقا يشكر على أن أحكم على قصصه بالبقاء ، فهذا إسراف
منه كثير ، فمن الناقدين أحرارا فيها تعرف من ذلك وما تشكر ، مادام
الزمن هو الحكم الأخير في هذا الموضوع .

والغرب من هذا كله أن يرفض توفيق ما أعدت إليه من ثناء ، فلم يعلم إلى
لم أعد . لئن ألقى شخصه ليرفضه أو يقبله وأن شخصه لا يمتنع إلا قليلا معذ
الآن ، وإنما أعدت الثناء إلى نفسه وما زلت أعده إليه ولن يستطيع هو أن
يرده ، وكنت أحب له أن يفرق بين شخصه القافي ونفسه الباق .

أما أنه لا يسمح لأحد بأن يده على ما يقرأ ، وأنه قرأ في الفلسفة القديمة
والمدنية مثل ما قرأت على الأكل ، فأنى أحب أن يعلم أن ما قرأته لا يرضيني .
لنفس ولا لغيري ، وأسأل الله أن يفيض وإياه شر الغرور فهو مهلك للنفس
حقا ، وأما أنه أعرف الناس بما يفتقده وأعلم الناس بما يحتاج إليه من أدوات
وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى نقد نقد ، فهذا رأي في نفسه معذ الآن وهو لا يشرفه
ولا يرفع منزلته عند أحد وأحب أن يعلم توفيق إلى أن ارد عليه بعد الآن
ولن أسفل به إلا يوم يخرج لنا كتابا نقرأه . . ويومئذ سأعلن رأي في
الكتاب سواء رضى توفيق لم يخط .

من توفيق الحكيم : (خصومه) إلى ملة - سين

بشرت إليه أول النهار بالرسالة التي سألت « باقية على الدهر » ثم أويت
آخر النهار إلى بيتي فوجدت أسطر ذات « يتووفن » التي استعارها مني قد

روحها إلى فطمت أنها القطيعة ، فوكلت وأجعا في مسكاني وزالت آثار النضب
ولم يبق لي نفس إلا ألم هيبق .

لقد انتهى كل شيء بيني وبين الله . الدكتور طه حسين . . ولم استطع أن
أقرأ شيئا في أيلقي ، وما أن أنيل الصباح حتى أوقفت إلى الدكتور طه صديقين
كريمين بمادانته في أمر الرسالة ، فإذا به قد دفعها إلى الطبعة وإذا به يأبى
إلا أن يعلن الطسومة إلى الناس .

وحاول الصديقان عيضا أن يحولا بينه وبين هذا الإعلان . . . ولكن
الدكتور طه أراد أن ينتقم فتبادل القلم ووضع قصة روى فيها ما كان من
أمره .

قرأت القصة فذهشت . أي روعة وأي إبداع ! أنها قد أتتني أثر من آثار
الفن العظيم ، إني أشهد أنها هل في عظيم ، فيها من سمة التخيال وروعة
الأسلوب ما يحسن لها اليقناء .

أنها هي التي سبقتني على الدهر . وقد أنساني إظهارها الأولى ما احتوته
من النهايات قاسية وماذا بهم ، إن شعبي ليس يهتدى كثيرا . كما أنه ليس
بشيء صديق الدكتور محمد اليوم .

والغالب ظني أن الدكتور قد أسر على نشر ما لأنه يعلم أنه قد كتب
شيئا جميلا ، وإني الآن لأرضى أن يضحى شعبي الزائل في سبيل ظهور
هذه القطعة الباقية .

على أن القاري . وقد فرغ من القصة لأبد يسأل نفسه : ما كل هذا الذي
بين توفيق وبين الدكتور : وإني أمد القاري . بالجواب فأقول : لا شيء . في
دأبي غير صداقة لا يمكن أن تزول ، ولكن قامت خصومة بيننا اليوم أو في
الغد فهو خصومة من أجل الرأي والتفكير . .

وانه ليعلم أني أقدره أحسن تقدير وأضعه في نفسي في أسس إمكان
وأحفظ له على الزمن ما أصدى إلى من جميل ، ولا أنسى أنه هو الذي التقى
العضو هل وجودي . غير أنه يحفل . إذا فهم أن صداقتي إله معناها التزام
موافقته على كل رأي أدبي يبدى ، والتسليم والتأمين على كل ما يخرج من
قلمه أو من فيه إن الحكم المطلق إذا صلب في دولة السهاسة فهو لا يصلح في
دولة الأدب ، وإني لا أخال صديقي الدكتور نفسه يرضى لي أو يرضى لقبي
وتسكيري في هذه الحرب المقيدة .

هذه هي الغصومة التي بينه وبينى .

فهو قد إستهاء مني إذا عارضته في بعض آرائه ، ولقد استهزاء مني كذلك
يوم أخرجت الطلبة الثانية من اهل السكوف بغير مقدمة ، إن الحقيقة لا تملو
أني شخص بسيط لا أمقت شيئاً في الأدب مثل القدمات ، وإني روح حر
بأنى أن يقيد اسمه بتفسيرات .

أعتقد أن خير هدية أعطيها صديقي العزيز على ، هي « الحرب » وقد بلغ
من إخلاصي في صداقتي الله حين أن أعطيته « حربي » فهو ان ينسى أني
ما أنصرف في عمل أدبي بغير رايه . على أني أحب من أجهة أخرى أن أستعير
بعض هذه الحرب أحياناً لأناقشه في مسكرة من القسرك أو أحواره في مسألة .
فأنا كما يعلم الدكتور ذو طيبة لا تسير على نظام .

إني أعطي كثيراً ثم آخذ نهماً ، ثم أعود فأرد ما أخذت ، وعلى صديقي
أن يكون رجب العدر . . غير أن الدكتور لم يعرفني حق المعرفة . ولراء
بأخذ بعض تصرفاتي على سبيل الجدل ، حيث لا ينبغي أن تؤخذ في سبيل الجدل .
وبعد فباصديقي الدكتور أنا مهزون حقاً . فقد فسكت فإذا خطبتي
بديهية فقد كان يجب على الأقل أن أشير لك قبل أن أبعث بهذه الرسالة .

فلذا ترى في موقفك منك .

إليك الآن ما تحت مزيجي عليه : « إذا احتفظت بنفسك على ذمأعرض
عن كل حياة أدبية » .

أحمد بهاء : لماذا يخاف توفيق الحكيم من طه حسين^(١)

حضرت ١٩٤٩ على ما أذكر محاضرة إذ كثر طه حين القاه في نادي
الطريق عن قصة أوديب في الأدب المختلفة ، وكان توفيق الحكيم قد أخرج
منذ قليل مسرحيته الملك أوديب وبعد أن تحدث طه عن مسرحيات أوديب
التي كتبها سوفوكليس وأندريه جيد وجان كوكفو وغيرهم تحدث عن
توفيق الحكيم تجاهه مجرماً قاسياً عتيقاً وقال إن توفيق الحكيم أفسد
القصة إنساناً شنيعاً كأشنع ما يكون الإنسان .

وقال إن الذي ينقص توفيق الحكيم هو أن إن يقرأ وإن يقرأ كثيراً
مع أنه يتباهى بدرجة الأدب اليوناني والتميلية اليونانية ويبدو أنه درسهما
درساً مقروئاً ونهما أهد تواسماً ، ولا حظ أن توفيق لم ينظر حتى إلى
خريطة اليونان ليخبر أن مدينة طيبة — مسرح مأساة أوديب — بعيدة
جداً عن البحر على عكس ما يقيم من تمثيلية توفيق الحكيم .

(١) روز اليوسف — العدد ٣٥٥ .

الفصل الثالث

معركة الصفاء بين الأدباء

بين توفيق الحكيم وزكي مبارك والقاد والزيات

كان توفيق الحكيم قد دعا على صفحات (مجلة الرسالة) إلى الصفاء بين الأدباء ، فالتفت دعوته صراخا وسجلا عجيبا ، كما انفتحت له أبواب المصونة والمبارك ، ذلك أن زكي مبارك لا يرى له وقال أنه إنما يقصده بهذه العبارة ، وقال توفيق الحكيم أنه مامن العجب ولقد يشبه بيدهم (أنصاعهم كلمة عامة قطع النام ثم كذب عن حقيقته الأبرق) قال الذي أوحى له بها هو جمال القاد الذي يشكر فيه طه حين أعداده بإيه دماء الشكر وان وقال : وفي الحق إن لم أجيد بالمثال الرقة التي كنت انتظرها واستأثرت في نفس من الأستاذ القاد بنى الأستاذ وأنا الذي بدت أنه يغني وراء القناع الكبير والتكبير غشا طيبة تتغير ... إذا الطباةت بأجل حائله وأبلى إحساس .

وأصبح تطلق الحركة عن هذه توفيق الحكيم بالانقطاع عن الأدب وأضحى بالانفصال على صاحب الرسالة اطلاق قام زكي مبارك : وهذه ملاحج الحركة :

١ - توفيق الحكيم : تواضع الأدب الحق

ما يصدر عن الالتفات أحيانا نكتة لينة التي يخاطب بها بعض الأدباء زملاءهم فترام يقولون (زميلنا أو صديقنا فلان يطلب إلينا كذا ونحن نقول له كذا والأجدر أن يسألنا كذا) إلى آخر هذا السكير والتكبير في التعبير .

هؤلاء نسوا من غير شك أن تكبير الأدب الحق وتعالوه هو في الفسار والتفكير لا في مخاطبة الآخرين . إلى أرى شمار الأدب الحق هو (تواضع في معاملة الناس وتعال في معاملة الأنسكار ؛ فقد آن الأوان لأذكاء الشعراء أن يتقوا بالمرصاد لكل أدب يحاول أن يتماظم بالخط

من قدر غيره وإن رفع قدر نفسه بوسائل لا تنصل بموجر الرسالة العليا
لتفكر والأدب .

حدث ذات مرة أن فضل أحدهم ذكرني بقوله: صديقاهان ، فساءلت
أهو يريد أن يشرفني بمذاقته أم يشرف نفسه بمطليها على حسابي .

يقولون أن الذوق شيء ليس للكاتب ، ولكني أقول إن الذوق شيء .
يعني أن يكون في طبيعة كل كاتب .

١ — من ذكرى مبارك إلى توفيق الحكيم^(١)

صديق العزيز!

قرأت لك في الرسالة منذ أسابيع كلمة صغيرة تذكر فيها أن في مصر
كانت قال في سياق حديثه أنه صديقك . وأنت نفسك إن يشرف الناس
انضمهم بالانضمام إليك . ولم يخطر في البال أني مقصود بذلك التهمة . لأنني
أعرف أن مغزائي في نفسك لا يبيع لك أن تقع في مغل هذا الخطأ . ولكن
ناسا حدثوني أنك تريدني بتلك الكلمة الصغيرة وقد أردت أن استوثق من
يقطك . فكان جوابك أن تلك التهمة موجهة إلى فلان قبل أجد عندك
من الشجاعة ما تقوى به على التصريح باسم ذلك فلان . أوضح ، أوضح
فإن لم تقبل فمأنوب عندك في الإيضاح . صمغ الزمن ماصع . واستطال
الدمع ما استقال . فمن يمزيني وقد استباح بعض الناس أن يكتب كلمة
نوم الله أكبر من أن يكون صديق .

(١) الرسالة ١٣ أبريل ١٩٤٣

٣ - الصفاء بين الأدباء : توفيق الحكيم^(١)

كتب قد نشرت في الرسالة كلمة وظاهر من روح هذه الكلمة أني أحض على توفيق صلات للودة الصداقة بين الأدباء بدعوتهم إلى فيضان الأفكار التي قد عذت في نفوس زملائهم شيئا من الاعتراض ، ولكن الدكتور زكي مبارك فهم الأمر على وجه آخر .

ثم سألتني : نقلت أدب واحد قد عنته بالقرات ، « إنا هي كلمة عامة لنفع العام ولئن كان لابد من مقاسه أوحث بهذه الكلمة فرعا كانت مقالة الأستاذ عباس المقاد التي يشكر فيها الدكتور طه أهداه إليه « دعا السكروان » .

وقى الحق أني لم أجد بالمقال الرقة التي كنت انتظرها ولستأت في نفسي من الأستاذ المقاد بعض الأسفيا . وأنا الذي يعتقد دائما أنه يعني دوا . قناع السكر والسكر نفسا طيبة تنفجر إذا أطمأت بأجل عاطفتها أبل إحساس . فالذي يستطيع التأثير في نفوسا بسكتاباته الإنسانية عن السكرب يهجر لابد أن يحمل نفسا خليفة أن تفيض بالودة نحو إنسان .

تلك هي الفاسية يادكتور زكي . ولكنك شئت أن تحمل الكلمة على أنها غمرة مني لك ، وأنا أهد الفاس عن الغمرات خصوصا إذا تعلق الأمر بشخصي فأنا لم أنشر قط يوما كلمة تعدت بها إيقا . أدب في شعوره . أنا الذي يجره على مهاجمة المبادئ والفظم إلى حد التعرض للخطر . لأحد من اللاتني بأدب أن يهاجم أدبيا لم يحدشه في كرامته . لأن الأدب قبل كل شيء مؤدة ومحبة ورحمة وصبا ، على هذا الوجه نهبت دائما الأدب هو مستع

(٢) الرسالة ٢٠ أبريل ١٩١٢ .

(١) انشارك الأدبية .

الجمال . وعلى الذين يصفون الجمال أن يتناولوا كل نفوس جميلة ، وأن لا الذي لا يخلط بالذات والأدباء ، إلا قليلا في طبعهم من وحشة وكآبه أشكو منها نجدني مع ذلك أحب الأدباء وأقدرهم ولا أقول أنهم قولهم سوء ؛ غير أني أحب الصديق العزيز وانت تأخذ كلتي على أنها موجهة إليك قد ذكرت لي أسباب ظلمك فتعرج بها بعد انصرامك فأنصح لي إنك على حق وأن الكلمة تبقى أيضا أن تصرف إليك فقد تستعمل أداة التعظيم في مخاطبة الزملاء من الأدباء ضادا . فتجرب أن أشكو منك ومن كل أدب يسهر عن واجبات التواصل وللوثة والحبة التي تؤلف بين نفوس الأدباء جميعا وتجعل منهم دولة متعددة مفرها حديقة الصفاء الفناء . .

وليسمح لي الدكتور بأن أوجه إليه كلاما وجهته إلى الأستاذ أحمد أمين منذ ستة أعوام فقد نشر بهمة مانية من فكرة خيرة . لقد قلت وقتئذ : لا شيء في الوجود أقوى من الانقياسة ولكن من ذا الذي يعطى القدوة على الانقياس الصالح الجليل في كل موقف وفي كل حين ، أهو الجبار وحده ، إلا ترى معنى الجبروت إمام هو الصفاء .

« إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابسم للقدرة إذا ينش بك ولا ينش بأحد » تلك كلمة لعمر الطهام فإن كنت في رأي من هذا فإن لي عندك حاجة « أن نشر معي تلك الإقسانة بين الأدباء فإن الأدب شيء جميل ؛ هو جنة لا تسحب فيها وهو مبدد لا تدخله الاحتداد . وإن ظاهرة في أدبنا أنه لا يوجد فيه صداقات عظيمة جذيرة بأن يتحدث عنها تاريخ الادب ، ما الذي يمزجنا نحن ؛ أهو شيء في الخلق . أم ضعف في النفس . أم هو نقص في الصحافة ، است اعلم .

٤ - من العقاد إلى توفيق الحكيم

عندى تعلق على كلمة عجيبة سميت إلى كتابتها الأستاذ توفيق الحكيم وهو في قبضة الأديب الفلاح الدكتور زكي مبارك ، فقال كلاما لا يحسن السكوت عليه .

فلذا قال : قال ما اعتاد أنه « صيب عليه » لأنه لم يجد في شكري للدكتور طه حسين تلك الرقة التي كان ينتظرها لا أدري ولا أعتقد أن الدكتور طه أدهم بأن ينري أو احتاج إلى رقة الأستاذ توفيق الحكيم أو أو شككت أن تسيل عبراته ، لم ، والله لا أدري . وقد أدري ويذري القارىء متى بعد قليل .

عندى قصة صغيرة اهدتها إلى الأستاذ توفيق الحكيم لأنه رجل قسقى يجب أن يخاطب بأسلوبه .

وهي قصة لا تتجاوز بضعة سطور ولكنها تليد .

قيل إن الدكتور طه حسين خرج من وظيفته بالجامعة المصرية قبل سنوات وقيل إنه أتى على الأعداء توفيق الحكيم في يوم ما كتب وهو على جفوة رؤساء تلك الأيام وقيل أن الأستاذ توفيق الحكيم اشفق من مغبة تلك الجفوة فكتب يقول : إنه لا يريد مدحاً من أحد . وكان رفيقا جدا فها قال : وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح وقيل في قصة أخرى - لأن القصة الأولى انتهت والحديث - إن الأستاذ توفيق الحكيم يسيل رفته حين يفكر أن الدكتور طه حسين رقم من شأنه بما كتب منه لأنه الخبز في وصف أوبيه وفي وصف أديب . فلم يرفع من شأنهما على ما يزعم ، وهما في الحق أرفع شأنًا عند الناس كثيرين من صاحبي الحكيم .

وأدرك شهر زاد الصباح أو مساء على قصة أخرى تمثل اليوم مع العقاد

لأن خصومته قد تشبه خصومة الدكتور طه حسين قبل سنوات . . فا الرأي في إمكانية تشميل على قبول كهذه الفصول . أليس في التثليل عوى لصاحبها الحكيم . .

• — الحكميم : خصومات ادبية (١)

من كان يتصور ان دعوى إلى السقاء بين الأدباء تنير خصومات لو ذكريات عن خصومات فلقد كتبت الأستاذ المقاد في الرسالة . . .

والتعليق على هذه القصة الطريفة لا يحتاج إلى عفا . لأن الأساس الذي بنيت عليه ، وهو شبهة الخصومة بين وبين المقاد قد انهار في اليوم ذاته الذي ظهر فيه مقال . فقد طلع حسن الخط في مجلة الثقافة في مساء ذلك التمرأخمة من المقادوثاء على كتابه عبقرة محمد بما هو أهله .

يضاف إلى ما تقدم «أن ما يدريه المارثون وأما شك ان يدريه غير المارثين» هو أن موقف اليوم يشبه في كثير من الوجوه موقف المقاد . وأن بين الجلات والصحف والأقلام ما يمان بعرجى وخصومتى بمختلف الأسباب لمين الأخراس .

... إن-تيقة المصومة يثير وين طه حسين في تلك الأيام (عام ١٩٣٤) كانت خصومة أدبية صرف ، ولكن الدكتور طه اراد يقدم فيها عنصر السياسة ليطهر في صورة (يهودا) ويظهر نفسه في صورة (المسيح) فاخترع تلك القصة اختراعا ولكن الحقيقة ما لبثت ان ظهرت واضحة مينة .
... وهناك قصة أخرى للأستاذ المقاد ومهداة إلى ايضا . وربما احتاجت

إلى تعليق طويلا لأنها تحس قضية أدبية تحدث في جميع الآداب في كل زمانه
ذلك هي قصة الناقد والسكاتب . فقد ذكر الأستاذ العقاد أنني أنكر أن الدكتور
عليه رفع من شأنى بما كتب عنى ، وأنا حقا أنكر ذلك كل الإنكار ومن
يحرص على كرامة الفن لا يسه أن يقول غير هذا القول . فما من مغلف على
الأرض يرفع أو يخفض من شأنى غير نفى ولما ترجم هذا الفن أو بعضه إلى
لغات أجنبية وجد من أعلام نقاده من يرفع شأنه كما وجد من اللغة العربية
عليه وأمثاله

فأقول هو الذى يسكر نفسه أو يعتز بها في كل مكان وزمان يحمل فيها .
حقا : أن الدكتور عليه حسن استقبال كتاب أهل السكف استقبالاً رائعا ،
ولكن لا ينبغي أن ننسى غيره . فبرأية تاريخ المطبوعات يتضح أن أول
من نوه بالسكاتب نوحيا جيل كان الشيخ مصطفى عبد الرزاق ثم الأستاذ
النازى ثم الأستاذ العقاد على هذا الترتيب . . فلما المدان عليه حسين إلى آراء
هؤلاء . أقبل فصاح صيحته الشهيرة كأنها صيحة (يوحنا المعمدان) وهو
يبشر بالمسيح فقد قال بهذا النص (أما قصة السكف فحدث ذو خطر لأقول
في الأدب العربى المعصرى وحده بل أقول في الأدب العربى كله وأقول هذا
من غير تحفظ ولا احتياط وأقول هذا متنبطاه مبتجها له ، وأى محب للأدب
العربى لا يتعبط ولا يتعجب حين يستطعم أن يقول وهو واثق بما يقول أن فنا
جديدا قد نشأ فهو أضيف إليه . وأن بابا جديدا قد فتح للسكاتب وأصبحوا
قاصدين على أن يلقوه وينهروا منه إلى آحاد بعيدة رفيعة ما كنا نقدر أنهم
يستطيعون أن يسكروا وانهم الآن . نعم هذه القصة حادث ذو خطر يؤرخ في
الأدب العربى عصرًا جديدا . .

ويمكن أن يقال : نعمت الأدب العربى وأضانت إليه نروة لمنسكن له : ويمكن أن يقال أنها قد رقت من شأن الأدب العربى وأقامت له أن تحت للأدب الأجنبية الحديثة والقديمة .

... ولعلهم بأن طه حسين هو الشهيد الأول بشأن أهل السكف ومؤلفها .
فهل هذا حدث جديد فى تاريخ الأدب ...

لم تسع من قبل أن الناقذ إذا أتى على كتاب حسب أنه تقبل على مؤلفه ورتع شأنه من المضمضى وأن على المؤلف واجباً مقدساً هو أن يشتري من قوره سبعة لكىلا يفس أن يسبح بحمد الناقد أباد المبل وأطراف النهار . . .

ولكن من الانصاف أن أقول : أنى لأنتك فى أن طه حسين أول الأمر كان يصدر حقاً عن عقيدة الناقد الذى يؤدى واجب النقد ولأن وحدهما ، فلم يسكن قدر أنى وما كفت قدر رأيه . وما كان تصادم الطبع وتصلال قد لب جوراً فى تقدير الأمور . وسواء كان طه مخطئاً أو مصيباً فى رأيه الذى أبداه فهذا ليس من شأنى ولا من شأن الأشخاص ، إنما هو شأن الناقد .

على أنى إذا تفرغت للنقد برما ، فافى أرجو أن أؤدى واجبى بمثل هذه الحرارة والأمانة والقوة نحو آثار طه وغيره من الأدباء .

أما مشاعرى الخاصة كإنسان نعو الدكتور طه فليس الطرف اليوم موانيتاً للاضطباب فى وصفها وسأختار الزمان والسكان الملائمين الخاصة بها دون أن يجعل فعلى على غير محله .

وأخيراً أوجه خطابي إلى الأستاذ العقاد قائلا :
• • إنك للمرة الأولى تخاطبني بهذه اللمحة التي كنت تخاطم بها الرأى
وحدة الله .
أبغض السرقة فضع الناس في صف أعدائك ، لكلك لفرط مافلسيت
من شر الناس ولتلق ما وجدت من خيرهم ، أصبحت مثل (هملت) تسأل
سهفك للتغريب من خلف الأستار دون تعيين الوجوه فطفت صديقا
وأنت لا تدري

٦ - عباس محمود العقاد . صدائيات الأدباء (١)

• • • والأستاذ توفيق الحكيم أرباب الصفاء بين جميع الأدباء . فهل أراد
شيئا يسكن في هذا الدنيا . وهل أراد حقا . وهل توصل لأية بوسيلته المثل ؟
أن ثلاث (لابات) مقدمات هي أصف جواب على هذه الأسئلة الثلاث ،
فالصفاء بين جميع الأدباء معناه الصفاء بين الناس وليس هذا بيسور ولا هو
يلتزم للأدب والأدباء .

• فالأستاذ توفيق الحكيم هنا لم يطلب شيئا . يجب .
ولسكن نمود لتسأل : هل طلبه حقا . وهل اجتهد في تحقيقه فتوصل إليه
بوسيلته المثل ؟

إن الذي يطلب الصفاء لا يبحث عن أسباب السكدر بملقاطا يعلتها خلقا
بين رجلين على أحسن ما يسكنون من الصفاء .

أعدي إلى الدكتور طه حسين قصة (دعاء السكران) فحصل هذا الالهام
موضوع مقال من أبحاث النفس في معنى السكران ودعاء السكران وذكريات

السكران وقرأه كثيرون من الأدباء، فحدثوني عنه حديث رضى وسرور،
وفي مقدمتهم الدكتور طه مبدى دعاء السكران :

أما الأستاذ فتوفى الحكيم فاداً صبح .

لم ير ضه ما أرضى الدكتور طه ولا ما أرضى الأدباء ولا ما أرضى
كثرة القراء .

وراح يتحدث ويسكتب ليقول : هنا صفا . . . فسكتب يالله يلين
هذا الصفا . . .

ثم وجه إلى يمدأ يأم أخرى خطايا قال فيه . . « انك المرة الأولى تخاطبني
البح ولا أظن أني أشبه همت في كثير من خصاله وفعاله ولسكني إذا سئلت
لم صمعت صديق (جئت) أفلا يجوزني أن أسأل : ولم الوقوف وراء الأستاذ
وأولى من ذلك الخروج إلى وضع النهار : أليس هناك بعض القوم على من
يفتت خلف الستر ليسمع ما يسمع أو ليتول مالاً يقال . .

... ومرة أخرى ان الأستاذ الحكيم يذكر التعلل في موقف السكتب
وينسى أنه اختار لأدبه عنوان « البرج العاجي » وهو عنوان الأدب المصطلح
على وصفه بالتعلل بينة « الغرب وشمراته » ، فليترك برجه العاجي إذن أو
فليتركها نحن التعلل ويتواضع كأنثاء .

أن كان يبنى هؤلاء، وأمثال هؤلاء، فهو واجد في الأدب العربي الحديث
صداقات من تلك الصداقات ورايد من همتهم في الغرب فتأثر لما تشكوه
من همت الزملاء للبريين والشرقيين والطبيمة البشرية واحدتي كل مكان.
تلك أصدق حكمة من الفاس قالها انسان .

٧ - توثيق الحكيم^(١) الصفا، (أيضاً)

كانت دعوى إلى الصفا، بين الأدباء، خالصة لوجه الأدب .. فأديا مصر البارزون الدائبون على الانتاج لا يهجاوز عددهم المشرقة على التسامح الشديد . كان الأجدد يتناغم المشرقة أن تواجه سرعتها لا إلى يعضها البعض بل إلى الفن ومصاعبه وأسراره .

ولكن الأستاذ المقاد في مقاله .. رد يقول أن صاحب الدعوة إلى الصفا، هو الذي بحث في أسباب السكر بملقاط ليختلها خلقا بين رجلين على أحسن ما يكون من الصفا، فإذا صبح هذا الزعم كان حقا بما يدعو إلى الأسف بل إلى السخرية . ربما كان ظاهر الواقع قد تبدل على ذلك ولكن هل كانت تلك حقيقة للقاصد والموالما .

وقد رأى الأستاذ المقاد أن يجزى واحدة بواحدة فلم يفته في ختام مقاله أن يبين هو الآخر سببا من أسباب السكر بين وبين الدكتور طه حسين لقوله أن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى قنأ الدكتور طه عليه مؤسفات؛ لم نسمع في غير مصر أن القائد إذا أتى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الخفيض ... الخ .

ومعني بصوري في هيئة التناكر للجميل . والأستاذ المقاد ولا شك قد فهم إلى ما قصدت بإيراد هذه العبارة وأدناها إلا مجرد إظهار الإساءة لطله حسين وهو في أوج نفوذه . فقلت مانعه و أن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإساءته لا لرضائه »

(١) الرسالة ٨، يونيو ١٩٦٢ .

الحقيقة أنها كانت قصة انتهت مع الأسف بانتهيار صداقة من أعظم الصداقات التي عرفها أدينا للعاصر :

ثم تحدث توفيق الحكيم عن قصة أهل الكهف ورأى له حسين فيها وصداقتها التي قامت على الأثر وقال (. . . ولكن وأأسفاه لقد تنقلب أولئك الشامتون واللامعون آخر الأمر وظروا بآثارهم وأشعلوا نار الزئيمه بيننا واضمين أيديهم على مواطن الضعف فيها ، وضف النفاق هو عزته وكرامته ، وإن شئت قتل غروره . . . وهكذا لم يستطع له حسين أن يحتفظ طويلا بإتسامته وضحكته أمام السامعين بالسوء . ولم أستطع أنا أن احتفظ بالتراني فانشق اللوحة الصادقة وأضحي بالمرزة الكاذبة .

وبهذا حملنا تلك البوهرة التي مضت بنا ياها السما . . . ومن أجل . . . من أجل ماذا ، لست أدري ما حدث بعد ذلك ، فذا كرتي الآن لا تستغني ، كل ما أذكر أننا حاولنا أن نرم ما نعلم . . . ولقد أقمنا مما بعض الصيف في جبال الألب فضحكنا كثيرا وغرورا طويلا بل لقد ألقينا معا هناك كتابا ولكننا مع ذلك لم نتمكن الصداقة الأولى لذا ، لم شينا في نفسي لم يسكن صانها كل العفاء أو في نفسي أنا على الأقل إلى أعراف ؛ لقد كنت أمتنع عن كل ما يؤخذ على أنه ملق أو زلق لقد كان له حسين وفقت هو شخصية ذات غاوده وأنا أكره أرضا أصحاب النفوذ .

ولكني الآن وقد وضعت بين تهنتين : الزلني ونسكون الجميل في أي لوفر التهمة الأولى فلقد سبق أن اتهمت بها في مجال السياسة ؛ أن الشهرة قد جاثني حقيقة ببعض اللال ولكن ، هل كنت مهداجا إلى ذلك اللال إلى لم أكن مسمرا ولا مقفرا جاثني بالمرکز الاجتماعي ، كلا لقد كنت قبلها من رجال

التضاء المحترمين ولواني بقوت كذا لك ولاشيء غير ذلك لظنرت بالحياة الحاجة
الوردية الدائمة على الأكل للمدالة والداس ، ولكن الشهرة وما يحيط بها
من الاشاعات والاقاويل والأباطيل قد حالت بيني وبين ذلك الخير ، فيعد
إن كانت تنس لي على الأسر وأغاني التضاء سواقي الفتنة والمهينة أصبحت
تفر مني اليوم .- قد جاوزت الأربعين وما أبصر في الأفق طيف واحة
مورقة في صحراء حياتي المحرقة .

ماتمة الشهرة بنير سمادة وماتية الأدب والفن بنير هباء .

٨ - زكي مبارك : أحزان توفيق الحكيم

لم أكن انتظر أن يكون هتي على الأستاذ توفيق الحكيم (١) فرصة
لمجادلات ومساجلات يجري بها قلبه مع الكتاتين المظلمين عباس العقاد
وطه حسين .

يظهر أن أحزان توفيق الحكيم لن تنجيه من (الوقوع في قبضة الأديب
الغلاخ) فأسمعه اليوم كلاما يسره في حين ويهزئه في أحيان وقفا
لحالته النفسية .

دار الأستاذ الحكيم في رده على الأستاذ العقاد جول (نفوذ) الدكتور
طه حسين فماداً يريد أن يقول :

هل يقوم أن نفوذ الدكتور طه نجمة تميزه شر أفلامنا إذا رأينا
اعتراف ، وما احتاجنا إلى نفوذ طه حسين ونحن نعرف أن ذلك النفوذ بلا
عليه ، يستطيع الدكتور طه بسكافاته العلمية أن يكون أكبر موظف في
الحكومة المصرية ولكفه لا يستطيع الزعم بأن سلطان القلم يفوقه أي سلطان .

الدكتور طه رجب ضرار نفاع ، ولكن من الميب على حامل القلم أن
يرجوه أو ينشاه . فما معنى هذا الذي تقوله بأعم توفيق .

... صدقتنا توفيق يتألم ويتوجع لأن شهرته الأدبية أبدته من الانحطاط
في سلك القضاء . فما معنى هذا . معناه أن الرجل يعيش بين رجال الأوب عيش
الفرقاء . وإلا فهل يجوز لكاتب له عقيدة أدبية أن يقوم أن في الدنيا حقا
أرياب الأقلام .

وصدقتنا توفيق الحكيم يقول بمهارة سرمدية أنه لا يجد أسرة تعطف
عليه فتوجه إليه يسكن إليه وتسكن إليه لأن الشهرة الأدبية أضافته
إلى المشهورين .

غضبته الادب عليك يا توفيق فما أودى الادب بأفئع ولا أبشع ولا أظلم
مما جرى به قلبك الاخرج .

أيهون الادب على أهله إلى هذا الحد من الهوان البئيس .

أيكون نفوذ طه حسين شيئا يخالف فتعبر فيه المقالات الطوال القرائن
آه . ثم آه .

لو كان بيدى شيء من النفوذ يلقى توفيق إلى جزيرة « واق اوراق »
لعمري أبقاؤنا ونلاميذنا أن للادب سيطرة صافية تفيض التأدب مع غير
صاحب السواء .

أت في جماعتنا دخول يا توفيق ، لانك تقدم علينا رجال القضاء ولا لك
تهيب أصحاب النفوذ .

٩ — توفيق الحكيم : الصفاء بين الادباء .

صدقتى قريبات ؟ حتى أنت قد جاب أجلي فبك ! أنا الذي دعا إلى الصفاء .

بين الادباء كما رأيت وبذلت في ذلك ما بذلت ؛ فإذا كان كل هذا يسفر عن كلمة سمعت أنت بنشرها في العدد الاخير من الرسالة كلها ايذاء لشخصي دون ميرر ، كلمة لم تدع إليها مساجلة أدبية ، ولم تلج بها الادب والفكر ولكن دمت إليها شهرة المجهوم والتجريح لجرد الزهو والتفيل . بالمجهوم على وتجرى .

ولعل السبب الوحيد في ذلك أنني رجل هادئ الطبع كما تعرف ، نزاع إلى الخير ، يفره القلم عن أن يستخدمه راوه ليلطش . وكنت أحسب أن الشجاعة الحقيقية هي في إحترام أصحاب هذه المبادئ والنزعات . ولكن سدمني حقاً ما رأيت من أن الادباء في مصر - مع الاستثناء - لا يحسنون حساباً لغير السكاكيب الذي يبرز مغالبه ، ويسكت عن آلياته . ويتبعاً دائماً لوثوب .. أنا الذي أراء من الادب أن يكون حذقة غفلة سياجها والصفا . إذا في أراء حرساً من الاحراش الأهولة بالضواري .. ما هي في واقع الامر رسالة الادب إلى العصر ؟ أي شيء آخر غير ترويض كواكب الناس وإقناعهم أنهم أرقى من الحيوان . أن الادب الرفيع هو الذي يثير المشاعر الرفيعة بما فيها من صدق وحب وخير وجمال . . وأن الادب الوضعي هو الذي يهيج فيها الغرائز الحيوانية بشهواتها لفتك والبطش والمدون . .

كنت أظن بأصدقائي الزيات - أن تلك هي رسالتك . وإن عملك في مجالك هو توجيه الادب إلى هذه الغاية النضلى .

خاب أملى نيك . . . إنما الذي غيب أملى هو إني رأيتك قد حدث قليلاً عن رسالتك في (الرسالة) وفي هذا خطر على شرف الغاية التي عاهدت نفسك والناس عليها . . وقد أنقذت لك إهدار حق الصداقة والزمالة ، أما عندهم فلا . .

هنا ونفترق . وليكن اليوم آخرى عهدى بك و (باصالة) والأدباء . لن
أكتب شيئا لك وإن أذكر بعد اليوم أدبيا يحير ولا بشر . سأصمت من
أشخاصهم أصبحت القبر لأنصرف إلى الانتاج وحده من حيث هو انتاج .
فلا أمل في صدا . ولا أمل في عودة بين أدباء . . على أنى قبل ذلك أحب
أن أنوه بحق لك عهدي وفضل لا أود أن أنساه : لقد كتبت أنت الذي اقترح
على فكتور تدوين ذكرى بالى للتسمية من عهد اشتغالى بالقضاء . فخرج كتاب
في يوميات نائب في الأرياف وربما لم لك ما أتجه ذهني إلى هذا الأمر ولضاعت
إلى الأبد معالم تلك الأيام .

١٠ - من الزيات إلى الحكيم

للم يكن التمسك عرضا ملازما لك يا صاحب أهل الكهف ذكرت أن
اسم الزيات ، لا زكى مبارك ولو أنك ذكرت ذلك لما كان منك ذلك الكتاب
ولا كان مني هذا الجواب ، ولكنك لا تستطيع أن تفكر أنك كقوت بنفسك
وكذبت برسالتك لأن الرسول الصادق لا ينظر بالكاذب وهو يبشر بالسفوف
ولا يبادر إلى القطيعة وهو يدعو إلى الصلة .

لم يسكن برسالتك غير العقاد ولا شك في إخلاصك للأدب غير المبارك
فما ، يالك بالتوفيق نين قبل التعذيب وتلقى بيدك ورجليك إلى الصليب
وقضض بهذا الميزع نبوة الأدب .

تقول أنى حدث قليلا عن رسالتى في الرسالة وقليلا هنا معناها (زكى
مبارك) وزكى مبارك بالتوفيق لون من ألوان الأدب المعاصر لا يد منه ولا
حيقة فيه ، فهو اللاك الأدبى في ثنائنا الحديثة : أما عنقه وشبابه فهو الطبع
المميز لونه ، فلو شئت أن تجرد هذا اللاك المبارك من عطف المجرم وخشونة
الراس لما بقى منه غير توفيق الحكيم وحجار الحكيم :

على أنه هو نفسه أول الشاهدين على أن صفاتي قد بحث من طول ما أحييت
به وهو في قفازة الستريسي يهدر في الحال بين الجبال منتظيا بعض الأمضاء
من قواعد اللاكة .

وزكي مبارك بعد ذلك سليم الصدر ، سرى القلب وياضى الروح لا يتخرج
أن يطلب إلى صديقه أن يفصره ملالاً أو مقلوما . ثم تقول أن الأدياء في مصر
مع الأسف لا يحسبون حساب الفير الكاتب الذى يبرز بحالته ويكثر عن أنيابه
ويتهباً دائماً للوثوب ، قبل مصداق ذلك ياتوفيق أنك أدت ظهرك بخصيتك
وحملت على أما قتلوك الأسباب نيتك وبين الرسالة والأدباء فأمرهم مادمتم
تخرج كتبتك إلى قرائك الأوفياء وإذا جازى أن أواجهكم مرة أخرى فإني
أنصح لك ياتوفيق بأن تؤمن برسائلك كما آمن ذوو الفضل من الكتاب
وأن تصير عليها كما صير أولو اللزم من الرسل .

المفصل الرابع

معارك النقد

بين العقاد وطه حسين

اتصل جيل النابغة والعقاد والبرادى الأديب بين العقاد وطه حسين أسفاطويلا. ولكنه كان في كل الأحوال حنيا أينا لم يصل إلى ما عرف من عطف طه حسين أو عطف العقاد في خصومته مع من ساجلي من أدباء : واصل ظروف النفاسه من التي حالت دون ذلك. وقد دافع العقاد عن طه حسين إبان مجته بكتاب القمرا ليعمل وخالف رأى مزيه-ونامول طه حسين إلى الوفد وكان العقاد كاتبه الأول أعلن في أول نداسية العقاد أميرا لشعره وبريتيتها جاملات كثيرة أهدى لها طه كتاب (دماء السكروان) إلى العقاد صاحب ديوان (هدية السكروان) ولم تحتم للدارك بينها إلا مرة واحدة حول القد اللاتيني والقده السكوى وقد ذكر طه حسين لشمواته مع العقاد.

قال : لقد حاجت العقاد في غير موطن من مواطن الخصومة ، خاصيته في السياسة وخاصيته في الأدب وخاصيته في السياسة والأدب أيضا ، ولكن هذه الخصومة لم تنض من مقدار العقاد في نفسى .

وما أظن أن بين ذات العقاد وأثرابه ومعاصريه من يقدره مثل ما أقدره أنا والكبره . وليس يعطينى أن يكون رأى العقاد في كراي فيه . وإنما الذى يعطينى أن أقول الحق وإن كرهه السكارهون . وإن كره العقاد نفسه ، والذين عاصروا خصومات العقاد يذكرون من غير شك إلى أنني أنتهت على أدبه في جريدة السياسة حيث كانت الخصومة بين الوفد والقسوديين كأعنف ما تكون الخصومات ، وقد كانت الحرب سجلا بينى وبينه حربا ولم يمنعه ذلك من أن يقوم قيام الرجل السكريم في مجلس النواب يدافع عنى حين كان الوفديون جميعا على حربا ، ولا اعرف أن الخصومة بين العقاد وبينى قد

إلى النابغة في موضوعها هذا الكتاب .

انقضت ، فما دام كلاً ما يكتب بالخصوصية يبقا عسكيتا ولنكتفا قوم نعرف كيف نختصم دون أن نفسد الخصوصية رأى واحد منا في صاحبه .

ومن اللطوع به أن لهذا الكلام معنى عميق وطه حسين لا يقوله مجرداً ، ولعله أن يدفع به حجة من حملات العقاد ضد شئ ما ، وقت كتابة هذه السجلات . (وهذه ملامح من هذه المارك)

رأى طه حسين في (مطالعات) العقاد

أن الأستاذ عباس^(١) العقاد من أصحاب الألوان السياسة الظاهرة وأى لون سياسي لا وى ظهور . وهو سعدى مفرق في السمدية وهو كاتب من كتاب البلاغ .

لقد أخذت نفسى بأن أكون حراً في النقد ، وأعطيت على نفسى موثقاً من الله لأكون حراً مطلق الحرية ولا يستثنى في هذا النقد صلات اللذة والقرى وهو الحظ الرضا والسخط ، وإذا كنت قد أخذت على نفسى بتلك الخطية وأعطيت على نفسى هذا الموثق وتنازلت الأصدقاء والزلاء والأستاذة بالقد والتعريض ، لم أسلم في هذا كله إلا الإحسان والحق . فقد يكون لي أن أتجاوز الخصومات السياسية ، وأن أجعل خلاف الأحزاب وبر أذى ومحت قدى ، لأقول كلمة الحق في الأدب ليس يربها وبين السياسة والأحزاب صفاً .

نلعلين خصوصاً السياسيين ولعلين انصارنا السياسيين أيضاً ، ولیمقرق أولئك هؤلاء أن نعلم والأدب حتماً في الوجود إلى جانب السياسة والأحزاب ، وإذا كان من الحق أن ليس للعلم والأدب ولمان ، فن الحق أيضاً أن ليس للعلم والأدب حزب سياسي وإذا كنت قد أخذت نفسى

(١) السياسة - ع ٢٦/١

بأن أكون حراً في النقد فلا أكن حراً حقاً ، ولأنني في سبيل الأدب والمعلم
مذهبى السياسى كما نسبت عواطف للوثة والقرى ومكانة الزميل والأستاذ .
وليطلبن هؤلاء وأولئك مرة أخرى . فأنا أمتد للذهب السياسى
للأستاذ عباس المقاد مثقفاً شديداً وأزدرىه أزدراً لا حد له^(١) .

سأقفه وسأقول فيه كلمة الحق والإنصاف هذه ، وسيكون هذا النقد
وهذا الإنصاف في جريدة السياسة التى أعاصم السعديين وزدري سياستهم
لأن السياسة إلى جانب مذهبها السياسى والمخزنى مذهباً آخر تقديسه وتحمده في
تقديسه ولا يفهم غيرها من الصحف وهو حرية الرأى مهما يكن صاحبه
ومهما يكن رأيه السياسى .

وأعترف بأن الأدب نقول أحياناً ، لأنه ينسبك للمصومة السياسية ،
وموجب إليك خضعت السياسى كما حبيب إلى أدب المقاد ، وبأن السياسة ثقيلة
أحياناً لأنها تنسبك القراءة الأدبية وتهبط إليك الأدب كما يهبط سياسة
المقاد أحياناً أدبه المقاد .

ولست أخدع نفسى ، فن الأدباء الذين يخاصمون في السياسة ويرون
فيها رأياً غير رأى من يقول في ما أقوله في المقاد ، ولقد سمعت شبانا من
السعديين يقولون في محبة الجنائيات ، قد خلطهم بلاغة المحامين الذين كانوا
يخاصمون عن السياسة : ما اكفأهم أولاد السكالب لو لم يكونوا عدلين .

٢ - معركة حول المعرى

كان (المعرى) مصدر حركة أدبية بين طه حسين والمقاد عندما أصدر الأخير كتابه
عن أبى العلاء .

(١) تحول طه حسين إلى هذا المذهب السياسى بعد ذلك بسنوات قليلة .

أن الأستاذ العقاد أراد أن يرثي يابى الملا. بعد أن يمته بهتاً جديداً
وأن يطوف به في اقطار الأرض فلم يصنع شيئاً وإنما ارتحل به في طائفة من
السكتب التي قرأها وفي ألوان العلم الذي احاط به وفي فنون من الآراء التي
انتقها واستنصها . ذلك لأن الأستاذ العقاد نفسه لم يرثي ولم يطوف في
اقطار الأرض . وإنما ارتحل وهو مقيم وطوف وهو مستقر ، وعرف الدنيا
وهو لم يتجاوز حدود مصر ، وعند الأستاذ العقاد أدب وعلم وفلسفة ، فقد
ملا يدك أدبا وعلم وفلسفة ، ولكفه لم يرثي إلى أوروبا ولا إلى أمريكا ،
فلا يستطيع أن يرثي بك ولا يابى الملا في ألمانيا وفي روسيا وفي السويد
والنرويج والدانمارك ، وفي بلاد الإنجليز وفي أسبانيا وفي أمريكا ولكفه
لا يريك سيرهم وينتمى بك إلى مصر فظهرك معها على طبيعتها الرائعة ونهرها
الجميل ، ذلك لأنه يعرف مصر وقد رأى العين فهو قادر على أن يعطيك
مذبا شيئا ، وهو أمين كل الأمانة ولا يستطيع أن يعطيك من أوروبا ولا من
أمريكا لأنه لا يعرفها ، استغفر الله واستغفر الأستاذ العقاد ، بل أنه لم يرثي
رأى العين ولم يلم بها إلا من طريق السكتب .

(رد العقاد)

من اللفق عليه أن أبا الملا للمري لو كان حيا وساح في الأرض لما كان
غرضه من المباحة أن يكتب لنا دليلا من كتب السياحة وإنما تفتيها مشكلات
المقائد والأخلاق التي كان يعنى عنها في الحياة ، وليست هذه المشكلات
والمقائد مقصورة على المسافرين دون القيمين .

على أننا نمود نقسأل : أين هي الشاهد التي لا يراها الإنسان إلا بالاعتقال

إليها في هذا الزمان الصور المتحركة التي تربينا وتسمعا كل يوم ما يراه ويسمعه الباريسيون والفنانيون وسائر التريبيين والشرقيين ، والطابع ننقل إليها ما يقولون وما يعتقدون ، والأصوات الحالية : نحكي لنا ما يمشدون ويغنون والعالم كله مروض لنا عرضاً ينتقل إليها وإن كنا لا ننقل إليه .

٣ - حول كتاب (أبو نواس) المقاد

عندما أصدر المقاد كتاب « أبو نواس » تناولته الدكتور طه حسين بالقد فسلطان ما قاله أن علماء التحليل النفسي لهم مذهبهم . في البحث يخطئون فيها ويصيبون وهم يمتدنون في بحثهم على التجارب فتستقيم لهم حيناً وتخطئهم أحياناً .

أما الأدباء فيذهبون في ذلك مذهب التقليد والمحاكاة لا مذهب الاستكشاف والاجتهاد ، والعلم لا يميز فيه التقليد .

أنه من المصير على الأدباء أن يجرؤوا آراءهم هذه الأتباعية على الأحياء الذين يرون ويستطيعون أن يقولوا لهم ويسموا منهم ويراقبونهم عن قرب أو بعد . من المصير عليهم ذلك لأنهم لا يملكون أداة هذا البحث ولا يحسنون التصرف بها أن أتت لهم ، فكيف بهم حين يجرؤون هذه الآراء على اللغز القرين بعد بهم المهد ولم يبق لنا من آرائهم إلا الأحاديث .

وقال المقاد :

أن دراسة الأدب لعلم النفس ودراسته للأدباء والشعراء على ضوء هذا العلم أمر ضروري ، لأنه عندئذ سيتمكن من فهم ما يصدر عن عفة ، مثال ذلك أن أبا نواس وحكيم المرأة والفتى ويشار لا يفتقر أحدهم من الإعتداد بالنفس ، ولكن علم النفس يمكنك من التمييز بينهم لأنه يذكر لك أن

هناك اعتداد بالنفس يدخل في جنون العظمة واعتدادا بالنفس يدخل في جنون
الكره واعتدادا يدخل في الانحسار الذاتي، واعتدادا يدخل في جنون الفص
والتمسك واعتدادا بمعته المعتاد ثم اعتدادا بالنفس يدخل في جنون الإستهزاء
الذاتي وهو الترجسية التي وصفنا بها أبا نواس .

٤ - طه في رأى العقاد

طابت ليلة القدر في رواية ١٩٤٠ إلى طه حسين والداد وأن يكتب كل منهما عن
الأخر يكتب العقاد وتكتب طه .

قال العقاد : أنا ضامن أن الدكتور طه حسين سيقول أنني شاعر ،
فليضمن الدكتور طه إذا أن أقول فيه أنه كاتب ناتج في الأدب ، وخير
ما أكتبه كتابه الأيام ، وكتابه في الصيف ، وهما السكائبان اللذان سرده
فيهما بعض ما جرى له في حياته فسكان فيهما مثالا في البساطة والثقة التي تعزف
بصاحبها عن التماس التأثير للصطع بالتعبد والتسجل والظلال والتزويق ،
فالوصوف في هذين السكائبين صادق بسيط الوصف كذلك .. أنا ضامن أن
الصديق الأدبي سيعيد عيبا أو عيوباً أخرى بقياسه بمقياسه ويقدرها بميزانه
فإذا ضمنت هذا فليضمن الصديق الأدبي أن أعمل فقه الوصف في كتاباته
التصنيعية يمين فيه وهو فقه الخيال .. فهو يصف ما يعالجه من المحسوسات
ولا يتخيل ما عداه من نقائمه أو مشابهاه .

.. أما طه حسين الناقد فما أقول فيه ، أقول أنه إطلع على الأدب العربي
التقديم لإطلاعه الواسع الذي لا جدال فيه وأطلع على نقائس من أدب الأغريق
واللاتين الأقدمين ، وأطلع على آثار رطب من كبار الأدباء الأوربيين ولا سيما
الفرنسيين ، كل أولئك خالق أن يحجب إليه الصحة واللغة والقوة ، وبعض
إليه الزيف والسجع والركاكة ، فهو يختار ما يملو على مقياس التقليد

المصطفين ، ويفيد ما يستطوعه المحدثون من أصعاب الإطلاح التليل أو أصعاب الذوق السليم .

ومن حساب الدكتور طه حسين أنه رجل جرى البقل وقوبه ، مفلور على المناجزة والفرش ، يستفيد مما يقع به حقه وما يمينه على التحدي والتفرد فلا يحجم عن اتخاذ ، ولهذا تنير أسلوبه السكتاني بعد دراسة الأساليب الأوربية ، فاعادله خطا واثق علمه بالعربية الفصحى وعلمه بتقسيم المقاطع والتواصل في الكلام الأوربي ، كما يتسكلم من مجمع بين الحديث والسكتانية . في وقت واحد فهو يتحدث ولا ينس أنه يكتب ، ويكتب ولا ينس أنه يتحدث ، وأسلوبه الذي اختاره هو أوفق الأساليب لذلك جميعاً ، وأولها من نوعه في اللغة العربية ، وليس فيه محاكاة لأسلوب آخر في اللغات الأوربية .

ولو كانت كتابته حديثاً محضاً لاستبدلت بالتركيد ولا تكرير ، ولو كان تقريراً محضاً أو درساً محضاً لما انخرقت عن أسلوب السكتانية الذي لا يتحدث به القائل ، ولو كانت تقريراً أو درساً على الطريقة الشرقية لما ظهرت فيها المقاطع والتواصل الأوربية ولجرت على سباق الدروس الأزهري . واسكن كتابته حديث فيه محاضرة ومراجعة وتنظيم فلا يوانقها إلا ذلك الأسلوب الذي استقل بإبداعه طه حسين ولو غضب المبكرون .

والدكتور صحيح الأصول في النقد واسكنه لا يوفق بين أصوله وطبيعته في كثير من الموضوعات ، وهو حين يقرر للبدأ على صواب غالب ولكنّه حين يطبق للبدأ يتحرف أحياناً عن الصواب .

التيابن بين القاعدة والطبع هو الذي جعل الدكتور ينسك الجليد إذا جاء في زى القديم .

٥ - رأى العقاد في حاشى السيرة

عندما كتب طه حسين « حاشى السيرة » كان يبدأ ثوقاً جديداً من الفن في الأدب العربي فسكتف رأى العقاد هذا الثوق :

« ما أحسب إلا أن الدكتور طه حسين قد شبع من إغصاب الجامدين فهو يوصى هذا لإغصاب المحدثين ، وما أحسب إلا أنه يكتب ليثير يستثير . فترة تقع القوية مع أهل الجود وفترة أخرى تقع القوية مع أهل التجديد .. قلت بل أنا أحسب أن الدكتور طه قد ملئ إغصاباً بالنسق المومري في التمثل وطائم الأبطال وأبناء المصور فأراد أن يخرج لنا القيادة فخرية عربية ، يشترك فيها عالم الشعر البانيخ وعالم التاريخ الصادق وتجرى حواراتها في آفاق الزمن الغابر الذي لا حدود فيه بين التيب والشهادة وأسرار الخيال والحقيقة . فمنهم الإلياذة ولا تبطلها إذ تنسكرها ، لأنها قد أفرغت في ذلك القالب واعتظمت على ذلك الأسلوب ثم نحن نهم حاشى السيرة ولا نعلمه أو تنسكركم لأنه نقل إلينا الجاهليين كما كانوا في حياتهم وعقائدهم وأفكارهم ، ولم نقلهم إلينا كما نكون نحن لو أننا انتقلنا زماننا إلى زمانهم . فهل أصاب الدكتور أم أخطأ ؟ وهل أحسن لتقصص أو لم يحسن ، أما أنا فأرى أن أسلوب التمثل والتضليل لا يزداد شيئاً كثيراً لو أننا جعلنا الجاهليين عصريين يمشون في القرن العشرين ولكن أسلوب القصص يفسد كثيراً من البساطة والتضليل لو أننا سردنا القصة مملين مخلصين .

٦ - رأى العقاد في كتاب طه (مع أبي العلاء في سجنه)^(١)

كتاب به حديث الرد عن محب لمن يحب وأراه مذكرى أحاديث الأدباء عن أبنائهم الأعمزاء .

وأنا ممن يحبون أبا العلاء ، ومن أطلوا قراءته في أول عهد الشباب .
والدكتور طه لفرط حبه أبي العلاء ، ينهم نفسه بحمايته فيقول : « قل أبي
أوثر أبا العلاء وأحابه وأرضى منه أشياء . لا أرضاعاً من غيره فقد لا تحظى .
ولا تبهده » .

ومن الصداقات المجدبة أنني حابيت أبا العلاء على نحو قريب من هذا
البحر ، ولكن لم أسمها بحياة ، بل أسما هي الإنصاف المقول في قياس
الأقوال بالثقلين .

فكنا لنا إذن نسمع القول من شيخ المرة فيعجبه ويسمع القول نفسه من
غير الشيخ فلا يخطئ . مدد بذلك الإعجاب ، ولكن صدقنا الدكتور
بسمها بحياة ومحاملة للصدق ، وأنا أجرى فيها من سبق التالية في كل شيء
من التوفيق بين المحبة والمعلقة ، فلا أبرح بالمعلقة حتى أفتح بها عقل ،
وأثبت له أنها جديرة بالقراره وترخيصة ، فيعيش العقل والمعلقة معاً في وثام
وأخلص بهذا هما يقع من ملام وصدام .

ويحرص العلاء لرأي طه حين في إلى الطبيب القتي استاذ انرى وصاحبه القى يقول فيه
« أنا انكر ان القتي وانعجب بيض اناره انجولاً لا حد له وانعجب بيضها الاخر انجولاً
متواضعا ان صبح ان يراض الامعاب وانعت سائرهما معنا شديدة ثم يقول :

الحق أنني أعجب لهذا التفور بين الدكتور وشاعرنا المعري الكبير
وما أنا ممن يستحسنون كل شعره ولا كل همله ولكني أزن ما زاده في
ثروة الآداب العربية ، وما زاده في شرور الحياة يسوء عمله وسوء خلقه ،
فاعلم أن الحياة لم تفسد بفساد القتي وأن الأدب قد صلح بصلاح شعره .

هذا أيضا أعود إلى المعلقة والمحبة وأحسبني أقرب من الدكتور إلى
وفاق الصداقة بيني وبين شيخ المرة وأقرب إلى الإنصاف .

ويبرس القادر لرائى طه حين في بواب الدري من باريس لو ركاما وإن ذقه لم يغير
من تناوله ويقول :

فما باله — أى الدكتور — لا يرضى أن أجعل أبا العلا يرى في باريس
ما وراء الساتون ، ويقول فيها ما يقول أولئك الساتون ، أنا ذهبت إلى
باريس بالظلال فأخذت إليها صاحبي بالظلال ، والدكتور طه ذهب إلى باريس
حسا وخيالا فأبى على صاحبه الزامه وعطف به . إلى اللقاء .

ودفع القادر من القنى قال : عندما أصدر عام كتابة (مع القنى)

الذى أقرب إلى جانب المذر وطه أقرب إلى جانب اللام ، فهو لم يهتم
الرجل يخلق ليس نية ، ولكنه لم يطلب له المذر حيث تنضج معاذيره ، ولم
يزل يشدد في تفهده ويمهد في اتهامه حيث يكون الاضطراب أعقاب على
الرجل من الاختيار .

الفضيل الخامس

بين زكي مبارك وخصومه

جرت بين زكي مبارك وكتاب عصره مباركة ادبية متعددة (١) ، وهذه ثلاث نماذج من كتاباته اكتبها : عباس محمود العقاد : وعبد العزيز البشري وازراهيم عبد القادر المازني وعطائي درويش ، ولقد كان زكي مبارك اراء في الزيات سجل في حلق كتاباته في مجلة الرسالة غير انه بعد ان ترك الرسالة هاجم الزيات في اسلوبه ، وعرض لمارته التي تقول :

« في الاوكلة الذين زعموا ان مصر اثبت عن المروية فقامت الاسباب للمصولة وابست الارحام للثقلة » .

فقال مبارك : من الذي ياج لك بقرينة بأن تتكلم من الإرحام للثقلة ومن الوحي اليك ذلك ، اجبت ، انا الرجل الذي ليس بيده القولة فقط : انشرونية حضراء ومدان نعد حذابة للهم على الماني واعراض قال : امن ايل سجد الفة نفع في ذلك الحرم البول لاني انا في قرانك فلا ترميهم بالسمج ولا تلتهم بالازواج .

بين زكي مبارك والعقاد

عرض زكي مبارك للعقاد في أكثر من مناسبة على نحو فيه ذلك للتهيب فلم العقاد حتى أنه أجاب على سؤال في هذا لجة البكتوف (يوليو ١٩٣٩) فقال : أنا لا أعتقد مؤلفات الأستاذ عباس العقاد ولا هو ينقد مؤلفاتي ، لأننا كما نلاحظ مرة على صفحات جريدة الجهاد وأنا غير مستدل لانصاف الأستاذ عبد العزيز البشري لأني سمعت أنه تألم من المناوشة التي وقعت بيني وبينه منذ سنوات وأنا أكره أن أقول كلمة غير في الذكور طه حسين لأنه كتب مقالاً في مجلة الرسالة فيه تهوين من شأن كتاب النثر القوي وأنا أعتقد على جميع عقاد الأذهر لأن فيهم جماعة أرادوا أن يثيروا القبار حول كتاب القصوص الإسلامي .

(١) أوردنا عدداً من هذه المارك في هذا الكتاب .

وقال : أن الناقد الصريح في مصر يتعرض رزقه ومناشه اضروب من الإهزمة والأضطهاد وقد يتعرض سلكه في الحياة إلى سقاعة التيل والقال . وفي مصر عبارة مألوقة حين تظهر مقالة نقدية : هي : ما الذي بين فلان وفلان ومعنى ذلك أن الناقد لا يتعرض لمؤلف إلا وفي صدره غرض خاص .

وعاجم زكي مبارك العقاد في مقال له (البلاغ ٢٨ يناير ١٩٤٧) فقال : زعم الأستاذ العقاد أن (سعداً) خلع عليه لقب الكاتب الجبار والعقاد كاتب بلا جدال وشاعر من أكابر الشعراء . وفي نفس منزلة عالية حفظه الله من جميع الأسواء . ولكن الكاتب الذي عناه سعد باشا هو « عبد القادر حوزة » كما تشهد بذلك مذكرات كامل سليم سكرتير سعد زغلول .

رأيه في العقاد^(١)

العقاد في الكتابة والقد شخصان مختلفان كل الاختلاف ؛ فالعقاد الكاتب السياسي يرمي ويرمي ويظلم ويظلم في كل وقت ، فهو من أبناء السماء عند قوم ومن أبناء الأرض عند آخرين ، أما العقاد الكاتب الأدبي فهو من الطبقة الأولى بشهادة الجميع . والعقاد الناقد لا ينحرف عن القصد إلا في حال واحد ، حال الحكم على من يمدى من الماصرين . أما حكمه على المفكرين الذين يمد عهدهم في التاريخ . فهو في غاية من العدل والصدق وقد يصل به الرضى إلى البهانة في إظهار الحسن وإخفاء السيئ .

وإنحرف العقاد في كتاباته السياسية والنقدية بشهد بأنه سلم الشخصية والكلام مما مدلول خاص هو أكتال الحيوية والإحساس ، فالعقاد يصادق بمقف ويمادى بمقف فأصدقائه ملائكة ولو كانوا شياطين ، وأعدائه ملائكة

ولو كانوا ملائكة مقربين ، وهو مستند نفرض القادر مع أسدقائه إن أوجب الوفاء أن يشاطروهم عذاب الطريق .

أما أعداؤه فهو لهم بلا وعناء ، وهو يتقاهم في السر والعلانية بأقبح ما يسكرهون ، وقد شاع وذاع أن المقاد رجل حقود وهو كذلك ، فالحقد من كبريات الفضائل في بعض الأحيان وقد يجرى عليه خير الجزاء . يوم يقوم الحساب .

والرجولة الحق نفرض الشجاعة الحق ولا تتم الشجاعة لرجل إلا إذا جاز أن تصل به أحيانا إلى حد الشهور والجنون .

ما قيمة العلم أن لم يحرر بهفاته هيبون للتعاقلين والفقائلين من حين إلى حين وما حظ الأمة في أن يوصف جميع أفعالها بالثب والظرف .

رأى مبارك في كتاب « مطالعات »

المقاد في هذا الكتاب ناقد وكاتب ، وقد خُص من الثواب التي تعرض لها في بعض كتاباته النقدية أو السياسية ، نبعده بقول في هامش بعض الفصول « من مقال نشر بالبلاد » كان لئال في الأصل يحوى فسكره ياقية أضيف إليها التعامل على أحد المعاصرين . وهو حين يحمل مثل هذا اللقال فصلا من كتاب يحذف الجزء . لأشوب بالعامال ويكتفي بالجزء الذي يصور فسكره ياقية من أمثلة ذلك مقاله من « الثأقين » وهذا الفصل أنشاء المقاد فسكره ياقية من الأستاذ لعلي السيد ، ثم رأى أن يحذف تلك السطرية من جازها الخاص وأن يكتفي بحاجتها الأصل وهو إحتقار الثأقين في تناول عظام الأمور

أما الد كقور طه حين قد أساء إلى نفسه وإلى تاريخه حين عجز عن تهذيب مقاله عن عفته بن شداد في الجزء الأول من الطبعة الثانية لكتاب

« حديث الأرياء » في ذلك القال تعرض قديح بالأستاذ جلس عيسى
وما أعجبه على الدكتور طه حسين أعجبه على نفس . فقد أثبت في الطبيعة
الثاقبة من كتاب البدايع فضلا عما من « طه حسين بين النبي والمقوق »
وهو فصل عاينت من شئونه ضروريا من المقادير ، وعرضي لسكره ومغارب
لم أدفع شرها إلا بتضال عفيف .

ومن أعجب العجب أن يكون « طه حسين » المقادير على ضبط النفس من
زكي مبارك وطه حسين .

وقال زكي مبارك : أن عيب المقادير عيب المازني في الغرام والسجع
والأزدواج عيب مقصور ، لأن هذين الكاتبين لم يكونا إلا شاهرين ضاق
« طه » نظام التريض ، وأن غرام المازني بالشرح والتفصيل فيها يمرضان له من
دقائق الشؤون يرجع إلى أنها إبتداء حياتهما الأولى . باحتراف التدريس ،
والتدريس يوجب التفكير في تفهيم الأغبياء قبل التفكير في مساهمة الأذكياء .
ولعل هذا هو السبب في اهتمام طه حسين وأحمد أمين بالطوائف حول
هوامش المشكلات .

ورأى مبارك في كتاب « المختار » للبشرى^(١)

إنه كاتب على الطريقة البشرية ، كاتب يذكر في كل سطر بأنه أديب
يقصده الأوابد من مجاميل القاموس واللسان والأساس .

الكاتب الحق الذي يشغلك بنفسك وبوجهك إلى مصورك المنشود
ويقرض عليك درس غرائبك وأهوائك .

والبشرى رجل مصطب صجاج يدق الأجراس الضخام حين يدخل القاعة

العديد، هل سمعتم بالرسالة التي تملحن القرون، هي البشرية في بعض أثره القمام؟
إذ يقدر أن نجد في قعر هذا الرجل صفحة خلت من التمسك.

والجزء الأول من المختار تراء بمصولة من المجهود المحمود في عرض طوائف
كثيرة من صور الدنيا والناس. وأن كان قدم بروح مكثود، ونفس مجهود
لأن السكاكيب لا يفسح عما بنفسه إلا بعد أن يعانى من المشتات مالا يطاق.
وقد كان عبد العزيز البشرى في ميدان السكاكيب كتاب التسميت
فلمعرف له هذا الفضل ولذا ذكر أنه قضى ثلاثين سنة وهو معدو من أجمال
العلم في هذه البلاد.

وأى مبارك في إبراهيم السكاكيب^(١) للمازني

المازني معنى بالسخرية من نفسه. وقد عرف المازني معرفة أودبية لا
شخصية في أعوام الحرب الماضية. وكان قد أخرج كتابا في نقد « حافظ
إبراهيم » وكان قد حافظ في تلك الأيام من شواهد التفوق.

عرفت أن المازني بروحين. وأدواح. وعرفت أن الذي كان يرسل
« الأتسكار » وهو في « الأخبار » هو نفسه الذي يرسل « الأهرام » وهو
في « البلاغ ». ثم تفتيته فعرفت أن بيته وبين أنطوان الجميل صلات وإياه
ينشر من الأهرام أشياء بدون إمضاء لمكانه في البلاغ.

« السكاكيب » هو الذي أضع « المدرس » في المازني، فما كاد يرى
بوارق الفضال السياسي حتى إندفع إليه بقسوة وعنف ومضى ينشر مقالات
سياسية في تأييد الخطأ المؤذية.

وجاء الطلائع بين أمين الراعي وسعد زغلول فاندفع المازني في الهجوم

(١) رسالة ١٠ نوفمبر ١٩١٩.

على الزود وكانت مقالاته غاية في القوة البيانية . ولكن هذا الكاتب الذي يمدى الزود علانية في جريدة الأخبار هو نفسه الكاتب الذي يزور الأستار كل صباح ويقدم إليها في تأييد الزود أشياء ثم يذهب فجأة فينتقل إلى حزب الاتحاد ويؤايل الدكتور طه حسين في تحرير جريدة الاتحاد ثم تنظر فنراه مع الأحرار الدستوريين في صحيفة الدكتور هيكل ، وتلفت فنراه انتقل إلى البلاغ .

كان للزدي من أكارب الشراء . ولكنه انتقل بالكثافة في جميع الأوقات ولجميع الأحزاب ولم يجد الفرصة فشتا . ومضى يخلو إلى نفسه من بعض ضجيج المجتمع السياسي في الصباح والمساء .

بدأ للزدي حياته الشعرية بالطريقة الجاهلية وهي تقوم أساساً الأزدواج وقد وفى للزدي لهذه الطريقة أصدق الوفاء في آمد يزيد على عشر سنين . ثم جنى للزدي على نفسه بالكثافة اليومية ثم أبتدع للزدي طريقة جديدة هي كتابة أكثر مقالاته وقت أنشائها بالكثافة .

ثم قال زكي مبارك : أن للزدي رجل جنى عليه نطفه وجنى عليه أحساسه فلم يعرف قيمة الصبر على الإنعياز إلى إحدى الجهات . في زمن لا يعيش فيه المفكرون إلا بأسفلة من المصيحات السياسية والاجتماعية .

بين زكي مبارك وطلطاي جوهري^(١)

كتاب (أحلام في السياسة) الأستاذ طلطاي جوهري هو دعوة إلى السلام وقد أوسله إلى الملك ووزراء الحكومات .

قال زكي مبارك تحت عنوان : « اسمع يا أستاذ طلطاي » أن كتابك هذا لن يفتي شيئاً في الدعوة إلى السلام ، لأنك لم تسلم المسألة بلغة السياسة ،

وإعماكلنعم بركة الرزق في عالم الإنسانية ودعوتهم إلى نهم الجمال ، وأطلب
الظن أن كتابك إن ترجم إلى اللغات الأوروبية سيكون أخصوكة لأنه
يتسكلم عن كل شئ. إلا الدعوة إلى السلام

إن الدعوة إلى السلام في العصر الحاضر لا تسكون إلا من طريق واحد
هو الاقتصاد ، فإن أمسكك يا أستاذ ططاوى أن تؤلف كتابا جديداً نيين
فيه أن المفاع الاقتصادية لا تقوم إلا على السلام وأن الحرب تفر انظراب ،
كان من الممكن أن تسكون رسول السلام في هذه الأيام .

أن الجمال الذي نتحدث عنه هو في أمين الساسة حديث خواق ولا قيمة
لذلك الصور الملائكية التي نعرضها لترغيب في السلام بين أهل الأرض .

أنت يا أستاذ ططاوى رجل طيب .. وأكبر عيوبك أنك رجل طيب
وإلا فكيف نتظر أن ترجم كتابك بأمر ملك الإنجليز لشمر ذلك الملك
بالنبة التي يحملها وهو يسيطر على ربح الأرض فيما قبل .

أن خصوم الإسلام أطلقوا القول في غزوه ولزوه لأنه يبيع القتال . ولو فهم
أودك لمفروا أن إبادة القتال في الشريعة الإسلامية هي الدليل أنها أصلح
الشرائع لقادة الحياة الإنسانية . أن السلام الملم هو الأمل الباطل الذي نتحدث
عنه الفارغون ، والنضال بين الأمم والأفراد والجماعات هو القانون الذي
يمش في ظله التقدم العلم والاجتماعي

ططاوى جوهرى^(١)

لقد كان ينفذ كتيبي كثيرين فلم أكن لأعيا بهم ، ولا أرد عليهم ضنا
يوقى ومعيت في عمل ، فأنا أنت فإن منزلتك الخاصة توجب على أن
أجابك الحديث .

ليس هذا الكتاب بأول ماسطرته في السلام العالي ، بل ألفت كتابها قبله بربع قرن أسميته (أين الإنسان) .. وأنا حين كتيبه لم تكن في العالم جمعية للسلام العام - فهل أفت أيها الأستاذ مثفق على من هذا الضمك .. وأي رأى شريف لم يتبادل أول الأمر بالسخرية .

أما كونى مغفونا بالكتاب فهل معنى هذا أكثر من أنى موقف بما فيه لأن سياسة الأمم مبنية على الحقائق الملحة الثابتة وأي قوة في الأرض تستطيع أن تنتزع الآراء الثابتة بالبرهان .

أما كونى لم أنسكلم بلغة السباسة فما أذا أسمعك آراء علماء الاسم في الكتاب الأول ، وهذا الكتاب الثانى أوسع بياناً وإيضاحاً وأوفق حكمة وعقلاً منه .

الفصل الثاني

مبارك يشق كتابه

الاخلاق عند النزالي

لقد حدث في حي القرية الأولى التي ينشد فيها كاتب أحد مولداته وبخاص ما جاء فيه من آراء كان الدكتور زكي مبارك قد كتب كتابه (الأخلاق عند النزالي) كاتب وحده الدكتوراه من الجامعة المصرية عام ١٩٢٤ وحاول أن يحدث به مبيعة حين عارض أراء هذا الفيلسوف الكبير وعندما تولت في جلسة مائية قامت ضجة بين علماء الأزهر الشريف وفي مقاعدتهم الشيخ عبد الحميد الأمان . يقول زكي مبارك : وانتقلت الثورة من الجمهور إلى أساطله الجامعة من غير لجنة الانتصاف وأمر حلمي عيسى في أفق منصور فهمي أن الدكتور ماء حسين يريد أن يوجه إلى زكي مبارك رسالة أسئلة ، وكانت سرقة لم تتمر عليها إلا بأهمية ثم انحلت الحركة إلى جريدة للتعليم حيث صور زكي مبارك بصورة انتشر على القوائم الدورية ونصحة منصور فهمي وعله حسين بالسكوت مما إنجازه انتصافه من جدال وعاد زكي مبارك نفس آرائه عن النزالي في رسالة تقدم بها الدكتوراه لجامعة المصرية — أيضا — عام ١٩٢٧ عن الإسلام وقد عاب زكي مبارك كتابه حين تلقاه بعد ثلاثة وعشرين عاما ووصفه بأنه دعوة صريحة إلى التفكير في أصول الأخلاق الأوروبية من القدماء وأن النزالي لم يكن إلا نقاشا للدينية ولم يدرج القضايا الإيجابية ، وعاب المؤلف على رجال الدين أن يفسدوا من الميدان السياسي في الأقوال التي يرضي فيها الأنبياء وأن النزالي لم يؤد واجبه في التعرض على مقاومة الحركات الضالعة مع أنه حجة الإسلام . وهذا هو الله السكينة

شاع منذ أعوام أن كتاب (الاخلاق عند النزالي) من تأليف الدكتور منصور فهمي وهي إشاعة تشرفني وترفع من قدرى ، فأنا تقيّد هذا الفكر الجليل ، ولو قضت المدر في التناء عليه لا وفوته بعض حقه من تعامى وثقفي ولكن كتاب (الاخلاق عند النزالي) كتابي لا كتابه يشهادة ما فيه من غطرسة واستعلاء. وأستاذنا الدكتور منصور فهمي آية في التواضع القبول :

الم يرفض جماعة من علماء الامرائى مصالحى بحجة أنى آذيت النزالى •
الم يقل جماعة من علماء مصر بأن وجهت أقوال النزالى إلى غير
ما كان يريد .

الم يقترح الأستاذ جاد اللوى بك أن يقص فى محضر الامتحان أن اللجنة
غير مسئولة عما فى الكتابه من آراء .

قدم هذا الكتاب للبول الدكتوراه فى الفلسفة من الجامعة المصرية سنة
١٩٢٤ وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من منصور فهمى وأحمد ضيف ومحمد
جاد اللوى وعبد الوهاب الجبار وأحمد عبد غير الدين .

ويظهر أن المؤلف كان يمانى ثورة روحية وعقلية عنسد تأليف هذا
الكتاب فقد صاحب للنزالى فى مؤلفاته نحو خمس سنين . فأسره النزالى على
نحو ما يصنع بمن يواجهون ثورة الواقع .

ورأى المؤلف أن تأليف كتاب فى (الأخلاق عن النزالى) لا يعسر
إلا بعد النجاة من أسر النزالى فجمع قواه وكسر باب الأسر لينقسم روح
الحرية الفكرية وليبقى النزالى لقاء الله لئلا إن كان للنزالى أنبأه .

وفى مدى ثلاث سنين استطاع ذلك الشاب أن يكتب رسالة لدكتوراه
فى الفلسفة عن « الاخلاق عن النزالى » وهى رسالة شرمت وغربت بحق أو
بتير حق ، وأتمم الدكتور « سفوك هوجريته » فنشر فى الثناء عليها بحثا
باللغة الموأندية كان طليمة التنويه بالمؤلف فى صفحات المستشرقين .

فى اليوم التالى توفش فيه المؤلف بجلسة عقلية فى الجامعة المصرية كان
بين الحاضرين جماعة من أساتذة الأزهر الشريف على رأسهم الأستاذ البجايل

عبد المجيد أقيان شيعتنا وشيخ أشهاغنا وصاحب الفضل على كثير من العلماء .
وقد طالب الشيخ البيان في ذلك اليوم أن يعترض من وقت إلى وقت بأسلوب
يمرّج المتنوع ويمرّج لجنة الامتحان

علم مقدم الكتاب معركة الامتحان بأسلوب صوري فيه بصورة
التأثر على التقاليد الدينية فأنبرى الجاؤلى على صفحات القلم عالمان جليلان
أحدهما الشيخ أحمد مسكي ، والشيخ يوسف الدجوى فلم أورد عليهما ، لأن
الدكتور طه والدكتور منصور نصحاني بالسكوت عما أثار إمتحاني من
جدال . وهي نسخة سجلها الدكتور طه في جريدة السياسة وهو يفقد كتاب
مدافع المشاق في أوائل عام ١٩٢٥ .

واستطاع كتاب الأخلاق عند النزالي أن يقاوم هجمات القاترين عدداً
من السفين إلى أن تعرض له نافذ لا يرسم المؤلف ، وإن كان يحمل اسم
المؤلف ، ففي اليوم الرابع من أبريل ١٩٢٧ وقف طالب يؤدي امتحان
الدكتوراه في جلسة علمية بالجامعة المصرية ، وكان أكبرهم أن يقتض آراء
الطالب الذى وقف هذه الوقفة في الخامس عشر من شهر مايو ١٩٢٤ فعادا
صنيع ، أثبت في كتاب « التصوف الإسلامى » أنه ظلم النزالي في كتاب
الأخلاق عند النزالي والتحكم على النفس من مظاهر القسوة على مخالفة
الأهواء .

وقال زكى مبارك : وهنا كتاب الفقه في أوقات كمت فيها تأثر القلب
والعقل على فهم القدماء للأخلاق ، وهي ثروة لم أنتج من شرها إلى اليوم ،
وقد أسأرها ونسأيرنى إلى آخر أيامى وكيف يهدأ من يروعه أن يرى
في رجال الدين من يعرفون خريطة الحياة الآخروية ويجهلون خريطة الحياة
الدنيوية .

والواقع أن كتاب « الأخلاق عند الفرائي » لم يكن إلا دعوة صريحة إلى التشكيك في أصول الأخلاق الموروثة عن القدماء .

يقسم المؤلف الفضائل إلى قسمين : فضائل سلبية وفضائل إيجابية ثم يقرر أن « الفرائي » وجه إيماءه إلى الفضائل السلبية ولم يبين بشروح الفضائل الإيجابية كالشجاعة والافتداف والمغرم وما إلى ذلك مما يجعل المرء على حفظ ما يملك والتمسك ليل مالا يجد ، فإنه لا يكفي أن يسلم الرجل من الآفات النفسية بل يجب أن يزود بكل مقومات الحياة ، وخير الفرء أن يوصم برذائل القوة من أن يدخل بفضائل الضعف فإن الضعف شركته ولكن أكثر الناس لا يفقهون .

• عاب المؤلف على رجال الدين أن يتسرعوا من الهدان السياسي في الأوقات التي يفرض فيها الجهاد تطوق الفرائي بطوق من حديد حين سجل أنه لم يؤد واجبه في التحريض على مقاومة الحلات الصليبية ، مع أنه حجة الإسلام ومع أن صورته كان مسدوعا في أكثر الأنظار الإسلامية .

• أشكر المؤلف على الفرائي أن يتعلق بأعذاب الآداب السلبية التي دعا إليها الإنجيل . ثم قال : قد رجعت عن بعض الآراء المدونة في هذا الكتاب حين ألفت كتاب « التصوف الإسلامي » وبين السكفايين أعوام تغفل فيها عقل من أتق إلى أتق . أما أسلوب الكتاب فيعاب عليه الخفتر والتهيب ، وقد يصل إلى الرمزد الإيما . لأن المؤلف كان يعاني رقابة عقيمة ، هي رقابة اللجنة المكلفة بالفطرى صلاحيته لإمتحان الدكتوراه .

وبعد فقد راضنى الأيام بعد الجسوح وانضمت كارهها إلى المعصاة التي تقول بأن الربا . سيد الأخلاق .

الفصل السابع

بين العقاد وخصومه^(١)

لمت مدارك العقاد الفكرية بما يمكن أحصائها ، فهي مقادحة مع مشاركة السياسية وحلفائه في الرأي ، وليكتفى كتابا على وجه السوم لأفضل صورة الدعوة إلى التفرغ ولا الصلة الفكرية بشبه الاستمرار . وإلا جاز أن نذكر للتأثير التي كتبها خلال الحرب العالمية الثانية في الحلال والصحت بأن كل الكتاب قد أشتكر أن كتابا مثله ، وكان طاعرها الدفاع عن الديمقراطية ومقاومة الدكتاتورية النازية ، غير أننا إذا عارنا بين العقاد وبين طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزى وجدنا تأريفا واضحا عند حاجم العقاد الدكتاتورية والشيوعية والصهيونية ولم يندفع عن الاستمرار أن ودافع عن الديمقراطية الغربية .

يقول : نحن نعلم أنه ما من أحد من الثلاثة في التشيع للقديم يقول بأن كل قديم على علته مفضل على كل جديد ، ولو كملت له محاسن القديم وأرى عليها بفضل محاسن الجديد ، كذلك نعلم أن القشومين للجديد لا يقولون أن ما يكتب اليوم أجمل وأبلغ مما كتب في العهد الذي نسميه قديما ، ولو كان هذا الشيخ من شيوخ الكتابة المدوون وكان ذلك لثاني من الشدة الترسيخ ، أن شرط الأديب هندي أن يكون مطبوعا على القول ، أي غير متناد في معناه ولغته وأن يكون صاحب هيئة في نفسه وعقله لا في لسانه بحسب .

وهذا نموذج من مدارك العقاد مع خصومه أبا ن الخلاف السياسي مع حكومة صدق وقصر .

مساعي الإبراهيمي في عالم الأدب العربي^(٢)

مصطفى أفندي الإبراهيمي ألف كتابا في التشهير بالذكور طه وألف كتابا سماه على السقود أفضمه بالطنم القامش في كتاب هذه السطور ، ووقف نفسه

(١) المبدأ - ١٢ نوفمبر ١٩٤٤ .

(٢) المبدأ - ١٥ أبريل ١٩٤٤ .

من سفوات حل السرقة من كتيب والانسكار على وجل ما أكتب وأنظم ،
ولم يتورع في سبيل ذلك عن كذب ولا يذأ ، ولا تشويه ولا تحريف ، فم
يعلم القراء في أى شئ كان هذا الجهاد القليل ، سلوه عن تلم من أبنائه
على نفقه الخاصة المنسكية التي يديرها الإبراش باشا وعما طبع من كتيبه على
فئة الخاصة المنسكية .

وإدباءيل أفندي مظهر صاحب مجلة العصور لم يدخر من وسعه شيئاً
في التشهير في الاقتراء على وانتعال المزايم الخاوية التي يستند إلى ، فم
يدري القارىء ماذا كان جزاؤه على هذه الحماسة الخاصة لوجه الله .

لم يتقنع على آخر مثاله كتيبها في ذم شهرراً أو نحو ذلك حتى أصاب
وطيفة كتابية في الجمع القارىء يفقدونه مرتباً لها مائتين وأربعين جنبها
في العام .

وهناك رجل جاهل اسمه « غلاب » ولا أدري ماذا قيل غلاب أو يمدحه
من الاسماء واللقاب ، فهذا الرجل الجاهل قد استحق مقام التدريس في
الجامعة الأزهرية لأنه كان بطبع في القاهرة وريته بسميها (النهضة الفكرية)
وعلاها بالقباء والذأ ، على انتفاض طه حسين وعباس العقاد .

والشيخ زكي مبارك رجع إلى الجامعة المصرية بعد فصله منها زهاء خمس
سنوات لاهم استدعوه في احتفال يقابلون به احتفال الأمة المصرية بالشيد
القومي الذي نقلته في مطلع هذا العام ولاهم رضوا عما كتب في غمز طه
حسين وغمز العقاد من كلام معيب في بعض الكتب والمقالات .

وهناك طبيب مشاعر (يقصد الدكتور أبو شادى) سمحوا له بإصدار
خمس مجلات في وقت واحد وهو موظف بإحدى المصالح الحكومية فيعمل
القسم الادبي من مجلاته كلها وفقاً على التشهير بالعقاد وأدب العقاد وأخلاق

المقاد وإلى القراء ، مثل من الإسفاف الذى يتعذر إليه الطيب المؤمن على
الأعراس والأرواح ومثل من أدب الصحفيين الذين تقهرم الوزارة بالرخص
الكثيرة حين تضمن على غير المواطنين رخصة واحدة لجلة واحدة لأنها حريصة
على الآلات والأعراس .

جاء فى إحدى مجلاته « ومن الناس من يهجم بالإباحية ويؤمن بالشيعية
فى الهذات ومن ذلك قصيدة المقاد ليلة الأرياء ، يصف فيها ليلة فى دار » .

والقصيدة مع هذا منشورة فى الصفحة الثمانين من مجموعة شعرى الكبيرة
وليس سرا ولا أثرا خطيا مجهورا يجوز عليه هذا الاختلاق والإنشاء وإعما
قبلت فى وصف الاسكندرية .

وليس هذا الفلقح الهندس يأتى بفتح نيه الإنسان وهو جاهل بالحقيقة ،
غافل عن معنى القصيدة ، وإنما يعتمد ويتماد تشويه المعنى والتأخير
فى ترتيب الابهات لينزع أسباب التشهير إنتزاعا من حيث لا موجب للتشهير
وهو أول من يعلم بأنه كاذب مائق هادع لثرائه ، وذلك حطيط من القبل
لا يتعذر إليه إلا الدخولون للوصومون .

الفصل الثامن

بن سلامة موسى وخصومه

كان لسلامة موسى طائفة المروف في الكتابة الأدبية ، مما يشهد في مكان السكاتب القوي .
الأول . فقد كان منيف المحسوسه لغة العربية والأدب العربية والدين مادة والإسلام والشرق
والقديم والنقل النشأ والأعاجيب مرادها أدبنا وأفانث عليها كتابها .

وقد من منذ أن يده ينكتب عام ١٩١٣ على عدم هذه اللام في حث حينا ووزيق
حينا آخر واستمر على ذلك حتى تولى في أغسطس عام ١٩٢٥ .
وقد سار في طلبة الدعاء إلى التجديد الذي كانوا خصومه أيضا فهو لم يكتب بخصومة
المحافظين وحدهم ، وكانت له صفحات كثيرة ، مدبرة ومرجها أدبنا . ويقتضينا الإصناف
أن تذكر له بجانب هذا أن له آثارا في الفكر العربي للناصر سبيل المذكورة فقد كان معنيا
بدموعه إلى التطور والتجديد . النفس اضلا عن أسلوبه التفريق وطريقة الدليقة الواضحة في
المرس منها قبل من أنه كان ينقل من هوائن الصحف والمجلات الغربية وأنه لم يكن كايا
وضوحاً ينقل بالآثار الكبرى أو بمجدهم .

وهذه ملامح من خصوماته وآراء السكاتب المحافظين والمجددين فيه .

أحلام الفلاسفة لسلامة موسى : محب الدين الخطيب^(١)

السكاتب موضوعه أماني النظام ، في تكون الإنسان وإبلائها إلى خيته
من المثل العليا ، وهذه الفكرة جيدة لولا ما بهت السكاتب في كتابه من آراء ،
ما يرتجونه كتقول سلامة موسى من ١٨ وكان أفلاطون يبحث عن شيوعية
النساء ، في مثل هذا الوسط المرثأ أدب تربه خلو من القيود لا يزال « يوحى
إلى السكاتب والأدباء ، روح التفكير التزيه المر الجري . » وقوله : وليس في هذا
النظام ما يخالف الطبيعة البشرية كما يتوهم القاري . لأول مرة . . فإن العائلة
لا تزال موجودة بوجود الأم التي هي صلة القرابة بين جميع السكان ، ثم أن

(١) ١٩٢٣ جزء ٣ ص ١٩٢ .

الأبناء لا يعرفون لهم أباً مميهاً فاللقب الشيعية والأثرية الأبوية مفتحية .
ثم أن الشهرة الجنسية غير مقبولة لأن لجميع الأفراد أن يتمتعوا بها بشرط أن
لا يتقرب نسلاً » .

وكننا نستغرب من الأستاذ المؤلف شدة كراهيته للإسلام والعصرانية
معاً - مع أن النافذة دين آباءه - إن أن علقنا من هذا ما أسادت به خاتان
الشريعتان إلى حفرته حيث قال له : « ثم كان ملوك القساري وخلفاء المسلمين
عائقاً آخر يمنع التنقيب والبحث عن النمل العليا للحكومات والمجتمعات
الإجتماعية » .

ويقول : « وحسبك أن تعرف أن جزيرة العرب حرة في نفس المصري
أكثر مما لمفيس . وأن موسى من الأنبياء المكرمون ، وأن فرعون من
الظلمة القاسين ، ثم اذكر أن الطوبىات الدينية تغمر كل طوبى دنيوية أخرى .
فهذه كلها عقبات عفا أن تحب مصر ، وتعرض العاطفة الوطنية في نفوسنا ،
فندخرج البدوي (يعني المسلمين) من جزيرة العرب على حضارة المصريين
والرومانيين والإغريق ، ووطنية مصر شائعة في العالم الإسلامي ومدنيتها
منسوبة بالهداية العربية » .

أن تعصب الأستاذ سلامة موسى للأباطل قد وصل إلى شفاف قلبه حتى
صار لا يرى نقاعة عبودية آباءه المصريين ففراهمه ، بينما هو يشفق على الإنسانية
من عبوديتها لله عز وجل .

١ - بين الرافضين وسلامة موسى (١)

مصطفى الرافضى يدافع عن المذهب القديم ويقول بأفضلية الأساليب العربية

التدنية على أساليبنا الزائفة وهو بعيد الصفة أيما إجادة واسكنه لا يخفى بالعين
نإذا كتب انسمت عيارانه وانتظمت ألقاظه فأنى بالمعجب واسكن الحقيقة
(أى الجمال) لا تشبهه في ظلمه أو نوره ، ثم هو لا يكاد يؤمن بالعام بل لا يجد
له أثرًا في جميع كتاباته والنظمة التي انتخبها ما منه تشهد بذلك وبمجاز شعر
الرأى بقوة الطبيعة وحسن الفظام والسكن خيالها مع ذلك عويى تخليدي
تعرف ذلك من تشبيهه صفة اليد بصفحة الامرود وضوء الفجر روتق الصارم ،
هذا إلى حقوة من مثل أهل يثوخاه .

أن أهل المذهب القديم يملكون العلم لأن العلوم تتعارض ومعتقدات
العرب .

رد الرأى (٥)

أرادوا بالمذهب الجديد أن يكتب السكاتب في العربية يتصرف إلى المعنى
والعرض تاركاً لغة وشأنها ، متعسفاً فيها أخذاً ما يتفق كما يتفق ، ما يجري
على قلمه كما يجري تمييزاً ذلك المفاض من يرى أن غلاف من عظام رأسه
وأن عظام رأسه كعظام رجله .

وأن اللغة أداة ولا بأس بالاداء ما لم يفتق منها والواقع أن هذه العربية لغة
دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم وقد أجمع الاولون والآخرين
على إعجازه بفصاحته ألا من لا عقل به من يزيدنى يتجاهل أو يجاهل يتزندق .

٣ - رأى طه حسين في سلامة موسى

أن الأستاذ سلامة موسى ليس من أصحاب الألوان السياسية الظاهرة ،
فقد يكون حراً دستورياً وقد يسكون وطنياً ، بل قد يسكون اتحادياً ،

ولسكنه حل كي حال لايمان رأيه السياسى أولا يشكك اعلانه ولا يتخذ لنفسه زينا .

وهو من أنصار الجديد . وهو يعلم انى أرى رأيه وأشاركه فيه دون حفظ ولا احتياط ، ولسكن نصره فليجيد قد اضطره إلى شيء من الإسراف .
سكت أحبوا زلات أحب - ألا يفرط فيه الباحثون لأصغرون . وهو مسرف في ازدياد الأدب العربى القديم والنقض منه ، وقد أنهم ألا يسكون هذا الأدب القديم كما هو - ملائعا كله لثوقنا الحديث أو كافيها لحاجات أنفسنا . ولسكن التقدم . لم يضمنوا أدبهم لنا وإنما وضموه لأنفسهم . وليس من شك في أن هذا الادب القديم كان يلائم أذواق التقدم . وحاجات نفوسهم ، فإذا لم يلائم أذواقنا وأهوائنا فليست غير لا أكثر ولا أقل ، وهو مسرف أيضا حين يقول أن الادباء المصريين لم يسكن لهم شأن في حركة الاستقلال ، لم يقدروا الأمة في هذه الحركة ، وإنما قادتهم الأمة بل قادم فرماح إلى الاستقلال . وقد يسكون هذا حقاً بالقياس إلى هؤلاء الشعراء الذين تيموا الجمهور ولم يقيمهم .

رد - سلامة موسى

لقد اتهمنى الدكتور طه حسين بالشعوبية أو كاد . وكأنه ندى كفايحى لأجل الشعب ضد فاروق القاسد ، هذا القاروق الذى وقف الدكتور طه حسين نفسه في حرم الجامعة ومن مذبزها بغاطليه بالصوت العالي بقوله :
صاحب مصر .

واتهمنى عباس العقاد بأنى لست عربياً . مع إنه هو وهو التركى القوي وصف فاروق بأنه فيلسوف من أعظم الفلاسفة .

أن أدب اللوك والأمراء، والباشوات هو الذى يدعو إليه طه حسين .

• من سلالته إلى توفيق الحكيم

أحب أن أسأل توفيق الحكيم : ما هى رسالتك الأدبية فى مصر وهل تستطيع أن تنهم هذه الرسالة مثلاً من (أهل الكهف) وأحب أن أسأل عباس محمود العقاد : لقد ألفت نحو خمسين أو ستين كتاباً فما هى رسالتك الإنسانية فيها . وأحب أن أسأل طه حسين مثل هذا السؤال .

لقد عشنا فى مجتمع مصرى لا يسته ظروف سياسية استعمارته واستبداديه والكتائب التى وقف بعيداً لا يكتسب من هذه الظروف لمصالح فئسب أو الذى كتب فى مدح للتبدين والمتهدين والمستهمرين لا يمكن أن يوصف بأنه كان أميناً للإنسانية والمجتمع .

وعرض سلامة موسى لخصومه فى كتابه « الأدب والشعب »^(١) قروما أنهم به يرويق الحكيم من أنه متحلف التسكر وأن طه حسين يرى أن جريمة شوق فى فنل سلامة موسى فى هذه القصائد التى تنقذها أم كلثوم أى قصائد شوقى فى مدح الزبول .

وقال كامل الشاوى : بأن سلامة موسى حاقده وحربه وهو يحقد على الأولاد أكثر مما يحقد على الأحياء . وحفده على الضعيف أشد من حفده على القوى .

• — سلامة موسى فى رأى العقاد

كل ما يهدف إليه سلامة موسى من حملته على الأدب العربى هو تشويه للأدب العربى عامة ورميه بالقصور والجهل والاعتلال بمجتمعه .

والذنب الأكبر للأدب العربى عند سلامة موسى هو أن هذا الأدب عربى وسلامة موسى ليس بعربى .

والواقع أنه (أى سلامة موسى) ليس أدبياً وعالمًا ولا كنهقارى، بل بعض العلم وبعض الأدب في بعض الأوقات وما يقهه أنه بما لا يقهه

٦ — رأى سلامة موسى في طه حسين والدنى والمقاد
أدب الفورك والأمراد بالبشوات هو هذا الأدب الذى يدعو إليه الذكفور
طه حسين . ومن أحسن ما اقترحه الذكفور طه حسين قبل نحو عشرين
عاما إننا يجب أن ننقل إلى لغتنا ترجمة أدبية لأحد الكتائب الأوربيين .

إنه لولا إنسان المقاد وطه حسين في الأدب العربى القديم لما خاطب
طه حسين الفاروق بكلفة « يا صاحب مصر » ولما وصفه المقاد بأنه فيلسوف
ذلك لأن الأدب العربى القديم هو إلى حد بعيد أدب الفورك .

أن تاريخ أدبنا فى مصر هو مأساة إنسانية قبل أن يكون مأساة أدبية،
ولست أذكر شوقى الذى ملن فى وطنية عرايى ونظم الأشعار فى سبه ومحمد
حسين هيكل الذى أيد عدلى فى تعطيم وحدة الأمة . ثم بعد ذلك أيد زيور
الذى جمع البرلمان فى الظهر ثم حله مساء اليوم نفسه وطرد الأعضاء ثم أيد
محمد محمود فى تعطيل البرلمان ثلاث سنوات تقبل التجديد .

وأدب آخر هو إبراهيم عبد القادر تلى فى قند أشرك مع الذكفور طه
حسين فى تحرير جريدة يومية تخدم زيور فى مسكناة الشبب . (هى
جريدة الانتعاد)

وكان طه حسين وللزنى القلمين القصبين فى الدعوة إلى هذا التعطيم
ووجد فاروق الذكفور طه حسن الذى خاطبه أمام الطلبة « يا صاحب مصر »
ووجد عباس محمود المقاد الذى يقول فيه « إنى لم أسد من قبل بفرصة كنهه
الفرصة الواسعة لاستعجال . طلبة المليك من كشب والأصفاء إلى جلالة على

على إنفراد في جو لا مثيل له بين أجرام السماء. والحديث لأن جو الملك والديعراطية
ممثلين في شخصية السكريم أجمل تمثيل . لقد سمعت في هذا الحديث الواحد
كلام فيلسوف . وكلام بطلن غيور وكلام محدث ظريف . . . وطاف بخاطري
الايان وذكر الوطن »

قال توفيق الحكيم : ان سلامة موسى يتحدى للحكم على قضايا لا يملك
أسباب التعدي لها ويحيل إلى أنه قد انقطع القراء منذ ربع جيل على الأقل
فاني كلما قرأت له لحت أثر تنكير القرن التاسع عشر في اتجاهات تنكيره
والفتنات ذهبت . إنه لا زال يتهم فلسفته . أن كانت له فلسفة . على الاعتراف
بالمادة وإنكار الروح وقال أن ما قرأته لسلامة موسى منذ ثلاثين عاما
لا يختلف عما أقرؤه له اليوم نزعة واسلوبا وإنجاها حادا إلى أنكار كل شيء .
والاستغفاف بكل شيء .

وقال المقاد : ان كل ما يهدف إلى سلامة موسى بين حملاته على الأدب
العربي هو تشويه للأدب العربي عامة ورموه بالقصور والجهل
والاحلال مجتمعه .

الفصل التاسع

بين المازني وخصومه

لم تكن المازني شخصيات واضحة ، ولم أكن أكبر مباركة الأدبية كانت مع طه حسين (١) ولعل الخلاف السياسي كان مصدراً من مصادرهما ، أو سبباً من أسبابها ، ومركباً مع جسد الرحمن عسكري تملك على قدرته على ضبط النفس والرجوع إلى الحق ، وأنه طاق على رأيه في أن مدرسة (عسكري ، العقاد ، المازني) كانت من «عالم النهضة العسكرية الحديثة وليست مدفوعة (طه حسين — هيكل) في جريدة السياسة ون ذلك يقول موبيا قوله إلى الدكتور طه حسين :

« أستأذن صديقي الدكتور طه حسين في أن أقول من غير غمط لأحد أو أنكار لفضل أحد أن أدب العقاد وعسكري وإخوانهما هو عتدى مظهر النهضة الطمهي للأدب المصري ، وهو لهذا تيار رئيسي في رأيي الحركة الأدبية عندما تسايرو تيارات أخرى يتمدر الحكم عليها الآن لأنها صاخبة لم تستقر ، نيا عدا هيكل بك فقد اعتدى إلى طريقة وأخذ سبته فيه إلى غايته أمانيار العقاد وعسكري وإخوانهما فقد أخذ الطريق منذ الملاحظة الأولى ولا يزال ماضياً فيه على سنته في هدوء وصراحة وإيمان والطمئنان .

ولا أنكر أني من هذه المدرسة بحكم مزايي وتربيقي وإطلاحي ولله من سوء حظها أني مددوه من رجالها . »

وإذ هي المازني بالكاتب إلى الأدب لم أنصرف عنها منقضا بعد أن أحسن سبوا للثلاثين من قبل النقد ، فقد رأى أهم يريدون منه أن يكتب مدحاها الصاغت شعار النقد وقد عدده الأحرار التي ولست له من جراء يمين كلماته الصريحة من بعض الكتاب وبعض القراء ، ولقد قد قرآن بعض النقاد من الكتاب حق لا يقرأ منها ما لا يريد وحق يفتي منها «الجب فقط وحس بريح (جملته) من آلام هو في فتى عنها وقد حدث هذا بعد مناقشة الكتاب في الثر التي « الدكتور زكي مبارك ويقول في «الله من مخرج النقد :

(١) أقرأ هذه للمركة في هذا الكتاب

للأزني والقد (١)

أقول أي سرت اعتقد أن هذا القصد هدم وتغريب وقت حيلة وضيفة
وانفلاس وما رأيت أحدا زاد علما بالقديم أو نهما له من أجل أن التقاد
تداوله بفلسفتهم وما ضرونا تركنا الناس يعدرون هذا القديم بمقولهم التي
خلفها الله لهم وبقدرونة على قدر فهمهم وإدراكهم له .

من أجل هذا آليت إلا أنناول شيئا بقصد - لا جديدا أو قديما - فن
كان له كتاب وكان يشتبه أن يسكتب عن السكتاب قليضنة على كفاقد
وليحسب شكري له كمادني .

تهمة السرقة

ولعل أبرز الاتهامات التي وجبت إلى للأزني اتهامه بالسرقة في الشعر
وقصته . فقد هاجمه عبد الرحمن شكري بأنه ترجم شعر بعض الشعراء
الانجليز ونقله إلى قصائده دون الإشارة إليه (٢) ، كما وجهت إليه الاتهامات
بأنه ترجم قصة (ابن الطيبة) وأنه نقل فصولا كاملة منها في قصته الأولى
(ابراهيم السكتاب) .

وقد حفلت أعداد مجلة (النهضة الفكرية) التي أصدرها الدكتور محمد
غلاب سنة ١٩٣٢ بمقالات متعددة تحت عنوان « سرقات للأزني » وقد
رد للأزني على هذه الإتهامات فقال :

في سنة ١٩٢٦ شرعت أكتب في قصة ابراهيم السكتاب وانتهيت منها
ولم أرض عنها فالتفتها في درج حتى كانت سنة ١٩٣٠ فخطرت لي أن أنشرها
فدققت بها إلى الطيبة فاتفق بعد أن طلبت تجو نصها أن ضاعت بعض

(١) ٢٢ سبتمبر ١٩٣١ - البلاغ .

(٢) انظر نص المراجعة في سائر المذكر في هذا السكتاب .

الاصول وكنت لظول المهذقد نسبت موضوعها وأما، أشخاصها فغيرت
ماذا أصنع، ثم لم أرايها من الغنى في الطبع فنددت القمص ووجهت الرواية
فيا يقي منها توجيهاً جديداً ونشرت الرواية .

وبعد شهور ثلثت نسخة من مجلة الحديث التي تصدر في حلب وإذا فيها
فصل يقول فيه كاتبه إني سرقت فصلاً من رواية « ابن الطييمة » مدعشت
ولي المذر وأذكروا أنني أنا مترجم ابن الطييمة ونقلها إلى العربية وأن
آلاف نسخة نشرت منها في العالم . والى أكون أحق الحق إذا سرقت من
هذه الرواية على الخصوص فبحثت عن ابن الطييمة وراجعتها وإذا بالتهمة
صحيحة لا شك في ذلك بل هي أصح مما قاله الناقد القاضل .

وقد إتضح لي أن أربع أو خمس صفحات منقولة بالحرف الواحد من
ابن الطييمة في روايتي « إبراهيم السكاكيب » أربع أو خمس صفحات سألها
القم وأنا أحسب أن هذا كلامي ، حرف العطف هنا هو حرفه هناك . أول
السطر في إحدى الروايتين هو أولها في الرواية الأخرى لا اختلاف على الإطلاق
في ولو أوفاء . أو لم إشارة أو ضمير مذكر أو مؤنث ، ومن الذي يصدق
إذا قلت أن رواية ابن الطييمة لم تكن أمامي ولا في يدي وأنا أكذب
روايي . من الذي يمكن أن يصدق وأنا المؤكد أنه لم أر رواية ابن
الطييمة مدعوت من ترجمتها وإني لو كنت أريد اقتباس شيء من معانيها
أو مواقفها لما عبرت عن صب ذلك في عبارات أخرى ! لماذا سكنت ولم أقل
شيئاً . والواقع أن صفحات أربعة أو خمساً من رواية ابن الطييمة عقلت
هذا كرتي . وأنا لا أدري . لمعني الأثر الذي تركته هذه الرواية في نفسي
فجرت بها القلم وأنا أحسبها لي .

حدث ذلك على الرغم من السرعة التي قرأت بها الرواية والسرعة التي ترجمتها بها أيضا ومن شاء أن يصدق فليصدق ومن شاء أن يهين يهيننا فإن له ذلك .

ولست أروي هذه الحادثة لا دافع عن نفسي فأعني هذا ، وإنما أرويها على أنها مثال لا يمكن أن تؤدي إليه معاينة الذاكرة للإنسان .

الفصل العاشر

معارك أدبية

بين الدكتورين هيكل وطه حسين

تاريخ طويل من العمل السياسي والفكري بين هيكل وطه . فقد عملوا في حزب الأحرار الدستوريين و جريدة السياسة ، منذ صورها عام ١٩٢٢ حتى انفصال عام ١٩٣٣ عندما ترك طه حزب الأحرار وانضم لوند وبدأ يكتب في جريدة الكوكب . ثم استمرت الصلة بينهم من اختلاف طه حسين مع الوند وهيكل مع الأحرار حتى كانت ١٩٤٦ حينما عاد الأحرار إلى المنحكم مع المنعدين ، وما وقع لهم حين من أزمة أشعلت ثغرى للأوربا وأن يبنى هناك فترة وأن يوجد من هناك العديد من الرسائل إلى خديوم البوهو وأصدقاء الأوس ومنهم الدكتور هيكل لم عودة طه حسين بعد ذلك وبناء المصوبة بينهما ، ثم ما كان من نولى طه حسين مناصف وزير للدارف في عهد حكومة الوند عام ١٩٥٠ فبوزالت المصوبة بعد الثورة وكتب طه حسين للملكة هيكل الأخيرة « هكذا كانت » قبل وفاة هيكل والواقع أن طه وهيكل كلا في السياسة كمرس زمان ، يفترضان البناء والهدم في كل مناسبة ، ولكن عندما اختلفا لم يفتضا إلا في أمر جد صغير ، كان ذلك حين تحول هيكل من الإنعصاف إلى المعارضة القوية إلى القنعة عليها ومقاومة حركة القريب ومهاجمة المسترفين واليبرين الذين غشوا ، من أتراننا وكلياتنا ، وكانت كتاباته من عهد الإمبراطورية الإسلامية ، نادرة هذا القول ، وهذه تافج من المارك الأدبية بين هيكل وطه حول كتاب هيكل « جان جاك روسو » و « ثورة الأدب » ثم صورة من محادثات طه بالجمولة إلى هيكل إبان الأزمة

١ - جان جاك روسو : فقد طه حسين

« يجب أن يكون هيكل شديد الانواء ، على النقاد . مسرف في ازدراء القراء ، غالبا في الاقتناع بأنه وحده موقن بخير حين يسكر وحين يعمل . فقد أذكر أني تناولت الجزء الأول من كتابه حين ظهر في سنة ١٩٢١ فتر أنه بعد مشقة وكفت المظهر الجزء الثاني من كتابه لأثنى ثناء خالصا من كل عيب ، ولكنني اعترف بأنني أحسست شيئا كبيرا مما يبدو أنه خيبة الأمل حين انتهى إلى هذا الكتاب ذلك إنني رأيت صاحبي هذه المرة كما رأيته في هذه

للمرة الماضية مزدرباً لقرآؤه للقادة . ولا يحفل بأولئك ولا بهؤلاء . وما أحسب
ألا أن هذا الازدراء ، خلق من أخلاقه ليس إلى إصلاحه من سبيل .

ثم لم يبق أمر هذا الكتاب عند سوء الطبع وقبح الورق . فإني رأيت في
كتاب يبحث فيه عن نهضة فلا يجد ! وما رأيت في كتاب لا يستطيع
أن تلزم بما فيه إلا إذا قرأته من أوله إلى آخره !

ثم لم يبق الأمر في هذا الكتاب من هذا الحد . فهو كالمكتف
بإهمال الطبع والورق . ولا بإهمال النهضة ولا بإهمال التقسيم والترتيب .
بل أضاف إلى هذه العيوب من الإهمال ضرباً آخر ليس أقل قبحاً عندى .
وقد يكون أشد قبحاً عند غيرى من الأدباء والقادة ، ذلك هو
إهمال الفن .

لقد أعطيت نفسى من الحيرة في نقد هذا الكتاب أكثر مما ينبغي لها
فما يظهر ، وما رأيت في محرر السياسة الأدبية يتناول بهذا النقد العنيف ،
رئيس تحرير السياسة ثم لا يستحي أن ينشر هذا النقد العنيف في جريدة
السياسة نفسها (١) .

أليس هذا إسراف أو شيئاً فوق الإسراف اكلاً ليس إسرافاً ، وإنما
هو التصديق كل التصديق والاعتدال كل الاعتدال فهو كالمكتف لعلى السيد ،
ولقد أذكر أن لعلى السيد علفتا حين كان مديراً الجريدة ، أن نقداً صاحب
الصحف في صحفهم ، وعودتنا أن ينشر نقدنا راضياً به منتهجاً له معتقداً أن
كان في الأمر ما يدعو إلى الاعتذار ، ولم علت أن في هذا النقد ما ينضب
صاحبه أو ينهضه لما نشرته لا في السياسة ولا في غير السياسة . استغفر الله .

(١) نشر هذا النقد في أثناء غياب مهيك في أوروبا .

بل لو علمت أن في هذا القصد ما يذهب صاحبه أو يفيظه للشرعة والمضحية
بصحة هيكل في سبيل ما اعتقد أنه حق .

وليس معنى هذا إني لن ألقى من رئيس تحرير السياسة شططا ولا اعتداء،
فأنا أعلم ما ينتظرني منه بعد أن يعود من سفره . ولكنني أعلم أننا مستعدون
ونحنصم ، ثم نقضاحك ونفترق .

رد عيسكل على طه

أود أن أسألك عما إذا كان القارئ البعيد عنى وعن دوسو يشعر بمثل
شعوري بعد أن يفرغ من قراءتك ، وقد عرف أن الكتاب مطبوع طباعينا
على ورق ردي وأنه على ذلك كتاب دسم مفيد ، ولكن سوء طبعه
يصد عن قراءته ، فما الذي يمكن أن يتف عليه من أمر الكتاب . ألا تظن
أنه يشعر بأنك لم تقرأ الكتاب بل اكتفت بتقليب صفحاته . ولقد صرحت
بعد ذلك على الكتابة من الشكر والصورة الطاهرة من غير أن تسكت نفسك
عنا، الزقوف على موضوع الكتاب لرى أن كان على سوء شكله يستحق
احتمال القراء عفا، مطالعة ولقد ندر مباحث الكتاب فتحكم له أو عليه

وهب أن فارتك كان من الذين يولعون بالاستقصاء، ما في الكتب مهما
محبهم هذا الاستقصاء، من عفا، وهب أنه كان من الذين لا ينفلون بالظواهر
ولا ينفون كثيرا باللباس ولا ينفون قيم الناس يارديهم ويحبون التائق
طوا ، فاذ يسكون حكم هذا القارئ، على ما كتبت حين يراك اقتصر على
نقد الطبع والورق .

أما شكك له غياب القهرس والغبوب فكنت أود أن أشاركك رأيك

فهو لولا أن الجزء الثاني من كتاب جان جاك في غير حاجة إلى فهرس أو فهرس . فهو يلخص رواية طومز الجديدة وكتاب التربية وينقدها . وليس فيه شيء آخر وهل تحسب أن التارقى كبير في نظام العلم والأدب إلى حد لا يصبح معه نقدك مشوبا بشيء . غير قليل من الإسراف الذي ذكرت أنك لا ترضاه .

كنت أرجو أن لا يفت نقدك عند الغضب في منى وإظهار هذا الغضب في ثورة صريحة ، وكنت أود أن نتناول موضوع الكتاب وأن تبين لقاوتك في شيء من التفصيل ما تراه من وجود حسنة وقبحه ، وكالهدو نفسه وما أحسبك حين تعرض لهذا النقد مضيقاً وتلك سدى .

٢ - ثورة الأدب لميسكال : فقد علمه حسين

هل أنا في حاجة إلى أن أصف ميكل وأحد قلبه الزكي وعقله التوى وبصيرته الفائقة وفهمه الصحيح لحقائق الحياة . فهو ميسكال صاحب صحيفة يشرف عليها ويدير أمورها ويكتب فيها فصلاً في كل يوم على أقل تقدير . وهو عضو في حزب - يأسى يشارك زملائه فيها بمقرون ويتحدث إليهم كل يوم في السياسة إذا كان الصباح فإذا كان المساء وهو أديب يقرأ فيكتفر في القراءة وينوعها فيحسن تدوينها ، يقرأ في الأدب الإنجليزي ويقرأ في الأدب الفرنسي . ويقرأ في السياسة ويقرأ في التاريخ ، والترتيب إنه لا ينكره أن يقرأ في علوم القانون وهو على هذا كله يكتب في الأدب في موضوعات مختلفة منه ، يكتب في الأدب الإنشائي فإذا هو يعصف فيبدع في الوصف ، وإذا هو يتنم فيجيد القصص ويكتب في الأدب الوصفي فإذا هو ينقد الشعر وينقد النثر . ويتوقف في هذا النقد إلى غير ما يطعم

فيه الفاقنون . وهو على ذلك كله أب وزوج لا يهمل على أسرته يحقها عليه ، وهو صديق لا يهمل على أصدقائه يحقونهم عليه ، وهو رجل له مكانته الظاهرة في حياته الاجتماعية والسياسية وهو يفيض بما تستقيمه هذه المكانة من حقوق وواجبات ، والقريب مع هذا كله انك تلقاه فإذا رجل هادئ مطمئن كأنه أناني منذ حين قصير من يوم مرخ فهو لم ينشط كل النشاط بعد ولكنه يبعد عن الجور والفتور ولا تسكاد تتحدث إليه دقائق حتى يبتدك وتروحك فسكانك تتحدث إلى جنى ولكنه جنى عذب الروح لذيذ الحديث .

لم أجد في الكتاب شيئاً جديداً وأرجو ألا يعذب هيكال بالكتاب كله جديد ولكن أعرفه لا لأى قرأت كثيراً من فصوله ، بل لأى قرأته وسأقرأه كانه في هيكال كلها لقيته أو تتحدثت إليه ، وأظلم هيكال ، وأظلم نفسى أن قلت إى راض على كتابه كل الرضا فهيكال من أصحاب المامى بين الكتاب وإنه يهمل لفته إعمالاً شديداً وبفورط فى ألوان من الخطأ واضطراب الأسلوب ، يدينه أحياناً من الانبذال ، والتعريب أنه لا يصدق بذلك ولا يبدى به بأساً ولا يمتزى بأنه يسى . إلى نفسه وإلى أدبه معا

رد هيكال

وبأخذ هيكال في عرض موجز لتسكارات التى سبق أن كتبها طه مقلنا على أسلوبه وأدبه من قبل عندما صدر فى أوقات الفراغ ١٩٣٦ حيث تقول : كذلك كنت منذ عشرين سنة أو نحو ذلك حين كنت تسكتب فى الجريدة وكذلك أنت الآن . . . وأن يسكن قد جدئى . فهو فبك ازددت فيها أنت فيه من القوة نباتاً ورسوخ قدم ، وألك استطلعت أن تملك اللغة العربية وتسخرها لأغراضك . وقد كانت تصدسى عليك وتنتهى

بك أحيانا إلى ما يسكوه سيويوه والخليل وصديقك طه حسين . وافت
تذكر ما كان بهي وببك من جدال متصل في هذا الموضوع . فقد كنت
أنتك بقلة البلاغة في اللغة العربية وكنت يجيبي بأنى أزهرى . وكان
استاذنا ابنى السيد يسخر منك ومنى فى رفق وحنان . وقد مضت أيام
وأعوام ، ومازالت أنا أزهرى كما كنت أما أنت فقد انقضت اللغة العربية
إثباتا (١)

من هيسكل إلى طه

هذا البحث يشعنى بآلك من أثر في مجيودى وإنتاجى بملك صاحب
فضل فيه كبير ، ولست أخفيك إلى مدين في حياتى ككاتب لأشخاص
كثيرين شجعونى وأزودونى وعاونونى بوجههم وتقديم وبسمن توجيههم
إلى ما أزال بحاجة إلى هذه المؤازرة وإلى هذا الوس

ولست أخفيك أن نفاك من (ثورة الأدب) قد أثار من اهتمامات
دهشة وخيل متعاليين ، فقد رأيتك تصورنى فيه بصورة لا أعرفها لنفسى ؛
صورة جنى لا يقطع إنتاجه وأب لا يبتذل على أسرته بحقها عليه . .
وصديق لا يرضى على أصدقائه يحتوهم عليه ، فليست أعرف لنفسى من
هذا كله شيئا ، إنما أنا مقصر في حقوق أصدائى أكثر من مقصر في
حق لى .

ثم ماذا أراى يا صديقى أنتجت ، ذلك من فصول يومية تكتب في
الصحف أنت أعرف الناس بتفاهة ما يفتق من مجهود في هذه الفصول ،
ودعك من العمل في حزب سياسى فأنت أدرى بالسياسة المصرية . ما هى

(١) البشارة ١٧ ، بوابه ١٩٣٣ .

وما يبلغ الجهد فيها . ذلك من هذين وانظر وإلى نيا اقتبعت . أنه
لاشيء ، ألا لا يسكاد يسكون شيئاً فأنا رجل بيني وبين الخامسة والأربعين
شهور ، وهذا أنا .

وما أدري يا صديقي ما عسى أقول لك فيها كتبت عن (ثورة الأدب)
لئلا أثار دهشتي وأثار خجلي فما كنت أحسبه يقال مثلك كل هذا التقدير
وما كنت أحسبه جديراً به .

ولذلك أنت شعرت بهذا وخشيت أن يتهكم القاص بالإسراف في
في الثناء على صديقتك إسرافاً يصرفهم عن حسن الاستماع له ، فأردت أن
تحصى عليه وعلى كتابه بعض عذات تجعلهم أدنى ألا الإيمان بمقالة فنانك
وانت على حق فيما أحصيت من بعض المقاتل وإن كنت قد أسرفت في
بعضها فقد ذكرت أن هيكلان من أصحاب الماني بين الكتاب وأنه يحمل
لنفسه إجمالاً شديداً .

والحق يا صديقي اني لا أضيّق بأسلوبى ولا أجده به بأساً ولعلك يا صديقي
على حق بل أنك لعل حق ، فليكن أسلوبى ما يكون فإن أرضى به بدلاً
فأسلوبه الكاتب هو الكاتب وإن أرضى لنفسى أن أكون إلا أنا بما في
من حسن وقبح ، ومن خير وشر ، ومن عرف وقسكر ، وللمجد لله الذي
لم يمهلى شراً مما أنا .

ومال أضيّق بأسلوبى ولم اتخذ الأدب يوماً صناعة ، ولا أثارفرت على
دراسة الأدب ، إنما أنا رجل درس القانون والاقتصاد والسياسة ومال إلى
قراءة الفلسفة والأدب لا إلى دراستهما دراسة انقطاع وتحميض ، وطبيعى

أن يكون أسلوب الذين درسوا القانون والذين يرون أن تؤدي
الماني بالقاظ لازيد عليها ولا تنطبق بها .

والذين لا يمتد بهم لذلك بهرجة اللفظ وقد زأدي حرصا على هذا الأسلوب
اني رأيت مثله موضع الاطراء من طائفة كبار الكتّاب والفلاسفة .

ولعل ميل العالم الحاضر إلى السرعة في كل شيء هو الذي جعل
الاطالة ، قبل الاستماع إلى الأشخاص الذين يسيرون بالاستماع . لعل هذا
الميل إلى السرعة هو الذي مال حتى بالأدب إلى أسلوب القانون وهو الذي
جعل الذين درسوا القانون في فرنسا وفي مصر وفي كل أمة من الأمم يمددون
في الأساليب كما يمددون فيها الذين توفروا على دراسة الأدب أو أكثر مما
يبددون فيها هؤلاء . في بعض الأحيان ولكي أعترف بأصديقي بأنك على
حق حين أخذتني بأنني أسرع فيقولونني لذلك التحقق من بعض الشؤون
وانك وقمت على حدة ما كان أن أقم فيها حين أردت أن أذكر الأوديسا
فذكرت الأبياد .

من عله إلى هيكل

فأخجل بأصديقي ما وسعك الفجل وادعش ما وسعك الفدعش وانغضب
بأصديقي ما استطعت أحتال الفغضب ، فأنت كاتب بارع وأدب فذ كثير
الإنتاج كأنك الجبني . فيك لسراع إلى الحكم وتعود عن البحث ورغبة عن
الاستقصاء . تضطرك أحيانا إلى الخطأ وتصرنك أحيانا عن الحق ، وفي
أسلوبك الرائع البارع وبياناتك الفائق الرائع شيء من الضعف يقرب أحيانا
الاهتدال ، ويحيل إلى أن هذه الملاحظة وجدتها هي التي أملكك ، فأذن لي
في أن أصر عليها وألع فيها ، وإذن لي في أن أصر أيضا على كل رأي

فبك لا أغير منه حرنا ولا انقص منه شيئا فأنت تبهيد حتى تصل إلى
الابداع وتضيق حتى تشرف على الإيقال ، ولك أن تقول ما شئت لأنني لم
أعدك إلى مواطن الضعف في أسلوبك فقد بنيت من هدائك لأنك كما يقول
محب لأسلوبك كما هو مشغوف به على علانية لا تريد أن تغيره ولا أن تصلح
مواطن النقص فيه ...

رساله إلى ...

خطابه مجهول من طه إلى هيكمل بعد الخلاف والقطيعة
لست أدري كيف أدعوك ! فقد كنت فيما مضى من الأيام أدعوك
بالأخ للمزق والمديق السكوب . وأنا أخشى أن أسوءك وأن أسوء الحق أن
دعوتك بهاتين الصفتين . إحداهما أو كليهما .

نعم ! لست أدري كيف أدعوك . فليست أريد أن أسوءك ولست أريد
أن أسوء الحق ، فالحق يعلم أنك كنت لي أخا عزيزا وصديقا كريما ثم انتهت
الأخاء الفاء ومحوت الصداقة محورا .

وكنت أحبك أشد الحب وأوترك على الناس جميعا وأوترك على نفسي
قبل أن أوترك على الناس . وكنت تحبني أشد الحب ، وتؤثرني على الناس
جميعا ، وكان كل واحد منا حريصا من أجل ذلك على أن يعرف من أمر
صاحبه كل شيء .

أنت لتفهم عني وأن لم أدعك واني لأوجه اليك القول وأن ثم تسمع
دعائي ، فأنت رجل تتحدث عنه الصحف فتسكتز الحديث . وتروي أبناء
تتحمس رواية الأبناء ، لا أعرف من امرك إلا ما يعرفه كل قارئ . للصحف ،
ولا أعتقد إلا حين تفرض علينا ظروف الحياة أن نلتقي في هذا البعث أو ذاك .

وقد يقول أحدنا على الآخر مكرها فيهدى إليه نعمة فآثره ملؤها الاستعيا، أو
الاستعناء، وفيها كثير من التمجيل .

ستقرأ هذا الكتاب ما في ذلك شك لأنك تقرأ كل ما اكتب كما أقرأ
أنا كل ما تكتب ، فأنت مريض في كما أنا مريض بك ؟ لا تلتقي ولا تنزاور
ولا تتحدث ولكنكما تتعمل كل رغم هذا كله انهما لا يشوبه الرضى حيفا
ويشوبه السخط حيفا ويشوبه الحزن دائما .

الفصل الخامس عشر

معركة لقعة العرش

أضخم معركة في تاريخ الأدب العربي المعاصر

بين زكي مبارك وطه حسين

هذه أضخم معركة أدبية دارت من جانب وأعد بين زكي مبارك وطه حسين، واستمرت منذ ١٩٣٩ إلى - ١٩٤٠ على مراحل متعددة منها المصومة المكررة ثم المصومة - الله في العرش من أقصى طه حسين مبارك من الجامعة، وأثار ذلك صلابته وسعى لإزهايم الأثر، ثم أصبحت المصومة حقيفة وسدادة فتوحها المصومة بهذه كتابا أخرج طه حسين حينها أو كتب من غير وجهه للقول أن زكي مبارك ظل مدفوع الإصرار إلى طه حسين طويلا حياته منذ - حرف الأحرار والجامعة عام ١٩٤٢ وحزن ترك الأحرار إلى الجامعة ١٩٤٦ ثم بعد إضرابه ١٩٤٩ وانتهى زكي مبارك إلى الجامعة نهائيا. كاتصاله بعتة حسين ومحملة ككبرياء له ثم موافقة سنة أيا. أزمة العصر الجاهل وهو موافق بعتة زكي مبارك بأنه الرجل الوحيد. وقف إلى جوار طه حسين ودافع عنه وكتب في التمام والأحرار بلقدهه. خصوصه، إلى أن أسره طه بأن، بعدت عن كرامة سنة ١٩٤٩م

ومحرز زكي مبارك الدكتوراه من (الاحتراق عند الفزالي) وبهاجم (الفزالي) صاحب الاحياء، رغبة في خلق جو من الشهرة، ثم يحاول أن يسافر إلى أوروبا عن طريق الجامعة، فإذا بحيل بينه وبين ذلك. سافر عن طريق جريدة البلاغ - ثم يرى رأيا في النثر القوي يحالف رأى المشرقين ورأى طه حسين ويقع الخلاف بينه وبين أساتذته في السربون ويصر على رأيه ويسجله في رسالة الدكتوراه (النثر القوي) ثم يعود إلى مصر مواصلا الحق على آراء مسيو مرسيه كبير المشرقين في السربون. وهنا يصدر كتابه النثر القوي فيلقاه السكتاب باللقد ويسايلونه في آرائه، إلا أن الدكتور طه فهو الذي يشير إليه إشارة عابرة بأنه «كتاب من السكتاب الله كاتب من السكتاب» ثم تمع المعركة بينهما، وبخروج طه حسين من الجامعة في أمان حكم صدق وبدائع مبارك عن طه، ثم بتأجيل زكي أن يعود إليها، مدرسا بكلية الآداب ويتغير الجو السياسي ويعود طه حسين ويرفض تجديد عقد زكي مبارك

ويفصل طه حسين زكي مبارك من الجامعة فيها دم طه حسين هجوماً مرأً
ويكتب تحت عنوان « نوجاع أولادى لشويت طه حسين وأطمئنتهم طه »
وجاء فيها « لقد ظن أن طه حسين انزعج الآفة من يد أطفالي فليعلم حضرة
أن أطفالي نوجاعوا لشويت طه حسين وأطمئنتهم طه ولكنهم لن يجمعوا
مادامت أرواقتهم بيد الله » .

ويستمر المعركة بينهما طويلاً لانتهاى ، ويفصل فيها زكي مبارك إلى حد
يميد من الأسفاف ويرى القناد أن هذه المعركة لها صلة بالتفريب ونفوذ
السقشترين وآرائهم وقيمة التفقيين الذين يتلقون دروسهم في السريون في
ترويج آراء الغرب والإيمان بها ويقولون أن آراء طه حسين في الشعر الجاهلي
كانت آراء مسيو مرسيه وغيره وأن زكي مبارك حين ناقض هذه الآراء إنما
أراد أن يصور من سلطان السقشترين الفكري والتفريبي ولذلك أغروا به
طه حسين الذي فصله من الجامعة والبقاء إلى العمل في مجال آخر حتى يسكون
عبرة لغيره ، ويرى بعض القناد أن « السكرامة » التي حاول زكي مبارك أن
يحفظ بها إزاء طه هي التي صنعت لظسومه وبرون أن زكي مبارك
تحول تحولاً كبيراً بعد هذه المعركة فهاجم أراء السقشترين التفريبية وناقضهم
وكشف من تمذهب في خلق الشبهات ، ودعا إلى بحث إبعاد العرب وظاهر
القومية العربية ودعا إلى التعليم في الجامعة باللغة العربية ، وقال القناد أن
السقشترين والسائلة باريس وطه حسين يرون أن زكي مبارك رجل غير
معتول وعاق لأنه خان أمانته للتفريب والمخاضرة الغربية ورسالة النسكر
الفرنسي في تسميم الفكر العربي وهذه والتفليس عن شأنه وإثارة
الشبهات حوله .

وترسم مجموعة مقالات زكي مبارك التي تضمنها هذه المعركة ، صورة

رجل طوب القاب كان يطلع إلى استاذ في وفاة ولا يرى أن معارضة رايه
تفسد ما بينهما من ود ، فإذا هما حسين يفتقم منه انتقاما عفيفا يحمله إلى إعصار
عاصف ، يا كل الأخضر واليابس .

وبرى زكي مبارك أن كتابه « الفكر القوي » هو نقطة الخلاف ، ولذلك
يعلم يعلم « أن الدكتور طه علم اليقين أن كل نسخة توزع من كتاب
الثقافي » هي سم مسموم بصوب إلى صدره وهو بذلك يتجاهل اسم
المؤلف واسم الكتاب .

ويشير إلى رأى طه حسين فيه حين يصفه بأنه أى زكي مبارك (الرجل
الذي لا ينفق إلى قلة إلا وعلى رأسه عقرت) يقول مبارك : تلك كنتك وأنا
هنا راض وبها يفتل فا هو العقرت الذي يفتل رأسى حين أخفو إلى ظهري ،
أن كان ذلك فأنت تشهد لي بالعقرية ، وهل تكون الديمقراطية إلا من تصيب
من يخاصم رجلا مثلك فيسجل الحق وما هي الديمقراطية أرجوها من مخاصمتك
وأنت رجل يضر ويقنع .

ويستعمل زكي مبارك في مساجلاته ويقول لطه حسين :

هل تذكر ماوقع في نوفمبر سنة ١٩١٩

هل تذكر ماوقع يوم غاب سكرتيرك وكنت وحدى الطالب الذى يقم
المباراة الفرنسية لكتاب (نظام الاثنيين) لأرسطو .

هل تذكر أنك أعلنت مرورك بأن يسكون في طلبة الجامعة المصرية من
يقم أسرار اللجنة الفرنسية .

ويستعمل في مناقشة أخرى فيقول :

طالبته بالتليفون لأخذه من معنى كلمة الزمالة وهو يقيم بالزمالة .

نقال : لا أعرف إذ كنتو زكي .

قلت : أن الزمالة جمع زملة بضم الزاي وهي كلمة البادية ولأصل فيها أن محمد علي سكن جده بتلك البقعة في مواسم الاصطياف والزمالة هي الخيمة في اللغة الألبانية .

وقد هاجم زكي مبارك طه حسين في أمرين هامين :

الأول : رأيه في أن الأدب العربي يرجع إلى أصول فارسية ويونانية .

الثاني : رأيه في أن عقلية مصر عقلية يونانية^(١) .

ومع ذلك فإن زكي مبارك يبدو مقصفا لطله حسين مرتين . إبان ازمنة الأولى من أجل كتاب الشعر الجاهل وللمرة الثانية عند ما هوجم في مارس ١٩٣٤ ونقل من الجامعة إلى وزارة المعارف وقد كتب زكي مبارك يقول : « وطه حسين هذا يزعم فريق أنه ملحد وزعم آخرون أنه يدعو إلى النسق والمجون ، واقدم بالله صادقاً ما رأيت من هذا الرجل وقد صاحبه اثني عشر عاماً إلا التلب الطوب والأدب البارع والخلق اللين »

بدأت الحركة بينهما بصفة جديدة عندما أعيد زكي مبارك إلى الجامعة بعد إخراج طه حسين منها فلما عاد طه مرة أخرى رفض تجديد عقده وقال : « أنا لم أستشر في تعيينه فكيف أستشار في تجديد عقده » .

وكان ذلك دائماً له لكتابته مقالته القارية (طه حسين بين البنى والمعوق) .

والتي قال فيها « أن مودتي إلى الجامعة لا تدعش لأني لم أجد إليها من

(١) راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب ص ١٢٢ .

(انما هذه الأهمية)

عرض الطريق فقد ذكراني طه حسين للتدريس في الجامعة منذ أربع سنين ثم تم اشتغلت بالتدريس إلى جواره ثلاثة أعوام » .

وقال ان إرادة فؤاد إرادة والدكتور طه هي التي أخرجته - أي مبارك - من الجامعة ثم عاتبه على أنه ذكر بأن عودة مبارك إلى الجامعة كانت مكرمة من (طه عيسى) وبعد فمذه فصول المعركة :

١ - ذكرى مبارك : (علائح الحركة)

مرت ^(١) للناقشات عادة في هذا الكتاب (النثر الثاني) ولم تستمر إلا حين اتصلت برجلين من كرام الرجال ، هما للسيو مرسية والدكتور طه حسين .

أما للسيو مرسية فمالم واسع الاطلاع ، وهو رأس المستشرقين الفرنسيين لهذا العهد ، وكانت له آراء مدونة عن نشأة النثر القوي عند العرب ، وما كدت أصل إلى باريس حتى همت بما جفقه ففحص للسيو ماسينيون وأنهى أنه رجل صعب الرأس ، وأن منزلته في العهد القوي عظيمة وأن المستشرقين جميعا يحفونه أعظم الاحلال . ولكن كتب الله أن لا أنتصح برأى للسيو ماسينيون ، فابتدأت رسالتي التي قدمتها للسيوريون بفصلون في نقض آرائه من الأساس فنضبت الرجل وثار ، رسم على حذف الفصلين وصمت على بقائهما بحجة أنها الداء الذي تنهض عليه نظريتي ن نشأة النثر القوي .

وكأنما عز عليه أن أعاجبه في فقر داره فنسقي يداوين عداد شقيا كانت له آثار وشمة لا أتذكرها إلا انتفضت رعبا من عجز الرجال عن ضبط النفس وقدوتهم على تقويض دعائم الأنساق .

(١) من كتاب النثر الثاني ص ١٣ وما بعدها .

وقد قابلت خوسومة بلردافسى وأعطف، ورأيت الحرم على أرائى أفضل من الحرم على رضا فأقبلت الفضائل الذين أغضباه - واثمينا إلى عاقبة أنصح منها للسير ماسنون كل الانصاح حين لقيه في باريس إذ قال « أن للسير مارسيه لا يملكه ولكنه لا يستطعم أن ينسك »

أما الدكتور طه حسين فإدري والله ماذنيه حتى يهاجم أعطف الهجوم في هذا الكتاب - أن هذا الرجل تربطى به ألوف من الذكريات ، يرجع بعضها إلى العهد الذى كتبت فيه طابا بالجامعة المصرية القديمة يوم كان يسلط العدل الذى يابس ثوب الظلم امتحان الطلاب ، فقد ساعدت على استعاطى في امتحان الجرائد ووصف الشعوب وأسقطنى مرة ثانية في امتحان تاريخ الشرق القديم ، والسقوط في الامتحان مما يحفظه الطالب المختص لأستاذة التصف .

ويرجع بعض الذكريات إلى العهد الذى كتبت فيه مدرسا بالجامعة المصرية الجديدة ، حين كتبت أحمل إليه على اكتشاف أحجار الأساس لترفع القواعد من كلية الآداب .

وأدق ما يتصل ببلدا من الذكريات ما وقع في ربيع سنة ١٩٢٦ يوم ظهر كتاب الشعر الجاهل ؟ وثارت الأمة والحكومة والبرلمان ، وكان أصدقائه وزملاؤه بين خائف يترقب ، وحاسد يرمي ، وكفت وحذى صديقه الذى لا يهاب وزميله الذى لا يخون .

ولكن حساسي العسكرية التي أدانها عنها ، وغرام الدكتور طه بفتحها في رسائله وأحاديثه ومحاضراته ، كان مما جعلنى على مقاومته بعنف وقوة ، حتى ليحسب القارىء أن بيننا عداوة سبقت لأجلها القلم قطرات من الدم الزعاف حين عرضت لخص اراءه في فصول هذا الكتاب .

اكعب هذا وقد شرف الدكتور طه وغربت ولم يبق بيثنا إلا أطياف
من الذكريات .

٢ — ملا حسين : القند والعربوش وزجاج الدافذة^(١)

• • ذكرت القند والعربوش وزجاج الدافذة ، واعتقدت أنا أو خيل
إليك إلى اعتقد ، واعتقدت أبت أو خيل إلى أنك اعتقدت • واعتقد
صديق المازني أو خيل إلى نفسه وإينا أن يعتقد إلى قد امتت الرسالة وقراء
الرسالة بفعل فهم أو غير فهم أو غير فهم ، قوامه الحديث عن القند والعربوش
وزجاج الدافذة .

وتسألني ما بال الأستاذ المازني يتحجم هذا اقعاما ، وما خطبه مع القند
والعربوش وزجاج الدافذة ومرق القول النابت وما ، الخيال وما يتبع هذا
كله من الأشياء والأحياء ، فأجيبك بأن هذا السؤال لا ينبغي أن يساق
إلى وإنما ينبغي أن يساق إلى الأستاذ المازني فهو الذي تحدث عن
هذا كله .

فهل تدري ماذا فجع الأستاذ المازني إلى أن يتحدث عن هذه الأشياء
وعن هؤلاء الأشخاص فيبهرني إلى أن يتحدث عنه ومنها وعندهم ؟

هو شئ يسير جدا ، هو أنه أدب يقرأ في السكتب ويسكتب في الصحف
ويقتد السكتاب والمؤاتين • وتغير الأزمان وتبدل ظروف الحياة ، ولكن
هناك شيئا لا يتغير ولا يتبدل في حقيقة الأمر ، وهو أن الأدب محنة يمتص
بها الأديب .

(١) الرسالة ٢٦ مارس ١٩٣٤ .

وقد امتحن الله صديقنا المازني ووفر له من شدة الأدب وبلائه خطأ فليما
فيجمله شاعراً مجيداً وكانها بارعا ، لا يصدرك كتاب إلا أواد القاس أن يعرفوا
وأه فيه وحكمه عليه .

وكان صاحب السكتاب نفسه أحسن الناس وأشدهم طلباً له وألحاحاً
فيه ، والسكتاب يحضر على الأستاذ المازني ويحضر معها طلب النقد وطلب
التقريب . والنقد والتقريب يحتاجان إلى القراءة والدرس ، وإذن فالمازني
المسكين مصروف عن نفسه وعن فقه وعن كتيبه إلى هؤلاء الذين يكتبون

ومن هنا ومن جهات أخرى كان المازني شقياً بالأدب وأن كان الأدب
سعيداً بالمازني ، وأي شيء أذل على شقاء المازني بالأدب وسعادة الأدب
بالمازني ، أقوى من هذه القصة التي أحدثك عنها الآن ، فقد أخرج كاتب من
السكتاب كتاباً من السكتاب « وأهداه إلى الأستاذ بالطبع » ، وعرف الناس
أن هذا السكتاب قد أهدى إليه فأخذ الناس ينتظرونه وأخذ صاحب السكتاب
يقوم خاص ينتظر ، فلما طال الانتظار كان الطلاب ، ولما كان الطلاب ولم
يجد شيئاً كان الإلحاح ، ولما طر المازني أن يذعن ، واكره المازني على أن
يسكتب ولكنه كان قد أرسل السكتاب إلى من يهداه فلما اشتد عليه الإلحاح
ذهب في طلب السكتاب من الجبل فذهب إلى رحله غريبة وإلى استكشاف أغرب
فتح من هذه الأحياء المتحضرة التي تقع فيها الشوارع والتي لا تنفطئ أرضها
بالوحل إلى أزقة ضيقة ملوثة فاسدة الهواء ، تعيش فيها أجيال من الرذلة
والشياطين وفي هذه الأزقة عرف المازني الطوف والفرق . ثم عرف قصة الرجل
الذي يطلب كتاباً فقد طربوشه وعاد صفر اليدين . ولكنه السؤال الذي
أحب أن أسأله هو : هل يظن المازني أنه لم يرأ ذمته أمام القراء وأمام المؤلف

بهذا الفصل البديع الذي كتبه منذ أيام نعشتنا فيه من القدر والطربوش
وزجاج النافذة وعماء تحمل الأرض من حولها وتطير السماء من فوقها .

وسؤال آخر : أحب الأنياب صديقي المازني حين أسرقه إليه عما ياله
يطش على نفسه ويسرق عليها في الطغيان ويصورها هذا التصور الذي لا يلائمها
بحال من الأحوال والذي لا تنجبه لها . قبل من الحق أنه هباب إلى هذا الحد ؟
كلا ولكنه يحب أن يبعث بنفسه فيسرق في البيت وأكبر الظن أننا أن
حدثناه في ذلك ضائق بنا وصغير . . . وأخشى أن لا يكون شيء . من هذا كله
أصل ولا فرع كما يقولون ، وأن يكون المازني قد أراد نقد الكتاب الذي
طلب إليه نقده فمضى به الخيال ، ومضت به الدعابة إلى هذه الأثرقة الضيقة
اللقوية يبحث فيها عن الكتاب وصاحب الكتاب ، ولم يقدّر إلا أن نقد
طربوشه وأضاع على صاحبه الشبه زجاج نأندته ولم يحن لنفسه ولا لصديقه
المؤلف شيئا ، وويل للكتاب والمؤلفين من دعاية المازني ومجونة وويل
والمؤلفين من للكتاب التناز المازني ورموزه بل وويل للمازني نفسه من
طغيان خياله وجموحه فان في هذا الجسم القوي الضئيل ، جسم هذا الرجل
المهادي الوديع ماردا لا كالردة وشيئا لا كالشياطين .

من زكي مبارك إلى طه حسين

أنا أعرف الدكتور طه حسين ^(١) أقسم جهود اليمين لجسطن كتابي
مستقلا ، وليتموه من الوجود وليصيرن إسم زكي مبارك مرافقا لأسم عيسى
بن هشام ، إجمعا ما يقول الدكتور طه حسين .

« أخرج كاتب من الكتاب كتابا من الكتب » فمن هو الكاتب وما إسم ذلك الكتاب، لعلكم فهمتهم أن الرجل طوى إسم كتابي فاستطاع بذلك أن يمحوه وأن يمر على كتابي ذيل اليستان ، ولم لا يفعل ذلك وهو يهجم أنه يرتع أفراما ويقتض آخرين ، وأن للأولين لا يبرقون إلا إذا زكاهم وأثنى عليهم .

سألت جميع الناس أن ينقدوا كتابي (النشر القبي) .

لقد سألت فلان وفلان ... وكان الدكتور طه هو الرجل الوحيد الذي لم أسأله على الإطلاق فكيف تخطوته مع أنه يكتب كل يوم

تخطوته لأنه يقدر على كل شيء . إلا الأوصاف ، وهو لا يصف حين يصف إلا الحاجة في النفس . وقد قطعت بيني وبينه الأسباب منذ اعتزمت كشف مآزيره من الاخطاء ، والرجل لا يرضى إلا من يؤمنون بأن باطلا أكثر من الحق وأن خطأ أفضل من الصواب .

بادكتور طه :

أما ما سألت إليك بل أحسنت إليك بعض الاحسان حين دلت القراء على أنك لم تنسكم ما تورطت فيه من الاخطاء ، وإضا أخطأ جماعة المستشرقين فبعينهم يلازمة فمكان عليهم أنهم السنة السيئة وكان عليك إثم التقايد .

كنت أنتظر أن تفرح بكتابي لأنه كما تعلم جهد أعوام طوال ، ولكن خاب القآن وهرقت أنك وسائر الناس تذهب وتعتد ، وكنت أرجو أن يكون عندك شيء من تامل العلماء .

تمال فحاسب باناسي القميد وباسفكر الجليل ، لقد مرت أعوام لم يكن

يذكرك فيها بخير أحد غيري ، وهل كان في أصحاب الاعلام من أتبرى للنداء
عن ملة حسين غير نفوذ وصديقه زكي مبارك . لقد ذكرتك بالخير في جميع
مؤلفاتي . فهل يضع عندك مسئلة هذا المعروف لاني بددت أوهامك في
كتاب البئر التي .

كان في عدي دائما أن أحرم على وأجبات الرواة ، وقد رأى الدكتور
موفق يوم أخرجه وزير المعارف من كلية الآداب ، فقد دافعت عنه في البلاغ
وقاما ما كان ينتظره ولعله قد دهش منه وكثت في محضره ومبشرين المناهضين
عنه ، لأن الرواة كانت تعاليني بذلك . . . أنيسجوز الدكتور وهو أكبر مني
سقا وأرتفع صوتا عن مقابلة الرواة بالرواة .

لقد كان يجب أن يسكن الضمير الملقى اقوى تؤثر فيه الاستفاة اليومية وكان
يجب أن يكون العلماء وارفع من أن يتعضوا للاهواء والشهوات وكان
الدكتور ملة أولى الناس وأجدرهم بأن يتخلق بالخلق الجميل .

٣ — زكي مبارك : ملة حسين بين البنى والمقوق^(١) .

لقد ذهبت أنت فأنتمت دراستك في باريس وذهبت أنفانتمت دراستك
في باريس فهي تعلم ما الفرق بيني وبينك ؛ أسمع أيها الصديق القديم الباليه

ذهبت على نفقة الجامعة ومضيت أنا متوكلا على الله فأنفقت بما أخرت
من عرق الجبين . وإنصت أنت بالسبب كاذنا نونا فترض عليك آراءه نوحا
ولم تسكن رسالتك هن ابن خلدون إلا نسخة من آراءه ذلك الاستاذ ، اتصلت
أنا بالسبب مرسية فترضت عليه أرائي فرضا ، وانصت بيننا وبينه القصصه

(١) البلاغ ٢٣ نوحه ١٩٣٤ .

فأداني إبتدأ شديداً ، ولكن قناني ظلت صلبة واستطعت أن أتوض كبريائه
في مقر بيته ونوق كرسي السريون .

ولم تمر هذه الحركة بلا غلبة ، وقد وقف السيو ماسلون يوم أدبت
إمضعان الدكتوراة وقال : « أنى حين اقرأ أبحاث طه حسين أقول هذه
بضاعتنا ردت إلينا ، وحين أتقرأ أبحاث زكي مبارك أشعر بأنى أواجه
شخصية جديدة .

لئن كنت في ريب من ذلك فأسأل من حضروا امتحاني في السريون
وكانوا مئات . وفيهم مدير الجامعة المصرية في باريس .

— لقد اشتغلت أنا بالصحافة واشتغلت أنت بالصحافة . وإليك الفرق
بين التخصصين ، كنت أنا رئيساً للحرير جريدة الأناضول ، وكانت تدافع
من ميادى الحزب الوطني وكان يشرف عليها «بد الطيف بك الصوفاني
فكنا نختلف ونختصم كل صباح لأنى كنت آبي أن أكتب غير ما رآه
من التعليلات السياسية وأنت اليوم رئيس تحرير جريدة وفدية فهل تدري
ماذا نصنع !

تدخل لى مكتبك فلا تسكتب سطرأ قبل أن تفصل تليفونيا بهذا أو
ذاك لتتلقى الوسى ثم تسكتب ما يقى عليك وكأنك الهبناء .

— اشتغلت أنت بالتأليف واشتغلت أنا بالتأليف وإليك الفرق ،
مضيت أنت فانهيت آراء المشرقين وتوغلت فسرقت حجج اللشمرين
وكان تصيبك ذلك التقرير الذى دمغتك به القيادة العمومية ، وأنت تعلم أن
ليس لك رأى واحد وصلت إليه بعد جهد ومث .

واشتغلت أنا بالتأليف فسكنت أرائى كلها بهسكرة ولم يستطع أحد

أن يهبط بالسرقة من فلان أو فلان كما أتهموك بالسرقة من جميع الناس .
ومؤلفاتك تموت يوم تولد ، ذلك أن تسأل لجنة التأليف لتخبرك أن
كتاب الأدب الجاهل لم يبع مئة شيء بعد النسخ التي فرضتها أنت على
طلبة كلية الآداب .

ثم رأيت مائدة الوفد أشهى من غيرها وامتع فذهبت وتذمت إليها
نفسك وهددت الدكتور هيسكل بكشف أسرار الدستورين .

-- كفت لوحة إعلانات لا تذيع الرأي إلا لتفهم الجمهور لتصبح
حديث الناس في الأندية والمجمعات

أعلنت بعد إخراج الشمر الجاهل ندا . قلت فيه (أشهد أيؤمن بالله
وعلائسته وكتبه ورسوله واليوم الآخر) . أنت تؤمن بالله وكتبه ياد كفور
له وأنت تنكذب التوراة والقرآن اعتقاداً على رأي خاطئ . سرقتك من
أحد اليساريين

أنت لم تترك حزبا إلا خدمه ولا جريدة حكومية إلا توددت إليها
بعدد هديد من الرسائل الطوال .

• — زكي مبارك : الحديد في دم الأديب^(١)

سترون أن أبغضهم أتركا في نفس الجماهير وأقدرهم على أسر القلوب وغزو
الفتول واحتلال النفوس هم الأدباء الذين ابتاعهم الحياة بصنوف من الأرزاء
وعرفوا كيف تقسو الحياة وكيف تلين . أولئك هم الذين يكتبون وفي كل
حرف سر ظاهر أو غرض خفي . أما الأدباء المذللون الذين يبتهم الدنيا

(١) البلاغ ٢٠ يولية ١٩٢٥ .

بالفران من الترف والنعيم فيهم يظلمون ويسكتون وكأنهم يلعبون ، وليس للأدب إلا عيب في عالم الأدب بقاء . الحياة هي كتاب الأدب ومن حفظه أن يعرف البؤس والشقاء . وأن يدرك كيف يتكون الضجر والاكتئاب وأن يشهد بمعونه كيف يرتفع السفلة والأغبياء . وكيف يطيش الخطأ الأهرج فيظلل مجناحيه رؤوس المهررين من أهل الجاه الزيف والمجد المكذوب .

والأدب الذي يتهيب الحياة ويخاف مجامعها هو أدب رغو ضعيف ليس أهلا لمجد القلم ولا شرف البيان . الأدب الصادق ليس إلا حومة قتال ولكن أي قتال : قتال في سبيل الحق وانظر والمجال . والحياة لم تسكن يوما دار سلام ، وإنما السلام في القابر ، فمن أراد أن يستريح فليمت . أما الأحياء فقد كتب عليهم أن يتناضلوا ويقاتلوا ويصارلوا ما يقبض فيهم عرق يبيض وقلب ينور ، فإن جنحوا تسلم فقد استسلموا إلى سكرات الموت وبس للصير ، خذوا وحبسكم من الحياة باطلاب الأدب ، وتذكروا دائما أن وقود عقولكم وقودكم لا يكون إلا من الألم ومن الصدق .

الأدب الصادق هو الذي يحس صاحبه من ريق الزيف والبهرج ويصوته من الخضرع لأرباب الألقاب ، وأن أدب واحد بهذه الظلال أجسدى على الأدب من أرف الأدباء .

٦ — أول هجوم سافر على طه حسين^(١)

أما الأستاذ الذي تغلظ في صدر طه حسين فتستغنى عليه شر قضاء وتتكلم به تشكيا ولأن تدوم له أيام العتيان . ولن يبقى له نلان وفلان ، والكرسي الذي يجلس عليه في الجامعة هو أقل ما تنتظره من الجزاء في المستقبل

القريب ، أن أعظم منصف في الجامعة لا ينهل من الجهد ما أتاني كتابه الفهر
الفني ، سئني أحجار الجامعة المصرية وتبهر ذكرياتها ثم يبقى ذلك الكتاب
على مر الزمان ، والذين يحاربونني لم يعلّموا في محاربتني إلا الظلم لأجدل
أمر لا أجاز إلى حزب من الأحزاب وليس لي في الحكومة عم ولا خال ،
ولكن غاب عنهم فإن الحق أعز وأغوى وسرون كيف أزل أولادهم
وكيف أملا قلوبهم بالرهب وكيف أربهم عواقب ما يصنعون .

أن النصر سيكون حليف من يصلون النصارى بالليل في تقيف عقولهم ،
أما الثروة الفارغة التي يعتصم بها طه حسين فلن يكون لها في عالم الجدل بقا .

٧ — زكي مبارك : كيف حاجت طه حسين^(١)

إني بدأت أناوش الدكتور طه حسين منذ سنين حين تبين أنه كالطبل
الأجوف وأنه لا يعرف من تاريخ الأدب العربي إلا قشورا عديمة المصول .
وكنت كلما حاجته تناول وشف وخشي عاقبه الفضال ، ثم أتق أن عيبت
في الجامعة المصرية فيبدأ به أن يشجع ويفاوضني فلما منه أن أخلف المناوشات
احتفاظاً بمخفي في الجامعة ودفعاً لمنايات القتال ، فأسهلته قليلاً وتركته يصول
في مفاوشق ويجول وكذلك أسهلته له حتى جاءت الورقة الخامسة يوم عين
نجيب الحلال وزيراً للمعارف وكان يعرف الصلة التي بيته وبين نجيب الحلال
وفي هذا ما هوى المخالفة بين رجائين لما خصم لا سند له بين الأحزاب ولا هم
له في الحكومة ولا خال .

في تلك الأيام أراد طه حسين أن يفاوضني وكان يثق أي سأسكت فلا
أجيب ورأى فريق من زملائي في الجامعة أن أتناصح مراعاة الظروف ،

(١) «البيان» ٢٦ أغسطس ١٩٣٠ .

فأقسم لأفدين مشرع حياته ولأجملته مثلاً في الآخرين وكذلك كتب مقال « طه حسين بين البني والمغوق » الذي أهدى طه حسين بالدمع المسخين وكان يظن أنه لن يعرف البسكاه وعاد طه حسين إلى الجامعة في زفة لم يسمع بثلاثها منذ كان يسكن في كنف الطاميين ، وطن الناس أي سألانيه ولكن هيئات فقد تعاملت مودته سبمة أيام إلى أن جمع بيننا مجلس قسم اللغة العربية .

في تلك الأثناء أراد الشيخ أمين الخولي أن يعالج بيننا فمرض الفسكرة على الدكتور طه فقبل وعرضها على نقليات وكنت أرى أن الصالح خير وأن أهد فيه بني وعدوان .

وكنت أحسب أن الصالح لن يزيد عن المصالحة وتبادل القصبات ولكنني فوجئت مفاجأة لم تحضر على بال ، فإن الأستاذ أمين الخولي انتظر حتى اجتمع بعض الزملاء ، ثم نهض فقال : هذه أول جلسة يحضرها الدكتور طه حسين بعد عودته وأنا اقترح أن تأتي كلمة ترحيب وأفضل أن يلقيها الدكتور زكي مبارك لأن بينهما أشياء يجب أن تزول .

وكان موقفاً في غاية المرحج ولكنني تحفظت ، إذ كنت أعرف أن العداوة التي بيني وبين الدكتور طه يصعب أن تزول ، ومن المزم أن لا أقول كلاماً ينطوي على توهده أو ترفق فوقتت وقلت :

إني أرحب بعودة الدكتور طه وقد زاملته من قبل من ثلاث سنين ، وكنت من قبل ذلك من تلاميذه الأوفياء ، والذي وقع بيني وبينه لم يسكن فيه شيء . جازح إلا للقال الذي نشرته في البلاغ ، وهو مقال أعرف بأن فيه شيئاً من الشطط ولكني لا أعذر عنه لأنه من بعض ما علقى ، ومن الغير

إن تلقى ما فات لأن مصلحة العمل توجب الزقاق . وقد أبتسم الأستاذ حين ذكرت أن الشغل كان من بعض ما علمى وعدوها خطبة لينة فيها ترضيه وفيها احتراص ، وبعد أيام دار طلبة الجامعة على الأستاذة بطلبونهم بدفع قيمة الاشتراك في تسكريم الدكتور طه ، وكانت حسين قرشا وهو مبلغ زهيد ولكن رأيت من الأئبرف أن لا أدفع حسين مليدا في تسكريم شخص مثل طه حسين .

فلما طالبوني بالاشتراك أبيت وكانت حيتى أنى لا أحب أن أحجز رجل وأكرمة في أسبوع واحد . وكذلك عصمت نفسى من هذا التسكريم .

وبعد شهرين من ذلك التاريخ أقام طلبة قسم اللغة العربية حفلا لتسكريم طه حسين وجاء تلاميذى فرجونى أن أحضر ذلك الاحتفال ودعيت للخطابة فالتفت كلمة حازمة في الموازنة بين أستاذة دار العلوم وأستاذة كلية الآداب وكان في تلك الكلمة درس نافع ، قلت أنى أرجو إلى نفسى وإلى تلاميذى وإلى الدكتور طه إن شاء . ومع ما فى ذلك الكلمة من إبداء الدكتور طه فقد قابلها الطلبة بالتصفيق والإعجاب لأنى أقيمتها في حزم وإخلاص .

٢ — أما موقفى في جلسات قسم اللغة العربية فكان دائما موقف المارضة العريضة لنزع طه حسين ، وكان لا يسلم منى إلا بأخذ الأصوات ، وكان أستاذة اللغة العربية لا يرون فائدة في معارضة إذا كانوا يرون أن كل شئ . مصيره إلى حواء بفصل الوسائل التي يبرونها للجميع .

٣ — لا أنكر أنى أسرفت ولكن الأيام أرنتى أن الخزم كان أوجب ولولا ما استطعت الآن أن أناقش من يزعم أنى قابلت الدكتور طه حسين بالترحيب وأنه مع ذلك لم ينس ما كويت به حقيقته من قوارع القريب ولم

ينظر ما كشفت من سرقاته. وكان الناس يحسبونه من المبدعين .

وفي أوائل شهر مايو دعاني الأستاذ الدكتور منصور فهمي إلى مكتبه وقال : أرسلت إدارة الجامعة تسأل عن تجديد العقد والنظام يومى بأخذ رأي الدكتور طه حسين فإذهب بابي وصف ما بينك وبينه وسأحفظ الخطاب حتى يتم بينكما الاتفاق. فأجبت الدكتور منصور فهمي بانه : « أنا على اسم إستعداد لتصفية ما بيني وبين الدكتور طه ولكنى لا أقبل ذلك في هذه الأيام . ولو أنك اقترحت ذلك منذ شهرين لقبلت . أما الآن فلا تسمح نفسى بمصالحة الدكتور طه. وأنا أعلم أن لذلك دافعا من القرض ومع ذلك ما الذى يزججك بإسدى العبد ؟

أنتظن أن الدكتور طه يتحين هذه الفرصة ويتشقى منى . أنه أمقل من أن يقترف مثل هذا الانتقام المفضوح .

فأجسم الدكتور منصور إيشامة مرة وقال : أنت بابي تسرف في حسن الظن بالناس .

وفي المساء الذى احتفلنا فيه بتسكريم لطفى بك في فندق ميناعاوس تلقى قرأت الدكتور طه فصالحته . وكان معه الدكتور حسن إبراهيم فوجه إليه السلام قائلا : الدكتور زكى تلميذك وهو يحبك باحضرة الأستاذ .

تلقا : أما أنى كنت تلميذ الدكتور فصحيح ولكنى لا أحبه وهو لا يستحق من غير البئس .

فصكافى الدكتور طه الإبتسام وقال : ألا استحق منك غير البئس يا دكتور زكى .

تلقا أنت تعرف أن مودتنا كانت أظهر من المساء : وتعرف كيف

خسعت أذنوك لنداسين فأسدوا ما كان بيننا إنساداً لا يرجى له صلاح ،
ومزية زكي مبارك أنه لا يجامل ولا يصانع فأعرف الآن أن ما بيننا قد
انقضى وأنت كفتين الأيمن .

والقصة معروفة فقد رفض طه حسين تهذيبه فقال الدكتور مبارك وإخراجه
من الجامعة وبدأت الحجة :

٨ - مقالات مجلة الصباح^(١)

الذي بيننا لم يكن خلافاً في الرأي وإنما هو قتال هتيف بين شخصيتين ،
فالدكتور طه يرى أنني صكفت تلميذه ومن واجب التلميذ فيما يزعم أن
لا يخالف الأستاذ ، أما أنا فأرى الدكتور طه رجلاً قليل العلم والمعرفة بالأدب
العربي . وأراه استمرراً لسلطان آراء المستشرقين وأراه في حياته العلمية
نموذجاً للقوضى والتناقض والاضطراب . قد تقولون : وكيف سكت زكي
مبارك عن نشر ديوب طه حسين وهو يصاحبه منذ خمسة عشر عاماً وأجيب
بأن الدكتور طه ابتداءً للتدريس في الجامعة المصرية قبل أن يقدم الدراسات
الأدبية فكان منذ سنتين مستقور الميول . على أن الخواص يعرفون أنني
بدأت أعارضه منذ ١٩٢٧ حين أطلعت على مجرته القاضح وهرفت أنه يعيش
من سرقة آراء الأديباء والعلماء .

وأنتم تعرفون أي رجل صريح لم تستطع الأيام أن تروضني على المجاملة
وللإدارة فلم يكن بد من أن يعرف الدكتور طه أنني لا أحترمه ولا أحترم
مسالكه الأدبية ولا أحترم نهائنه القاضح على مواقف الأحزاب . وكذلك
حدثه غريزته إلى وجوب محاذيق في همل في الجامعة وساعده على ذلك ناس
كثرت شجاعتهم . وكان هو في أنفسهم مثال الخادم الأيمن .

(١) قدم الدكتور زكي مبارك حجة أخرى في مجلة الصباح بدأت في ٢٤ أغسطس
١٩٣٥ .

فإذا كان الدكتور طه قد اقتصصر حين وجد من يساعده على إخراجي من الجامعة فلهذا ولينذكر من عاونوه على شقاء صدره أن اقتصارهم ليس إلا هزيمة شتاء، وسوف يملكون .

٢ - مقال من جيل طه حسين^(١)

لقد انكشف أمر طه حسين منذ أصدرت كتاب النثر الفنى فقد بيت أغلامه وشرقاته، وتحديته أن يدافع عن نفسه، فتعاضدت قواه ولم يملك الجواب وعرف الأدباء في المشرق والمغرب أنه لا يملك شيئاً أصيلاً، وأن مؤلفاته ليست إلا هلاهيل انتزعها من كلام الناس، وأن ما يدعيه من الآراء ليس إلا سوراً ملقته انتزعها مما يقرأ ويسمع لأن قلبه ليس إلا محنة صعبها الله على طه حسين . ولعله إلتقام من الله على طه حسين . ولعله إلتقام من الله صوبه إلى صدر ذلك الشخص الذى اجتأ على التوراة والقرآن واستطاع أن يقول في وقاحة « التوراة أن نحدثنا ونقرأ أن نحدثنا » كأن العلم لا يكون إلا حيث نتم مساخط هوا . أما التوراة والقرآن فهى ظفون في ظفه ! طه حسين جاهل . سبحان الله . وكيف يسكون جاهلاً وهو رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المصرية ، من الذى وضع طه حسين في ذلك المقصب أن الذى وضعه فيه هو لطفى السيد مدير الجامعة المصرية . ولطفى السيد ليس حجة في الأدب العربى ولم يرق حياته جامعة أوربية حتى يعرف كيف تسكون الدراسات العالية .

(١) الصباح ١٣ سبتمبر ١٩٣٥ .

طه حسين جاهل ، نعم طه حسين جاهل أشجع الجبل وإليك اليوم مثالا من جملة الليون .

أتى حضرته محاضرة في الجامعة الأمريكية عن شعر البحري وشعرها في جريدة كوكب الشرق فهل تصدقون أنه وقع في خس غلطات جوهرية في محاضرة واحدة . الخ الخ .

٢ - وقال في المثال الثاني : أن مصر^(١) لا يسرها أن يقوم بجدها الأدبي على أساس من خيوط المنسكوت وطه حسين أديب مزيف ومن الواجب أن يسبق المصريون إلى كشف القناع عن وجهه قبل أن يتقدم أدباء الشرق فمؤذونا بسيطرة هذا الجاهل على الحياة الأدبية وهل خلت مصر من الرجال حتى يكون طه حسين عنوانا على جدها الأدبي .

أن هذا الرجل لم يكن في جميع أدوار حياته العلمية إلا مرتزقا يفتس فئات الغطاء كما نصبوا مواثيمهم أو أوقدوا نارهم ، ولم يستطع حتى اليوم أن يواجه تلاميذه يبحث أصيل يشمرهم بأنه من أهل الفكر والبيان . أن كشف القناع عن معلومات طه حسين واجب أدبي يقوم به أحرار الأدباء . ولو كان طه حسين من الغاملين لأعفت نفسه من تحزيق ماعلى وجهه من مختلف الجرائع .

٣ - وقال في مقاله الثالث أنه في عام ١٩٣٢ كتبت يومئذ على وفاق مع الدكتور طه ، ولسكني كنت أحب أن أداعبه بالنقد من حين إلى حين لأنني كنت أعرف أنه في حاجة شديدة إلى من يذكره بالتواجب ، وهو كما

(١) الصباح ٢٠ سبتمبر العدد ٤٦٦ .

(٢) الصباح ٤ أكتوبر ١٩٣٥ - العدد ٤٧٦ .

عرفته رجل قليل الإطلاع ولا يهتم بالشعر إلا بهدف شديد ، فلما سمعت محاضراته عن البحرني ورأيت ما تورط فيه من الأخطاء، لم أجد بداً من تنبيهه إلى عراقة السكسل والفرط وكيفية هوداً واحداً في جريدة البلاغ تحت عنوان (الدكتور طه يحنط ، خمس مرات فقط في محاضرة واحدة) فلما ظهرت تلك الكتابة إزعج الدكتور طه أشيع إزعاجاً ، وسارع أصدقائه فرجوني أن أكف عنه ، وأن أدمع تنويعه إلى الأيام ولا سيما وهو رجل أخرجه وزير المعارف من الجامعة وهو يحاول أن يكسب قوته وكشف أغلظه في جريدة البلاغ قد يصرف عنه طائفة من القراء .

وعندئذ تبين أن من الذوق أن أترك طه حسين يحنط ، كيف يشاء ، إلى أن تصلح حاله ويستطيع الفضل ، وذهبت إلى الجامعة الأمريكية لأسمع محاضراته الثانية فلما انتهى من إلقاء الدرس نظرت فرأيت أنه قدما فأسرعت إليه وحييته فلما وضع يده في يدي شعرت بأنه يرتجف ارتجافاً عتيقاً وكاد يسقط من شدة الاضطراب ولكنه تماثل نفسه وقال :

أنت يحنط ، قلت صدقت .

ولما خرج الدكتور طه^(١) أقبلت للاميذي بالجامعة الأمريكية وقالوا جائقين : كيف تسكت عن مناقشة الدكتور طه وتعرف بأنك يحنط ، وأنه معيب : فقلت : انتظروا حتى أشرى بخمسة تمريرة ذوق وأوزعه عليكم ، أنظفون أن أوتي بسبح لي بملاحاة طه حسين أمام الناس . إن مسكن ذلك في جريدة البلاغ ثم علمت أن الدكتور طه راح يزهو ويخفك ويقول أنه قد مرأهم في مباوذك عمل زهوس الاشهاد .

(١) كان زكي مبارك قد كتب البلاغ - الأوس (٣ ديسمبر ١٩٢٩) - قلاماً عن كتاب الشعر الجاهلي الذي ألفه الدكتور طه حين وسدة أنه فائحة عهد جديد في دراسة الآداب الأولى العربية .

إنني سكنت عنه يومئذ إيثاراً فترقى برجل ضعيف . أما اليوم فهو
بجبر وعافية وكشف أغلامه من الواجبات فليجيبها إن كان يملك الجواب.

وقال زكي مبارك في مقاله الرابع^(١)

لقد درست له حسين من جميع نواحيه فوجدته قليل العلم جداً ورأيت
ضعيفاً أبشع الضعف في فهم النصوص .

وأوردت الصباح رسالة بقلم أديب قال فيها : قرأنا الدكتور طه بحوثاً
في السكتب للفرقة عامة والقرآن المحفوظ خاصة ثم قرأنا أشياء — كأنها هي —
للمستشرق الإنجليزى (جرجى سال) وكتاب هذا المستشرق مطبوع بمد
ترجمته والعلق عليه منذ ثلاثين عاماً .

لحظة قصيرة مع الضعفين في فوائى^(٢)

أنا سارع فأقرر بأن طه حسين لم يكن يوماً من القسرين، وإنما هو أديب
قليل الفكر قليل الإطلاع نشأ في أوقات لم يكن يعرف الناس فيها غير الحاذلات
السياسة وكان النقد فيها قليلاً فظاهر بالعلم نقطة القراء من العلماء .
لم يقرأ في حياته كتاباً كاملاً وإنما قرأ فقرات من هنا ومن هناك وأخذ
بشطب ذات التبيين وذات الشبال إلى أن اتصل بالرحوم ثروت باشا فوضعه في
الجامعة المصرية

ظل طول عامين غلاماً من الغلال في عالم السياسة ولم يترك حزباً إلا
خدمة وديع في تقريبه ألواناً من الوسائل الطوال . والاتجاه السياسى صورة
من الاتجاه العقلى والرجل الذى يتردد بين المذاهب السياسية لا يبعد أن

(١) الصباح ١١ أكتوبر سنة ١٩٢٥ العدد ٤٧٠

(٢) الصباح ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٥ العدد ١٧٢

يميش نريسة الخبرة بين المذاهب الأدبية . وقد اتفق الرجل الصالح جدا على
حسن أن يخدم قبل الحرب ثلاثة أحزاب : وأن يخدم بعد الحرب أربعة
أحزاب . وحفظه من الثبات في المذاهب الأدبية يشبه حفظه في الثبات على
المذاهب السياسية : "رود هذا وحيرة هناك" .

وقد بذل الدكتور طه جهوداً عظيمة في إخماد حقيقة الأدبية على يستر
مناظره عنه في حياته السياسية ولكن جهات فلان يقع السكتان .

إن الدكتور طه مقلد في كل شيء . ، حتى لتراه يبرز كعظمه على الطريقة
الفرنسية .

خسومتي للدكتور طه ستعود عليه بأجل النعم فأنا واثق أنه سيحضر
دروسه بعد اليوم وسيبقى مصلواً فوق رأسه في اللحظة والناس فلا يسلم
لجمل أو التفريط .

كيف ينظر الأحقاد إلى تاريخ الجامعة المصرية حين يعرفون أن أكبر
أستاذ فيها لم يتم أستاذه إلا بفضل انشغال أئمة المستشرقين .

النقل من المستشرقين^(١)

كتب الدكتور طه في جريدة السياسة مقالاً : ولسكن شجرت بين
الفرينتين اليابانيين والليبيين معركة « مرجرات » ومرجرات كلمة لا يعرفها
العرب وإنما هي موج راضط .

وكتبت مجلة الجامعة الإسلامية بحلب (عدد ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٤)
مثالاً ردت فيها على مقالة نشرها طه حسن في جريدة السياسة يوم ٢٢ فبراير
عن الحياة العربية وأثرها في الشعر أبان على أهمية .

(١) السراج ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣٥ العدد ١٧٨ .

للمركة إذن مرجع واعطى ولكن الدكتور طه نفل كتابها بل سرقها من أحد المستشرقين ولم يظن إلى الأصل العربي هذه السكفة فطارت أعجوبة

إني أتفق على الخير والورق مالا يستطيع طه حسين إلقائه على الطعام والشباب ، إن صفحة واحدة من كتاب المتر القنى تساوى كل ما كتبه طه حسين في حمرة الطويل فلا يحوى أجهل مقدار ما أبذل من جهد في حياته الأدبية ولا تنقلوا إلى أهالي طهيان تلك الشخصيات الضعيفة حتى لا تدهش بلا عون ولا سناد .

التقديم والجديد^(١)

نحن نعلم أنه ما من أحد من الغلاة في التشيع لتقديم يقول بأن كل تقديم على علته أفضل على كل جديد ولو كانت محاسن التقديم وأرى عليها أفضل من محاسن الجديد . كذلك نعلم أن التشيعيين الجديد لا يقولون أن كل ما يكتب اليوم أجمل وأبلغ مما كتب في العهد الذى نسميه قديماً . إن شرط الأديب عندى أن يكون مطبوعاً على القول أى غير مثقل في معناه ولفظه وأن يكون له هبة في نفسه وعقله وليس لسانه فحسب .

إن أمقالى لو جاءوا لشويت طه حسين وأطعمتهم من طه^(٢)

قالت مجلة الصباح يعرف القراء حديث طه حسين وزكى مبارك وكيف أن الأول اجترأ على الثانى فخاربه في أدبه فلم يفلح فخاربه في رزقه فأنفج ، لأن العيش أراه أن يكون زكى مبارك مميذاً وأن يكون طه حسين كبيراً من أسانيد الخامسة فيسكون للأول الغلبة على الثانى

(١) الصباح ١٠ أبريل ١٩٢٤

(٢) الصباح ١٢ يناير ١٩٣٦ العدد ٤٨٦

و دارت رجلي الحرب في وجود الصنف فتسكلم زكي وحده فزجداً انصاراً
وسكت عليه وتسكلم انصاره حتى تحرك إبراهيم المازني فقال ما قال إلى أن
قال كلمة سب هي من جوامع التسكلم قال (وإني لأحدث نفسي أحياناً بأني
لو كنت أقول الشعر في هذه الأيام لرثيت عليه حسين فإنه يجيل إلى أنه قد
ملت عليه حسين الذي عرفته وأحبته وأكبرته وجاء غيره الذي أنكره حين
يقول المازني — وهو من خلاصاء عليه — ذلك فقد حكم في القضية وانتصر
زكي مبارك .

إلى الدكتور عليه حسين من المازني^(١)

أما عفايك يا أخى نعمام عينه وما نصرت لبخل في أو تعال مني . أو
تلك إدراك فارليب نحو الزملا والأصدقاء . ولا لأني تسبيك أو أرى
أن أهلك أو أنسكف الإغضاء عليك فإكان هذا قط ولن يكون في طبعي .
ولكن أمرين جرماني من أن أموز برضى الصديق وارتياع الزميل . أما
الأول فهو أرى أرى كلما كبرت صغرت في نفسي ، ثم زادت مازني وكثرت
تجارب وعظمت أحاطتي ورحب أفق . ولكن كنت — ومازلت — امرءاً
دأبه أن يدبر عيديه في نفسه والشاهد أرى مغري بحساب نفسي .

أما الأمر الثاني فذلك أرى الدكتور عليه قد خرج من زمرة معشر
الأدباء الأحرار ودخل في زمرة اللقيين وذوى الجاه والسطوة والسلطان .
ولست أعنى أنه اكتسب لقباً جديداً ، فإ حدث له شيء من ذلك ولكن
أعنى أنه محشور — بكرمه أو رضاه — في هذه الزمرة وأنا أكرهها ولا
أطبقها أو احتيلها لما يلفت من سفاهة أخلاق أهلها وما عرفت رجلاً ملت

به الألقاب أو المناصب إلا رأيت بشيل في ميزاني .. وإلا وجدتني أنته
وأبذ

أقبحني أشعر أن ما بيني وبينك من قرابة الأدب ونسبه يكاد يفهم على
الأيام والأدب ينسكرا لاسفرا طلبة ولا يعرفها . ولست أمانك أو أمانك
فما تحلك لي نقماً أو شراً فإن أمرى بيد الله ثم بيدي .

ويبرز على يا صاحبي أن أقول أن إدام عدوك ببعض ما نهبهم ، فسا
كدت ترجع إلى الجامعة حتى صيبت نفيك على الذكور زكي مبارك
تلمذك القديم الذي كان من حلقك أن تفرح به ولستك قطعت عيشه وحرمة
وطيفته الصغيرة في الجامعة لأنك سرت ذا سلطان وأصبح يتأوه وطوده في
يديك ، ووسمك أن تعاقبه على تسجبه عليك . وقد كنت أصدق أنك تفعل
كل شيء إلا حفا فلما كان معك ما كان من زكي مبارك صفت ولا أزال من
حفا كالمضروب على أم رأسه ، وأقسم لقد نجستني ودفعتني إلى الكفر بالظفر
في هذه الدنيا . وأقسم مرة أخرى أنك السبيل — لا بما أصاب زكي مبارك
أو بصيبه نفسي أن يسكون الأمر أحسن مما أظن — بل هما أصابني أنا في
نفسى من التحول وما اضطرم فيها من الثورة .

إنك إذن من أصحاب السلطان يا صاحبي ومن يملكون أن يتطمو
أوراق العباد أو يملوها فلت اليوم بالأديب الذي عرفته وأحبته وأجفته
وحدثت الناس من رجولته ومروته وحسن شمائه ، وإنما أنت رجل بدى
ويقضى . وبرزني ويمرهم ، ويطعم العيال أو يجمعهم ، وبشرى اليد التي ترتفع
بالقمة إلى الغم فيطيرها ويوقدها على الزراب لتلقظها السكباب والتلطط بها
على أخيه الإنسان

وإني لأحدث نفسي أحيانا بأنى لو كنت أقول الشعر في هذه الأيام

لثبت طه حسين نأيه بخيل إلى أنه قد مات طه الذي عرفه وأحبهوا كبرته وجاء غيره الذي أنكره.

زكى مبارك : هل مات طه حسين^(١)

شفت الأبدية الأدبية بالفضال المتعم أو الخطاب النفيس الذي وجهه الأستاذ إبراهيم المازني^(٢) إلى الدكتور طه حسين . ومن القادر أن يخرج الأستاذ المازني من صومعة السخرية بالحياة والاحياء ليكتب مثل هذا الخطاب وأغلب الظن أن الدكتور طه حسين لم يكن ينتظر ذلك الذي صب على رأسه صاحب (خروط العنكبوت) ولكن الدكتور طه حسين يعاني في أحواله الأخيرة أزمة روحية لم يشهد مثالا من قبل . فقد تفرق عنه أصحابه جميعا ، ولم يبق حوله غير المرائين المشفقين الذين يمز عليهم أن يتركوه للوحدة والاكتئاب ، وهو يحاول اليوم رآب ماضيه الآثورة والفتنة عن عواقب الاجتافي وسيله إلى ذلك أن يتخذ محطة الإذاعة مطية لوصف المؤلفات الجديدة على طريقة شويش بأحباب .

إنه لا يسرف في المدح جبا في تشجيع المؤلفين ولكن يريد أن يمدحهم جميعا ليؤلف منهم جمعية أدبية يتارع بها خصمه الذي يعرفون .

(١) البلاغ ٣ يناير ١٩٣٦ .

(٢) ردد زكى مبارك كلمة المازني « وأنى لحدث نذر أحيانا بأثر لو كنت اتول الامر في هذه الأيام لرجيت طه حسين » فإنه يقول إلى أنه قد مات طه الذي عرفته واحبته واكرته وجاء غيره الذي أنكره » ثم قال :
« إن كان الحقني يود أن ينظم قصيدة في وفاة الدكتور طه حسين فأنا والله أول من يتأدية هذا الواجب فقد كان لي صديق أصدا طه حسين صاحبة عذر سنس . وكان كما وصفه الأستاذ المازني حلو المشاكل دمت الطابع له ضيقة الأيام .
وأقسم ما تشكرت طه حسين القديم إلا تشوقت إليه قد كان رجلا له مثلا الترويض والرواء أما طه حسين الجديد فهو لا يرعى القلم ولا يخط الجليل .

.. ولكن رأسه انبطح حين اصطدم بالصخرة المازنية وانكشف للناس هواره حين أراد التقرب من صاحب (حصار المشيم) .

من المازني إلى طه حسين^(١)

لما كتبت أعائب الدكتور طه حسين في فصل الدكتور زكي مبارك من الجامعة أقول أن الدكتور زكي مبارك من الجامعة ، وأقول أن الدكتور طه أصبح ممن يملكون إشباع البطون وإجاعتها وأنه صار يقرب القمة التي ترتفع بها اليد إلى القم ويطيرها غسطة على الأرض فيعثر بها الكلاب ويحرمها الإنسان - لما قلت هذا لم أكن أعني أي أخشى على الدكتور زكي مبارك وأولاده المروع من أجل أنه حرم وظيفة صديرة في الجامعة ومماذا الله أن يحظر لي هل بال لأن الأدباء لا ينبغي أن يدموا القوت إلى أكثر من جاع منهم في حياته ، بل لاني أعلم أن الدكتور زكي مبارك رجل كفء فعناية قادر على الاضطلاع بأهليتها وأنه أركى وأعظم رجوة من أن يبالي كيف يكسب رزقه ما دامت وسيلة الكسب مشروعة لا عيب فيها ولا دغس يعلق بها .

وقد أعجبنى من الدكتور زكي مبارك قوله أنه لوخاف المروع على هيبه لشوى لحم للدكتور طه وأطعمه هيبه . وليس الذي أعجبنى أنه مستعد لشى لحم للدكتور طه ، كلا ، ولو أنه لم يذك . لكانت أول من يقاتله عليه ويمسى طه منه وإنا الذي أعجبنى هذه النحوة الساذجة التي لم تسدها باريس .

زكي مبارك^(١) بواسطة

يذكور له تذكر أن الدنيا تقرب وأن اهتمام آراء الناس لا يقضى ولا يفيد . وتذكر أنك تفكلم باسم الجامعة وهي توجب على مثلك أن يدرس ويبحث ولا تقع منه بالطوائف حول ما كتب القادون من اللقي .

لقد أثبت آراء الباحثين المصريين وسماوت على آراء المشرقين ثم مضت في تمطر واضطراب لا ياتقان من بينهم للكلام عن اللقي أي تقدير .

٢ - إننا^(٢) نشاغب هذا المذهب القائلين من أدميا . البيان - وأنا نأسى إلى فرض هو شغل الناس بالأدب وجعل الأفسكار الأدبية والاجتماعية والفلسفة ضرورة عقلية لا يستغنى عنها أحد من اللقيين .

إن شهرة كتابنا لا ترجع في الأغلب إلى الفاحية العقلية وإنما ترجع إلى ما يتصل بها من الأحداث السياسية وكذلك نهضة الأدب مقصلة بالنهضة السياسية أوتق اتصال .

أنا لا يرضوني الإنصاف ، لأن العالم أشمل فريمقى ولو كفت لقيت العقل في حياتي امتدت ميزوا في كلية الآداب أحقق الخلاف بين ابن جني وابن خروف .

٣ - إن ما بيني^(٣) وبينه الذكور له لا يعرض عن القوي به كتاب « على هامش السيرة » هذا الكتاب النفيس . فإني أحب أعدائي وأعني لهم طيب الأجلوة وبعد الصيت .

(١) البلاغ ١٤ مارس ١٩٣٦
(٢) البلاغ ٥ يونيو ١٩٣٦
(٣) البلاغ ٥ يونيو ١٩٣٦

٤ - هاجم^(١) زكي مبارك مؤلف كتاب المجلد : وقال أن الدكتور طه حسين لا يعرف عقوبة التلاميذ في المدارس الثانوية ، وأن عمله في التدريس لا يزيد من إلقاء المحاضرات في كلية الآداب ، أما أحمد الإسكندري فهو باحث مفضل ولكن ترك المدارس الثانوية منذ ثلاثين عاماً ، أما عبد العزيز البشري فهو كاتب بليغ ولكن لم يدخل في حياته مدرسة أميرية ولا يعرف كيف يخاطب التلاميذ

وأحد ضيف لم يشغل بالتدريس في غير الجامعة ودار المعلم .
وأحد أمين لا يعرف للمدارس الثانوية إلا مقدار ما يعرفها عبد العزيز البشري .

وهل الجارم أديب وشاعر ولكن صله بالتعليم الثانوي وققت عن التفقيش والتفتش يقوم أنه يعرف المدارس

١٦ - إلى الدكتور طه حسين بك من الدكتور وزكي مبارك^(٢)
ينظروا أن القادير لا تريد أن أسكت عنك أو تسكت عنى وفي ذلك الخبير كل الظير لو تعرف وأعرف ، وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف .
وهل يتصور الفاس وجوداً للحياة البشرية لو لم يثر الخلاف بين الشافعية والمعتزلية وهل تأصلت مشكلات الفجر والعصر إلا بفضل الجدل بين البصريين والكلوفيين وهل تفوق العقل العصري في العصر الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد والصراع حول المذاهب الاجتماعية والأحزاب السياسية

(١) البلاغ ١٢ يونية ١٩٣٦
(٢) الرسالة ٢ فبراير ١٩٤٠

إن بداية الطبع التي كثر الاستكلام في ذمها وتجريحها لم تسكن من الثالب إلا في كلام الشموية وهم قوم أراد النض من شمال العربية ، ولولا ذلك المجوم لبقيت من الهارد ، فكيف تذكرك على رجل مثل أن يظن بنوى الطبع في زمن توارت فيه المراحة وكثير فيه تضييق الأحداث

لايد من خلاف بيني وبينك لتجد الأبحاث الأدبية والفلسفية وقوداً يحيا به المذهب المقدس في حيلة العقل والوجدان .

فإذا ضاق صدرك بهذه الحقيقة واكتفيت بمحاورة الرجل الطيف الذي يقول أن الصحرأ تشكو الظأ وأن البحر يشكو الري وأن النفر في امتزاج البحر بالصحرأ . إن كان ذلك ما يرضيك نشرق في محاورته وغرب كيف شئت وكيف شاء .

٢ - يا دكتور طه : ماسبب الحسومة بيني وبينك :

مقد أكثر من سبعة أعوام ألتقت بماضرة في الجامعة الأمريكية من البحفري وسجلتها جريدة كوكب الشرق وشاء (المعربت الذي يجعل رأسى حين أختر إلى قفى) أن أشر في جريدة البلاغ مقالا عنوانه (الدكتور طه حسين ينطق خمس مرات فقط في محاضرة واحدة) .

ثم التفتني بعد ذلك في الجامعة الأمريكية وجادلتنى في تلك الأغلط فأعلفت أنى أخطأت ، وكان ذلك لأن الجمهور قد أحاط بنا من كل جانب ليرى كيف أدفع هجومك وما كان يجوز لى أن أصنع غير الذى صمتت لأن أدنى لا يسمع فى مجادلتك أمام الناس ولأن وجهك يشتم لك فهو وجه لا يلتاقه الرجل الحر بنير الإعزاز والتقيجيل .

فا الذى صمتت أنت في تصحيح الأغلط التي أخذتها عليك ! مضيت

ففتشوت محاضرتك عن البحرى فى كتابك حديث الفجر والشعر وأثبتت
ذلك الأملاط . اسعفر الله . بل نهضت فتكلمات السكلمات للفرطة للقول :
أهلك لا تنبأ بأى نقد بوجه إنك .

٢ - ثم ماذا ، ثم حدث فى صيف عام ١٩٢٩ أن أسكرت على أن
أخذ شواهد لتطوّر الفجر الذى من رسائل عبد الحميد بن يحيى . قلت أن
عبد الحميد بن يحيى شخصية خرافية كشخصية امرى القيس وكان ذلك بمسح
من شابين وأعيين هو محمد مندور وعلى حافظ وكانت حجبتك أن عبد الحميد
بن يحيى لم يرد اسمه فى مؤلفات الجاحظ ، فرجعت إليك بعد أيام وأخبرت
أن الجاحظ تسكلم عن عبد الحميد بن يحيى مرات كثيرة . وأن مؤلفات
الجاحظ تعرف رجلين أحدهما عبد الحميد الأكبر والثانى عبد الحميد الأصغر
فلم يجب بحرف واحد .

ثم ألفت وأنا فى باريس محاضرة قلت فيها : إن عبد الحميد بن يحيى
أخذ أشياء من أدب اليونان وهناك أن تنس على اسم الرجل الذى أفتك
بأنه لم يكن شخصية خرافية .

وقد حياى المفترى الذى يحول رأى - : : : : : إلى نلى على أن أسجل
هذه القصة فى أحد مؤامش كتاب الفجر الذى فتكت فرمة اشتدتها صدقتك
الأستاذ أحمد أمين ليقول فى مقال كتبه فى مجلة الرسالة : إن زكى مبارك
يموزه الذوق فى بعض الأحيان .

٣ - أنت تعرف أى لم أتل ألقاب الجامعة المصرية بلا جهاد .
وأنت نفسك استغلنى فى امتحان الإيسانس موتين واشتركت فى امتحان
الدكتوراه الذى أديته أول مرة مع أنك لم تسكن عضواً فى لجنة الامتحان .

وكان نغصومك الصورية تأثير في الدكتوراه التي ظفرت بها للمرة الثالثة فلم أصل إليها إلا بعد جهاد سيم سنين .

• — هل تذكر بادكتور ما وقع في نوفمبر ١٩١٩ .

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك ، وكنت وحدي الطالب الذي يفهم العبارة الفرنسية لسكفاب الأثينيين لأرسطو . هل تذكر أنك أعلنت سرورك بأن يكون في طلبة الجامعة المصرية من يفهم أسرار اللغة الفرنسية فمن يملك أن الشات العربي أدخل السرور على قلبك في ١٩١٩ هو السكهل الذي تشكروه سنة ١٩٤٠ .

أنا أعرف ما تشكروه مني . أنت تشكروه الكبرياء . وكيف أتواضع وقد أهابني الله هل بداء نفسي . وكيف وقد أفت الدليل على أن الشباب المصري خليف بدعوة الاعتقاد على النفس ، وهل رأيت رجلا قبل أنم دراسته في أوروبا وهو مقفل بشكالكيف الأهل والأبناء ، هل رأيت رجلا قبل يهتز بأوطار الشباب وهو مفتن بجراح الزمان بعد الأربيعين ، وهل رأيت رجلا قبل يؤلف السكفب الجديدة في البواخر والتطارات والسيارات .

ومن يصدق أنني أنفق في سبيل الورق واللداد أضعاف ما ينفق بعض الناس في سبيل الطعام والشراب .

أحمد الله إليك (من مبارك إلى طه)^(١)

في شهر يوليو ١٩٢٨ تلقيت وأنا في باريس خطابا من الدكتور طه حسين حاجت فيه عبارة « أحمد الله إليك » فالتفت ذهني إلى هذه العبارة لأنها لم لم تسكن من المبارات للأونة في رسالته إلى .

(١) رسالة ١٥ يولية ١٩٤٠ .

وصح عددي بيد التأمل أن الدكتور طه قد يكون مشغولاً بمراجعات متصلة بالسيرة النبوية لكن عبارة « أحمد الله إليك » تسكت في الرسائل المأثورة عن عصر النبوة وعصر الخلفاء.

وبعد أعوام أخرج الدكتور طه كتابه « على هامش السيرة » فسكتبت في جريدة البلاغ نقلاً أن الدكتور طه يحيد أعظم الإجابة حين يتروى في التأليف وكتابه الجديد أثر من آثاره الجيدة في ترويه فهو مشغول بموضوعه منذ ١٩٢٨ وإن لم يقل ذلك فقد كتب إلى خطاباً في يولييه من تلك السنة يقول « أحمد الله إليك ».

وقال الدكتور طه أنه اختراع من اختراعات زكي مبارك في الأخبار والأحداث.

وهذا نص الخطاب كما رواه زكي مبارك :

« أحمد الله إليك على ما أنت فيه من رضا بالإقامة في باريس . وأتمنى لك المزيد من هذه الرضا كما أتمنى أن تنتفع بأيامك في فرنسا إلى أهد حد ممكن وتقبل من السيدة ومنى تحية خالصة وشكراً جويلاً .

وسدد زكي مبارك نص خطاب آخر وجهه في أواخره جاء فيه :

« لست أدري كيف أشكر لك عنايتك بفلسفة ابن خلدون وأنا مقتنع بما بيني وبين نفسي بأنها لا تستحق هذه العناية ، ومع ذلك فستأثرى العلم منذ اليوم لأنني ما تسكتب لأنك أنت الذي تستكتبه لا لأنني أنا موضوعه .

وكل ما أرجوه لك أن تصدر فيما تسكتبه من الخبرة الصادقة القاسية ، لا من الإخاء والمودة المذهن ينفذ في كثير من الأحيان إلى شيء من الرفق الذي لا يحظر من إهم . وأنا أعوذ أصدقائي من أن يعودوا من أجل في إهم

الإصراف في البر كما أكره أن يفرطوا في إنهم المقوق » . وتاريخ هذا الخطاب أغسطس ١٩٢٥ .

فإن قيل : وكيف أمسكن بعد ذلك الزداد الوثيق أن نقصد الملائق بيني وبين الدكتور طه حسين فإن أجيب بأن الله حكيم فيما وقع بيني وبين الصديق .

لم يسكن لي بد من خصومة اتخذ منها فرصة لتوجيه الجمهور إلى الخلفاء الأدبية وكذلك خاصمت عدداً من رجال الأدب كان أظهرهم الدكتور طه حسين .

الأيام : طه حسين^(١)

هذا الرجل موهوب بلا جدال واسكنه قلوب الصبر في تسكليف الواهب فهو يطلع في المحنة الأولى ثم يفتح إلى الأقول .

ترجم لأبي العلاء فأطلع ثم ترجم للمعنى فأخفق لأنه لم يصحب التفتي بقدر ما صحب أبا العلاء .

وأخرج الجزء الأول من الأيام فسكران أميرة ثم فتر في الجزء الثاني .

والجزء الأول من هاشم السيرة سفر نفيس أما الجزء الثاني فهو أيضاً

« سفر نفيس » .

وكان أسفاداً في الجامعة المصرية القديمة . أسفاداً عظيمياً . أسفاداً يملك

القدرة على أسقاط زكي مبارك في امتحانات الإيساتس مرتين . أما في الجامعة

المصرية الجديدة فهو أستاذ محبوب يستر كسبه الجميل بالانفاس من ضف

الطلاب .

وأمره في الصداقة أعجب من العجب ، فهو يؤاخذك ويسألك إلى أن تظن أنه قطعة من قلبك ، ثم يتحول في مثل ومضة البرق إلى عدو مبین ، وهو على الرغم من ضيقه في الاضطلاح يتسكك بالرفق والوهاب ، رجل جذاب لأنه مسمول الحديث ولأنه قد يصدق في الحب وفي البغض إلا أنه تهديه حاسة الفهم إلى أن يمدى من يمدى ويصادق من يصادق كالذي صنع في طوافه بأركان الأحزاب .

والشعور بأن لسانه مصدر قوة يبعث في الحديث وفي الإملاء إلحاحاً بترك سامعيه وقارنيه على أهبة الاقتناع بما يمل وبما يقول .

ولذلك تكثر عليه أسلوبيان : أسلوب حين يمل - وأسلوب حين ينظم . أما أسلوبه حين يمل فلا يخلو من ركازة واضطراب لأنه رهين بما في الإملاء من سرعة وإبطاء .

٢ - إن الشعر كغالب الأيام تاريخ هو تاريخ مجهول ولأنه يصور كيف رجع الدكتور طه إلى القاف ماضيه لينشر منه صفحات تصوير مسير الأمثال من حيث لا يقصد ولا يريد .

في مطلع الربيع من سنة ١٩٢٧ فاز الأزهريون وتبعهم فريق من النواب على الدكتور طه حسين لأرائه في الشعر الجاهلي واشتدت الزوارة ثم رحل إلى فرنسا مع الصيف ليتفانى كروبه الداخلية في رومها الدنيح .

وهناك خطر له أن يمل أندياء بمعدة كل البعد عن الشعر الجاهلي والأزهر والذين فسكتت تلك الأماني وهي تاريخ طقوله بلا تزيين ولا تهويل .

وفي صباح يوم من أيام الخريف في سنة ١٩٢٩ عرفت من الدكتور طه أفة كتب مذكراته عن حداثته وأنه قدمها للأستاذ عبد الحفيظ العميداني

ايطلعن إلى أنها تجاوزت إذاعته بين الناس ، وفي صباح يوم آخر حضر الأستاذ الميادى ومعه أصول الذكريات وهو يقترح أن تحذف الفترة الخاصة بالضرورة نفيسة ؟ فقرر الدكتور أنه أن تحذف ، وفي الليلة الثانية جلسنا نتجاذب أطراف الأحاديث ، فسألته عن موضوع تلك الذكريات ، فوقف وقفة انعطاب السكروب وقص على قصته يوم بدأ له أن ينقل القصة إلى فيه بيديه اللتين وكيف أضحك إخوته وبكت أمه وانزعج أبوه فمرفت أن الذكريات سيكون لها في تاريخ الأدب مكان .

يزيد من طرفة هذه الاعترافات أن بعضها محبوب تصدورها من رجل مثل طه حسين يشهد بأنه فنان يهتم فنه على قواعد من العراة والصدق . وأن طه حسين قد التزم الصدق التزاماً في كتاب الأيام .

لعل أريد القول بأن طه حسين من أساتذة الأخلاق فهو يقصد إلى إنباه الشباب بأن العظيم لم ينشأ عظيماً وإنما هو عظيم بفضل الصبر على مشاعب الجهاد ، لعل أريد القول بأن طه حسين أراد محاكاة جان جاك روسو وأطاول فرانس .

١٩ - الحب الضائع^(١)

هو كتاب يصور المواقف الطبيعية في الريف الفرنسي لعيد الحروب الماضية والكتاب ليس بمجديد لآق الروح ولا في الأسلوب ، فله أمثال تمد بالمشرات أو بالثبات ومع ذلك فإن يقول الفرنسيون حين يرحم إلى لتتهم هذه بضاعتها ردت إلينا لأن طه حسين حين يتتبع لا يغوته إن يخفى ثوب الابتسكار على الاقتباس .

(١) الرسالة ٨، بوابة ١٠-١١ .

تلك الصنعة تقدر ما يقع فيه الدكتور طه من وقت إلى وقت فهو يتطلع ما بينه وبين أصدقائه لا يجد بأمثالهم الزمان ، وهو قد يصل أقرانيا لا يمتحن إلى روحه بسبب قريب أو بعيد ولعله أكثر الناس ابتلاء بالخادعين والرائين لأنهم أحرم من مواضع الظواهر من الصائين والواثين والسكانيب يسبق الصافي إلى امتلاك القلوب انطواض غلواض الوداد .

وهذا لك صنعة عجيبة تذكر بأدب أبي حيان التوحيدي في تشرريح المواطن ، وهي الصنعة الخاصة بالشوايب التي تفسر الوداد ومن تلك الصنعة تعرف كيف جاز أن يتعرض الدكتور طه حسين للقلبات في البووات والصدقات يستغلها من لا يعرف ما فطر عليه من توجيه الإحساس .

٢٠ - طه حسين وإمارة الشعر

إن الدكتور طه حسين « مسيور » بالنمط لفته واثلة زوجته وأبنائه هي ائمة الفرنسية ، ولكنه رغم ذلك من أعظم الرجال في اللغة والدين . وقد كان الأمر يبدى لفتات الدكتور طه حسين ، وقد كان الأمر بهذه الفتلى فقد تعارفا حسين ، أردت أن أقفله فيها إذا استطعت وأراد أن يقتلني إذا استطاع ، نحن ياسيدي الدكتور لم نتفق للموت وإنما للحياة والجد ، فن واجبك أن تكف شرك معي لأكف شري عنك وأنا على الشر أقدر منك .

أضحت أن إمارة الشعر بعد شوقي قد انتقلت إلى العراق .

أخطأت ياسيدي الدكتور إن الشعر لعصر حتى آخر الزمان ، أنت نفسك حاولت أن تكفر عن ذنبك بقلبت إمارة الشعر على الأستاذ المقاد وهو أدب فاضل بدليل أنك أهديت أحد كتبك إليه ، ولكنه شاعر صغير بالقياس إلى المعبرة العصرية .

العقاد في الشعر كالأبيات في النثر كلاهما يأخذ قوته من الإنفعال وهذا لا يمنع من الاعتراف بأنهما أدبا خدمات عظيمة للحياة الأدبية.

٢٩ - زكي مبارك : عدوى طه حسين

نشرت الهلال مبعثا من قدامي : صدق طه حسين الدكتور أمير يقطر وكتب زكي مبارك : (عدوى طه حسين)

إنه عدو عزيز إني والله ، فمسا أذكر أي عادت إنسانا أحبه قبل الدكتور طه حسين ، والعداوة والحسب بمشاعر القلب الواحد ، وإن عجب من ذلك من لا يفهمون ، وآية الصدق في هذه القضية أني لم أنورط في عداوة الدكتور طه حسين إلا منذ أشققت عليه ، فقد ابتدأ هذا الرجل حياته الأدبية بداية حسنة ، ولكن لم يستطع الصبر على مكاره الجدل ، ولم تنو نفسه على معالجة البحث العميق وعندئذ عرفت أن الرجل سيضع نصيبه من انطواء ، وعز على ذلك فأردت أن يبقى اسمه في الدنيا بعد أن تبهت حلايين الأسماء ولا يبقى إلا من أشار إليهم صاحب « النثر الفني » .

وكان الدكتور طه في بداية هذه العداوة يظنها بجرة سريعة المخلود ، ولكنها تغيرت ، واستعارت أقباسها من المشرق والمغرب ، ولم يبق إنسان يقرأ ويستمع إلا عرف أن في الدنيا رجلا اسمه طه حسين ، وصار لا يدخل في محفل ، ولا يتسكلم في مجتمع ، ولا ينشر مقالا في جريدة ، إلا قال الناس : هذا هو الرجل الذي رأينا اسمه في مؤلفات زكي مبارك .

والدكتور طه رجل فيه شيء من الذكاء ، وقد هداه ذكاؤه إلى هذه الحقيقة فاندفع بعاديه بلا ترفق ليهتم به من نباهة الذكر ما يريد

ولكن هل يستحق الدكتور طه أن يشغل رجلا مثلي ؟
هذا هو السؤال !

وأجيب بأنه يستحق ذلك الاستحقاق ، فما ينكر أحد أن لهذا الرجل شخصية قوية ، وأنه استطاع أن يكون غرضاً ترمية الأقلام ، وهذا دليل على ماله من وجود ملحوظ .

ومن مظاهر القوة في هذا الرجل أنه تماهى في أزمات كثيرة ، وأنه عرف كيف يقارع الأحداث والخطوب ، حتى أصبح رجلاً يحسب له حساب . ومن مظاهر القوة أيضاً في هذا الرجل أنه حلو المودة ، مر اللدونة ، يضر ويتنع ، وبعض الناس تطلب منهم الفخامة فلا ينفقون ولا ينفرون .

ولا يمكن أن تعرف قيمة الدكتور طه إلا أن نقرأنا في مهارته الأدبية ، ويبين ذلك أن هذا الرجل قليل المصول ، ولعل لم أر في حياتي رجلاً قليل العلم مع الصيت البعيد ، كما رأيت طه حسين ، ومع قلة محصوله العلمي تراه يتكلم كلام المهتمين ، ويعرض فيبين ويهدم ، ويرم ويقتض ، كأنه عالم محقق أخذ بفواحي المعارف الإنسانية في التقديم والحديث ، وهذا لا يتبع إلا من رجل وصل في المهارة إلى أبعد حدود .

يضاف إلى ذلك كله لسان يحكي ملامحة المرمر ، وليونة الماء ، فإذا سمعت طه حسين وهو يحاضر شعرت بأنك إمام إنسان يملك ناصية الحديث ، وليس ذلك بالقليل .

• • •

ولكن الشخصية العلمية شيء غير ذلك ، فالدكتور طه الذي يضر وينفع ويرم وينقض ، ويحدث فيحسن الحديث ، هذا الرجل قد انهمز في الهادين العلمية ، ولم يتفكر من الجدل الأدنى بأيسر نصيب . . . وأعنيكم أن نقفوا بأنه ألف أنصوحة اسمها « الأيام » نشرها الملال ثم ترجمت إلى الإنجليزية والروسية ، فإن تأليف الأفاضيل ليس من الفنون العالية ، وإنما هو فن

يقول سقاية الإنسان الأول يوم كان بلا الدنيا أساطير وأحاديث . وهل رأيت في الدنيا كلها رجلاً يراس كلية آداب ثم يقف بهذه عقد الأفاضل ؟ انظروا ما وقع لذكور طه يوم قرر المشاركة في تأليف كتاب فيجهر الإسلام ، فقد كانت الفية أن يؤلف في الفاحية الأدبية ، أتدرون ما وقع ، كانت النتيجة أن نشر أحمد أمين أربعة مجلدات وطه حسين ما كتبت بترتيب . وكيف تدرون ذلك السكوت ؟ إن تفسير سول : وهو يتلخص في أن طه حسين لا يحسن الكتابة العلمية ، وإنما يحسن تلخيص الأفاضل . وهناك جانب آخر من ضعف هذا الرجل : وهو حرمانه من حاسة المدل ، فما أعرف أن هذا الرجل استطاع أن يثير أهواءه وهو يعامل الناس ، وقد اتفق أن يستطيع فقد الأول حيناً من الزمان ، فسكانت أحكامه كلها وليدة الحموى والفرس ، ولم يستطع أن يكشف للناس عن موهبة مستورة أو نبوغ مكنون .

وفي سئل طه حسين عما صنع في النقد الأدبي ليعجز عن الجواب ، وهل من القراءة أن يقتصر محاضراته في الراديو على ما أخرجه لجنة النشر والتأليف ؟ إن طه حسين تساقى إلى منزلة أدبية عالية يوم - هي إلى الفكر بسادة كلية الآداب ، ولكن هل استطاع أن يخلق تلك السكينة نصيراً واحداً ؟ هل استطاع أن يخرج من هممه كله بكتف جيد يشوقه إلى منازل الباحثين من علماء السكليات ؟

ولمته اكتفى بهذه المزايب العلوية من الضعف ! بل وأبعد بتسليم عن البعثرى في أغلاط ، علما ذمهاه أسر واستكبر ونشر المحاضرة في كتاب ، وشكل الأغلاط ليدل على أنه لا يهتم بالنقد ، ولا يحسب الحق أى حساب .

وقد ظن من لا يهتمون أنفاً بشي شخصه حين نجاحه ، وحياتهم أن يكون الأمر كذلك ، إنما يهمننا أن نحاسب من يشغل أكبر المقاصب الأدبية حين يسيطر على كلية الآداب ، ولا يرضينا من عبادة مثل هذا الرجل إلا أن يسكون يالينا نرى في وجهه وجه برونو ودي لاكروا من الذين تولوا كلية الآداب جامعة باريس .

نحن قوم غلبتنا الأفكار في الليادين السياسية ، فمن العيب أن نوضي «هل ذلك الحظ في الليادين العلمية ، وإذا قبل أن الإنجليز غلبونا في السياسة فلا يصح أن يقال أن المعجز غلبنا في العلوم والآداب .

المعارك الأدبية

بين شباب الأدب وشيوخه

جرت معارك عديدة بين شباب الأدب وشيوخه ، رابعت ، وثبوت ، وانكها لم تصل إلى مجال للمبارك الكبير إلا في معركة واحدة : هي معركة أنصار النظام وأمناء الرأسمالية وكانت مناوشات كتاب الغراب تمثل الهجوم على « غود » كبر السكتاب وعلى أفعالهم التريبية .

وقد اشترك فيها عدد كبير منهم عدد على غريب وعبد الله مقبل وعدد كبير حسونة وروثيف خوري وعمرو عاشور ومروان حشبه .

محمد علي غريب^(١)

ابناء للمدرسة الحديثة يمدون القلم والميدان

وللأدب عند إخواننا مقياس غير محدود فهم يطلبون التجديد من الأدب ولكنهم لا يكتفون أنفسهم عما في الظل والإبتكار ويكافون بمحسون على أنه ليس في عصر أدب ترغيبه عقولهم أو تستحيته نفوسهم ، ولهذا نراهم يشيدون بأدباء الغرب من شكسبير فنأزلا أو فضاء وأدباء ولكنهم لا يمشون طويلا على تعجيد أولئك الأدباء ، ومن ثم نسمع واحد منهم يقول يهديه على حائق القمد ويميل برأسه إلى الوراء متحدثا في وقار وحلمة ثلاث : أنا لا ينجي من يفتشه نظره بالنسبة للمرأة .

٢ - محمد خضار - الغريب^(٢)

وممن سنوات كانت جماعة المحدثين العربيين تهرق وترعد بمحاسن المدنية الغربية وأنصليتها وسوء الحضارة الشرقية ولما أود الله ربح الستار من مساوى الأولى وظهر إنفلاسها بعد الحرب غيرز كغاب أوروبيون عظام لتتديد بها

(١) البلاغ ١٠ - سبتمبر ١٩٣٩ .

وتفضيل الحضارة الشرقية في عدة نواح - صورها الروحية منها أخذت هذه
الجماعة نفسها تعجدها تقليدًا لهؤلاء - لا عن عتيدة .

٢ - - عبد الله عفيفي^(١)

بالمأخوذة - مؤلف الأدب

يا أساتذة الجامعة المصرية ، يا أساتذة الجامعة الأزهرية ، يا أساتذة دار
العلوم العليا ، يا أعلام الأدب وأقطاب البيان

اعلموا أيراقكم وحلموا القلائكم وأسرعوا إن شئتم باليقظ والمفكر
أولاً اصبروا إن شئتم في الجهر والسر فقد تولى مشونة التأليف عنكم بائع
أحذية في محل سمعان ، انمسيوني أحزل ، وحل أبيت الحياة مكاننا لأهزل .

أي والله لقد نزع صاحبكم أو تقييكم بائع الأحذية في محل سمعان ساعة
أو بنص ساعة وقت قبالة العمل في الظاهر فأخرج كتابها في فلسفة الأدب
وشد الأدب لا في الأدب وحده ولا في الشعر وحده .

وأشهد لقد رأيت هذا البائع الأحذية في محل سمعان فيلسوفًا في عهه لبقا
في مهمته فهو يربك أن الجزمة المصنوعة في شارع بين السورين ثم ورودات
الانزاس والفورين .

وحسب صاحبنا البائع البائع أن هذا كله من الأدب أو فلسفة الأدب
فتظهر على الناس مؤلفًا في الأدب وفلسفة الأدب .

وبما أشراف السادة هل يبي توك شرط وأمد لم يظهر للناس بعد أن أخرج
بائع الأحذية في سمعان كتابها في فلسفة الأدب ونقد الأدباء . بعشرة قروش صاغ .

هل نحب أن نسمع شيئاً من أدب هذا البائع الأحذية : قال في وصف شاعر شاب : لقد سلم الناس من شعره ولم يسلحوا من عاله العذبة وأمرأته للثقل . ويقول فيه : لقد فقه . . الأليم التروير ؛ هذا أسلوب بائع الأحذية في كتابه في فائنة الأدب وقد الأدياء ، لقد احتلوا رغم أنوفنا فساد الجور الأدي حق سأنه من لا يحسن كتابة اسمه فهل نرضى أن يسوء أدب الباعة والعيال وهم يقدمون السلع المرغوبة للنساء والسيدات وذوي السكرامات ، أقهرم مودك ورجحتك^(١) .

٤ — محمد أمين حسونة^(٢)

مدارس التفكير في الأدب النحوي

تأدى أنصار الجديد بقطع الصلة بالماضي واستندوا إلى محاكاة الغرب دون أن يحاولوا الابتكار لأن الابتكار الأوروبية لم تكن قد تأصلت في نفوسهم ومن ناحية أخرى لم يكن في وسعهم أن يهزوا الوسط الذي عاد إليه ولا البيئة التي يعيشون فيها ، لأن هذه البيئة كانت لازال فطرية ، لياض سلطان قوى عليها وهو حتى في أحضان عتولهم .

وأول من سعت لقطع عهد النقل والتخلص من الأسار الضيقة نتيجة التأثير بظواهر الحركات السياسية التي لمسوها في الغرب وقوى فيهم حسداً لليل إطلاعهم على الآداب الفرنسية .

وهذا فريق أدرك بعد التبعصر وانماهم النظر أن القبات على التقديم سيؤدي إلى القناء ، فماتوا إذا كان لتقديم حق وللتراث قيمة بارزة فلا يجوز تهذه والقضاء عليه ويمكن إعادة تنظيمه وفق الأصول والدراسات النقصية .

(١) لفؤاد القصود هو المالك القماس : (حبيب الزملاني)

(٢) الكفوف ١٩٣٩

• - وثوب خوزي^(١)

من عهد المرأة إلى عهد القناع

الذي يبدو لي أن حياة الدكتور طه حسين الأدبية حتى الآن تقع في قسمين بيلين :

فالقسم الأول هو ما يجوز أن ندعوه دور المرأة على الأساليب والآراء القديمة ، وهي جراءة نفس فيها حب الدعش والمفاجأة والظهور . أكثر من الحرص الفطن على إبراز الحقيقة .

في هذا الدور ألفت كتاب في الشعر الجاهلي . ولحق أن الكتاب بعد ذاته بسير الإبهسكار ، فالعشرون قبل الدكتور طه حسين كتبوا ما كتب بصورة أخرى عفا . ثم إن كون الشعر الجاهلي مدفولاً أو غير مدفول قضية قليل ما هي خطورة . . . ولكن طارنا طراً فخرج الدكتور طه حسين من هذا الدور الأول من حياته إلى دوره الثاني اليوم ، هناك كثيرون من الكتاب في مطلع حياتهم الأدبية خلعوا على أنفسهم جبة الجراءة : لماذا ، لأن الجراءة في الكتاب كما هي في غيرهم فضيلة . أقول أن كثيراً من الكتاب يحملون على أنفسهم جبة الجراءة من أجل هذا اللورد : مورد الشهرة فإذا طفق أولئك الكتاب بما يطمعون فيه محدوا إلى طرح جبة الجراءة عنهم وهم يعتقدون أن سوقهم نائمة .

أجل إن كثيرون من الكتاب يصيرون في دور من أدوارهم إلى استنباء القراء أو استعجالهم إذا صبح الاشتقاق .

المفروض منه أن الدكتور طه حسين ليس جبة الجراءة في دوره الأول .

(١) الدكتور ٦ شباط ١٩٢٩

وهو الآن لا يقبل معها كان الأمر أن يقال عنه أنه ضلما .
قلت يبدو في الدكتور نهالك هل أن يظهر أبدا يظهر الشاهد المضحي
به . كان الدكتور طه في دوره الأول مشهورا بشقة الخلاف الواسعة بينه
وبين الأزهر على أن الدكتور طه في دورة الثانية قد رغب في التسوية ولست
اعترف أكان حقا هو القائل هذه الكلمة التي شاعت مؤخرا . أن الدكتور
طه يعتبر أخص أيامه ذلك اليوم الذي رمى فيه بعمته إلى البحر
أما اثر هذا التحول في أدبه فيجد واضح ملموس ، فإن الدكتور أخذ
يعمل بأسباب نوع من إنشاء دعاء الإنشاء الطامس في مقدمة كتابه « على
هامش السيرة » وهو نوع من الإنشاء لا يقوم في أساسه على فكرة تؤدي إلى
على مجال وصف ووصف .
والدكتور زكي مبارك قد سجل على الباحثين في مصر (الحديث ،
كانون الثاني ١٩٢٩) أنهم اليوم انصرفوا عن المسائل التي تصدمهم برجال
الدين .
والؤسف^(١) أن الدكتور طه حسين قد أوشك أن يتوصل إلى تلك
الدرجة التي يستغني فيها الكتاب قراءم أو يستجرونهم وعندى على ذلك
دلائل عامة وشواهد معينة
١ - كان في إنشاء الدكتور طه صفة الأطلاب والتكبر ، وكفا
بقوله أن الآفة التي حرمته البحر لا تمكنه من ترجمة ما يكتب . على أنه
يسؤوى الآن أن أقرر أن صفة الأطلاب والتكبر في إنشاء الدكتور قد
أصبحت شيئا يتوخاه توحيا وهو مطمئن إلى أن القراء لن يفتنوا إليه .
أن خوف الدكتور من أن تمنى عروبة مصر حدم أي المول والأمرام

(١) الدكتور ١٢ شباط ١٩٢٩ - العدد ١٢٠

والفتاوى عن جميع الآثار التي تزين متاحفها ومتاحف العالم خوف يدعو إلى التفتية وأيا ندعو الدكتور إلى الاطمنان . فالعربية كما يعلم قد دخلت في ماضيها مصر ولم تهتم أيا الحقول ولا الأهرام .

وكم كنت أحب أن يكون الدكتور قد استغنى عن هذا التصريح الذي أذيعه بخصوص حديثه مع الدكتور نجيب صدقة وأظهر عليهم غضبا لأهم لم يستأذني في نشر ما نشره وأقد أنشع من وراء ذلك أن الدكتور يقول في سره مالا يقول في علانيته . وأنا لا أقبل أن اعتقد بأن فيه شيئا من الدجل بعد أن ثبت لي عاده السكرية في استغناء القراء .

ولنا كلمة إلى الدكتور من أن يتوى ثقته بالشعب المصري ثقته به ضعيفة إلى حد بعيد ، فالعصرى عذبة عتاز بقصره وإهماله وخفة دمه لا يستطيع لإجهاد نفسه في قراءة بحث مفيد والمصري عند يأبى ويتقاعص من القيام بالأعمال البسيطة التي تسهل للبرء . سبل الحياة (السكشوف ١٧٥) وكل هذا كلام لا ينصف الشعب المصري من ناحية وفيه ماهر غير صحيح من ناحية أخرى وفيه أيضا ما يرتد إرتدادا على علم حسين ولا شك أن الشعب المصري شعب كبير فيه كوامن نهضة جبارة إذا عطفت عنه كوابيسه يادكتور .

٦ - محمود شاكر : تقاضى القالات^(١)

قرأت أخيراً مقالين إحداهما للدكتور طه والأخرى للأستاذ أحمد أمين وهما بهذا العنوان « رحلة » وقد تمرد الأستاذان أن يتقارضا القالات منذ أسابيع طويلة . واكثر من ذلك اكتئاب لا يمكن أن تنقض عنه ، وكنت أحب ألا أعرض له انه ينتهى إلى نهاية ، فإذا هو شره لا ينقطع .

(١) الرسالة ١٦ فبراير سنة ١٩٤٠ .

فمن يوم أن كتب الأستاذ أمد أمين ما كتب وسماه « مدرسة الزوجات » وقارضه الدكتور طه بمدرسة الأزواج ثم مدرسة الرواة ثم « مدرسة . . » إلى آخر هذه الأشياء ، وانطلقا بهذه الطاحون التي تدور على دقيق مضجون قد فرغ منه — من ذلك اليوم وأنا لا أرى نبياً يسكتان إلا استسلاماً قلم وبدوانه وبوادعه . واجتلبا في ذلك من الرأي مالا يستقر ولا يتأسك .

وفي هاتين الرحلتين رأيت السجيب ! فالدكتور طه مثلاً قد أطلت في تحقير مصر والزراية عليها وعلى أرضها بما احتمل عليه الغضب الذي رغب في إنشاء مدرسة له لسموها (مدرسة الغضب) رحل الدكتور طه بالسيارة في الطريق الزراعية فحافظه الثراب الذي يتور من حوله فيطلق لسانه بهذه الأستة (لماذا تدفع الضرائب) فليخبرنا الدكتور طه عن السبيل الذي تنق به الزراية على أرض مصر ! ماذا تصنع الدولة عن طريق جانيه من تلك الأرض الخصبة الواسعة التي تسمى لتطعم أهل مصر من خيراتها . والأستاذ أحمد أمين هو الذي حل على الأدب العربي وحفر الشمر الجمال ودفع بحجته في وجوب نبذ هذا الأدب وذلك الشمر الجمال لأنه كان جناية على أدبنا وأنا كفت هممت أن أؤدي واجبي للأدب العربي بإظهار نساد هذه الآراء التي لم ترضع نحرانها.

٧ - درني هشيه^(١)

وأطرف ماني ممسكك للشيوخ من فتنة مكتوبة تلك الدبر الضاحكة التي يوكها الدكتور زكي مبارك فزكي مبارك جرى عن اللآزى جرأة لا حلفها وللآزى لا تذب بأذيال الصمت . وللآزى بهذا الصمت يسكو بزكي مبارك الذي لا ينال منه إلا صمت مفاوشيه ، ونادي زكي بأهل صورته فقال : أنا اكشبت منك باعقاد ، وأنا أشمر منك باعقاد ، ومؤلفاني لا نسو إلها

(١) رسالة - ٩ مايو ١٩٣٨ .

مؤلفائك ثم لم يلبث أن ختم صيغته بـ«كلمات من إلى التلاية والاسترخاء»
أقرب منهن إلى ما هو دون التلاية والاسترخاء ثم عاد في كلمة أخرى فسأل
بعض القراء ألا يوقعوا بيته وبين المقاد ليقدموا هم ويتفرجوا ولست أدري
العلّة في جرأة زكي مبارك على المازني وإشفاقه من المقاد على هذا النحو
المكتشف الفصح يادكتور عله ولا نحسين أن أحدا قد صدقك حينما رفعت
عقيرتك بأهلك أشعر شعراء هذا الزمان ولا أكتب أهل بل أنت أحرأ كاتب
في الشرق العربي فما علة إشفاقك من المقاد .

انتهى الجزء الأول : الممارك الأدبية

وبطية الجزء الثاني : الساجلات والممارك الأدبية

ويضم خمسون معركة أخرى

محتويات الكتاب

مدخل ١٠

الفصل الأول : ١٥

معارك الوحدة والتجزئة

١ - معركة الوحدة العربية (طه حسين وعزام والخطيب) ١٦

٢ - مصريين العربية والعروبة (الزيات وعثمان) ٢٨

٣ - معركة البرودة والصبر (سامح المصري وطه حسين) ٥٩

الفصل الثاني : ٧١

معارك اللغة العربية

١ - نصير اللغة العربية (مصطفى الرافعي ولطفى السيد) ٧٣

٢ - مجمع اللغة : مائة مائة (منصور فهمي وطه حسين) ٨٢

٣ - معركة الكتابة بالحروف اللاتينية (عبدالمعز فهمي وكرد علي) ٩٠

الفصل الثالث : ١٠٣

معارك المفاهيم الثقافية

١ - ثقافة الشرق وثقافة الغرب ١٠٤

معركة بين فيلسوف فارس واثبات آدم ١٠٤

الصفحة	الموضوع
١٢٧	— لايتيون ومكسويون : بين القناد وطه حسين . . .
١٢٧	— فتنة اليونانية : بين زكي مبارك وطه حسين . . .
١٤٨	— كتابة السيرة : بين التاريخ والأسطورة
	بين هيكل وطه حسين
١٥٥	— كتابة التاريخ : بين رفيق الطعم وطه حسين
١٦٣	— معركة الترجمة : بين منصور فهمي وطه حسين
١٦٩	— أدب سانتوبش : بين أمين الزيات وللازني والقناد
١٧٤	— أدبنا هل يتلنا : بين أحمد أمين وأمين الخولي
	— نهاية الأدب : ما هي ؟
١٧٨	— بين زكي مبارك وسلامة موسى
١٨١	— حق يدهر الأدب : بين لطفى جمعة وزكي مبارك
١٨٥	— الأدب المكشوف : بين توفيق دياب وسلامة موسى
	— فترات قشرى : يكتفى أو لا يكتفى ؟
١٩٤	— بين عبد الرحمن الرافعي وعباس محمود القناد
١٩٨	— ثقافة دارالعلوم : بين أحمد أمين ومهدي علام
٢٠٥	— قلب الرابع

مبارك الأسلوب والمضمون

الصفحة	الموضوع
٢٠٥	— الفصل الأول : الأسلوب والمضمون
	— بين الرافعي وسلامة موسى وطه حسين

الصفحة	الموضوع
	— أسلوب السكة إ —
٢١٣	معركة بين عكيب أرسلان و خليل السكاكيني
	— أساليب الكتابة —
٢٢٢	بين عكيب أرسلان ومحمد كرد علي
	قبايل الخامس
	معارك النقد
	الفصل الأول : أسلوب طه حسين
٢٣١	معركة بين المنازلي وطه حسين
	الفصل الثاني : مقومات الأدب العربي
٢٤١	معركة بين زكي مبارك وأحمد أمين
	الفصل الثالث : منهجان في الأدب
٢٦٦	معركة بين أنصار التراثي وأنصار العقاد
	الفصل الرابع : بين النقد الذاتي والموضوعي .
٢٩٦	بين أحمد أمين وطه حسين
	الفصل الخامس : الأدب بين التجديد والاعتراف
٢٩٩	بين زكي مبارك وزكي أبو شادي
	الفصل السادس : هل نقبس أم نقلد ؟
٣٠٧	بين منصور فهمي وطه حسين

الموضوع	الصفحة
الفصل السابع : معركة فندان اثنة	
بين الدكتور محمد حسين هيكال وطه حسين	٣٩٠
الفصل الثامن : الفن والفن للجميع	
بين أحمد أمين وتوفيق الحكيم وعبد الوهاب عزام	٣٩٩
الباب السادس	
معارك اللقد حول الكتب	
الفصل الأول : رسالة مندور فهمي الدكتوراه	٣٢٩
الفصل الثاني : الخلافة وأصول الحكم	
معركة حول كتاب علي عبد الرزاق	٣٣٤
الفصل الثالث : معركة نشر الجاهلي	٣٤٦
الفصل الرابع : كتاب انثر افى	
بين زكى مبارك وفريد وجدى ولطفى جمعة	٣٧٩
الفصل الخامس : كتاب أوراق انور	
بين مصطفى صادق الرافى ولطفى جمعة وإبراهيم العمري	٣٨٨
الفصل السادس : كتاب ثورة الأدب	
بين فريد وجدى والدكتور هيكال	٣٩٤
الفصل السابع : كتاب منع اللتى	
بين محمود شاكر وطه حسين	٤٠٤

الموضوع	الصفحة
الفصل الثامن : معركة مستنبل الثقافة	
بين طه حسين وساطع الحصري وزكي مبارك ومحمد حسين .	٤٠٩
الباب السابع	
المبارك بين المجددين العفاطين	
الفصل الأول : مبارك الرئيس	
مع القائد وطه حسين وزكي مبارك وعبد الله عفيفي .	٤٢٧
الفصل الثاني : معركة فضل العرب على الحضارة	
بين طه حسين وأحمد زكي باشا وشكيب إرسلان . . .	٤٤٥
الفصل الثالث : الدين واللدنية	
بين محمود عزمي وعلاء الأزهري	٤٥١
الفصل الرابع : التثريب	
بين حسين فوزي وسعيد القريشان	٤٥٥
الفصل الخامس : حقوق المرأة	
مساجلة بين رشيد رضا ومحمود عزمي	٤٥٧
الفصل السادس : معركة حول التراث القديم	
بين زكي مبارك والنسائي بيومي	٤٦٣
الفصل السابع : معركة الخلاف بين الدين والعلم	
.	٤٧٥

۲۹۰ معرکہ بین رشید رضا و مصطفیٰ عبدالرزاق

الفصل التاسع : خم النجوم

معركة صخرة بين أحمد زكي باشا وزكي مبارك . . . ۵۰۲

الفصل المباشر : بين التقدو والتريط

۵۱۱ • • • • •

مبارك بين المحافظين حول اللغة

بین احمد زکی باشا و محمد محمود ۵۱۸

الياب التاسع

مشارك فقد الشعر

الفصل الأول : بين شوقي ونقاد ٥٢٧

الفصل الثاني : بين عبد الرحمن شكرى والمازنى ٥٤٧

الفصل الثالث : أمانة الشمر

بین اثرهای و انعقاد و مطران ۵۶۵

المجلد الرابع : ديوان وحى الأرباب

٥٧. ابن مصطفى صادق الرافعي وعباس محمود القنديل

الموضوع	الصفحة
باب المأثر	٨٥
مشارك النقد في المجددين	
الفصل الأول : بين التريب والتجديد	
مواجهة بين توفيق الحكيم وطه حسين	٥٨٧
الفصل الثاني : معركة الكرامة .	
بين توفيق الحكيم وطه حسين	٥٩٥
الفصل الثالث : معركة الصفاء بين الأدباء	
بين توفيق الحكيم وزكي مبارك والقاد والزيات	٦٠٧
الفصل الرابع : معارك النقد	
بين القاد وطه حسين	٦٢٤
الفصل الخامس	
بين زكي مبارك وخصومه	٦٣٤
الفصل السادس : مبارك ينتقد كتابه	
الأخلاق عند النزال	٦٤٢
الفصل السابع : بين القاد وخصومه	٦٤٦
الفصل الثامن : بين سلامة موسى وخصومه	٦٤٩

الصفحة	الموضوع
٦٥٦	الفصل التاسع : بين الماضي والحاضر
	الفصل العاشر : معارك أدبية
٦٦٠	بين الدكتور حسين هيكل وطه حسين
	الفصل الحادي عشر
٦٧٠	اشتهق معركة في تاريخ الأدب العربي المعاصر
	الفصل الثاني عشر
٧١٣	المعركة الأدبية بين شباب الأدب وشيوخه